التعليق على مقدمات التفسير

- مقدمة تفسير عبد الرزاق رحمه الله
- مقدمة تفسير ابن أبي حاتم رحمه الله
- مقدمة تفسير الطبري

سلسلة التفريعات الصوتية
لطلاب الدورات العلمية

كتبه وألقاه

الشيخ عبد الكريم الكثيري حفظه الله



1443 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

التعليق على مقدمة تفسير الإمام عبد الرزاق الصنعاني رحمه الله

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللمستمعين.

تفسير القرآن العزيز المنزل على سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم وعلى أله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين

قال الإمام عبد الرزاق بن همام رحمه الله: **حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ أَبُو ثَابِتٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ** رضي الله عنه **قَالَ:** " بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَإِذَا عِنْدَهُ عُمَرُ فَقَالَ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي لَأَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا فَيَذْهَبَ قُرْآنٌ كَثِيرٌ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ عُمَرَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ. قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَإِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ قَالَ زَيْدٌ: فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ بِأَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا كَلَّفَنِي مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَيَا فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعَسَبِ، وَالرِّقَاعِ، وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، فَوَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ } [سورة التوبة 128] إِلَى آخِرِهَا مَعَ خُزَيْمَةَ، أَوْ أَبِي خُزَيْمَةَ، فَأَلْحَقْتُهَا فِي سُورَتِهَا، وَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَيَاتَهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: اللِّخَافُ يَعْنِي الْخَزَفَ، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ ". (1)

ما جاء فيمن قال في القرآن برأيه.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ قَالَ: نا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ قَالَ: نا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: نا الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ". (2)

نا الثَّوْرِيُّ، عَنْ شَيْخٍ لَهُمْ عَنِ الشَّعْبِيِّ رحمه الله ، قَالَ: " لَئِنْ أَكْذِبُ مِائَةَ كَذِبَةً عَلَى مُحَمَّدٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ فِي الْقُرْآنِ كَذِبَةً، إِنَّمَا يُفْضِي الْكَاذِبُ فِي الْقُرْآنِ إِلَى اللَّهِ ". (3)

نا الثَّوْرِيُّ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : " تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ عَلَى أَرْبَعَةِ وُجُوهٍ: تَفْسِيرٌ تَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ يَقُولُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، مَنِ ادَّعَى عِلْمَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ ". (4)

نا مَعْمَرٌ , عَنْ أَيُّوبَ , عَنْ أَبِي قِلَابَةَ , عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ رحمه الله قَالَ: " الْقُرْآنُ سِتُّ آيَاتٍ: آيَةٌ تَأْمُرُكَ , وَآيَةٌ تَنْهَاكَ , وَآيَةٌ تُبَشِّرُكَ , وَآيَةٌ تُنْذِرُكَ , وَآيَةٌ فَرِيضَةٍ , وَآيَةٌ قَصَصٍ وَأَخْبَارٍ - أَوْ قَالَ: أَمْثَالٍ ". (5)

نا مَعْمَرٌ , عَنْ أَبَانَ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ , عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ رحمه الله قَالَ: " نَزَلَتِ الصُّحُفُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ , وَنَزَلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ , وَنَزَلَ الزَّبُورُ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً , وَنَزَلَ الْإِنْجِيلُ لِثَمَانِي عَشْرَةَ , وَنَزَلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ". (6)

نا الثَّوْرِيُّ , عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ , عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ رحمه الله -وَذَكَرَهُ السُّدِّيُّ , وَالْأَعْمَشُ-: " نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْقُرْآنِ جُمْلَةً وَاحِدَةً , لَيْلَةَ الْقَدْرِ , عَلَى مَوْضِعِ النُّجُومِ مِنَ السَّمَاءِ , فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فَجَعَلَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ بِهِ عَلَى النَّبِيِّ رُتَبًا رُتَبًا ". (7)

نا مَعْمَرٌ قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ: " مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُ فِيهَا شَيْئًا ". (8)

أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ قَالَ: أَخْبَرَنِي قَتَادَةُ قَالَ: " صَحِبْتُ الْحَسَنَ ثِنْتِي عَشْرَ سَنَةً , صَلَّيْتُ الصُّبْحَ فِيهَا مَعَهُ ثَلَاثَ سِنِينَ ". (9)

حدثنا معمر عن الزهري رحمه الله **قال:** " مست ركبتي ركبت ابن المسيب ثماني سنين ". [10]



التعـــــليـق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

أما بعد فإن أحسن الكلام كلام الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ، وشر الأمور محدثتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

هذَا أولى دروسنا في هذه الدورة العلمية المصغرة لعلوم القرآن ويتعلق بمسألة القراءة والتعليق على مقدمة التفسير لعبد الرزاق بن همام الصنعاني رحمه الله وهذه المقدمة مقدمة يسيرة منه في هذَا الباب وتفسيره أيضًا تفسير مختصر وهو من التفاسير التي تعتني بنقل الآثار مع وجازتها وأما المؤلف فهو عبد الرزاق بن همام بن نافع أبو بكر الحميري الصنعاني معروف نسبة لصنعاء أشهر مدن اليمن وحدث عنه أئمة كبار هو تقريبا ولد سنة **126هـ** يعني في آواخر الدولة الأموية وعُرف بالرحلة في طلب العلم حيث أنه طلب العلم في سن العشرين كان بِدْأُ طلبه العلم سنة **146هـ**.

تلقى عن شيوخ أهل اليمن كما هي طريقة علماء السلف أنه يبدأ بشيوخ بلده وكان أكثر من نقل عنهم وروى عنهم معمر بن راشد، فمعمر بن راشد يعني من أكثر الناس رواية عنه، عبد الرزاق بن همام الصنعاني رحمه الله هو أكثر الناس رواية عن معمر بن راشد رحمه الله ، وذَلك أن معمر بن راشد استقر في اليمن لأنه هو كان في البصرة وبعدين ذَهب إلى اليمن واستقر فيها فكان عبد الرزاق ملازمًا له جدًا فحدث عنه

كثيرا وكان معمر يخصه بالعلم حتى قال عبد الرزاق رحمه الله: " **كتبت عن مَعْمَرٍ عشرة آلاف حديث** ". بل قال: " **جالست معمر بن راشد سبع سنين** ". بعد ذَلك رحل إلى مدن أهل الإسلام فرحل إلى الحجاز وإلى الشام وإلى العراق سافر طالبا للعلم وفي التجارة أيضا.

عبد الرزاق رحمه الله من حيث حديثه وهذَا مهم جدًا فما يحدث به من كتابه فهو أصح كما أشار إلى ذَلك الإمام أحمد رحمه الله وكان رحل إليه ومن أضبط الناس لحديثه فإذَا حدث من كتابه يكون صحيحًا ووقوع الوهم تارتًا منه وتارتًا ممن يروي عنه إذَا لم يحدث من كتاب أما إذَا حدَّث من كتاب فروايته من الكتاب أثبت وأضبط فقوته في كتابه.

وأيضا هو مُقدم في معمر لأنه يروي عنه من كتاب وثاني شيء لطول الملازمة وكان يحفظ حديث معمر جدًا كما أشار لذَلك الإمام أحمد رحمه الله كما جاء في **تاريخ أبي زرعة الدمشقي (ص457):** قال أبو زرعة الدمشقي رحمه الله: " **قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: كَانَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ يَحْفَظُ حَدِيثَ مَعْمَرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ** ".

وكذَلك هو من أثبت الناس في ابن جريج المكي رحمه الله، فهو مُقدم في ابن جريج المكي وخاصة في أبواب التفسير، فلذَلك حديثه رحمه الله في هذَا الباب مقبول عندهم وإن كان بعضهم ذكر عنه تشيع فأحمد لما سأله عبد الله ابنه رحمه الله قال: " **سألت أبي هل كان عبد الرزاق يتشيع ويفرط في التشيع؟**

فقال: أما أنا فلم أسمع منه في هذا شيئا ". انتهى

حتى نُقل عنه كان يسب عثمان رضي الله عنه مع أنه منقول عنه تكفير الرافضة الذين يشتمون وقد روى عبد الله رحمه الله في **العلل ومعرفة الرجال (2/ 59)** قال: حَدثنِي سَلمَة بن شبيب قَالَ: " **سَمِعت عبد الرَّزَّاق يَقُول وَالله مَا انْشَرَحَ صَدْرِي قطّ أَن أفضل عليا على أبي بكر وَعمر ورحم الله أَبَا بكر ورحم الله عمر ورحم الله عُثْمَان ورحم الله عليا وَمن لم يُحِبهُمْ فَمَا هُوَ بِمُؤْمِن وَإِن أوثق عَمَلي حبي إيَّاهُم** ".

فالمنتقد عليه وهذا الذي أوقع الشبهة أيضا في حال أنه كان يروي أشياء من الأخبار في الصحابة وكذا وهذا الباب تعرف أهل السنة والجماعة يغلقونه لأسباب:

أولا: لكثرة الكذب فيه والأحاديث الباطلة فيه.

ثانيا: أنه يوغر الصدور على أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا فيما يتعلق بالمؤلف على جهة الاختصار وله تلاميذ كثر حفظوا حديثه وضبطوه، طبعا هو شيوخه المُبَرَّز في الرواية عنهم كثيرًا في " المصنف " معمر بن راشد، عبد المالك بن جريج، سفيان الثوري، سفيان بن عيينة، هؤلاء كثيرا ما يروي عنهم.

أما تلاميذه فمن أضبطهم وأكثرهم رواية عنه روى عنه أحمد بن حنبل ويحي بن معين وهؤلاء رووا عنه كثيرًا، وكان رحمه الله كما ذكرنا حافظًا حتى ذكر عنه يحي بن معين رحمه الله أنه كان من الحفاظ في هذا الباب يعني في باب الحديث، خاصةً إذا حدث من كتابه كما ذكرنا.

نأتي الآن إلى ما يتعلق بهذه المقدمة، قال رحمه الله :

(1)**حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ أَبُو ثَابِتٍ** (هذا ثقة وثقه الإمام أحمد وغيره) **قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ** (وهو العوفي المدني ثقة) **عَنِ ابْنِ شِهَابٍ** (هو محمد بن شهاب الزهري) **عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ** (المدني وهو أيضا ثقة تابعي ثقة رحمه الله وثقه العجلي وغيره) **عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ** (الخزرجي وهو صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو أعلم الصحابة بكتاب الله تبارك وتعالى وهو الذي جمع القرآن كما سيأتي بمشورة أبي بكر رضي الله عنه)، قَالَ: " **بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ...**".

أي حين أيام حروب الردة وكان بنو حنيفة أخرهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه لشدة بأسهم ونحو ذلك ولذلك فسر قوله عز وجل { **سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ** } [الفتح: 16] قال رافع بن خَدِيج رحمه الله: " **كُنّا نقرأ هذه الآية، ولا نعلم مَن هم، حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم** ".

فلأنهم كانوا أولي بأس شديد فعلاً يعني في القتال لكن في الباطل والعياذ بالله، تجلدوا في الباطل فاستحر القتل في القراء وهذا سبب جمع القرآن.

الذي يتعلق بهذا الباب في جمع كتاب الله عز وجل أنه ما السبب الذي دفع أبا بكر أن يجمع؟ لأنه الآن سنتكلم على مرحلة الجمع وهناك مرحلة أخرى تسبق الجمع وهي مرحلة النزول ولابد أن نفرق بين مرحلتين في القرآن وهذا مهم جدا والمرحلتان هما:

أولا: مرحلة النزول.

ثانيا: مرحلة الجمع.

من حيث النزول وسيأتي معنا الكلام في النزول أن القرآن نزل مفرق ولم ينزل جملة واحدة يعني على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان سيأتي معنا أثر ابن عباس رضي الله عنه أنه نزل إلى بيت العزة جملة واحدة وهذا لا ينافي كونه نزل منجمًا أي مُفرَّقًا، قال الله عز وجل { وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا } [الفرقان : 32] وقال سبحانه { وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا } [الإسراء : 106] فالقرآن نزل مُفَرَّقًا وسيأتي الكلام على النزول.

ثم بعد ذلك جُمِعَ، فمرحلة الجمع هي مرحلة جاءت بعد النزول، متى كانت مرحلة الجمع؟ مرحلة التي هي الضم، الجمع هو الضم، مرحلة الجمع حقيقة بدأت في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهذا الجمع الذي كان في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه جمع على مراحل:

المرحلة الأولى: كانت في زمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه يعني الجمع الحقيقي

المرحلة الثانية: كانت في زمن عثمان رضي الله عنه الذي هو الجمع الأخير وكان على العرضة الأخيرة كما سنذكره إن شاء الله تبارك وتعالى.

فالمقصود أن جمع القرآن مر بمراحل فالله رب العالمين سبحانه وتعالى حفظ كتابه بأصحاب نبيه بأن أقامهم عدولا شهودًا في جمع الكتاب، قال عز وجل { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ } [الحجر : 9] الجمع الذي حصل نوعان:

النوع الأول: الجمع في الصدور يعني الصحابة كيف جمعوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ كان

جمعًا في الصدور وجمعا في السطور الذي هو الكتابة، فجمع الصدور الذي هو التلقي والمشافهة تلقوه من النبي ﷺ، لأن النبي ﷺ كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب كما قال الله عز وجل { وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ } [العنكبوت: 49 - 48] فالقرآن كان في الصدور.

جمع الصدور كما جاء في صحيح البخاري (1/ 8): حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ } [القيامة: 16] قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: { لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ } [القيامة 16 - 17] قَالَ: جَمْعُهُ لَهُ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ: { فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ } [القيامة: 18] قَالَ فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ: (وجبريل تلقاه من ربّ العزة سمعه من الله عز وجل بحرف وصوت ثم بلغه إلى رسول الله ﷺ) { ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ } [القيامة: 19] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَرَأَهُ ".

إذا هنا يشير المعنى في هذا الحديث إلى جمع الصدور بل ورد في صحيح البخاري (2/ 91): عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: " كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟. فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ ".

وروى الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (11/ 403): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا ".

وهذا الفضل وارد فيمن الحفظ القرآن لأنه جاءت آثار في فضل من تدبر وفضل من عمل وفضل من علم كما قال النبي ﷺ: " خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ".

أما الخبر الذي جاء معنا هنا في فضل من حفظه لأن الحفظ درجة من درجات العلم بالقرآن وهذا فيما يخص جمع الصدور.

النوع الثاني: جمع السطور والجمع في السطور حقيقة، الجمع المباشر والأمر به كان في زمن آبي بكر الصديق رضي الله عنه لكن أصله يرجع إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم لأن الكتابة كانت في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزلت عليه السورة دعا الكتبة ومنهم زيد بن ثابت لذلك اختاره أبو بكر الصديق رضي الله عنه للجمع واختاره عثمان رضي الله عنه أيضا لما كتب في العرضة الأخيرة، فكان زيد بن ثابت رضي الله عنه حاضر لأن له خصوصية.

إذا زيد بن ثابت رضي الله عنه وسبب الاختيار أنا قد فصلت في دروس " فضائل القرآن لأبي عبيد " تفصيلاً طويلاً جدا في سبب اختيار الأربعة وصفاتهم فزيد بن ثابت سبب اختياره أسباب كثيرة منه أنه جاء النص في تزكيته وأنه كان يكتب الوحي زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان يعرف الكتابة بالعربية فهذه الصفات كلها اجتمعت فيه وأهلته لهذه المرتبة رضي الله عنه .

وسيأتي معنا أنه تتبع القرآن يجمعه من عسب النخيل والرقاع واللخاف

(اللخاف) كما قال أبو عبيد رحمه الله في غريب الحديث (4/ 156):

قَالَ الْأَصْمَعِي رحمه الله : " **اللِّخاف واحدتها: لَخْفة وَهِي حِجَارَة بيض رقاق.**

(والعُسُب) وَاحِدهَا: عَسِيب وَهُوَ سَعَف النّخل وَأهل الْحجاز يسمونه الجريد ".

فهنا إشارة إلى أنه صار يتتبع ما كان موجودًا في زمان النبي صلى الله عليه وسلم .

الجمع الذي كان في زمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنا فقط أقدم قبل أن نقرأ الحديث حتى نفهم الجمع الذي كان في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان جمعا مفرقًا كما أشار إليه في الأثر " **... فَقَالَ** (أبو بكر): **إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ** (يعني كثر وهذا السبب) **يَوْمَ الْيَمَامَةِ** (يعني في بني حنيفة أيام الردة) **بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ ، وَإِنِّي لَأَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا** (سالم

مولى حذيفة كثير ماتوا وسالم مولى حذيفة أمر النبي ﷺ أن يقرأ على قرأته وهو من الأربع الحفاظ) **فَيَذْهَبَ قُرْآنٌ كَثِيرٌ, وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ** (هذا الأمر المباشر يعني أن يجمع في مصحف واحد وهو كان موجود مكتوب لكن أن يجمع ويضم بعضه إلى بعض) **قُلْتُ** (يعني أبو بكر الصديق): **كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟** (يعني لم يفعله بهذه الصفة) **فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ, فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ عُمَرَ, وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ. قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ** (وهذه تزكية لزيد بن ثابت من أبو بكر الصديق رضي الله عنه): **وَإِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُكَ, وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...** ".

أولا: شاب وهذا لقرب العهد بالحفظ كما قال الحسن البصري رحمه الله: " **الْعِلْمُ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ**".

ثانيا: عاقل ليس ثمة طيش وهذا للاتزان ولذلك قال الشعبي رحمه الله: " **إِنَّمَا كَانَ يَطْلُبُ هَذَا الْعِلْمَ مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ خَصْلَتَانِ: الْعَقْلُ وَالنُّسُكُ، فَإِنْ كَانَ نَاسِكًا، وَلَمْ يَكُنْ عَاقِلًا، قَالَ: هَذَا أَمْرٌ لَا يَنَالُهُ إِلَّا الْعُقَلَاءُ فَلَمْ يَطْلُبْهُ. وَإِنْ كَانَ عَاقِلًا، وَلَمْ يَكُنْ نَاسِكًا قَالَ: هَذَا أَمْرٌ لَا يَنَالُهُ إِلَّا النُّسَّاكُ، فَلَمْ يَطْلُبْهُ. فَقَالَ: الشَّعْبِيُّ وَلَقَدْ رَهِبْتُ أَنْ يَكُونَ يَطْلُبُهُ الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَتْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا: لَا عَقْلٌ وَلَا نُسُكٌ** ".

يعني لا بد طالب العلم أن يكون له عقل والعقل هو اختيار خير الخيرين وشر الشرين ليس العاقل فقط من يعرف الخير من الشر، الأكمل منه كما قال سفيان بن عيينة رحمه الله: " **لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْلَمُ الْخَيْرَ مِنْ الشَّرِّ وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الَّذِي يَعْلَمُ خَيْرَ الْخَيْرَيْنِ وَشَرَّ الشَّرَّيْنِ** ". يعني يوازن فالعقل درجات وعند أهل السنة والجماعة العقل يزيد وينقص.

ثالثا: قال: " **لَا نَتَّهِمُكَ** " وهذه هي العدالة وهنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه كأنه يضع لنا شروط التي تتعلق بالراوي، فالراوي ماذا نشترط فيه في النقل.

نشترط فيه:

1- العدالة
2- الضبط

ولذلك أصول الحديث موجودة في القرآن لأن بعضهم من المستشرقين والعلمانيين وغيرهم يقول لك أصول الحديث هذه اختراع المحديثن.

لا ، هي لها أصول في القرآن ولها أصول في أقوال الصحابة رضي الله عنه فبنيت على ذلك ولذلك في القرآن تعديل الشهود وتجريح الشهود وهذا هو علم الجرح والتعديل قال عز وجل { مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ } [البقرة: 282] إذًا في شهداء لن نرضاهم هذا جرح وتعديل قال الله عز وجل { إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ} هذا الجرح والتعديل يعني إذا جاءك غير عدل بنبأ { فَتَبَيَّنُوٓاْ } [الحجرات: 6]، قال الله عز وجل { أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ } [البقرة: 282] في شهادة المرأتين بالرجل، يقول ربنا عز وجل { أَن تَضِلَّ } أي تنسى { إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ } أي المرأة تذكر الأخرى وهذا على ما يدل؟ يدل على المتابعات والشواهد فالحديث إذا كان فيه احتمال يأتي حديث آخر فيقويه وهذا في القرآن ثم يدل لأنه في أشياء يشهد فيها النساء من غير هذا النصاب على أرجح أقوال أهل العلم فيها اختلاف أنه قد تشهد النساء امرأة واحدة ونقبل شهادتها فيما اختصت به النساء يعني في بعض أمور النساء نقبل المرأة واحدة لأنها هي أعلم كبعض مسائل الرضاعة والنكاح والخلوة بعض أشياء يرجع إلى المرأة فيها لأنها هي أعلم، هذا على ماذا يدلك؟ يدلك على أن الراوي الضعيف من وجه أو الذي لا يقبل من وجه إذا تفرد، إذا روى فيما هو متخصص فيه يُقبل وهذه كلها قواعد الحديث تخرجها من القرآن من باب الشهادة ولذلك الإمام الشافعي رحمه الله في " جماع العلم " و " الرسالة " وفي مواقع كثيرة لما يناقش تثبيت الخبر سواء خبر العام الذي هو متواتر أو الخبر المستفيض أو المشتهر أو خبر الخاصة الذي هو خبر الواحد وخبر الآحاد كان رحمه الله يحتج بالشهادة لأن الشهادة والخبر يجتمعان في موضع ويفترقان في موضع لأن الكلام يتعلق بالعلم فتجريح الرواة وتعديلهم هذا موجود عند الصحابة رضي الله عنهم ليس اختراع أهل الحديث إنما أهل الحديث استنبطوه ووضعوا له قواعد ولذلك هذه القواعد قواعد سلفية ومن هنا قال أبو حاتم رحمه الله: " أهل الحديث إذا أجمعوا على شيء فهو حجة ".

رابعا: قال: " وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يعني أصلا التزكية حاصلة في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو متخصص فيما هو فيه يعني له علم في ذلك فهو صاحب علم ولذلك الراوي إذا روى ماله في علم كان أقوى وأدرى وما تخصص فيه كان أدرى وأقوى مما لو روى غيره فهمت، هذه

كلها قواعد مهمة جدا لذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه يبين هنا أسباب اختيار زيد بن ثابت وتأهله لهذا الباب.

بعد ذلك يقول رضي الله عنه : "... فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ قَالَ زَيْدٌ: فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ بِأَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا كَلَّفَنِي مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلَانِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَيَا فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعَسَبِ، وَالرِّقَاعِ، وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ (وهذه مصادر جمعه يعني من الحفظ ومن المكتوب) فَوَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ: { لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ } [التوبة 128] إِلَى آخِرِهَا مَعَ خُزَيْمَةَ (وهذا خزيمة بن ثابت الذي شهادته تعدل رجلين كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزكاه) أَوْ أَبِي خُزَيْمَةَ، فَأَلْحَقْتُهَا فِي سُورَتِهَا، وَكَانَتِ الصُّحُفُ (التي جمعها يعني) عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَيَاتَهُ (يعني في مدة حياته) حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ: اللِّخَافُ يَعْنِي الْخَزَفَ، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ ". انتهى

طبعا عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها أم المؤمنين بقيت هذه الصحف موجودة إلى أن ماتت حفصة لأنها بقيت معها أيام عثمان رضي الله عنه فأخذها منها عثمان وأرجعها لها وكتب المصحف على العرضة الأخيرة طبعا هذه الصحف أين ذهبت؟ بعد وفاة حفصة أمر مروان ابن الحكم ابن عمر أن يسلمه الصحف فذهبت وأحرقها لذلك لا وجود لها لأن الأمة أجمعت على المصحف الذي أجمع عليه الصحابة في زمن عثمان رضي الله عنه .

إذا هذه مرحلة الجمع مهمة جدا ضبطها عندك مرحلة الجمع الأولى في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت في العسوب ونحو ذلك ثم جمعه أبو بكر في مصحف واحد رضي الله عنه ، وذلك بسبب أن القتل استحر في القراء وجمع المتفرق المكتوب وهو كان مكتوب جمع المتفرق في مصحف واحد هذا الثابت.

بعد ذلك جاء زمن عثمان رضي الله عنه ، ففي زمن عثمان رضي الله عنه سبب كان أنه الناس رآهم حذيفة رضي الله عنه اختلفوا في كتاب الله يعني جهة القراءات وهذا رآهم في الغزو فخشي أن يختلفوا ويؤدي هذا

إلى أمر خطير فدخل حذيفة رضي الله عنه كما جاء في " الصحيح " وغيره دخل على عثمان رضي الله عنه والقصة تقريبا كانت سنة 25 هـ يعني تقريبا في السنة الثانية أو الثالثة من خلافة عثمان رضي الله عنه ، لماذا؟ لأنه في كتاب " المصاحف " لابن أبي داوود وهذا كتاب مهم جدا في هذا الباب روى بإسناده عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: " سَمِعَ عُثْمَانُ قِرَاءَةَ أُبَيٍّ وَعَبْدِ اللَّهِ وَمُعَاذٍ، فَخَطَبَ النَّاسَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا قُبِضَ نَبِيُّكُمْ مُنْذُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقَدِ اخْتَلَفْتُمْ فِي الْقُرْآنِ... ". الحديث

خلافة عثمان رضي الله عنه كانت بعد مقتل عمر رضي الله عنه ، وعمر استشهد تقريبا في **23 هـ** حينئذ تكون تقريبًا هذه القصة قصة الجمع كانت في **25 هـ** يعني تقريبًا السنة الثانية أو الثالثة من خلافة عثمان رضي الله عنه والله تعالى أعلى أعلم.

جاء في فضائل القرآن لأبي عبيد (ص282): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : " أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، كَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّامِ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ، فَأَفْزَعَهُ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ كَمَا اخْتَلَفَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى (فهنا بدأ الجمع على العرضة الأخيرة) فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا عَلَيْكِ (لأنه كما جاء في أثر زيد بن ثابت أنه قال: " **وَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَيَاتَهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ , ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ , ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ** ") فَأَرْسَلَتْ حَفْصَةُ بِالصُّحُفِ إِلَى عُثْمَانَ (هنا ماذا صنع عثمان رضي الله عنه ؟ هنا جمع أربعة من الناس وهؤلاء المتفق عليهم) فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ (هؤلاء الأربعة هم الذين نسخوها في المصاحف، إذا تأملنا في هؤلاء الأربعة زيد بن ثابت مدني أنصاري والثلاثة الآخرون مكيون قرشيون أي من قريش، فعثمان رضي الله عنه ماذا قال لهم للرهط الثلاثة من قريش؟) قال لهم: مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ أَنْتُمْ وَزَيْدٌ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ . قَالَ: فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ، بَعَثَ عُثْمَانُ فِي كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ ... ". انتهى

وهنا عندي مرحلة رسم المصاحف التي هي توقيفية فالقرآن لا يُكتب بقواعد الإملاء القياسية وإنما يكتب بقواعد الرسم على ما وجد لا على ما قيس في الإملاء وهذا بالإجماع نقل الإجماع على ذلك الداني وحكاه عن الأئمة مالك وأحمد بن حنبل وغيرهم نصوا على تحريم ذلك أنه من يكتب مصحف لا يكتبه

إلا كما هو مرسوم لا يكتبه بالإملاء المعاصر كالهمزة والواو والألف ونحو ذلك من قواعد الإملاء، لا ، بل يكتبه على ما هو موجود في أصله لأن الرسم توقيفي.

اختلفوا في بعض الأشياء منها { **ٱلتَّابُوت** } هل تكتب { **التابوه** } ، { **ٱلتَّابُوت** } فقال أكتبوه بلسان قريش { **ٱلتَّابُوت** } ونحو هذا فكتبوا ورسموا الكلام على لسان قريش.

هذا ما يتعلق بالجمع ثم بعد ذلك اتفقت الأمة على جمع عثمان رضي الله عنه وصار هذا من مدائحه حتى قال علي رضي الله عنه لما أنكرت الخوارج على عثمان رضي الله عنه فعل الجمع قال: " **رَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ، لَوْ وُلِّيتُهُ لَفَعَلْتُ مَا فَعَلَ فِي الْمَصَاحِفِ**".

وقال رضي الله عنه أيضا: " **فَوَاللَّهِ مَا فَعَلَ الَّذِي فَعَلَ فِي الْمَصَاحِفِ إِلَّا عَنْ مَلَأٍ مِنَّا جَمِيعًا** ". يعني بالإجماع، أجمع على ذلك صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قصة ابن مسعود رضي الله عنه أنا شرحتها جيدًا في " فضائل القرآن لأبي عبيد " وبينت أن ابن مسعود رضي الله عنه في البداية لكن بعدين وافق الإجماع كما حكى ذلك في رواية ابن أبي داوود، وابن مسعود رضي الله عنه لم ينكر المصحف الذي جاء عن عثمان رضي الله عنه لأن هذا مجمع عليه وإنما خالف في بعض في أن هذه القراءة أخذتها من فِيِّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وزيد بن ثابت رضي الله عنه قال: " **يلعب هكذا**...". يقصد أنه الصغير في السن ونحو هذا سبعين سورة يعني.

طيب هذا ما يتعلق بجمع القرآن على جهة الاختصار وهنا فقط ننتبه لبعض المسائل المهمة جدا فيما يتعلق بجمع القرآن:

التنبيه الأول: الجمع في عرف السلف يطلق على القراءة فتسمى القراءة جمعًا ويدل ذلك ما أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (11/ 67): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه ، قَالَ: " **جَمَعْتُ الْقُرْآنَ، فَقَرَأْتُ بِهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَطُولَ عَلَيْكَ زَمَانٌ أَنْ تَمَلَّ اقْرَأْهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ "، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: " اقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ "، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: " اقْرَأْهُ فِي عَشْرٍ "، قُلْتُ:**

يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: " اقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ "، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، فَأَبَى ".

وبعدها ندم أنه لم يأخذ بالرخصة رضي الله عنه لما كبر، هذا الجمع الذي هو القراءة نحن لا نقصدها نحن نقصد لما نتكلم عن جمع القرآن في هذا الموضع الجمع الحاصل في الصدور والجمع الحاصل في السطور هذا الذي نعني.

التنبيه الثاني: أن جمع القرآن في الصدور هو الأصل، أما جمع السطور زيادة توثيق لماذا؟ لأن المستشرقين وأعداء الدين مما يلبسون وهذه من شبه النصارى إذا هم كُتُبُهُم لا أسانيد لهم فيها حتى أنه القمص اسمه عبد المسيح نسأل الله العافية بسيط وهذا أستاذ الدفاع اللهوتي يعني كما نقول أستاذ الدفاع العقائدي أي يدافع عن العقيدة النصرانية وله كتب كثيرة خرج في بعض القنوات فرح قال وجدوا في اليونان مقطوعة من الإنجيل أنت يا عبد الصليب أنت الإنجيل بأي لغة نزل؟ باليونانية لا، لم ينزل باللغة اليونانية بل باللغة السريانية واللغة السريانية أين هي؟ ضاعت مع بني إسرائيل في السبي البابلي لأن بني إسرائيل لما سباهم بُخْتُنَصَّرُ أضاعوا كتابهم وأضاعوا لغتهم ولذلك تأثرت لغتهم لما سبوا سنين عددا كما أخبر القرآن { فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ } [الإسراء: 5]

سلطه الله عليهم بذنوبهم كما جاء في العقوبات لابن أبي الدنيا (ص211): " ... وَكَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَدْ أَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بُخْتُنَصَّرَ، فَخَرَّبَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ".

فالمقصود أن السريانية يعني ليست هي اليونانية لأن اليونانية لاتينية كيف تفرح ثم تقول أن هذه نسخة من الإنجيل، يعني الآن صار كتابة ونقل من لغة إلى لغة هذا الذي حصل في الإنجيل الذين يزعمون أنه كلام الله، ثم النقل من السريانية إلى تلك اللغة اللاتينية من أشرف على ذلك النقل تعلمونهم؟ بل رواة الإنجيل الأربع الذين يرونه مرقس ومَتَّى وحنى هؤلاء رواة الأناجيل هم أنفسهم مجهولون فأبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول لزيد بن ثابت رضي الله عنه : " وَإِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ". هنا تعرف الفرق، فعلو القرآن واضح فيأتي البعض ويقول اعطني نسخ قديمة للقرآن مخطوطة يعني وبعض يقول مصحف عثمان رضي الله عنه موجود في معرض كذا وهذا كله غير صحيح يعني مجرد ادعاء فقط فيقول لك أعطني مخطوط فنقول له:

يا عبد الله القرآن تنقل بالصدور وهو الأصل وكل الشريعة هكذا ليس فقط القرآن بل القرآن هو الأصل لأنه أصل العلوم لكن كل علوم الدين أصول وفروع تناقلها الناس بالصدور يعني من صدر إلى صدر إنما الكتابة كانت توثيقًا يعني من جهة التوثيق وكتب بعض الناس خشية النسيان لذلك تأتي النصوص عن السلف " **ينهون الكتابة** " هذه تحمل من بعض وجوهها التي نهي عن الكتابة حتى لا يتكل الناس عن الكتابة ويتركون حفظ الصدر لأنه هو الأصل لكن بعدين كما قال الإمام أحمد رحمه الله: " **إذا لم نكتب أي شيء يصير** ". يعني بعدين الناس احتاجت للكتابة فعلا لأنه ممكن يتفلت منه لذلك كتبوا.

فالتوثيق بالكتابة يحمل على خشية النسيان فمن خشيا النسيان يكتب ومن خشي أن يضيع يكتب بل هذا هو الأصل الآن لأنه كثرة التفلت في الناس ونقص الحفظ فيهم فالأصل هو الكتابة لذلك نحن نقول جمع الصدر هو الأصل ليس جمع السطر، جمع السطر هذا التوثيق هذه مسألة يرجى الإنتباه لها جيدًا ولذلك السلف إذا أطلقوا في عرف كلامهم فلان يجمع القرآن يقصدون يحفظه. كما أشار إلى ذلك ابن أبي داوود السجستاني رحمه الله في كتاب " المصاحف " أشار إلى هذا المعنى والسلف إذا أطلقوا قارئ في زمانهم يعنون الحافظ العالم إلا إذا قابلوه وإلا الأصل أن القراء كما جاء في صحيح البخاري (6/ 60): " **وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ** ". إيش المراد؟ المراد أنهم علماء أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ، عبد الله بن عباس رضي الله عنه وكبار المهاجرين والأنصار هؤلاء كانوا أصحاب مجلس عمر رضي الله عنهم وأَنَّ عُمَرَ كَانَ يَقُولُ لِأَبِي مُوسَى وَهُوَ جَالِسٌ مَعَهُ فِي مَجْلِسٍ: " **ذَكِّرْنَا رَبَّنَا، فَيقْرَأُ عِنْدَهُ** ". وفي رواية قال: " **شَوِّقْنَا إِلَى رَبِّنَا** ". فالصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا كما جاء في الصلاة في -" جزء القراءة خلف الإمام "-: " **أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بينهم قياس** ". يعني عقليات والآراء لم يكن إنما كان بينهم الكتاب والسنة بهما تفقهوا رضي الله عنهم ، فالمقصود أنه إذا قلنا يجمع القرآن في عرف السلف يعني يحفظه وإذا قلنا قارئ الأصل أنه عالم بخلاف من تأخر بعدهم فالأصل المتعمد واحفظ هذه القاعدة جيدا **أن الأصل المعتمد في حفظ القرآن و نقله بل في نقل الدين كله هو حفظ القلوب والصدور لا حفظ المصاحف والسطور** وهذه مهمة جدًا لأن هذه مسألة فيها إعلاء لشأن الشريعة وفضل لنقلتها أنهم تناقلوها صدر عن صدر ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال له ربه تبارك وتعالى كما جاء عند الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (29/ 32) ومسلم في صحيحه (8/ 159) في حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ: " **.... وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ** ". لأنه يحفظ، كما قال ربنا عز وجل { **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا**

ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } [القمر: 17] . لذلك هذه الأمة وُصِفت في التوراة والإنجيل كما في أثر قتادة وروي مرفوعًا لكنه لا يثبت وجاء من قول قتادة رواه الطبري في تفسيره (10/ 452) وابن عساكر في تاريخه (61/ 121) أنه لما وصفت في التوراة وصفت لأنبياء بني إسرائيل عليهم الصلاة والسلام وصفت هذه الامة بأن: " أَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ ". آه على علوم الصدر ضاعت اليوم قليل من يضبط بالصدر وحفظ كتاب الله أعظم ما تتنور به الصدور والجوف الذي ليس به شيء من القرآن هو جوف خرب كالبيت الخرب فلذلك الإنسان وإن علم أنه يحفظ العلوم فالعلم كله خير ومرتب من مرتب الخير ولكن كتاب الله مقدم في الحفظ اليوم في تقصير من الشباب في هذا الباب لأن علوم الشريعة كلها نقلت بالحفظ بالصدور وما ضاع العلم إلا لما صار في السطور لأنه تجرأ عليه الناس كلها العلوم بعد ذلك أقصد، دخل في العلوم ما ليس بأهله وكل علم يدخل فيه غير أهله فإنه يضرونه ويفتنون فيه لما كان العلم في الصدور كان مصان كان عزيز كان يتصلف لا يؤتاه أي أحد تريد العلم إحفظ لأنه هنا سيبذل لكن لما صار العلم في الكتب وبعدين آلا في زماننا صار هذه المجمعات الإلكترونية أصبح كل الناس تتكلم لكن عند التدقيق إذا جاءت مسائل في العيار الثقيل تبين من بكى ممن تباكى على حد قول الشاعر:

يَدَّعِي وَصْلاً بِلَيْلَى (يعني الشاملة) وَلَيْلَى لَا تُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكَا
إِذَا اشْتَبَكَتْ دُمُوعٌ فِي جُفُونٍ تَبيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى

يعني إذا جاءت المسائل والمصاعب والدقائق والحقائق العلمية تبين من بكى ممن تباكى ولذلك.

لأن الخيل قد قلت، تحلت حمير الحي بالسرج الأنيق
إذا ظهر الحمار بزي خيل تكشف أمره عند النهيق

كذلك العلم كاشف لذلك المقصود أن الكتاب حفظ في صدور الرجال والمعنى: " أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ ". يعني لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تُغسل بالماء هذا المعنى وهذا والله من أعظم الفضل لمن علمه بل يُقرأ في كل حال وهكذا من يحفظ القرآن كله أو بعضه يعرف هذا الفضل أنه جالس على سريره يقرأ، قائم يقرأ، يمشي يقرأ، راكب يقرأ، بخلاف من لا يحفظ شيء فإنه لابد أن يتعلق بمصحف وهكذا كان شأن أهل الكتاب لا يستطيعون أن يقرأوا كتبهم إلا نظرا إلا من جهة النظر

وإلى اليوم تجد رؤوس في اليهودية والنصرانية وهذه الأديان الكفرية إذا جاءوا يقرؤون كتبهم وضع أمامهم كتاب كبير ويعطونه نظارات وأنوار ليقرأ سطر أو سطرين لا يستطيع أن يقرأ كتابه نظرًا و إذا جاء يقرأه نظرًا قلب المعاني لا يستطيع لأنه لا يحفظون كتبهم فلا تجد شخص اليوم يحفظ هذه الكتب التي يزعمونها أن كتب من عند الله مقدسة لكن هذه الأمة فضلها الله تعالى بالحفظ والحفظ عن ظهر قلب، ولذلك ثبت أن النبي ﷺ زكى أولئك من الأنصار الأربعة الذين كانوا يحفظون القرآن كما جاء عند أحمد رحمه الله في مسنده (21/ 114) والبخاري في صحيحه (5/ 37): عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : " جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَةٌ، كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ: أُبَيٌّ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ. قُلْتُ لِأَنَسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي ".

إذا جمع القرآن هذا مقصود به عند السلف ثم ثُبِّتَ كما تقدم ثُبِّتَ بالكتابة.

حفظ القرآن في الأمة يعني تأتي به دائما كنموذج لحفظ علوم الدين فحفظ القرآن في الأمة كان حفظًا قائما على الأمر الأول معرفة العلم ومعرفة العمل يعني الحفظ في الأمة في الزمن الأول في الصدر الأول وهذا الذي تنوقل خرجت منه العلوم بعد ذلك كان قائما على العلم والعمل كما أشار إلى ذلك أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال: " حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ - عُثْمَانُ بْنُ عفان وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - أَنَّهُمْ قَالُوا: كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ نُجَاوِزْهَا حَتَّى نَتَعَلَّمَ مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ". فتعلموه عشرًا عشرًا، وجاء في بعض الآثار كما رواه بن مجاهد رحمه الله في السبعة في القراءات (ص69): عَن ابْن أبي خَالِد قَالَ: " كَانَ أَبُو عبد الرَّحْمَن يقرىء عشْرين بِالْغَدَاةِ وَعشْرين بالْعَشِي وَيُعلمهُم أَيْن الْخمس وَالْعشر وَكَانَ يقرئنا خمْسا خمْسا ". وجاء عشرين عشرين ولكن الأشهر عشرًا عشرًا حتى في الأحاديث كانوا يتعلمون عشرًا عشرًا يعني التعشير يسمى تعشيرا.

فالأمة تعلمت كتاب ربها بعلوم تعلقت باللفظ كعلم رسم المصحف ونقطه وشكاله وتجويده وترتيله هذه علوم اللفظ تتعلق بلفظ كلام الله عز وجل تعلق به علم الرسم الكتابة يعني وعلم الضبط الذي هو النقط والشكل الذي بدأ مع أبي الأسود الديلي وعلم التجويد والقراءة كما ستأتي معنا " المنظومة الخاقانية " في آخر الدورة سنقرأها بإذن الله تعالى.

فالمقصود أنه هذه العلوم التي تعلقت باللفظ ثلاث علوم:

علم الرسم الذي فيه الضبط الشكل والنقط وهذه علوم ترى ألفت فيها كتب والداني ألف في كل هذا بالإسناد لذلك كتب الداني تتميز في القراءة أنها كتب إسناد ليست كالكتب المتأخرة ولذلك تحرير هذا العلم لابد ترجع للأسانيد ثم علم التجويد

أما العلوم المتعلقة بالمعنى التي هي علم التفسير فهذا يتعلق به جهة العلم وجهة العمل يعني تعلقت به علوم كثيرة مثل " **التفسير** " ، " **غريب القرآن** " ، " **آيات الأحكام** " ، " **أسباب النزول** " ، تعلقت به علوم كثيرة أصول التفسير يعني عموما هذه كلها الأمة الأولى ما فصلت كانوا يتعلمون هذا كله، لذلك نفعهم الله عز وجل بأنهم أصحاب لسان فكانوا لا عجمة في الألسن لأنه بعدين العجمة دخلت على من بعدهم فاحتجوا إلى أن يدرسوا النحو ليس فقط أنه يأخذ العلوم بل يدرسون علوم معاونة وعلوم مساعدة لكن الصحابة رضي الله عنهم ما احتاجوا هم على السليقة كما قال القائل:

ولست بنحوي يلوك لسانه ... ولكني سليقي أقول فأعرب

فهم على العربية الأولى ونفعهم أيضا عدم الأهواء لا توجد بدع وأهواء بينهم بل كانوا جماعة واحدة فكان الدين متألفين فيه ونحو ذلك.

من بعدهم الذين هم التابعين تلقوا هكذا وأتباع التابعين عن التابعين وتابعة الأتباع عن هؤلاء فبهذا تنوقل العلم لكن في مرحلة بعد ذلك سيأتي معنا أنه دُوِّنَ العلم وصار الذي كان الصحابة يتناقلونه بالصدور العلوم التي تلقنها تتعلق باللفظ وعلم الرسم صار بعد ذلك يدون علم النقل بالشكل يدون علم التجويد يدون لكن دُوِّنَ بالإسناد لذلك من سبع السبعة هو أبو بكر بن مجاهد رحمه الله لما تقرأ كتاب السبعة كله بالأسانيد تقريب بعد المئة الثالثة ظهر التأليف بغير إسناد وظهرت اجتهادات وأراء لأنه دخلوا عليها المتكلمين والمناطق بحدودهم فصارت هناك اختيارات للتجويد وكذا لا تجدها عند الأوائل تجدها إنما تدها فقط خاصة عند من تأثر بعلوم الأعاجم على جهة التحديد لكن الأوائل ممن ألف بالإسناد فإنهم كانوا لا تجد هذا عندهم لذلك في مرحلة مهمة جدا في الأمة في سائر العلوم لابد لطالب العلم يحررها هي مرحلة التدوين، مرحلة التدوين لعلوم القرآن تفسيرًا وتجويدًا وغير ذلك أو التدوين الحديث كتابة وفقه وهذه المرحلة هي مرحلة توثيق لعلم الصدور، بعض الناس يقولك كيف تقول فهم السلف

حجة؟! هو فهم السلف هذا كان يتناقل بالعلم والعمل يعني علم يجلس ابن مسعود رضي الله عنه في الكوفة فيبث العلم ويجلس أبو الدرداء في الشام فيبث العلم وأبيّ بن كعب في المدينة وزيد بن ثابت في المدينة وابن عباس في مكة فيبثون العلم في الناس ولذلك الإمام مالك رحمه الله كما جاء في " تقدمة الجرح والتعديل " في ترجمة الإمام مالك بإسناد صحيح أن أبو جعفر المسمى المنصور طلب من الإمام مالك رحمه الله أن يتكتب كتاب يجمع عليه الأمة يعني كتاب يُكتب فيه الأحكام وكذا وكل الأمة تتفق عليه، توحيد المذهب يعني أو توحيد القوم فمالك نهاه وقال أُترك الناس لأن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم افترقوا في الأمصار قال حتى لا يكفروا أو معنى هذا الكلام لأنه ممكن شخص يقول لك نحن تعودنا هكذا وهكذا يعني كان للصحابة فتاوى ونحو ذلك هذا في باب الأحكام أما باب العقائد كانوا دين واحد، فهكذا انتشر العلم في الأمة بث لذلك وهذه النقطة التي تغفل عنها وهي أنه من أنفع ما يُبقي البث يا اخواني فبث العلم إنعاش للعلم كما قال الزهري رحمه الله كما جاء في الزهد والرقائق - ابن المبارك (ص281): قَالَ: " بَلَغَنَا عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَنِ نَجَاةٌ، وَالْعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ الْعِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَذَهَابُ الدِّينِ كُلِّهِ فِي ذَهَابِ الْعِلْمِ ". وجاء عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله نحوه. انتهى

فثبات العلم أن ينعش أن يبث [ولذلك أسد بن موسى يوصي الرجل يقول له: فليكن لك طلاب] يعني فليكن لك تلاميذ يحملون عنك ومن هنا يفضل التدريس والتعليم عن الكتابة والتأليف أن يكون لك طلاب ينقلون هذا العلم إلى الناس ويبثونه في الناس بدأ من القريب منك إلى الناس عموما يبثون هذا لأنه يبقى العلم في الأمة وما ضاعت العلوم وصارت غريبة بين أهلها إلا لما انقطع هذا الوَتَر، وَتَر البث لعلوم السلف فصار الناس يرجعون للكتب لأنفسهم كل عنده كتاب يرجع له بنفسه فتضاربت الفهوم لكن لو أنهم علموا هذه المرحلة التي قلتها أي مرحلة التدوين تدوين مكان في الصدور هي هذه المرحلة التي يحرص عليها طالب العلم، أنه أي علم تنقله بالإسناد.

ومرحلة أخرى هي دخول علوم فاسدة كعلم الكلام على علوم المسندة هذه هي واجب طلبة العلم من تخليص علوم أهل الإسلام السلفية من علوم أهل الكلام الفلسفية هذا من المطالب العالية وأحسبه والله أعلم أنه أهم شيء في هذا الزمان هو تخليص علوم أهل الإسلام السلفية من علوم أهل الكلام فلسفية في سائر العلوم لأن علوم أهل الكلام الفلسفية لا أسانيد فيها أسانيدها ترجع إلى عباد الأوثان

أما علوم أهل الإسلام السلفية ترجع أسانيدها إلى أولياء الرحمن إلى عباد الله ﷻ إلى عباد الله المؤمنين الذين هم أصحاب النبي ﷺ وهذا الفرق مهم جدا في بعض علوم ظهر كعلم أصول الفقه أفسدوه في بعض العلوم غَمُضَ وهكذا وبعض العلوم تأثرت بالكلية يعني من أول الفصل إلى آخر الفصل وأنت تدرس في علوم الكلام كعلم أصول الفقه الصورة المعاصرة هكذا لا تكاد تجد مؤلف خالص يعني تقول هذه علوم الإسناد الإسلام السلفية في أصول الفقه بأسانيد حتى الخطيب لما حاول يروي بالإسناد يروي على الباقلاني يعني متأثر كأن الباقلاني هذا عالم العلماء وهو أجهل الناس كتبه بلا أسانيد تجد لا شيء لكن يدخلون علومهم وكلامهم مع علوم أهل الإسلام ودخلوا على علم الحديث خاصة المتأخرين منهم بعد مقدمة بن الصلاح وهذه مرحلة تقريبا من الكفاية للخطيب البغدادي دخلوا بعلوم الفلسفة وعلوم الكلامية الظني والقطعي وتقسيم الأخبار تقسيم فاسد والإنشغال ببعض الجزئيات عن الأصول فأفسدوا علوم الحديث ما بعد الكفاية قبل الكفاية لما ترجع لكتب العلل والنقد شيء آخر.

نفس الشيء الفقه انشغلوا بالحدود والتعريفات وهذا ما تعرفه والضابط الجامع المانع كذا وكذا حتى شخص لو تقول له ما هي الصلاة؟ يبدأ يعرف لك يقول لك الصلاة هي كذا والتعبد لله وكذا ويقول لك نسيت النية يستدرك عليك طريقة الحدود إنشغلوا بالحدود إنشغلوا بالتعريفات على طريقة المناطقة وإذا دخل في علم التوحيد فتجد شخص يشرح في التوحيد وهو منشغل بالتعريفات وكذا وحاد والجامع وكذا وهذه لم تكن طريقة السلف لما كان في علم الصدور كان الناس على السليقة فالعرب لا تعرف الأشياء كما يعرفها المناطقة العرب تعرف الأشياء وهذا من أنواع التفسير إما بالمثال وهذا أحسن تعريف هو التعريف بالمثال وأنا أعطيك مثال الآن: لو أتيت بشخص مثلا لا يعلم شيئا جاهل العلم بالصلاة لو قلت له الصلاة هي التعبد لله بأفعال وأقوال وبنية مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم هذا التعريف يعتبر لابأس به لو تأتي بالتعريف الآخر تعريف وضعي لن يفهم شيء يقول لك ما هذه الصلاة؟! ما فهمتها؟! تقول له طيب تأتيه بشخص آخر سلفي يقول له تريد معرفة الصلاة؟ يقول له نعم، يقول له تعال أنظر هذا ركوع هذا سجود ويصلي أمامه فأيهما بالله عليكم يضبط؟

عند المناطقة التعريف هذا ناقص هذا رسمي هذا ليس شيء هذا ظني هذا لا يحصل المقصود فنقول له لا هذا يحصل المقصود وفيه كفاية و لله للحمد والمنة كما في الحديث عند البخاري **(1/ 128):**

عنْ أَبِي قِلاَبَةَ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ الحُوَيْرِثِ، قَالَ: " **أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا**

-أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا- سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لاَ أَحْفَظُهَا، - وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ ".

هذا المفهوم فهمت الطريقة كيف هذه هي المسألة التي ينبغي لطالب العلم ان يفهمها أن العلم كان ثابتا في الصدور ثم بعد ذلك وثق في الكتب.

الكتب هنا وركز جيدا ليست على درجة واحدة في كتب خالصة للأثار، خالصة لي طريقة المؤمنين وهناك كتب دخلها الكدر مع ادعائها لعلوم السلف دخلها الكدر لذلك أمر الكتب خطير جدا ولذلك تخليص كتب السلف وطريقتهم في الكتابة في سائر العلوم بدءا من علوم الاعتقاد إلى علوم الزهد والرقائق وعلوم الآلة من علوم العربية وعلوم أصول الفقه وعلوم الحديث وأصول التفسير كلها لابد أن تحاط وأن تدقق فيها الألفاظ العبارات ولا يتسارع فيها بالعبارات والكلام حتى يُعلم هل هذه الأصول مسندة أم لا ولذلك أوصي نفسي وإياكم أنه أي مسألة تريد ضبطها أو لفظ في أي مسألة كانت وأي علم كان تريد ضبطه أنظر الكتب الأولى الكتب التي تروي العلم بالإسناد واعلم أن المتأخرين بعضهم عن قصد ومكر وبعضهم عن بغباء وجهل صعبوا كتب الأوائل بألفاظ منها أن ألفاظ لا تفهم وأنه لا تستطيع فهم الكتب الأوائل حتى تقرأ كتب المعاصرين يا أخي كيف هذا؟! هل في شخص تقول له أريد أن أصعد إلى السطح يقول لك أنت لا تستطيع أن تصعد إلى السطح حتى ترمي نفسك فوق السطح!! هذا المعنى يعني هو يقول لك توسط بالسلم هذا والسلم هذا أصلا منهار ليس له أول كما قال بعض السلف: " مثل الذي يطلب العلم بلا إسناد كمثل الذي يرقى إلى السطح بلا سلم ". وهذا هو حال الكتب التي تسمى كتب المتأخرين فصعبوا هذا الأمر وهو بالعكس خذ أي كتاب للسلف في أي باب من الأبواب من علوم السلف المسندة ووازيه بكلامهم هم تجد أنه صعب صعبوا كل شيء دققوا في كل شيء، أنظر كلام صاحب " منازل السائرين" للهروي أو غيره كما ينسب الكتاب له أو لغيره لما يتكلم عن الخوف أو يتكلم عن الرجاء أو يتكلم عن أي أعمال القلوب هنا لا تفهم شيئا الفطنة ووو، خذ كتاب من كتب الزهد للسف تفهم ما هو باب الخوف تفهم، خذ كتاب من كتب بن أبي الدنيا تفهم الخوف، الإخلاص، الوجل، التوثق أي باب من الأبواب تقرأ تفهم ممكن لا تفهم بعض الآثار لكن معظمها تفهمها تفهم ما هو الطمع ما هو الوجل ما هو الرجاء ما هو الخوف تفهم لكن لو تأخذ كتاب من كتب هؤلاء وتبدأ تقرأ ما هو الخوف؟ ما تفهم، ما هو الرجاء؟ ما تفهم هذا نموذج، تخيل في مسائل الاعتقاد فبعض الناس ابتلي بهذه النبتة أنه صار في العقيدة يتكلم بهذه الطريقة طريقة العلوم المتأخرة

في علوم المسندة وممن تأثر بذلك علم التفسير تأثر جدا علوم القرآن تأثرت جدا بعلوم الكلام فصار الناس يفسرون بهذه الطريقة يفسر القرآن بطريقة على طريقة المتأخرين فتفاسير المتأخرين لا يوثق بها إلا تفاسير تروي بالإسناد فقط الذي يروي لك بالإسناد تقبل لأن هذا القرآن لا يتناهى كما سيأتي معنا فيه الكذب على الله كما قال الإمام الشعبي رحمه الله : " وَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا، وَلَكِنَّهَا الرِّوَايَةُ عَنِ اللَّهِ ".

فالإنسان يتنبه لا يقرأ أي تفسير أو نحو ذلك حتى يكون هذا العلم موثق ثم مما فات المتأخرين من علوم السلف لما تركوا علوم السلف في التفسير فاتهم شرح الألفاظ وسيأتي معنا إن شاء الله نحن برمجنا " كتاب التصاريف " وسترى كيف السلف يفقهون القرآن بالألفاظ التي هي الألفاظ الشرعية لأن الفظة كما سيأتي معنا أنه عنده ثلاث معاني:

1- قد يكون عنده معنى عرفي الذي هو الاصطلاح.

2- وقد يكون عنده معنى شرعي.

3- وقد معنى لغوي.

المعنى الشرعي لألفاظ الكتاب والسنة هذه تجدها في علوم التفسير وهذه ضاعت فصارت هناك ألفاظ بديلة ومعاني دخيلة لذلك الحرص يا إخواني على علوم السلف المسندة هذا من أوثق الأعمال في زماننا وقد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله : " الْإِسْنَادُ عِنْدِي مِنَ الدِّينِ وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ: مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ ". وقال سفيان الثوري: " الْإِسْنَادُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِلَاحٌ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ يُقَاتِلُ ".

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين



الدرس الثاني

بسم الله الرّحمن الرّحيم إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرًا إلى يوم الدّين، أمّا بعد: فإنّ أحسن الكلام كلام الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النّار.

اللهمّ صلّ على محمّد، وعلى آل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد. وبارك على محمّد، وعلى آل محمّد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد.

هذا مجلس جديد من مجالس القراءة والتعليق على مقدمة التفسير للحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني رحمه الله وكنا في المجلس الذي خلا قد تكلمنا عمّا يتعلق بمسألة جمع القرآن وذكرنا فيما يتعلق بهذه المسألة أن القرآن جمع على مراحل معلومة وهي ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: كان جمع القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

المرحلة الثانية: كانت في زمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقد ذكرنا القصة وحديث الباب شاهد لها.

المرحة الثالثة: التي استقر عليها الجمع وهي في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه.

الذي يتعلق بهذه المسألة يا إخواني وهذه المسألة لا بد أن تنتبهوا لها في مراحل الجمع هناك مسألة الأحرف السبعة.

والأحرف السبعة التي هي قطب رحا مسائل القراءات وجمع القرآن ونقله أن المقصود بالحرف هو الوجه، الوجه الواحد أو طرف الشيء و حده ومن معناه قوله تعالى { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ} [الحج: 11]

الحرف لغة: " وجه الشيء حرفه ".

قد رويت أحاديث الأحرف السبعة وهي أحاديث متواترة قد جمعت طرقها وحديثها كثيرة جدا تناولها العلماء بالبحث ومن ذلك أي من تلكم الأحاديث ما أخرجه مالك في " الموطأ " ورواه الإمام أحمد رحمه الله في " المسند " وهو في " الصحيحين " وغيرها من كتب السنة فيما يتعلق في علوم القرءان ترجع إلى كتاب القرآن في " الموطأ " أو فضائل القرآن في " الصحيح " ومسلم أورد أحاديث فضائل القرآن في كتاب " صلاة المسافرين " لأن مسلم لم يبوب على أشهر النسخ الموجودة " لصحيح مسلم " ليس فيها تبويب، في تبويب ذكره بن خير الإشبيلي في " فهرسته " لكن من طريق بعض الأندلسيين يعني فيه تبويب لكن كبير شيء لكن المشهور من نسخ " صحيح مسلم " ليست مبوبة ولذلك انتبهوا التبويب من الشراح حتى الإنسان حتى إذا خرج شيء من " صحيح مسلم " لا يقول رواه مسلم في كتاب كذا باب كذا ، الباب ليس من عند مسلم أما البخاري بوب وأبو داوود أورد أيضا ما يتعلق بفضائل القرآن في كتاب " الصلاة " من " سننه " ، الترمذي رحمه الله عنده فضائل القرآن وعنده " أبواب القراءات " النسائي رحمه الله أيضا عنده " كتاب فضائل القرآن " وهذه كتب تعتني في دواوين السنة بفضائل القرآن كذلك ما جاء في " مسند " الدارمي رحمه الله مهم جدًا مراجعة في آخر " المسند " فضائل القرآن وكذلك " فضائل القرآن " لابن أبي شيبة رحمه الله ماتع جدًا هذا الكتاب وكذلك فيه كتب متخصصة من أنفعها " فضائل القرآن " لأبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله وهذا أوسعها لكن هذه الكتب ضروري لطالب علوم القرآن أن يمر عليها قراءة إن استطاع يحفظ، يحفظ إن كان عنده همة لكن إذا ما استطاع على الأقل يقرأ أو يسمع هذه الأبواب فمقصودي أن أحاديث الأحرف السبعة تعددت طرقها ومن ذلك ما جاء في موطأ مالك - رواية يحيى (1/ 201) ومسند أحمد (1/ 297) ورواه البخاري في صحيحه (6/ 184) ومسلم في صحيحه (2/ 202) وغيرهم من طريق ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدٍ الْقَارِيَّ حَدَّثَاهُ: أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ: " سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِه، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ

عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ يَا عُمَرُ، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ". انتهى

وجاء في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (5/ 52) والبخاري في صحيحه (4/ 113): أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: " أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ". انتهى

وجاء أيضا في حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه : " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا ". انتهى

الأحرف السبعة التي وردت في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما المراد بها؟ لا بد أن نعلم مسألة مهمة جدا أن أهل العلم مجمعون على أن الأحرف السبعة المذكورة في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليست هي القراءات السبعة المشهورة هذا بالإجماع لأن أول من جمع القراءات أو سبع السبعة هو أبو بكر بن مجاهد وهذا تقريب في المئة الثالثة بغدادي وعنده كتاب " السبعة في القراءات " مشهور فهو أول من سبع السبعة لأنه أراد أن يجمع قراءات من الحرمين والعراقيين والشام وهي الأمصار الخمسة للعلم كما يقال أمصار العلم لأن منها خرج علم النبوة، القرآن، التفسير، الحديث، الفقه، خرج من هذه الكورة يعني، فأهل العلم متفقون أن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبعة كما حكا ذلك الإجماع الداني وذكر فيه آثار كثيرة لأن الداني عنده كتاب اسمه " الأحرف السبعة ".

كذلك اتفقوا على أن الأحرف السبعة التي أنزل القرآن بها ليس فيها تناقض في المعنى أي ليس فيها تضاد يعني آية فيها أمر وآية فيها نهي أو آية في حل وآية في تحريم في نفس الموضع معاذ الله قال الله عز وجل { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا } [النساء: 82] ولذلك

من الحجج على أن القرآن من عند الله ليس فيه اختلاف إذا القرآن من عند الله تكلم به حكيم حميد بل هذه الأحرف السبعة هي قريبة في المعنى إما أن تكون من باب المتفق والمتفق في المعنى مع اختلاف اللفظ هو مشترك معنوي يعني اختلف اللفظ واتحد المعنى وهذا سميناه المترادف والترادف قلنا في اللغة لا يكون على جهة الاتحاد والتوافق من كل وجه حتى تفهم الاحرف السبعة.

الأحرف السبعة إجماعًا ليست متناقضة، ليست متضادة بل يكون فيها تقارب في المعنى مثل هلم وتعال وهذا جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " **فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ هَلُمَّ، وَتَعَالَ** ".

وهذه كلها دلالة الأحرف السبعة وهذا أخرجه سعيد بن منصور رحمه الله في " سننه " ورواه أبو عبيد رحمه الله في " فضائل القرآن ".

إذا قد يكون المعنى متفقًا مثل هلم وتعال وقد يكون متقاربا أي تقريب في المعنى كنوع من الترادف وقد يكون معنى أحدهما غير معنى الآخر لكن المعنيان كلاهما حق.

نعيد: قلنا قد يكون من باب اتفاق المعنى أو تقاربه وقد يكون من باب اختلاف المعنى ولكن كلا المعنيين حق هذا حال الأحرف السبعة، اختلافا المعنى واختلف اللفظ وهذا أسميناه المتباين وهذا الأصل في الألفاظ، قلنا الأصل في الألفاظ التباين لا الاشتراك أما الاشتراك استثناء وأتينا بعبارة سيبويه وهذا الأصل أن يتفارق المعاني ويتفارق الألفاظ.

طيب، ركز معي جيدا إذا قلنا أن الاختلاف حاصل في المعنى مع أن كلا المعنيين حق وهذا الاختلاف يسمى اختلاف تنوع يعني قد يختف المعنيان لكن كلاهما حق يسمى اختلاف تنوع أو اختلاف تغاير يقابله اختلاف تضاد والتناقض.

لابد أن تعلم يا طالب التفسير أن تفسير السلف معظمه وغالبه من باب اختلاف التنوع وهناك كلمة لسفيان بن عيينة رحمه الله رواها سعيد بن منصور رحمه الله في سننه (5/ 312) قال: " **لَيْسَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ اخْتِلَافٌ، إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ جَامِعٌ يُرَادُ بِهِ هَذَا وهذا** ".

سعيد بن منصور رحمه الله أورد كلام سفيان بن عيينة رحمه الله لما أورد أثر مجاهد في تفسير الرؤيا أن { **نَاظِرَةٌ** } بمعنى تنتظر الثواب، وقلنا أن هذا لا يخالف رؤية الله عز وجل لأن هذا أعظم الثواب، أعظم الجزاء أن يرى العبد ربه عز وجل وأشار إلى هذا الإمام إسحاق رحمه الله كما في كتاب " السنة للمروزي " أن أكثر اختلاف السلف من باب التنوع.

تنبيه: هذا التنوع الحاصل إما أن يكون كلا المعنيان مراد فيكون المعنى متفق وهذا الاشتراك المعنوي يعني من باب الترادف فيفسر واحد من الصحابة أو التابعين لفظة بمعنى أو يفسر آية بمعنى فيكون هذا عبر بألفاظ وهذا عبر بألفاظ لكن كلا اللفظين أو كلا السياقين أو كلا الجملتين متفقتين في المعنى أو متقاربتين وهذا الذي سميناه اشتراك معنوي وإما أن يتباينا في المعنى ويكون لكل معنى وجه ومن يدرس التفسير تفصيلا فإنه سيجد فوائد هذا وهذا يفيد في الوجوه والنظائر وهذا له أمثلة كثيرة جدًا في كلام السلف لذلك كلام السلف رحمهم الله لا يكون من باب اختلاف التضاد والتضاد يعني كلمة تقابل كلمة ولا يمكن الحمل على كلا المعنيين هنا يتعذر لا بد من الترجيح هذا التضاد.

طيب، قد يقول قائل هذا التضاد موجود في التفسير؟! نقول نعم لكنه في باب الأحكام في فروعها ويكثر باب التضاد يعني هذا النوع من التفسير لمن يدرس الفقه ويحققه في أربعة أبواب على جهة الكثرة:

أولا: يكثر في باب الحيض ولذلك الصحابة رضي الله عنهم في " **القرء** " فبعضهم قالوا القرء " **الحيض** " وهم الكبار من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كما قال الإمام أحمد رحمه الله، وعائشة رضي الله عنها قالت: " **الطهر** " في بعض مسائله لا في أصول الباب لأن مسائل الإجماع أكثر من مسائل الخلاف.

ثانيا: باب المواريث حصل اختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم خاصة في مسائل النوازل كالجد ونحو ذلك مع الاتفاق على بعض الأصول في ذلك وبعض ميراث الإخوة الغير أشقاء بعض الأحوال وبعض صور النوازل في مسائل العول وهكذا لمن يدرس الميراث يعرف هذا جيدا.

ثالثا: باب المناسك في بعض الأحوال لا في كلها.

رابعا: باب المعاملات والبيوع.

ولكن الغالب مسائل الإجماع أكثر عكس ما يتصور بعض الناس أن الاختلاف أكثر من الإجماع لا، بل الإجماع أكثر لأن ما من مسألة إلا ويكون مجمع على أصل فيها مثلا إذا اختلفوا هذا واجب أو مستحب أين الإجماع هنا؟ هذا الإتفاق على المشروعية تخرجها إجماع تقول أجمعوا على أن المضمضة مشروعة وبعدها تقول واجبة أو مستحبة يكون خلاف في الفرع.

وإذا اختلفوا بين الحل والحرمة يعني واحد يقول حلال وواحد يقول حرام مع أن الصورة قليلة تأتي في بعض صور البيوع، فهم يتفقوا في الأصل على الربا إن كان ربا فهو محرم حتى الذي يقول بالحل يمشي على أصل الباب، ويقول بالتحريم دليل الناقل فيتفقون على أن لو كان فيه ربا يكون في حرام إذا متفقين في أصل الباب تحريم الربويات ونحو ذلك ولكن اختلفوا في صورة معينة وقد يكون هذا النوع فيه تأويل

للمجيز فيعذرونه ولكن يكون الإجماع على خلافه مثل تحريم النبيذ وهكذا وإذا اختلفوا بين الحرام وبين المكروه كراهة تنزيه ففيه إجماع على الكف.

فلو أنك تحسب الإجماع هكذا يخرج معك كثير من المسائل إجماعية عكس ما يظن بعض الناس أن أكثر الفقه ظنون وخلاف كما يقول المتكلمون.

فالاختلاف في كلام السلف وهذا ممكن نأتي عليه في درس التعليق على مقدمة التفسير لابن أبي حاتم لأنه أشار للاختلاف لكن هنا فقط أنا أتيت للأحرف السبعة حتى نفهم أن الاختلاف بين السلف غالبه إما أن يكون اتفق المعنى أو تقارب المعنى أو تباين المعنى وكلا المعنيين حق، إلا أنه هنا أنبه على نقطة اختصارًا وأفصلها لكم في مقدمة تفسير بن أبي حاتم بإذن المولى عز وجل.

التنبيه الأول: وهي نقطة كلا المعنيين حق لأن هذه ضوابط أغلبية لا يشير الإنسان عليها، كيف ذلك؟

دائما في المعنى الناقل في التفسير أنك تنتبه إلى طريقة مهمة جدًا في تحصيل المعنى في الآية وهذه نبه عليها ابن أبي حاتم رحمه الله مع قصارة الخط الذي كتبه لكنه نفيس جدًا في قضية ضبط هذه المسائل:

أنك دائما ترجع إلى الأصل المرفوع والموقوف ونوع الرواة لأن تلاميذ ابن عباس رضي الله عنه مثلا على أساس أنه يروى عنه التفسير، هم ضرب ليسوا ضربًا واحدًا منهم من تلقى عنه مباشرة ومن من تلقى عنه صحيفة ومنهم من يروي عنه ألفاظه ومنهم من يعبر عنه بالمعاني ثم الذين يعبرون عنه بالألفاظ منهم المتيقظون المتثبتون الذين اجتمع فيهم كثرة الملازمة وطول الصحبة كعطاء ومجاهد ومنهم من يروي عنهم بالمعنى فيقارب المعنى ومنهم من يباعد قليلا فهم درجات لذلك إذا اختلف هذا النوع قدم النوع الذي يضبط الألفاظ والمعاني فهذه ينتبه لها.

التنبيه الثاني: ينتبه إلى أنه قد يكون الإجماع سابق لقول القائل يعني نحن قلنا إذا فسرت الآية بمعنيين كلا المعنيان حق فإن الآية تحمل عليهما بشرط أن لا يكون على أحدى المعنيين حصل الإجماع لأنه إذا حصل الإجماع على إحدى المعنيين صار المعنى الآخر متروكًا أو مهجورًا فلا يقال لأن الإجماع إذا حصل على إحدى المعنيين مع احتمال الآية غيره صار ذلك المحتمل مهجورًا عند السلف، نعم، قد يقول به بعض الناس وهذا من أسباب الأقوال الشاذة في التفسير أو الأقوال المتفردة في التفسير مع أنه قد تحتمل الآية فيه وجهًا صحيحًا هذا الأمر مهم جدًا.

التنبيه الثالث: الاحتمال الذي نقصده أن الاحتمال ما احتمل من جهة الأثر لا من جهة اتساع اللغة.

مرة أخرى المعنيان التي تحمل عليهم الآية هو ما احتمل من جهة الآثار التي وردت به آثار لا ما احتمل من جهة اللغة فحسب لأن القرآن لا يفسر على جهة اللغة فحسب كما قال الإمام أحمد رحمه الله: " مَا لَمْ يَكُنْ أَثَر ". لأن جهة اللغة قد تحتمل أشياء كثيرة جدا ويكون الحمل على ذلك المعنى الذي اقتضته اللغة يكون ضربا من القول بالرأي لأن بعدها أسلك من قال بهذا المعنى؟ من سبقك إلى هذا المعنى؟

تقول لي اللغة تقتضي هكذا وأنا عندي معنى في الآية ولم يشر السلف للقول الذي تقوله لذلك لا بد أن يعلم وهذا حتى أئمة اللغة قرروه فهذا غلام ثعلب كما جاء في ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن (ص266): " { فَضَحِكَتْ } اخْتلف النَّاس فِيهِ، ووسمعت أَبَا مُوسَى يسْأَل ثعلبا - قَالَ: جَاءَ فِي الْخَبَرَ: { فَضَحِكَتْ }: أَي حَاضَت، فَقَالَ ثَعْلَب: نسلم للتفسير كَمَا جَاءَ، وَلَيْسَ فِي كَلَام الْعَرَب: ضحِكت إِلَّا من الضحك ... ".

يعني في معنى كلامه أن الحمل على الأثر هو الأولى لا نحمل على اللغة يعني على اتساعها ونبه إلى هذا الإمام أبو عبيد رحمه الله وكذلك ممن نبه على هذا المعنى أحمد بن حنبل رحمه الله ونبه إليه الدارمي رحمه الله في مناقشته لبشر المريسي كان يبين له أن المعنى الذي يُقبل هو ما احتمل من جهة الآثار لا ما حمل على مجازات اللغة واتساقها لأن اللغة تحتمل أشياء كثيرة لو حملناه على اللغة تخالف بعض الآثار لذلك المعنيان اللذان يكونوا كلاهما حق يرجع إلى هذه التنبيهات التي أشرت إليها.

إذا هذه القراءات السبعة التي كنا نتكلم عليها أجمع أهل العلم أن الاختلاف فيها من باب التنوع والتغاير لا من باب التضاد والتنافر أو التناقض.

ولذلك جاء في الحديث المرفوع ويروى موقوفًا: " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ: إِنْ قُلْت غَفُورًا رَحِيمًا أَوْ قُلْت عَزِيزًا حَكِيمًا، فَاَللَّهُ كَذَلِكَ مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ، أَوْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ ".

طيب هذا ماذا يحتمل يا اخواني؟ ما معنى الأحرف السبعة؟

طبعا فيه كلام كثير دخل فيها النحاة وغير النحاة وهذا الباب ليس بابهم صراحة ولعل من أقربها قولا وأظهرها كلاما ما قاله الإمام أبو عبيد القاسم ابن سلام رحمه الله فإنه تكلم على الأحرف السبعة وهو أول من ألف في القراءات بالمعنى الذي ذكرناه جمع عشرين قارئًا فهو أول ألف في القراءات وأول من فرش الحروف هو والدارقطني رحمه الله لذلك علم القراءات يقول بعض الناس أنتم إذا كفرتم الأشاعرة فإنكم

ستضربون علوم القراءة لأن ابن الجزري أشعري والشاطبي ظاهره أنه أشعري صاحب " الشاطبية " وأبو القاسم صاحب " حرز الأماني " والداني كلابي وعنده كلابيات وتجهم فيقول كيف يعني؟!

نقول طيب هؤلاء أولا ما تفردوا بالنقل ولكن الناس تظن أنهم تفردوا ولكنهم لم يتفردوا بالنقل ثم الأئمة الواضعين الجامعين المدونين لهذا الباب أئمة السلف مثل أبو عبيد القاسم بن سلام إمام من أئمة السلف، الدارقطني كذلك، ابن الأهوازي الذي كان يكفر الاشعرية وعنده كتاب وهذا أكثر واحد نقل عنه ابن الجزري في القراءات وحقق عنه وكان هذا راجع له حتى الأشاعرة واستفادوا منه مع أنه لم يكن سلفيا كان سالميا لكنه كان حاطا على الأشاعرة مكفرًا لهم فهم لم يتفرد بالنقل وشيوخ هؤلاء سلفيون، أبو بكر بن المجاهد شيخ للداني ينقل عنه وهو سلفي، شيوخ الداني الكثير منهم سلفيين وعنده منظومة ذكر فيها أئمة الإقراء بدءًا من الصحابة إلى زمانه واذهب أنظر إلى الطبقات كلهم أئمة سلف كثير جدا وللذهبي ذاك عنده رسالة أو كتاب جيد نافع اسمه " طبقات القراء الكبار " وأبو عبيد في القراء الكبار بدأ بالصحابة والأسانيد الصافية التي ليس فيها إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول لي شخص وهؤلاء الأشاعرة؟! هؤلاء أخذوا اجازات على الكتب فقط أما أسانيدهم فلا ندري اتصلت أم منفصل وهكذا كانت علاقتهم بالكتب خاصة في العصر المملوكي أنهم أخذوا عليها اجازات فصاروا يظن الظان ويحسب من لا يدري أنهم تفردوا بنقل الكتب دون الناس وهذا غير صحيح لأن كثير الحنابلة أهل اقراء كابن البناء وكثير منهم مقرئين أي نعم لم يشتهر في زماننا لأن بعض الأشاعرة أصلا عندهم تعصب لا يروون إلا عن الأشاعرة مثلهم لما اختصوا بالإجازات الأزهر وهكذا لكن فيه الكثير من الطرق فيها حنابلة كانوا مكفرين للأشاعرة ومنافرين لهم.

ثم السؤال المطروح: أنت من تزعم تقول القراءات نقلها ابن الجزري ألا تعلم أنك بهذا تلغي باب التواتر في القرآن، أنت لما تقول أن هذه القراءات لا تروى إلا من طريق الأشاعرة طيب أعطني اسنادها كيف تقول أن القرآن تواتر هذه خدمة للمستشرقين هذا لو سلمنا أن هؤلاء أهل إسلام أنت الآن لو هؤلاء مسلمين وتقول أن القرآن روي من طريق هؤلاء فقط هذه خدمة لهم، بل القرآن روي بالتواتر والتفشي فهو أعم من أن يحصر بعدد معين أو بإسناد معين، هذه مسألة مهمة جدا ضبطها ولذلك الأسانيد وهذه أشار إليها حتى ذلك ابن الجزري في شرح القراءات له في النشر أشار أن القراءات تروى بالاستفاضة في عموم الأمة لأنه لا زال في الأمة مقرئين يقرؤون المحاريب فهذا من العلم الذي لم يضع في الأمة حتى في عصر تسلط الناس أو كثر المخالفين ممن ينتسبون للعلم لكنه كان أناس يقرؤون في المحاريب سلفيون أثريون وعلى طريقة الأثر ممكن نحن لا نعرفهم لقلة من يترجم ويعتني بأولئك لكنهم كانوا كثر

وأئمة كبار رحمة الله عليهم، وهذا أبو مزاحم الخاقاني رحمه الله أول صاحب منظومة في التجويد لم يكن أشعريا بل كان منافرا لهم ذاما لأهل الكلام بل الداني نفسه لم يكن أشعري لكن كان كلابي أسبق من الأشعرية وكان عنده تجهم في بعض الصفات كاليد تكلم بكلامهم في بعض المواضع لكن مع ذلك كان يدعي أنه ينتسب للسلف مع أن نقول أنه كما أشرت أنهم لم يتفردوا بالنقل ولم يختصوا به كما يظن من لا يدري.

أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله شرح الأحرف السبعة فقال وهذا أقدم قول في اعتباري أنا والله أعلى وأعلم في شرح الأحرف السبعة وهو أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله فذكر أن معناها هي اللغات المنتشرة في القرآن هي لغات العرب لهجات اللغة العربية يعني بلغة قريش لغة هذيل وثقيف وهكذا تكلم عن هذا كما في كتابه " فضائل القرآن " لمن أراد أن يراجعه لما أورد أحاديث الأحرف السبعة.

طيب فهذا الذي يتعلق بهذا الباب لذلك هي المقصود بها اللهجات طبعا في قول مال إليه ابن الجزري وما إليه بعضهم لكنه لا يرتضى وهو المقصود بأنه الإخلاف في اللفظ والمعنى لكن هذا والله أعلم بعيد والأقرب أن يقال أن هذا من باب لهجات العرب ، بعضهم أشهر اعتراض على هذا القول يعترض به من يقول بأنه ليس المقصود به لهجات العرب اعترضوا باعتراض ما هو هذا الاعتراض؟ قالوا كيف تقولون أن المقصود الأحرف السبعة هي لغة العرب أو لهجات العرب وهذا عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم رضي الله عنهم وكلاهما قرشي ومع ذلك عمر رضي الله عنه اختلف معه في القراءة فلو كان اختلاف لهجات فهذا قرشي وهذا قرشي وفي الواقع أن هذا الكلام ليس بصواب والاعتراض ليس في محله، لماذا؟ لأنه نحن قلنا الأحرف السبعة في القرآن لا يعني أن تستوعب الأحرف السبعة كل سورة ممكن مثلا تكون سورة فيها لغة معينة وفيها لهجة فلان يعني يكون فيها تنوع فهو قرأ سورة الفرقان كما جاء في بعض الروايات ممكن هذه لم تكن بلسان قريش لكنه أُقرئها هكذا من عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنحن إذا قلنا الأحرف السبعة هي لهجات العرب الأصلية أو المشهورة المنتشرة في الجزيرة هذيل وثقيف وغيرها وقريش هي أفضل الألسن هي الأحرف السبعة فنحن نعني أهمها ولا نعني أنه كل سورة لا بد يكون فيها من قريش وكذا، لا هذا الله أعلم بما ينزل سبحانه ثم أن قريش نفسها لم تكون بطنًا واحدًا بل كانت قريش بطون تختلف فربما الرجل يتكلم بلهجة من بطن من بطون قريش يختلف عن آخر قرشي يتكلم بلسان آخر أو كلاهما من قريش والله تعالى اعلى وأعلم.

فيكون والله أعلم من هذا الباب أي يكون من باب اللغات المشتهرة عند العرب.

[سؤال: هذا يقول كيف يفسر أن عثمان رضي الله عنه جمع الأمة على حرف واحد هل معناه أن ذلك الحرف هو ...؟] نعم قد جمعهم على لسان قريش كما ذكرنا في الجمع قال: " مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ ".فهو جمع على لسان قريش لأنه أفصح الألسن وعليه كانت العرضة الأخيرة كما أشار إلى ذلك محمد ابن سيرين وأبو عبيدة وروى هذا بن أبي داوود في كتاب " المصاحف " وابن أبي شيبة في كتاب " فضائل القرآن " أنه آخر شيء جمع عليه عثمان رضي الله عنه كان على العرضة الأخيرة التي هي آخر عرضة عارضها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع جبريل عليه السلام أنه كان يعارضه كل سنة في رمضان يُعَارِضه القرآن مرة نبي الهدى صلى الله عليه وآله وسلم صام تسع رمضانات آخر رمضان عارضه مرتين فعرف أنه اقترب أجله بأبي وأمي صلى الله عليه وآله وسلم والعرضة يعني عارضه القرآن معناه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ على جبريل عليه السلام، وجبريل يسمع هذه المُدَارسة تسمى كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : " ... وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ".

فآخر عرضتين سمع القرآن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك العرضة الأخيرة تلقاها الصحابة رضي الله عنهم ، وكان فيهم ابن مسعود رضي الله عنه وهذا لا ينافي أن ابن مسعود رضي الله عنه كان شهيدا [لأنه سأل أبو عبيدة السلماني: هل كان حقا؟ قال: نعم، كان موجودا وادرك العرضة الأخيرة] لأن بعضهم قال: كيف ابن مسعود رضي الله عنه كان موجود؟ فالمقصود أنه آخر عرضة التي جمع عليها عثمان رضي الله عنه هي العرضة الأخيرة كما ذكرناه.

ابن عباس رضي الله عنهما كما جاء عند ابن أبي شيبة رحمه الله في المصنف (6/ 154) قال: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ رَمَضَانَ مَرَّةً، إِلَّا الْعَامَ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَإِنَّهُ عُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ بِحَضْرَةِ عَبْدِ اللَّهِ (أي ابن مسعود رضي الله عنه) فَشَهِدَ مَا نُسِخَ مِنْهُ وَمَا بُدِّلَ ".

وجاء في مسند أحمد (4/ 295): عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: " قَالَ: أَيُّ الْقِرَاءَتَيْنِ كَانَتْ أَخِيرًا: قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ، أَوْ قِرَاءَةُ زَيْدٍ؟ قَالَ: قُلْنَا: قِرَاءَةُ زَيْدٍ، قَالَ: لَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى جِبْرِيلَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ عَرَضَهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، وَكَانَتْ آخِرَ الْقِرَاءَةِ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ ". فابن مسعود رضي الله عنه شهد العرضة الأخيرة.

وجاء أيضا في شهود العرضة الأخيرة ما رواه سمرة رضي الله عنه وهو عند مسدد بن مسرهد في " مسنده "

كما في المطالب العالية (14/ 356) وإسناده حسن مع إرساله من طريق ابراهيم النخعي رحمه الله قَالَ:

" إن ابن عباس رضي الله عنهما، سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: الْحَرْفُ الْأَوَّلُ، فَقَالَ ابْنُ عباس رضي الله عنهما مَا الْحَرْفُ الْأَوَّلُ؟ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا ابن عباس إن عمر رضي الله عنه، بعث ابن مسعود رضي الله عنه معلمًا إلى أهل الكوفة، فحفظوا قراءته، فغير عثمان رضي الله عنه الْقِرَاءَةَ، فَهُمْ يَدْعُونَهُ الْحَرْفَ الْأَوَّلَ، فَقَالَ ابْنُ عباس رضي الله عنهما: إنه لآخر حرف عرض، بِهِ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جبريل عليه الصلاة والسلام ".

وعند النسائي رحمه الله في السنن الكبرى (7/ 353): من طريق أَبِي ظَبْيَانَ قَالَ: " قَالَ لَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيُّ الْقِرَاءَتَيْنِ تَقْرَءُونَ؟ قُلْنَا: قِرَاءَةَ عَبْدِ اللهِ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يعْرِضُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عُرِضَ عَلَيْهِ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ مَرَّتَيْنِ فَشَهِدَ عَبْدُ اللهِ مَا نُسِخَ ". انتهى

وقال أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ رحمه الله: " كَانَتْ قِرَاءَةُ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَاحِدَةً، كَانُوا يَقْرَءُونَ قِرَاءَةَ الْعَامَّةِ، وَهِيَ الْقِرَاءَةُ الَّتِي قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جِبْرِيلَ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، وَكَانَ عَلَى طُولِ أَيَّامِهِ يَقْرَأُ مُصْحَفَ عُثْمَانَ، وَيَتَّخِذُهُ إِمَامًا.

وَيُقَالُ: إِنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ شَهِدَ الْعَرْضَةَ الْأَخِيرَةَ الَّتِي عَرَضَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جِبْرِيلَ، وَهِيَ الَّتِي بَيَّنَ فِيهَا مَا نُسِخَ وَمَا بَقِيَ ".

هذا مشهور في السير إلا أنه لا إسناد له صراحة لكن الثابت أن ابن مسعود رضي الله عنه شهد العرضة الأخيرة.

طيب، العرضة الأخيرة هذه ما علاقتها بجمع القرآن؟ قلنا أن الجمع كان عليها وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لما ولي الخلافة لم ينكر حرفًا مما عمل عثمان رضي الله عنه بل قلت لكم من قبل أنه قال: " لَوْ وُلِّيتُ لَفَعَلْتُ فِي الْمَصَاحِفِ الَّذِي فَعَلَ عُثْمَانُ ". وهذا بإسناد صحيح كما أخرجه ابن أبي داوود رضي الله عنه في المصاحف (ص98) وهو موجود في فضائل القرآن - أبو عبيد (ص285).

وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي قال: " إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَءُوا كَمَا عُلِّمْتُمْ ". كما جاء في مسند أحمد (2/ 200). انتهى

فالمقصود أن العرضة الأخيرة شهدها ابن مسعود رضي الله عنه فعلم ما نسخ منها وما بدل وكذلك جاء في أثر سمرة بن جندب وأثر محمد بن سيرين وكل هذا يدل على أنه شهد العرضة الأخير وهذا يدل على الإجماع الحاصل في جمع القرآن.

هذا يعني ما يتعلق بهذا الباب ولا بد أن نعلم أن الكتابة كما أشرت هي مبنية على أساس حفظ الصدر، لماذا قلنا هذا؟ حتى نعلم أن القرآن حفظ في الصدور وهذا فيه أمان من التحريف وحفظ الله كتابه فلذلك كان في حفظ الصدر وأشرنا إليه من قبل.

كذلك أيضا أن القائمين بالجمع وهذه نقطة كنت أريد أن أتكلم عليها في المرة السابقة وأتيت لكم بالنقل لأنه لم يكن عندي في المرة الماضية هو كلام ابن الأنباري كلام مهم جدا في دفع شبهة المستشرقين وهو لماذا اختير زيد ابن ثابت ولم يُختر ابن مسعود؟ لماذا قُدم؟ فذكر كلام جيد يعني لا بد للقارئ ينتفع به قال: " وَلَمْ يَكُنِ الاخْتِيَارُ لِزَيْدٍ مِنْ جِهَةِ أَبِي بكر وعمر وعثمان على عبد الله ابن مَسْعُودٍ فِي جَمْعِ الْقُرْآنِ، وَعَبْدُ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ زَيْدٍ، وَأَقْدَمُ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَكْثَرُ سَوَابِقَ، وَأَعْظَمُ فَضَائِلَ، إِلَّا لِأَنَّ زَيْدًا كَانَ أَحْفَظَ لِلْقُرْآنِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ إِذْ وَعَاهُ كُلَّهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ، وَالَّذِي حَفِظَ مِنْهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نيف وسبعون سُورَةً، ثُمَّ تَعَلَّمَ الْبَاقِيَ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالَّذِي خَتَمَ الْقُرْآنَ وَحَفِظَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ اولى بجمع المصاحف وأحق بالإيثار ولاختيار. وَلَا يَنْبَغِي أَنَّ يَظُنَّ جَاهِلٌ أَنَّ فِي هَذَا طَعْنًا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، لِأَنَّ زَيْدًا إِذَا كَانَ أَحْفَظَ لِلْقُرْآنِ مِنْهُ فليس ذلك موجبا لتقدمه عَلَيْهِ، لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ زَيْدٌ أَحْفَظَ مِنْهُمَا لِلْقُرْآنِ، وَلَيْسَ هُوَ خَيْرًا مِنْهُمَا وَلَا مُسَاوِيًا لَهُمَا فِي الْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ ".

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: " وَمَا بَدَا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِنْ نَكِيرِ ذَلِكَ فَشَيْءٌ ... ". وبعد ذلك ذكر أنه رجع، لأنه جاء في رواية عند بن أبي داوود رحمه الله في " المصاحف " أنه رجع وهذا سر الاختيار اختيار زيد بن ثابت في قضية الجمع.

وأنبه فقط أن زيد بن ثابت لما جمع وهذا جاء في الحديث أنه اعتمد على أمرين هما صدور الرجال وهذا الأصل والصحف مفرقة وما في مثلها وقد ذكر زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: " فَقَدْتُ آيَةً مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَؤُهَا: { مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ } [الأحزاب: 23] فَالْتَمَسْتُهَا فَوَجَدْتُهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ أَوْ أَبِي خُزَيْمَةَ، وَأَلْحَقْتُهَا فِي سُورَتِهَا ".

وطريقة الجمع أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما جاء في تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (3/ 28) ورواه ابن أبي داود في المصاحف (ص62) وإن كان إسناده مرسل من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب لم يدرك عمر رضي الله عنه لكن لعله من المشهور قَالَ: " أَرَادَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يَجْمَعَ الْقُرْآنَ، فَقَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ: مَنْ كَانَ تَلَقَّى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلْيَأْتِنَا بِهِ ".

انتبه هذا زمان الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يكذبون كما قال البراء بن عازب رضي الله عنه : " لم نكن نكذب ". فبالتالي أنت تتكلم عن زمان العدالة والديانة ملأت الدنيا والصدق في كل موضع.

ثم جاء في كتاب المصاحف لابن أبي داود (ص51): عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: " لَمَّا اسْتَحَرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ يَوْمَئِذٍ فَرِقَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْقُرْآنِ أَنْ يَضِيعَ فَقَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَلِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: اقْعُدُوا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَمَنْ جَاءَكُمَا بِشَاهِدَيْنِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَاكْتُبَاهُ ".

وهذا من باب زيادة التوثيق قال زيد: " وَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَيَاتَهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ , ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ , ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ".

طيب، الصحف التي جمعت في زمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: " أَنَّ مَرْوَانَ كَانَ يُرْسِلُ إِلَى حَفْصَةَ يَسْأَلُهَا الصُّحُفَ الَّتِي كُتِبَ مِنْهَا الْقُرْآنُ، فَتَأْبَى حَفْصَةُ أَنْ تُعْطِيَهُ إِيَّاهَا قَالَ سَالِمٌ: فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ حَفْصَةُ وَرَجَعْنَا مِنْ دَفْنِهَا، أَرْسَلَ مَرْوَانُ بِالْعَزِيمَةِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ لَيُرْسِلَنَّ إِلَيْهِ بِتِلْكَ الصُّحُفِ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، فَأَمَرَ بِهَا مَرْوَانُ فَشُقِّقَتْ، فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا لِأَنَّ مَا فِيهَا قَدْ كُتِبَ وَحُفِظَ بِالْمُصْحَفِ، فَخَشِيتُ إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَرْتَابَ فِي شَأْنِ هَذِهِ الصُّحُفِ مُرْتَابٌ، أَوْ يَقُولَ إِنَّهُ قَدْ كَانَ شَيْءٌ مِنْهَا لَمْ يُكْتَبْ ".

وهذا اسناده صحيح قد رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص103) وهو موجود عند أبي عبيد رحمه الله في كتاب فضائل القرآن (ص284) لكن فيه زيادة عند أبي عبيد: " فَأَرْسَلَ بِهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى مَرْوَانَ فَمَزَّقَهَا مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ خِلَافٌ لِمَا نَسَخَ عُثْمَانُ ".

الإمام أبو عبيد رحمه الله يقول: " لَمْ يُسْمَعْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّ مَرْوَانَ هُوَ الَّذِي مَزَّقَ الصُّحُفَ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ ".

هذا فيما يتعلق ببعض التنبيهات في مسألة جمع القرآن والسؤال المطروح هل الجمع فيه الأحرف السبعة أم لا؟ قلنا من باب أنه اختلاف المعنى أي اختلاف تنوع موجود قرأ { فَتَبَيَّنُواْ } ، { فَتَثَبَّتُواْ }

فهذا يدل على أنه احتوى الجمع أو المصحف العثماني على الأحرف السبعة يعني يكون بالكلمات التي تقرأ مثلا بأكثر من وجه { يَكْذِبُونَ } ، { تُكَذِّبُونَ } ، { نُنشِزُهَا } ، { نُنشِرُهَا } ، { فَتَبَيَّنُوا } ، { فَتَثَبَّتُوا } ممكن كلمة تقرأ بأكثر وجه { مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ } ، { مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ } ، وهكذا { مَلَكَ يَوْمَ ٱلدِّينِ } قراءة الحسن الأربعة عشر { تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ } ، { تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ } هذا من الأحرف السبعة.

ولذلك بعض المستشرقين يقولون كيف تقولون القرآن محفوظ وفي قراءة { فَإِنَّ ٱللَّهَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ } وفي المصحف { فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ } نقول هذه قراءات، هذا من الأحرف السبعة أن هذا وجه وهذا وجه وهذا له إسناد وهذا له إسناد وهذا من العلامات أن القرآن من عند الله أنه يقرأ على وجه والمعنى واحد فالمنزل واحد سبحانه وبحمده.

عثمان رضي الله عنه لما جمع المصاحف أكثر العلماء يقولون جمع أربعة نسخ في ناس يقولوا خمسة وفيهم من يقولوا أكثر لكن الداني أشار أن أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصاحف جعلها على أربعة نسخ وبعث إلى كل ناحية واحدة يعني واحدة إلى الكوفة وواحدة إلى البصرة وواحدة إلى الشام وترك واحدًا عنده، أرسل بها إلى الآفاق وأمر عثمان رضي الله عنه أن تحرق كل ما عدا هذه المصاحف ليستأصل هنا سبب النزاع كما جاء في صحيح البخاري (6/ 184): "...وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ". وهذا من فضائله رضي الله عنه .
يقول مصعب بن أبي وقاص: " أَدْرَكْتُ النَّاسَ حِينَ شَقَّقَ عُثْمَانُ الْمَصَاحِفَ فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ، أَوْ قَالَ: لَمْ يَعِبْ ذَلِكَ أَحَدٌ". هذا رواه أبو عبيد رحمه الله بإسناد صحيح كما في كتابه فضائل القرآن (ص284).

قال أبو عبيد رحمه الله بعدما أشار إلى الإجماع على المصحف: " وَيُحَكِّمُ بِالْكُفْرِ عَلَى الْجَاحِدِ لِهَذَا الَّذِي بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ خَاصَّةً (وعلى هذا تكفر الإمامية الشيعة الروافض لأنهم يقولون بتحريف القرآن، عندهم ذاك المسمى نقمة الله الجزائري عنده كتاب اسمه " فصل الخطاب في تحريف كلام رب الأرباب " فهم يقولون بالتحريف والنصوص في ذلك كثيرة في الكليني عن أئمة أهل البيت يكذبون عليهم أنه القرآن ناقص وأنه فيه آيات مزيدة وهكذا ويقولون أيضا أن هذا الموجود هو ثلث لكن بعضهم يتظاهر أنهم لا يقولون هذا وهكذا ولكن حقيقة المذهب يقولون بأن القرآن محرف أو أنه في سور زائدة كسورة الإمامة وسورة الولاية وهكذا بعض الزيادات قبحهم الله).

قال أبو عبيد رحمه الله:" وَيحكُمُ بِالْكُفْرِ عَلَى الْجَاحِدِ لِهَذَا الَّذِي بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ خَاصَّةً وَهُوَ مَا ثَبَتَ فِي الْإِمَامِ الَّذِي نَسْخَهُ عُثْمَانُ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَإِسْقَاطٍ لِمَا سِوَاهُ ثُمَّ أَطْبَقَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، فَلَمْ يُخْتَلَفْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، يَعْرِفُهُ جَاهِلُهُمْ كَمَا يَعْرِفُهُ عَالِمُهُمْ، وَتَوَارَثُهُ الْقُرُونُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَتَتَعَلَّمُهُ الْوِلْدَانُ فِي الْمَكْتَبِ. وَكَانَتْ هَذِهِ إِحْدَى مَنَاقِبِ عُثْمَانَ الْعِظَامِ ". فالأمة مجمعة على ذلك.

ابن مسعود رضي الله عنه تعرفون القصة أنه لم يرض بداية لكن قد بوب ابن أبي داوود رحمه الله في كتابه المصاحف (ص82): " بَابُ رِضَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ لِجَمْعِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَصَاحِفَ " لكن لم يرد شيئا صريحا في هذا الباب إلا أنه نقل أبو وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ الْقَرَأَةَ، فَوَجَدْتُهُمْ مُتَقَارِبِيْنِ، فَاقْرَءُوا كَمَا عَلِمْتُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَالِاخْتِلَافَ وَالتَّنَطُّعَ، فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ: هَلُمَّ وَتَعَالَ ". وهذا إسناده صحيح كما جاء عند أبو عبيد رحمه الله في فضائل القرآن (ص361)

وعند سعيد بن منصور رحمه الله في سننه (1/ 160).

والذي دل على رجوع ابن مسعود رضي الله عنه أنه السلف قالوا القراءة التي نقرأ بها في مصحف عثمان رضي الله عنه هي العرضة الأخيرة وابن مسعود شهد العرضة الأخيرة ولذلك قال سمرة بن جندب رضي الله عنه: " عُرِضَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَضَاتٍ فَيَقُولُونَ: إِنَّ قِرَاءَتَنَا هَذِهِ (يعني في مصحف عثمان) هِيَ الْعَرْضَةُ الْأَخِيرَةُ ".

وروى أبو عبيد رحمه الله في كتابه فضائل القرآن (ص357): عن ابْنُ سِيرِينَ رحمه الله قال: " فَيَرَوْنَ، أَوْ فَيَرْجُونَ أَنْ تَكُونَ قِرَاءَتُنَا هَذِهِ أَحْدَثَ الْقِرَاءَتَيْنِ عَهْدًا بِالْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ ". وهذا يدل على المعنى الذي أشرنا إليه.

المسألة الأخرى أن بعضهم يحتج على أن بن مسعود رضي الله عنه كان يحك المعوذتان من القرآن، وقال جاء عن زر بن حبيش رحمه الله، قال: " سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ: قُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ أُبَيٌّ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: قِيلَ لِي فَقُلْتُ، قَالَ: فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ". [صحيح البخاري (6/ 181)].

وعند الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (35/ 118): في رواية قال: " قُلْتُ لِأُبَيٍّ: إِنَّ أَخَاكَ يَحُكُّهُمَا مِنَ الْمُصْحَفِ، قِيلَ لِسُفْيَانَ: ابْنِ مَسْعُودٍ؟ فَلَمْ يُنْكِرْ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ:

قِيلَ لِي، فَقُلْتُ. فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ سُفْيَانُ: يَحُكُّهُمَا: الْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَلَيْسَا فِي مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ. كَانَ يَرَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ بِهِمَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَلَمْ يَسْمَعْهُ يَقْرَؤُهُمَا فِي شَيْءٍ مِنْ صَلَاتِهِ، (يعني ظنهما ليس من القرآن هذا الذي حصل لابن مسعود رضي الله عنه نوع تأويل) فَظَنَّ أَنَّهُمَا عُوذَتَانِ، وَأَصَرَّ عَلَى ظَنِّهِ، وَتَحَقَّقَ الْبَاقُونَ كَوْنَهُمَا مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَوْدَعُوهُمَا إِيَّاهُ ". وهذا إسناده صحيح.

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ رحمه الله، قَالَ: " كَانَ عَبْدُ اللهِ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفِهِ، وَيَقُولُ: إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللهِ ". وهذا اسناده صحيح رواه أحمد في **مسنده (35/ 117)**.

وفي رواية قال: " فَلَا تَجْعَلُوا فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ".

لكن هذه الأخبار تُحمل على الذي ذكرناه أن ابن مسعود رضي الله عنه ظنهما معوذتين لم يسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بهما في الصلاة وإلا فابن مسعود رضي الله عنه رجع هذا الظاهر وهذا الظن به والذي يدل على رجوعه رضي الله عنه وأرضاه القراءات التي تروى عنه فإن القراءات التي تروى عن ابن مسعود رضي الله عنه فيها المعوذتان ونحن عندنا في أسانيد القراءة مثلا عاصم بن أبي النجود يروي عنه حفص وشعبة، رأيت حفص وشعبة عن عاصم بن أبي النجود قراءة عاصم هذه التي هي قراءة أهل الكوفة مثلا حفص بن سليمان الذي هو حفص عن عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عن ربّ العزة، ومن ضمن ما فيها المعوذتان والفاتحة هذه القراءة ترجع لابن مسعود رضي الله عنه وهذا دليل والله أعلم أنه رجع أقوى لأنه هذه أسانيد صحيحة في القراءة.

من القراءات التي ترجع إلى ابن مسعود رضي الله عنه قراءة حمزة بن حبيب الزيات وهي أحد السبعة فيرويها حمزة بن حبيب الزيات عرضا عن سليمان الأعمش وسليمان الأعمش كان يقرأ قراءة بن مسعود رضي الله عنه وهي من الأربعة عشرة وإسناداها صحيح ويرويها عن ابن مسعود رضي الله عنه وفيها المعوذتان والفاتحة.

ومن القراء الذين يروون أيضا عن ابن مسعود رضي الله عنه الكسائي علي بن حمزة فإنه أخذ القراءة عن حمزة بن حبيب الزيات بإسناده السابق إلى بن مسعود رضي الله عنه .

كذلك من القراءات خلف العاشر وهذا من العشرة خلف بن هشام أبو محمد الأسدي وهذا أحد العشرة ومن روايات طريقه سليم بن حمزة الذي تمر بقراته بابن مسعود رضي الله عنه ففيها المعوذتان والفاتحة، فالظاهر والله أعلم أن ابن مسعود رضي الله عنه كان في المرة الأولى لا يرى أنهما من القرآن ثم بعد ذلك استقر كبقية الصحابة رضي الله عنهم وكان يقرأ عليهما وهذا منقول عنه بالتواتر ونقله عنه السواد الأعظم رضي الله عنه .

وعن إبراهيم النخعي رحمه الله وهذا له المنتهى في علم ابن مسعود رضي الله عنه وأصحابه قال: " قُلْتُ لِلْأَسْوَدِ (عمه): مِنَ الْقُرْآنِ هُمَا؟، قَالَ: «نَعَمْ»، يَعْنِي: الْمُعَوِّذَتَيْنِ ". وهذا أثر صحيح أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (6/ 146) بإسناد صحيح والأسود وهو بن يزيد النخعي وهذا أعلم الناس بابن مسعود رضي الله عنه ، لذلك ابن مسعود رجع رضي الله عنه .

أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فما ينقله الرافضة من انكاره لجمع عثمان رضي الله عنه كذب بل ثبت في فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (1/ 230) وفي فضائل القرآن - أبو عبيد (ص283)، وفي المصاحف لابن أبي داود (ص48)، وفي مصنف ابن أبي شيبة (7/ 248): أن عبد خير وهذا من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال: " سَمِعْتُ عَلِيًّا، يَقُولُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ ".

لأن أول جمع عملي للمفرق كان في زمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما سبق وكثير من هذا الكلام في هذا الباب.

وقد روى عمر بن شبة في تاريخ المدينة (3/ 994): قال حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبَانَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثَدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْعَيْزَارَ بْنَ جَرْوَلٍ الْحَضْرَمِيَّ، يَقُولُ: " لَمَّا خَرَجَ الْمُخْتَارُ كُنَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوَّلُ مَنْ مَعَهُ، فَأَتَانَا سُوَيْدُ بْنُ غَفَلَةَ فَقَالَ: إِنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا حَقًّا، وَإِنَّ لَكُمْ جِوَارًا، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَسَرَّعْتُمْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ (هذا المختار طاغوت بعدين ادعى النبوة والربوبية لعنة الله عليه وهذا أشار النبي أنه يخرج في ثقيف كذاب ومبير أما المبير الحجاج مجرم والكذاب مختار بن أبي عبيد الثقفي) فَوَاللَّهِ لَا أُحَدِّثُكُمْ إِلَّا بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ: أَقْبَلْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَغَمَزَنِي غَامِزٌ مِنْ خَلْفِي فَالْتَفَتُّ فَإِذَا الْمُخْتَارُ، فَقَالَ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، مَا بَقِيَ فِي قَلْبِكَ مِنْ حُبِّ ذَاكَ الرَّجُلِ - يَعْنِي عَلِيًّا - قُلْتُ: إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ أَنِّي أُحِبُّهُ بِقَلْبِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي وَلِسَانِي، قَالَ: وَلَكِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ أَنِّي أُبْغِضُهُ بِقَلْبِي وَبَصَرِي وَسَمْعِي وَأَحْسَبُهُ قَالَ وَبِلِسَانِي (انتبه هذا المختار يدعي أنه من آل البيت أنه يريد الانتصار لآل البيت

هكذا هم الرافضة تستروا بحب آل البيت وحقيقة أمرهم بغض آل البيت وإنما هم زنادقة في الباطن أرادوا ارجاع دولة كسرى) فَقُلْتُ: أَبَيْتَ وَاللَّهِ إِلَّا تَثْبِيطًا عَنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَتَرْتِيبًا لِنَقْبَلَ حَرَّاقَ -أَوْ إِحْرَاقَ- الْمَصَاحِفِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَا أُحَدِّثُكُمْ إِلَّا بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ عَلِيٍّ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: " اتَّقُوا اللَّهَ فِي عُثْمَانَ وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَقُولُوا حَرَّاقَ الْمَصَاحِفِ، فَوَاللَّهِ مَا فَعَلَ إِلَّا عَنْ مَلَأٍ مِنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، دَعَانَا فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ؟ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَكُمْ يَقُولُ: قِرَاءَتِي خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَتِكَ، وَهَذَا يَكَادُ يَكُونُ كُفْرًا، وَإِنَّكُمْ إِنِ اخْتَلَفْتُمُ الْيَوْمَ كَانَ لِمَنْ بَعْدَكُمْ أَشَدَّ اخْتِلَافًا "، قُلْنَا: فَمَا تَرَى؟ قَالَ: «أَنْ أَجْمَعَ النَّاسَ عَلَى مُصْحَفٍ وَاحِدٍ فَلَا تَكُونُ فُرْقَةٌ وَلَا اخْتِلَافٌ» ، قُلْنَا: فَنِعْمَ مَا رَأَيْتَ، قَالَ: «فَأَيُّ النَّاسِ أَقْرَأُ؟» قَالُوا: زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَالَ: «فَأَيُّ النَّاسِ أَفْصَحُ وَأَعْرَبُ؟» قَالُوا: سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، قَالَ: «فَلْيَكْتُبْ سَعِيدٌ وَلْيُمْلِ زَيْدٌ» ، قَالَ: فَكَانَتْ مَصَاحِفُ بَعَثَ بِهَا إِلَى الْأَمْصَارِ، قَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ لَوْ وُلِّيتُ لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِي فَعَلَ ".

رضي الله عن أصحاب محمد أجمعين ولعنة الله على الروافض المناجيس الملاعين.

وهذا مما يتعلق بجمع القرآن وأهم المسائل المتعلقة به.

والحمد لله رب العالمين.



الدرس الثالث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

أما بعد فإن أحسن الكلام كلام الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ، وشر الأمور محدثتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

هذا مجلس جديد من مجالس التعليق على مقدمة التفسير للحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني رحمه الله وكنا في المجلس الذي سبق قد تكلمنا عما يتعلق بمسألة جمع القرآن وما يتعلق بها من علوم.

قال رحمه الله: " **بَاب مَا جَاءَ فِيمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ** ".

وهذه المسألة مهمة جدًا بحثها فيه علوم القرآن وهي القول في القرآن بالرأي والمقصود إذا تكلم السلف رحمهم الله تبارك وتعالى عن القول في القرآن بالرأي يعنون بالرأي الرأي المجرد لأن العلوم المتعلقة بالقرآن أي من جهة الفهم إما أن يكون التفسير وهو شرح المعنى بطرائق معلومة وينبني على التفسير الاستنباط والتدبر وهذا مأمور به وهو التدبر في المعاني.

فالتفسير هو شرح الألفاظ وتفسيرها أي بيان معناها من الفسر بمعنى الوضوح والتجلي وهذا يسمى التفسير وهذا سيأتي معنا أنه قائم على أربعة طرائق:

1/ تفسير القرآن بالقرآن.

2/ تفسير القرآن بسُنَّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

3/ تفسير القرآن بآثار الصحابة رضي الله عنهم .

4/ تفسير القرآن بما قال التابعين ومن بعدهم.

وهي تمام القرون الثلاثة الخيرية التي قال فيها نبي الهدى ﷺ: " خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ".

فالمقصود والشاهد وهذا مهم جدًا تحرير هذه المصطلحات أنه عندي التفسير وهو شرح المعاني وهذا هو العماد في علوم القرآن من جهة المعنى فلابد أن يكون العبد فيما يذهب إليه من التفسير أن يكون مأثورًا ثم يتعلق بالمعنى التدبر والاستنباط، فثمة استنباط وثمة تدبر وأمرنا بالتدبر والتدبر يكون في المعاني والسلف يسمونه التدبر ويسمونه التفكر ويسمونه النظر هذا في عموم كلام السلف، أما في القرآن يسمى التدبر وحقيقته من الدَّبر يعني التأمل في عواقب الأشياء قال الله ﷻ { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا } [النساء: 82]، وقال ﷻ { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ } [محمد: 24] وهذان الموضعان الأول الذي ورد في سورة النساء والموضع الثاني ورد في المنافقين أي سياقه في المنافقين، فذم الله المنافقين بعدم تدبر القرآن يعني يفهمون المعنى لكن لا يتأملون فيه، ولذلك قال الله ﷻ { وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء: 83]، وقال ﷻ { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ } هنا { أَمْ } بمعنى " **بل** " يعني الذي يمنع من تدبر القرآن هو الطبع والقفل الذي على القلوب لأن ثمة قلوب عليها أقفال نسأل الله السلامة والعافية أي القلوب عليها أقفال جمع قفل وهو المغلق الذي يغلق به ويسمى أيضا الشِّكْل وحقيقته أي أقفال القلوب وشِكْلُهَا يعني ما يُربط بها والطبع والختم هذا كله يمنع من فقه المعنى مع أن التدبر كما ذكرنا يتعلق بالمعنى لكن يُمنع منه المنافق لما طبع على قلبه، ممكن يفهم المعنى لكن لا يتدبره هذا المعنى والذي يميز لك ذلك ما قاله علي رضي الله عنه، قال: " الْفَقِيهُ حَقُّ الْفَقِيهِ الَّذِي لَا يُقَنِّطُ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا يُؤَمِّنُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَا يُرَخِّصُ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا، وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا فَهْمَ فِيهِ، وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَا تَدَبُّرَ فِيهَا ". هذا المعنى مهم جدًا فقهه وضبطه.

إذن في قراءة يتعلق بها التدبر وهذا الذي عاب اللهُ ربُ العالمين به أهل النفاق، يعني ممكن أنا أسمع المعنى أقول لك إيش معنى قوله ﷻ { وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا } [الزمر: 71] تفهم المعنى أنه في كفار داخلين إلى جهنم وفي ناس اتقوا ربهم وذاهبين للجنة وفي أوصاف لأهل الجنة وفي أوصاف

لأهل النار.

في آيات كثيرة يسمعها العامي بليد الذهن يفهمها فضلاً عمّن كان أعلى وأكثر في ذلك منه فإنه يفهم المعنى لكن هل يتدبر المعنى الذي يسمعه فيكون له بابا للفقه؟ لذلك قال علي رضي الله عنه : " لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا (لأنه الذي يعبد بلا علم مثل النصارى وشابه عُبَّاد النصارى كما قالها سفيان بن عيينة رحمه الله) وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا فَهْمَ فِيهِ، وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَا تَدَبُّرَ فِيهَا ". هذا مهم جدًا فقهه وضبطه.

إذن ممكن الإنسان يفهم المعنى ولا يتدبره وهذا وارد والمنافقين كانوا كذلك، لذلك التدبر هو النقلة إلى العمل لأنه هو يعطي احساس بتعظيم العلم يعني الإنسان ما الذي يجعله يشعر بعظمة العلم؟ الذي يجعله يشعر بعظمة العلم هو التدبر وإلا المعاني الناس كلهم تسمعها، الكافر يسمع المعاني والمسلم سمع المعاني والفارق هو أن المؤمن لما سمع المعاني تحرك القلب وهم درجات وأما الآخر الذي هو المعرض فإنه مع سماعه المعاني، قال ربنا عز وجل { وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا } [لقمان: 7] وهذا الانشغال يعني عن تحقيق الأمر عن فهم المعنى وهذا يحصل لكثير ولذلك بعض الناس وهذه مسألة إقامة الحجة يقول لك لم تقم الحجة، طيب هو فاهم والآن لو تمسك أي شخص من عباد القبور أو من عباد الأوثان ما في شخص يقول لك الشرك حلال كلهم يقولوا الشرك حرام يعني ما في أحد يقول الشرك حلال حتى اليهود والنصارى لا يقبلون أن يقال لهم عباد أوثان مع أنه فيهم وثنية لكن لا يقبلون والنصارى أنفسهم تجدهم يكفرون أصحاب الأوثان ولا يجزون الزواج من وثنية وداوود لمعي هذا كان سكرتير لشنودا لما خرج بعض النصارى يجوز الزواج من الوثنية خرج يرد عليه هذا داوود لمعي هذا طاغوت من طواغيت النصارى في هذا العصر وصار يقول اودي وشي من ربنا فين هكذا يقول قال إذا سألني يوم القيامة لماذا تجيز الزواج المسيحية من الوثني قال أودي وشي من ربنا فين هكذا قال بهذه اللهجة.

فحقيقة أنه المقصود من ها أنه بغض الأوثان هذا مستقر يعني ما في أحد يقول الشرك حلال لكن أين الآفة؟ الآفة في حقيقة التدبر أنه هؤلاء لا يتدبرون ولا يتأملون في المعاني ولذلك ذمهم القرآن، يعني قد يفهم المعنى لكن لا يحرك فيه ساكنا لذلك ربنا عز وجل قال { كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا } يعني يستوي عندهم السماع وعدم السماع فنعوذ بالله من هذه الأحوال لذلك لا بد أن يكون في المؤمن بقية خير مهما كان عاصي ومسفر على نفسه يكون فيه بقية خير يكون فيه نوع من أنواع اللوم ، النفس اللوامة، النفس التي تعاتب صاحبها على التقصير في الخير وعلى إتيان الشر يكون فيه نوع يبقى معه وإن ضعف إيمانه

وإن سفل في الدرجة من درجات الإيمان لكنه لا ينعدم فيه حياءٌ قليل فإن المؤمن لا بد يكون فيه شيء من الخير إلا يكون منافق عدم الإيمان من قلبه كحال المنافقين فإنهم لا يتدبرون مهما تتلى عليهم الآيات ولذلك أنظر سورة البقرة لمّا ربّ العالمين وصف لنا هؤلاء أول صفة للمنافقين أنا الله عز وجل نفى عنهم الإيمان، قال ربنا عز وجل { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ } [البقرة: 8]

كان محمد بن سرين رحمه الله يقول إذا قرأ هذه الآية: " لم يكن عِنْدهم أخوف من هَذِه الْآيَة ". كان السلف كثير يخاف من هذه الآية.

فأنت كم مرة قرأت هذه الآية؟ هل خفت على نفسك؟ هنا تعرف التدبر، بحسبك ثم استفاض القرآن في ثلاثة عشرة صفة حررت النفاق أسماءً وأحكامًا وأصولاً وأركانًا وبينت موجباته وأحواله فربنا سبحانه وتعالى ضرب لهم مثالين ناري ومائي، في المثال الناري قال ربنا عز وجل { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا } [البقرة: 17]، والمثال المائي قال عز وجل { أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ } الصيب هو المطر، { فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ } حال المنافقين، { يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ } هذا حال المنافق مع سماع الحجج التي تزعجه يعني تقلقله فإنه يعرض عنها لذلك مقام الإعراض مقام نفاق ، الإعراض عن ماذا؟ عن مقتضى العمل، هو لو تأتيه تقول له منافق ما حكم كذا يقول لك حرام ما حكم كذا يقول لك كفر أين العمل؟ لا يوجد كما قال حذيفة رضي الله عنه فيما رواه الفريابي في صفة النفاق وذم المنافقين (ص110) قال: " الَّذِي يَصِفُ الْإِسْلَامَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ ". يعني هو يعلم لكن لا يعمل والحاجز من العمل هو عدم التدبر، ولذلك قال أبو الدرداء رضي الله عنه : " تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ ". لأن التفكر هذا لو رسخ في قلب العبد وتدبر فإنه يكون له حاجز عن أمور كثيرة جدًا ينفعه الله رب العالمين بها لذلك في موضعين توبيخ وتقريع للمنافق.

في موضع آخر توبيخ للمشركين فقال ربنا عز وجل { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ } [المؤمنون: 68] مع أنهم أهل عربية وأصحاب لسان وهم يعني أساطين في باب اللغة ومع ذلك ما تدبروا، ليس لأنهم لم يفهموا يعني لم يعلموا الذي يدعون إليه بل بالعكس كانوا يصفون ويشرحون دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبو سفيان رضي الله عنه لما سأله هرقل وكان أبو سفيان إذ ذاك كان مشركا بعد ذلك أسلم رضي الله عنه سأله هرقل عن دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوصفها كما هي حتى أتباعه ، يعرف كل شيء في الدعوة يعني فهمان الوضع.

نفس الشيء عمرو بن عاصي رضي الله عنه لما وصف للنجاشي رضي الله عنه ما عليه الصحابة فوصف له الدين كله، سبحان الله فالمقصود أن الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل يقول ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾ هذا باب الإعراض، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمد: 16] بعدين جاءت الآية، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: 24].

الموضع الرابع قال ربنا عز وجل ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: 29] هذه الحكمة من التنزيل هو التدبر أو التأمل أو التفكر هذه كلها صيغة واحدة ولذلك في حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه بن حبان في صحيحه (7/ 722): " ... فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: 190]، الآيَةَ كُلَّهَا ".

قال الله عز وجل ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران 190 - 191] هذا التفكر في الآيات الكونية المخلوقة الشمس والقمر والسماء والأرض وفي تفكر في الآيات الشرعية وهي وحي الله عز وجل هذه تهدي إلى الله سبحانه وتعالى فكلما العبد تفكر ونظر وكان السلف كما جاء عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رحمه الله قَالَ: " قُلْتُ لِأُمِّ الدَّرْدَاءِ: أَيُّ عِبَادَةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ كَانَ أَكْثَرَ؟ قَالَتْ: التَّفَكُّرُ وَالِاعْتِبَارُ ".

ليس التفكر الذي فهمه بعد ذلك الصوفية تأثرًا ببعض الفلسفات الهندية، فلسفات اليوغا وهو أنه يقف مقابل الشمس ويجعل عينه للشمس أو يدخل البحر أو نحو ذلك ويرفع رأسه ويجلس بشكل هكذا حتى بعض الناس صار يجعلها من علاج النفسي واليوغا هذه شركية هذا من وضع بوذا الملحد وضعها لهم، وبوذا كان قبل المسيح عليه السلام المهم الشاهد هو ملحد ولذلك هذه الديانة البوذية وتتقاطع مع كثير من الهندوسية هذه الديانة هي خرجت لنا وحدة الوجود وفي تشابه كبير بينه وبين النصارى يعني في قضية الحلول والاتحاد وبعدين قضية أن بوذا ولد من أم بلا أب يعني في تشابه كبير في الاعتقاد في بوذا وخرج وحدة الوجود وخرج اليوغا وهذه بعض الناس إلى اليوم في جماعة التنمية البشرية وغيرها

يقولوا هذه داخلة في العلاج النفسي وهي علاج وثني مبني على وثنيات وعلى أن الكون كله هو الله وهذه الأشياء ليس لها حقائق والعياذ بالله عز وجل عما يقولون علوا كبيرا.

لكن التفكر المقصود به كما قال أيوب السختياني رحمه الله: " **كانوا إذا خلو نظروا في المصحف** ". يعني أكثر عمل السلف إذا خلو يفتحوا المصحف وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان ينشر المصحف إلى أصحابه هكذا ويقول لهم يعني في معنى كلامه أخرجوا آيات الرجاء هذا هو التدبر هو المعنى معروف لو أقول لك ما هو الرجاء؟ تقول الرجاء هو طمع في فضل الله ورحمته هذا التفسير لكن التدبر أين الآيات التي تشير إلى هذا المعنى ولذلك سيأتي معنا أنه في القرآن مواضيع الذي هو ما يسمى بعد ذلك بالتفسير الموضوعي آية تأمرك، آية تنهاك، آية تبشرك، آية تنذرك وهكذا، يعني في موضوعات فأنت لما تأتي إلى آيات الأمر وآيات النهي وآيات التبشير هذها هو التدبر ولذلك ربنا عز وجل سمى كتابه { مَّثَانِيَ } أنه يثنى شيء على شيء يعني يجمل في موضع ويفسر في موضع وهكذا.

لذلك ما يتعلق بالعلوم القرآن من جهة المعنى هو التفسير وهذا قائم على المأثور المنقول ثم ينبثق عن ذلك التفسير بالمأثور التدبر.

ضابط التدبر أن يكون لتأكيد المعاني وليس لتأسيس المعاني، يعني من يتدبر في القرآن هو يتدبر يؤكد معاني لا أنه ينشئ معاني جديدة للقرآن كما هو حال كثير من الزنادقة ممن تجرؤوا على تفسير القرآن أنهم ذهبوا لتفسير القرآن وبدأوا يحدثون معاني باسم التدبر وهم لا يقولون تدبر الشعراوي يسميها خواطر يعني فتق الكلام في القرآن بالعامية وهو يظن نفسه يتدبر وهو تدبر الشعراوي هو قائم على اللغة المحضة لغة الزمخشري طبعا ليست اللغة الفصيحة.

ومع ذلك الأئمة رحمة الله تبارك وتعالى عليهم عدوا الكلام في القرآن بمجرد اللغة وقواعد اللغة ضرب من القول بالرأي ولذلك الإمام أحمد رحمه الله نهى الإمام أبو عبيد رحمه الله عن هذا، وذُم أبو عبيدة صاحب كتاب " مجاز القرآن" بمثل هذا لما جرد الكلام في القرآن من غير آثار، ونهى عن هذا عبد الله بن المبارك رحمه الله الكسائي وقال: " **وَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَةً لَمْ يَقْرَأْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ مِنَ الْقُرَّاءِ فَاحْتَمَلَهَا عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى النَّحْوِ فَأَكْرَهُهُ** ". ولذلك حتى السلف قولهم: " **وَإِذَا الْتَبَسَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَالْتَمِسُوهُ مِنَ الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ** ".

هذا كتفسير غريب الكتاب مما لم يرد به أثر يعني تكون اللغة من باب المساعدة وليس من باب الإنشاء.

لذلك الذي يتدبر في القرآن وقد فتح الباب وصار أهل زماننا عندهم جرأة كبيرة على هذا الباب، إنما الذي يتدبر أولا يجب عليه أن يضبط التفسير بالمأثور، لا بد يضبط معنى الآية لأنه بعضهم مرات يتدبر في معنى لم يقل به أحد بمعنى أن المعنى الذي يقوله من باب التفسير ولا أحد من أهل العلم قال به وهؤلاء أصناف منهم قصاص ووعاظ وأقوال سيد قطب في كتابه " ظلال القرآن " في التفسير من هذا الضرب يدخل في التفسير بالرأي المذموم، لماذا؟ لأنه بناه على تفسيرات المعطلة والجهمية في باب الصفات ووحدة الوجود وعنده حتى عقد التفسير المادي الماركسي للإسلام في قضية العدالة الاجتماعية وقضية الحضارة والغاية هي وجود دولة وصورة الدولة هي الدولة المتحضرة، الدولة التي تخدم الإنسان هذه فكرة ماركس، هذا يفسر القرآن تفسيرًا ماركسيًا ويتدبر فيه وفق منظومة ماركس وكثير من الناس هكذا، حتى تجد أناس لما يأتي يدعون ورأينا في هذا عجبًا وسمعنا عجبًا فأحد هؤلاء مرة وهو يتدبر قال وسأقول لكم قولا لا أحسب أحد يقول به وهو الآن يمهد قال قوله عز وجل { إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ } [الذاريات: 8] فقال القول المختلف هما يعني جاء القرآن مختلفًا عما اعتادت العرب من الخطاب وهذا زنديق من الزنادقة وطبعا هذا القول لم يقل به أحد بل تفسيره كما قال قتادة: " مُصَدِّقٌ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَمُكَذِّبٌ بِهِ ". يعني ليس المعنى الذي قال هذا الزنديق، { مُّخْتَلِفٍ } هو فهمها أن الاختلاف بمعنى أننا نقول هذا أمر مختلف في عرفنا نقول هذا شيء مختلف يعني شيء غير الأول ، طبعا هذا ليس هو اللسان حتى من جهة اللغة وغالب الذي يتدبر من هذا النوع هم أساتذة للغة العربية فالشعراوي كان أستاذا للبلاغة الأشعرية في جامعة الأزهر وكان مدمن على التدخين ولذلك تجده دائما يكح كحة غريبة هذا تدخين كبير، وهذا المغامسي كان أستاذ لغة عربية ولذلك هم يظنون بمجرد العربية تستطيع أنك تفسر القرآن وهذا لم يقل به أحد حتى العربية التي يقصدونها هي عربية المتأخرين ونحن اللغة العربية عندنا فيها بحث كبير ولذلك أئمة اللغة الذين كانوا بجدارة أئمة فيها كانوا يتهيؤون التفسير فهذا الأصمعي رحمه الله يقول: " أستطيع أفسر ". وما كان يفسر آية واحدة، والخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله كذلك، أبو عمر بن العلاء إمام من أئمة النحو وكان يهاب التفسير ويهاب أن يتكلم إلا بشيء قد سمعه هؤلاء أئمة اللغة ليس شخص دارس مقدمة " الآجرومية " ودارس " قطر الندى " ويأتي ويقول أنا أفسر القرآن وقليل من البلاغة والجرجاني وكذا وخلاص ويقول لك أنا أستطيع أفسر القرآن فهذا هو فتح باب الرأي ولذلك أحدثوا أراء.

فمثلا الشعراوي الزنديق يستهزئ في تفسيره كلام الله عز وجل أخزاه الله ولعنه حتى أنه ينكر عذاب

القبر ويقول أنه عذاب نفساني فقط أخزاه الله وينكر كثير من الحقائق ويستدل بالقرآن، فلو أنك تنظر في تفاسير السلف تجد في أقوال هو مخالف لها تماما فنحن عندنا في التفسير قالوا بعض المقالات التي هي أحدثت شيء من الشذوذ هجرت تخيل أئمة في التفسير الحسن البصري رحمه الله أكثر تابعي هجرت له مقالات بعينها لما خالف المتقدمين، الحسن البصري رحمه الله الذي هو إمام من أئمة الإقراء وهو الذي رضع من أم سلمة رضي الله عنها يعني رضع من بيت النبوة ومع ذلك له أقوال بعينها مشهورة في التفسير هجرت ولم يؤخذ بقول الحسن رحمه الله فيها لأنه خالف من تقدم مثل أن إبليس ليس من الملائكة وفي قول الله عز وجل ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ [الأعراف: 190] أنه ليس آدم وحواء يعني أقوال بعينها هجرت ولا أحد قال بها لأنها مخالفة لمن تقدم، مجاهد بن جبر رحمه الله نفس الشيء إمام من أئمة التفسير عرض القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث مرات لما خالف في جزئية المسخ أنه مسخ معنوي وليس مسخ حسيًا في قوله عز وجل ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة: 65] كان قوله شاذ مهجور ولا أحد قال بقول مجاهد رحمه الله لأنه من تقدم كلهم على خلاف قول مجاهد.

فمقصودي هنا حتى تفهموا فقط أن القضية مهمة جدا أنه التدبر الذي يأتي به بعض الناس يقيمونه على تفسير خلفي، فمثلا شخص يقول أنا أريد أن أتدبر القرآن نقول له طيب ما شاء الله تدبر لكن أين التفسير الذي ستعتمده لكي تفهم المعنى الذي من وفقه أنك تتدبر وتتفكر ونحو ذلك.

هو التفكر عند السلف هو ربط الآيات بالموضوعات كما سيأتي معنا في كلام إدريس الخولاني رحمه الله وهي كلمة لأبي الدرداء رضي الله عنه هي ربط الآيات بالموضوعات، مثلا إذا قلت لك قول الله عز وجل ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ﴾ [البقرة: 229] تقول لي هذه آيات أحكام هذا نوع من التدبر أنك فقهت هذا الموضوع، أقول لك مثلا قول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ [الجمعة: 9] تقول لي هذه فيها أحكام الجمعة، آية أمر ومثلا قوله عز وجل ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [الحشر: 22] تقول لي هذه خبر، وقوله أيضا ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾ [يس: 55] تقول لي هذه من آيات الوعد والترغيب والتبشير وهكذا، فعندك ربط بالموضوعات وهذا من باب التدبر عند السلف.

ثم ربط الأسماء الحسنى بالآيات يعني ختام كل آية فيها أسماء حسنى، فدائما تجد مناسبة بين موضوع الآية وما تختم به من أسماء الله الحسنى ﷻ وهذا رد على المفوضة بقولهم أن صفات ليس لها معاني، بماذا نرد عليهم؟ نقول لهم مما يدل على أن الأسماء والصفات لها معاني أن الله تبارك وتعالى جعل الأسماء في مقامات مناسبة للأحكام أو الآيات؛ لما يقول ربنا تبارك وتعالى ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 226 - 227] يعني ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وبعدها ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ فتجد الأسباب فيها مناسبة لأن الطلاق يتعلق بالظاهر ويتعلق بالباطن، ففي الظاهر أن الله سميع يسمع ألفاظنا فالمؤمن يراقب نفسه ولا يعجل فلذلك رب العالمين تبارك وتعالى قال ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾ في آيات الطلاق والله هنا عظم الأمر فهو ليس أمر سهل، ثم قال ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 231] وهذا تعلق بالباطن فالسمع للظاهر والعلم للباطن، ففي ناس تطلق آلاف المرات وبعدين يقول لك أنا لم أطلق فالقاضي يحكم بالظاهر لكن في الباطن الله عليم بأنك طلقت وعليم أنك قلت كذا وكذا فيجزيك على باطنك مهما كان ظاهرك وهكذا، فهذا هو التدبر حقيقة وهو ربطك بأصل التفسير أنت ما ربطها بشيء مجهول أو شيء غير مأثور أو نحو هذا الباب لذلك التدبر مبني على التفسير.

فالتدبر يفيدك في أن ربط القرآن بكل واقع يتنزل فيه والسلف عملوها وفعلوها ولذلك سيأتي معنا في أسباب النزول في تفسير بن أبي حاتم رحمه الله أنه أسباب النزول قسمان:

سبب نزول مباشر: مثل آية ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: 1] نزلت في خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها لما كانت تشكي في زوجها أوس بن الصامت رضي الله عنه فهذا يسمى النزول المباشر يعني سبب نزول مباشر فهذه الآية سبب نزولها هذا الموقع، فالسبب النزول المباشر هو ما تعلق لفظ الآية بشخص التي هي المجادلة ويشمل غيرهم بدلالة المعنى الذي هو العموم المعنوي وسيأتي معنا في موضعه إن شاء الله.

سبب نزول غير مباشر: مثلا قول الله ﷻ ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: 78 - 79] هنا لو سألت سائل نقول له ما سبب نزول الآية ؟ تذهب

لابن مسعود رضي الله عنه وغيرهم من الصحابة يقول سبب نزول الآية كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه : " إنّ أول ما دخلَ النقصُ على بني إسرائيل كان الرجلُ يَلْقى الرجلَ فيقولُ له: يا هذا، اتقِ اللهَ، ودَعْ ما تَصْنَعُ؛ فإنّه لا يَحِلُّ لك. ثم يَلْقاه من الغد، فلا يَمْنَعُه ذلك أن يكونَ أكيلَه وشريبَه وقعيدَه، فلمّا فعَلوا ذلك ضرَب الله قلوبَ بعضِهم ببعضٍ ". يعني تميع ومداهنة هذا يسمى سبب نزول مباشر أو تعلق بواقع معين.

طيب؛ لو قال شخص قال هذه الآية مثلا وأنا أتكلم لك على سبب نزول غير مباشر أقول لك هذه الآية فيها الرد على دعاة الحرية يقول لي قائل أنت تتقول القرآن نقول له لا هذا التدبر لأنه تعلق المعنى بعلة والعلة إيش؟ أنه أنت لا تنكر علي وأنا لا أنكر عليك وهذه حقيقة الحرية المزعومة فالشيء الذي سماه رب العالمين موجب للعنات عند القوم هو موجب للحريات والإحترام ونحو ذلك.

ما هو الشي الموجب للعنات؟ الموجب للعنات أنك تسكت على المنكر وانت قادر على إنكاره أقل شيء كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه : " إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَنَضْحَكُ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّ قُلُوبَنَا تَلْعَنُهُمْ ".

وكما قال ابن مسعود رضي الله عنه : " إذا لقِيت الْكَافِر فالقه بِوَجْه مكفهر ". أقل شيء أن يرى الله النكر في قلبك ونحو هذا ؛ فأنت لما تتكلم في هذا الباب أنت تتكلم عن باب التدبر يعني ما تعلق بمعنى الآية، مدلول الآية لكن الذين يتدبرون ممن هم من الخالفين أفسدوا هذا الباب لأن تدبرهم لا يكون مبني على معنى في الآية دائما يكون مبنيا على اعتقادات فهموها من الآية، اعتقادات مسبقة أصلا فمن جانب تجده جهمي زنديق مثلا الزمخشري في قوله عز وجل { فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ } [المؤمنون: 14] ، { ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ } [الزمر: 62] ويدخل فيه القرآن على أن القرآن مخلوق والعياذ بالله ففهمه وتدبره مبني على عقيدة عنده والخارجي نفس الشيء، القدري نفس الشيء، كل مبتدع إلا ويخاصم بالمتشابه إلا عنده شيء متشابه يتبعه ويزعم أنه يقوي حجته، ولذلك ربنا تبارك وتعالى بيَّن أن الاعتقاد الفاسد سابق عن النظر في النص { فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ } [آل عمران: 7] هو أصلا زائغ بعقيدة ثم جاء إلى القرآن ويتتبع منه ما يوافق هواه فيلوي عنق النصوص لتتبع هواه، هذا هو تدبر أهل البدع ولذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما قال له الخوارج لا حكم إلا لله قال: " كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ لَكُمْ ".

فممكن كثير من الناس يقول لك كلام حق وكلام الله حق لكن أراد تنزيلا بها باطلا وهذا طريق أهل البدع.

وجاء في **تفسير الطبري (9/ 148):** عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمُغِيرَةِ، عَنِ ابْنِ أَبْزَى، قَالَ: " جَاءَهُ رَجُلٌ

مِنَ الْخَوَارِجِ يَقْرَأُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } [الأنعام: 1] ، قَالَ لَهُ: أَلَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: وَانْصَرَفَ عَنْهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا ابْنَ أَبْزَى، إِنَّ هَذَا قَدْ أَرَادَ تَفْسِيرَ هَذِهِ غَيْرَ هَذَا، إِنَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ، فَقَالَ: رُدُّوهُ عَلَيَّ، فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ: هَلْ تَدْرِي فِيمَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، اذْهَبْ وَلَا تَضَعْهَا عَلَى غَيْرِ حَدِّهَا ".

لماذا؟ لأنه ممكن إنسان تعطيه معنى حق وتفسير حق لكن هو عنده فهم خاص استباقي أو اعتقاد سابق للنظر في النص وهذه طريقة أهل الباطل من قديم وحديث.

لذلك الموجودين اليوم باسم التدبر تجدهم أصلا سابق اعتقاد فشخص عنده اعتقاد أنه المسلم إذا وقع في الشرك يكون مسلمًا هذا اعتقاد سابق، ينظر في النصوص { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا } [الإسراء: 15] ، { وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ } [التوبة: 115] ويأتيك بآيات فأنت تنظر وتتأمل تقول له هذا الذي تقوله أنت من فهمه بفهمك أنت، هل في أحد من السلف على مَر ما نقرأ وندرس من تفسير مأثور مر بقوله عز وجل { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا } [الإسراء: 15] قال أنه لو أن شخص كان مسلم ثم أشرك بالله رب العالمين وجحده أنه يكون معذورًا ؟! ما أحد قال هذا؛ إذا هو استنباط ليس مبني على عقيدة سلفية ولكن مبني على عقيدة جاحظية وهذا كثير من الناس تدبرهم هكذا.

في ناس آخرين تدبره مبني على نظريات علمية وهؤلاء جماعة الإعجاز فيذهب وينظر عند الغرب إيش آخر شيء وصلوا إليه، قال الغرب يقولون الأرض تدور وكروية الشكل فهو عنده نظرية قطعية الدلالة، قطعية الثبوت مع أنهم هم في أنفسهم متشاكسون فيأتي ويلوي عنق النصوص فمثلا يأتي عند قول الله عز وجل { يُكَوِّرُ } [الزمر:5] يقول معناها: كرة .

سبحان الله!! يعني حتى كور العمامة ليس كرة يعني كور العمامة، لفة العمامة تسمى كورًا في اللغة هل في أحد لما نقول له كور العمامة يتخيل شخص أنه واضع فوق رأسه كرة؟! هذه ليست عمامة، فالعمامة تجدها مكورة ولها قاعدة هذه هي العمامة فليس معنى التكوير بمعنى كرة كما يصوروها أن الأرض كرة في فلك دوار ليس لها قرار ولا استقرار فهذا إلحاد والعياذ بالله، هذا مبني على نظريات علمية يقول لك الغرب وكذا وصل ونظريات قوية ما يمكن أننا نعارضها، فنقول له ليش ما يمكن أنك تعارضها؟!

وشخص آخر يأتي إلى ناشيونال جيوغرافيك وينظر ويخرجوا له حفرية من تحت الأرض ويقولوا له

هذه منذ ملايير السنين. فنقول لهم كذبتم أخزاكم الله، كذابين ما في ملايير السنين ولا حتى ملايين السنين فهؤلاء يصدقون هذه النظريات وترى هذه كثيرة جدا وبنوا عليها المسمى بالإعجاز العلمي وهؤلاء أفسدوا في تفسير القرآن والتدبر.

وآخرون صاروا يقولون نظرية دارون ممكن لها أصل واختلفوا، صنف مثل القرضاوي يقول لا نسميها نظرية التطور بل نسميها التطوير، طيب وماذا نصنع بالموجود في القرآن؟! كيفية خلق الإنسان فيقول لك لا هذا يؤول ورجعوا إلى عقيدة ابن سينا في التخييل أن هذه رموز والعياذ بالله.

فلكل هكذا الباب عندهم ليس عنده إشكال مع النظرية الإلحادية يقول لك خلاص النظرية أصبحت واقع علمي مع أنها كذب وزيف بل دارون نفسه صاحب النظرية رجع عنها وقال أنا أكذب بمعنى كلامه، عرفوه أنه كذاب.

هذا كله يعني كل يفسر القرآن ويتدبره وفق منظومة ملحدة وهذا الذي ذكرته عن سيد قطب مثلا في مسألة الحاكمية بالذات التي هي مسألة محور قطب.

فقطب عنده الحكم والتحاكم فهمه له فهم غنوصي يعني فيه باطنية ونظرية الأخلاق عنده الأخلاق الكانطية ومعروف هذا عن قطب ويفسر التفسير المادي للإسلام أنه الإسلام جاء لِيُجْعَل الفردوس الأرضي وهذا كذب ليس صحيحا.

فمقصودي من البحث هذا كله أننا لا بد نفهم أن باب التدبر موجود عن السلف وفي كلامهم من الرقائق والدقائق في علوم كلام الله عز وجل ما يقف عنده العبد فيستمتع وكان السلف يتدبرون يقول ابن مسعود رضي الله عنه : " آلُ حم دِيبَاجُ الْقُرْآنِ ". وقال أيضا: " إِذَا وَقَعْتُ فِي آلِ حم وَقَعْتُ فِي رَوْضَاتٍ دَمِثَاتٍ أَتَأَنَّقُ فِيهِنَّ ".

وتقسيم القرآن يدل على أنه في تدبر السبع الطوال وبعدين المثاني والمفصل لكن هؤلاء (كل أهل البدع) غلو بالشكل الذي ذكرناه؛ أما أنت كسلفي سني أثري إن أردت أن تُرزق في هذا الباب:

أولا: لا بد لك أن تضبط باب التفسير أي التفسير المأثور حتى تخرج من القول بالرأي لأنه من قال في القرآن برأيه وهذا الرأي المجرد فالرأي إما يكون مبني على اعتقاد والسلف يسمون الاعتقاد الفاسد رأي كما قال علي بن المديني رحمه الله في بعض الرواة لما سئل عنهم قال: " ثقة أما في الرأي فلا ". يقصد في الاعتقاد يعني لم يكن ثقة وسمي أهل البدع أهل رأي وأهل أهواء وآراء فهذا هو اعتقادهم الفاسد.

الاعتقاد الفاسد إن فُهِمَ به القرآن فهو قول على الله بلا علم ويدخل فيه أيضا أي القول بالرأي يدخل

فيه القول المجرد عن الأثر فكان من يقول بمقتضى اللغة أو بمقتضى الظاهر العام من غير نظر فيما يفسره من السنن والأخبار أيضا هذا يدخل في القول بالرأي.

فليحذر الإنسان أن يقول في كلام الله عز وجل ما لا يعلم ولقد كان السلف يتهيبون هذا الباب كما قال الشعبي رحمه الله: " وَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا، وَلَكِنَّهَا الرِّوَايَةُ عَنِ اللَّهِ ". فالقائل في التفسير لا ينتهي كذبه دون الله.

وجاء عَنِ ابْنِ سِيرِينَ رحمه الله، قَالَ: " سَأَلْتُ عَبِيدَةَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ، وَعَلَيْكَ بِالسَّدَادِ، فَقَدْ ذَهَبَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ فِيمَ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ ".

وجاء عن يَزِيدُ بْنُ أَبِي يَزِيدَ رحمه الله، قَالَ: " كُنَّا نَسْأَلُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ، وَإِذَا سَأَلْنَاهُ عَنْ تَفْسِيرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، سَكَتَ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْ ". تهيبًا وتعظيمًا أن يقول في كلام الله ما لا يعلم.

والآثار المرسلة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: " أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، أَوْ أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِنْ أَنَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ؟ ".

وجاء عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : " أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، قَرَأَ عَلَى الْمِنْبَرِ { وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا } [عبس: 31] فَقَالَ: هَذِهِ الْفَاكِهَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا، فَمَا الْأَبُّ؟ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ يَا عُمَرُ ".

هكذا أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ هؤلاء سمعوا القرآن وعلموه وفهموه وشاهدوا التنزيل وعلموا التأويل وكانوا من أعظم الناس تهيبًا أن يقولوا في كلام الله بلا علم.

لذلك عمر بن الخطاب صلى الله عليه وآله وسلم قال: " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، فَلَا أَعْرِفَنَّكُمْ فِيمَا عَطَفْتُمُوهُ عَلَى أَهْوَائِكُمْ ".

يعني لا تربط القرآن بهوى معين خارجي يفسر القرآن بتفسير الخوارج ، قدري يفسر القرآن بتفسير قدري وهكذا طريق هؤلاء لأن التفسير عندهم يصحب الاعتقاد وانظروا التفاسير الموجودة أي تفسير معاصر خذه معك من المتأخرين إلا من رحم الله كلهم رابط وعاطف القرآن بهواه فالمعتزلي يفسر تفسير المعتزلة، الأشعري يفسر تفسير الأشاعرة وهذا كثير مثل " تفسير القرطبي " و " تفسير الجلالين " وهذه تفسير مشهورة وهي تفسير الجهمية فيها إلا تحريف الصفات و " تفسير البغوي " وهو تابع للأشعرية المتقدمين

كلابي فقط في سورة الفاتحة وأوائل البقرة عنده تقريب عشرة تحريفات وهو يسميه تأويل يحرف الآية جهمية ، الرافضي يفسر كـ " تفسير القمي " مثلا يفسر لك القرآن تفسيرًا رافضيًا وهكذا.

والسلامة كل السلامة فيمن أسند لك التفسير ونقله لك كابر عن كابر وإمام عن إمام حتى لا يقال في كلام الله ما لا علم لنا فيه؛ لذلك جاء الوعيد كما يورده المصنف رحمه الله فيمن قال في القرآن برأيه أي من قاله من غير ما تثبت ولا دراية قال: " بابا فِيمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ ". نسأل الله السلامة والعافية.

هذا يستفاد منه كراه التفسير بغير علم يعني إذا لم يكن لك علم في الآية فلا تتكلم وهذا يُشعر إليه تبويب بن أبي شيبة رحمه الله على هذا الحديث لما بوب عليه قال: " مَنْ كَرِهَ أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ ".

وأورد في كتابه " فضائل القرآن " آثارا في هذا المعنى وأن السلف كانوا يكرهون أن يتكلموا في القرآن وهذا يُحمل أي بالرأي المجرد مع أنهم كانوا أئمة لغة يستطيعون أن يتكلموا باللغة لكن لا، لابد يسمع يعني يكون في شيء مسموع ينبني عليه أصل كما جاء في مصنف ابن أبي شيبة **(6/ 136)**: عَنِ الشَّعْبِيِّ رحمه الله قَالَ: " أَدْرَكْتُ أَصْحَابَ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَصْحَابَ عَلِيٍّ وَلَيْسَ هُمْ لِشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ أَكْرَهُ مِنْهُمْ لِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ ".

وجاء عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ رحمه الله، قَالَ: " سَأَلْتُ طَاوُسًا عَنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ { شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ } [المائدة: 106] فَأَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ، حَتَّى قِيلَ هَذَا ابْنُ حَبِيبٍ، كَرَاهِيَةً لِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ".

وهذا الفصل أورد فيه يعني ما يستلذ ويطاب ويدرع كل متجرد على كلام الله بلا علم كما جاء عن أبي وائل وهذه يجب أن نتعلمها ونتدبرها: " كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: قَدْ أَصَابَ اللَّهُ مَا أَرَادَ ". يعني فيما أراد سبحانه وبحمده وتبارك اسمه وتعالى جده، هذا لا بد ننتبه انتباها مهما.

قال عبد الرزاق: نا الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه (وروي موقوفا من ابن عباس رضي الله عنه هذه القول) ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم : " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ ...".

وفي بعض الروايات: " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ".

وهذا يبين لك أن المقصود " بِرَأْيِهِ " أي من غير علم وسنبين جهة العلم بالقرآن حال التفسير.

قال: " فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ". وهذا وعيد شديد، سبحان الله " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ ...".

يعني يقول بقول لم يسبق إليه كما سنبينه هذا القول بالرأي يعني ليس فيه أثر ليس فيه جهة علم وجهة تلقي العلم كما قال الشافعي رحمه الله في الأم للشافعي (1/ 179): " وَالْعِلْمُ مِنْ وَجْهَيْنِ اتِّبَاعٌ، أَوْ اسْتِنْبَاطٌ وَالِاتِّبَاعُ اتِّبَاعُ كِتَابٍ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَسُنَّةٌ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَقَوْلِ عَامَّةٍ مِنْ سَلَفِنَا لَا نَعْلَمُ لَهُ مُخَالِفًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيَاسٍ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيَاسٍ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيَاسٍ عَلَى قَوْلِ عَامَّةٍ مِنْ سَلَفٍ لَا مُخَالِفَ لَهُ وَلَا يَجُوزُ الْقَوْلُ إلَّا بِالْقِيَاسِ وَإِذَا قَاسَ مَنْ لَهُ الْقِيَاسُ فَاخْتَلَفُوا وَسِعَ كُلًّا أَنْ يَقُولَ بِمَبْلَغِ اجْتِهَادِهِ وَلَمْ يَسَعْهُ اتِّبَاعُ غَيْرِهِ فِيمَا أَدَّى إلَيْهِ اجْتِهَادُهُ بِخِلَافِهِ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ ".

يعني جهة العلم أي العلم المتبع الكتاب والسنة والإجماع وأقوال الصحابة رضي الله عنهم .

بل جاء في بعض الآثار: " من قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فقد أخطأ وَإِن أصاب ". يعني ممكن الإنسان يصيب معنى صحيح لكنه وإن أصاب أي فيما يذهب إليه فهو مخطئ من جهة أنه لم يعتمد العلم الذي جاء به أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطبعا هو لما يصيب لا يصيب المعنى الحقيقي الموجب للفضل؛ انتبه حتى لو أصاب ليس الإصابة التامة لأن الإصابة التامة لا تكون إلا على طريقة العلم ممكن يصل إلى نتيجة صحيحة من وجه يعني أصاب كما يقال نسبيا ليست تامة لأن الكمال والتمام في حقيقة العلم لا يكون إلا من جهة النص والدليل.

قال عبد الرزاق: نا الثَّوْرِيُّ، عَنْ شَيْخٍ لَهُمْ عَنِ الشَّعْبِيِّ رحمه الله قَالَ: " لَئِنْ أَكْذِبُ مِائَةَ كَذِبَةً عَلَى مُحَمَّدٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ فِي الْقُرْآنِ كَذِبَةً، إِنَّمَا يُفْضِي الْكَاذِبُ فِي الْقُرْآنِ إِلَى اللَّهِ ".

والشعبي رحمه الله كلامه كثير في هذا الباب وكان هذا الإسناد فيه مجهول لكن كلامه كثير بإسناد صحيح جاء عنه النهي عن التفسير بالرأي حتى قِيلَ لَهُ إِنَّ إِسْمَاعِيلَ السُّدِّيَّ قَدْ أُعْطِيَ حَظًّا مِنْ عِلْمِ الْقُرْآنِ قَالَ: " إِنَّ إِسْمَاعِيلَ قَدْ أُعْطِيَ حَظًّا مِنْ جَهْلٍ بِالْقُرْآنِ ".

وكان ينكر عليه الشعبي رحمه الله يعني حتى لا يتجرأ الناس فكيف بزماننا مع أن السدي رحمه الله استحسن تفسيره إبراهيم النخعي رحمه الله وقال: " أَمَا إِنَّهُ يُفَسِّرُ تَفْسِيرَ الْقَوْمِ ".

يعني قريب من تفسير السلف فكيف لو سمعوا من يمسك المصحف ومجرد البلاغة الأشعرية ويفسر فالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الشعبي رحمه الله: " لَئِنْ أَكْذِبُ مِائَةَ كَذِبَةً عَلَى مُحَمَّدٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ فِي الْقُرْآنِ كَذِبَةً، (يعني الكذب على الله عز وجل، قال الله عز وجل { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا } [الأنعام: 144] أي لا أحد أظلم منه ؛ فالقول على الله بلا علم من الذنوب العظام { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: 33]، وقال سبحانه وتعالى { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا } [الإسراء: 36]) إِنَّمَا يُفْضِي الْكَاذِبُ فِي الْقُرْآنِ إِلَى اللَّهِ ".

قال عبد الرزاق: نا الثَّوْرِيُّ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه **(وهذا يروى عن بن عباس بأسانيد لا تثبت منقطعة وفي أسانيدها مقال لكن معناه صحيح)**: " تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ عَلَى أَرْبَعَةِ وُجُوهٍ (هذا من حيث إدراكه الذي هو علم القرآن إما يكون علم عامة أو علم خاصة هذا المقصود يعني من حيث إدراك المعاني): تَفْسِيرٌ تَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ يَقُولُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، مَنِ ادَّعَى عِلْمَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ ". هذه أحوال التفسير من حيث تعلقه بالناس من حيث إدراك المعاني.

إدراك معاني القرآن إما يكون المعنى لا يدركه إلا العالم وهذا علم الخاصة، لذلك فيه علم خاصة وفيه علم عامة؛ علم العامة الذي عبر عنه فقال: " لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ ". هذا علم العامة وهنا مثل بالحلال والحرام لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ ". هذا يعرفه كل الناس، الشيء الظاهر عند كل الناس ظاهر وأعظمه توحيد الله سبحانه وتعالى.

وفيه علم خاصة وهو نوعان:

علم يعلمه أهل العلم: يعني أهل الشريعة على مستويات وهذا يتعلق بالأحكام الخاصة أحكام بعض أنواع من الميراث وأحكام الطلاق وأشياء معينة يعرفها العلماء وحتى في بعض مسائل الاعتقاد في بعض علوم الخاصة يعرفها العلماء والجاهل يعذر فيها حتى يبلغه النص كبعض الصفات

السمعية ونحو لك.

علم تعرفه العرب من لغتها: يعني أصحاب اللسان يعرفونه لأن الحقائق نوعان:

حقائق شرعية: يعني الشرع فرسها كمعنى الإسلام والإيمان والإحسان الشرع شرحها.

حقائق لغوية: يعني راجع المعنى فيها إلى لسان العرب وهذه المعاني اللغوية حقيقتها أنها تطلب ليفهم بها غريب القرآن فيما لم يُبَيَّن علمه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: " **إِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلَمْ يَدْرِ مَا تَفْسِيرُهُ فَلْيَلْتَمِسْهُ فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ** ".

فيحتج أو يستشهد بالشعر على ضوابط وليس كل شعر يحتج به؛ الشعر الذي يحتج به هو الشعر الفصيح المتعلق باللغة الذي يسمونه الشاهد الشعري لأنه في الشعر عندي الشاهد وعندي المثال.

فالشاهد هو الذي تثبت به القاعدة والمثال هو الذي يُؤتى به لتوضيح القاعدة.

يعني إذا أتيت إلى لفظة وقلت لك أن هذه اللفظة معناها كذا ثم آتيك بدليله من كلام العرب فيسمى الذي جئتك به من كلام العرب يسمى شاهدًا لأني أثبت به المعنى.

مثاله: عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " **كان يسأل أصحابه عن معنى قول الله تعالى:** { **أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ** } [النحل: 47]. (يعني عمر رضي الله عنه سأل ما معنى " **التخوف** ") **فيقوم له شيخ من هذيل** (وهذيل من أفصح العرب قبيلة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هؤلاء من أفصح العرب) **فيقول له: هذه لغتنا. التخوف: التنقص. فيقول له عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها. فيقول له نعم، ويروي له قول الشاعر:**

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

فيقول عمر لأصحابه: عليكم بديوانكم لا تضلوا. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فإنّ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم ". [مسائل نافع بن الأزرق = غريب القرآن في شعر العرب (ص19)]. انتهى

وهذا معنى كلام عبد الله بن عباس رضي الله عنه: " **فَلْيَلْتَمِسْهُ فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ** ". كما رواه بن أبي شيبة في " فضائل القرآن ".

وكذلك أيضا جاء في تفسير الطبري (24/ 123): أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ: " **قَالَ اللَّهُ:** { **وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا** } [عبس: 31] **كُلُّ هَذَا قَدْ عَلِمْنَاهُ، فَمَا الْأَبُّ؟ ثُمَّ**

ضَرَبَ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَعَمْرُكَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ، وَاتَّبِعُوا مَا يَتَبَيَّنُ لَكُمْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. قَالَ عُمَرُ: وَمَا يَتَبَيَّنُ فَعَلَيْكُمْ بِهِ، وَمَا لَا فَدَعُوهُ ".

وجاء في المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 604): لما عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل عن هذه الآية قيل له: " وَٱلْأَبُّ نَبْتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ وَلَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ ".

ومن أشهر المسائل في هذا الباب " مسائل نافع بن الأزرق " طبعا هذه تُكلم في إسنادها لكن هي تصلح لهذا الباب في قضية الشواهد؛ فنافع بن الأزرق هذا كان من الخوارج وقدم مع نجدة بن عويمر؛ طبعا قبل أن يفترق النجدات عن الأزارقة كانوا مع بعض خوارج هم صنف من الخوارج وجاءوا لابن عباس رضي الله عنهما يسألونه عن القرآن وكانوا يسألوه ويقولون له أين هذا في شعر العرب؟ وهذه " مسائل نافع بن الأزرق " ذكرها عبد الرزاق رحمه الله في " تفسيره " أسندها من طريق ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: " أَخْبَرَنِي مَنْ، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يُخَاصِمُ نَافِعَ بْنَ الْأَزْرَقِ ". لكن لم يتناول فيها شوهد من الشعر؛ وأشار إليها الطبري في " تفسيره " في مواضع وكذلك بن الأنباري ساقها بسنده وأوردها في شواهد الشعر وهي مطبوعة وحدها هكذا فأسانيدها فيها كلام وعلق منها البخاري في " صحيحه " وكذلك الطبراني روى منها قليلا في " معجمه الكبير " عند كلامه في التفسير ونحو ذلك فهي مشهورة وكان يسأل ابن عباس رضي الله عنهما ويقول له أين هذا في شعر العرب، فابن عباس رضي الله عنهما يسرد له ويقول له ألم تسمع قول فلان ، ألم تسمع إلى قول الشاعر مثلا كما جاء عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ رحمه الله: " أَنَّ نَافِعَ بْنَ الْأَزْرَقِ، سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ { وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا } [مريم: 8] مَا الْعِتِيُّ؟ قَالَ: الْبُؤْسُ مِنَ الْكِبَرِ قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّمَا يُعْذَرُ الْوَلِيدُ وَلَا ... يُعْذَرُ مَنْ كَانَ فِي الزَّمَانِ عِتِيًّا

هذا يسمى بالشاهد؛ كذلك مجاهد بن جبر رحمه الله كان يعتني بالشواهد وفي تفسير قول الله ﷻ { يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ } [الرحمن: 22] قال: " { ٱللُّؤْلُؤُ } عِظَامُ اللُّؤْلُؤِ؛ { وَٱلْمَرْجَانُ } اللُّؤْلُؤ الصغار ".

وهذه فسرها على لغة أهل اليمن ومنه قول جبلة بن عدي الكندي الذي يقال له الذائد:

أذود القوافي عني ذيادا ... ذيادَ غلامٍ تنقى جيادا

وأعزل مرجانها جانبًا ... وآخذ من درها المستجادا

ومجاهد ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " ربما ابن عباس ذكر تفسير الآية واستشهد بشعر ".

ومن ذلك لما قرأ له قوله عز وجل { وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ } [الانشقاق: 17] قَالَ: وَمَا جمع أما سَمِعت قَوْله:

إِنَّ لَنَا قَلَائِصًا نَقَانِقًا ... مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سَائِقًا

كذلك عكرمة استشهد بشواهد من شعر العرب وهذا كله يسمى الشاهد والشاهد تثبت به القاعدة وتُثبت به المعنى أنه هذا المعنى موجود عند العرب، وكما جاء في قوله عز وجل { ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ } [الرحمن: 48] قال عكرمة: ظِلُّ الْأَغْصَانِ عَلَى الْحِيطَانِ قَالَ: وَقَالَ الشَّاعِرُ:

مَا هَاجَ شَوْقَكَ مِنْ هَدِيلِ حَمَامَةٍ ... تَدْعُو عَلَى فَنَنِ الْغُصُونِ حَمَامَا

تَدْعُو أَبَا فَرْخَيْنِ صَادَفَ ضَارِيًا ... ذَا مِخْلَبَيْنِ مِنَ الْقُصُورِ قَطَامَا

وفي قوله عز وجل { فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ } [النازعات: 14] قال عكرمة: السَّاهِرَةُ: الْأَرْضُ وفي لفظ قال: الأرض كلّها ساهرة، أَمَا سَمِعْتَ - قول الشاعر -:

لَهُمْ صَيْدُ بَحْرٍ ... وَصَيْدُ سَاهِرَةٍ

وفي قوله عز وجل { أَلَّا تَعُولُواْ } [النساء: 3] قال عكرمة: أَلا تَمِيلُوا. وَأَنْشَدَ بَيْتاً قَالَهُ أَبُو طَالِبٍ:

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لَا يَخِيسُ شَعِيرَةً ... وَوَزَّانِ صِدْقٍ وَزْنُهُ غَيْرُ عَائِلِ

قال عز وجل { يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ } [الطارق:7] قال عكرمة: صلب الرجل وترائب المرأة، أما سمعت قول الشاعر:

وِنظام اللولى على ترائبها ... شَرِقًا به اللّبَاتُ والنَّحرُ

ونحو هذا؛ وابن عباس رضي الله عنه كان من أشهر من احتج بالشعر حتى كان عنده مجلس للشعر وهذا مما يتعلق بالشاهد.

المثال واضح المثال الذي يؤتى به للاستشهاد بالقاعدة؛ طيب السؤال المطروح ما هو الشاهد الذي يُحتج به؟ نقول الشاهد الذي يُحتج به على قول جمهور العلماء هو كلام فحول الشعراء، ليس أي شعر تثبت به قواعد القرآن لا، هو أن الشعر له فحول وهذا يومئ إليه كلام الأصمعي، فالأصمعي رحمه الله كان يقسم الشعراء إلى طبقتين:

- فحول
- غير فحول

الفحول من الشعراء موجودين في الجاهلية وموجودين في الإسلام؛ أما في الجاهلية فهم يبدأ من امرؤ القيس وأنت نازل تقريبا ثلاث قبل الإسلام فامرؤ القيس هذا الذي كسف وخسف عين الشعر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " امْرُؤ الْقَيْس سابقهم خسف لَهُم عين الشّعْر فافتقر عَن معَان عور أصح بصرا ". ولذلك شعره مهم جدا وله شواهد كثيرة جدا في غريب القرآن حتى الإنسان ولو لم يحفظ شعر امرؤ القيس يقرأه على الأقل يكون له منه زاد لأن هذا شعر مهم كذلك زهير بن أبي سلمة والمعلقات كلها عموما.

وهناك أناس مخضرمين يعني عاشوا في الجاهلية والإسلام وكانوا في الجاهلية يقولون الشعر وكانوا في الإسلام يقولون الشعر كلبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت رضي الله عنهم خاصة شعر حسان لأنه كان يقول الشعر في الجاهلية والإسلام وطبعا تعرفون قصته مع النابغة الذبياني أنه لما جاء إليه وقال له الشعر وهو كان قبله الأعشى وجاءت قبله الخنساء رضي الله عنها ؛ فلما جاءه لم يحفل به، حفل بمن قبله ولم يحفل بحسان حتى قال له حسان بن ثابت رضي الله عنه : " وَاللَّهِ لَأَنَا أَشْعَرُ مِنْكِ وَمِنْ أَبِيكِ ".

قالها للنابغة الذبياني والنابغة الذبياني هذا من المشركين حطب جهنم لكن كان كبير في الشعر لكن بعد ذلك تحسن حسان بن ثابت وقال الشعر مرة أخرى بين يدي النابغة وزكاه وكان النابغة يدخل على الغساسنة أخواله في الجاهلية ويمدحهم ومعروف قصته المشهورة وكان يقول:

لله درُّ عصابة نادمتهم ... يومًا بجلِّق في الزّمان الأول
يمشون في الحلل المضاعف نسجها ... مشي الجمال إلى الجمال البزّل
الضّاربون الكبش يبرق بيضه ... ضربًا يطيح له بنان المفصل
والخالطون فقيرهم بغنيّهم ... والمنعمون على الضّعيف المرمل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتّى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السّواد المقبل

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل
يسقون درياق الرحيق ولم يكن ... تدعى ولائدهم لنقف الحنظل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول
فلبثت أزمانًا طوالًا فيهم ... ثم ادكرت كأنني لم أفعل

فالمقصود أن حسان رضي الله عنه تعرفون همزيته التي قالها في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذه من أعظم شعر الحماسة.

فهؤلاء يعني شعرهم من أحسن ما تقرأ ويُحتج بهذا النوع من الضرب من الشعر.

في شعر الإسلاميين هم الذين قالوه في الإسلام وهؤلاء لم يدركوا الجاهلية لكن كانوا في صدر الإسلام وهم جرير والفرزدق؛ رأيت الطبقات الثلاث:

الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليين وتبدأ من امرؤ القيس.

الطبقة الثانية: المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام.

الطبقة الثالثة: بعد الإسلام إلى زمان جرير والفرزدق.

هنا ينتهي عصر الإحتجاج بالشعر يعني ما بعده لا يُحتج به في إثبات القواعد العربية ولا في تفسير القرآن الذي هو شعر المولدين كبشار بن برد إلى أن تصل إلى المتنبي وأبي نواس وهؤلاء لا يُحتج بهم وجمهور المتقدمين لا يحتجُّون بهذا النوع؛ النوع المولد لكن ممكن يُحتج بهم في باب الأساليب، في باب البلاغة، في باب المعاني لكن في إثبات القواعد لا ، انتبه وخاصة القرآن يُتحفظ له لأن أول الشعر إيش؟ هو الشعر المستفيض من اللغة وقد نبه الدارمي رحمه الله على أن المعاني الشرعية من الألفاظ لا تُحمل على شواذ اللغة وإنما تُحمل على المشهور المستفيض من اللغة فلا نحمل القرآن على النادر وعلى الغريب وعلى الشاذ من اللغة وإنما نحمله على المستفيض من كلام أهل اللغة.

هذا مما يتعلق بمسألة " **وَتَفْسِيرٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ** ".

إذن بيَّنا أن العرب المقصود ما ثبت من جهة شواهد الشعر والنثر أيضا يعني ما قالوه في هذه الطبقة تثبت به القواعد بشرط ألاّ يُستقل به في فهم كلام الله وإنما يكون مقويًا لأنه لا يوجد آية ليس لها تفسير إلا لغة هذا لا يوجد وإنما تكون اللغة فقط مقوية، موضحة، معضدة ولا تكون مستقلة بتفسير المعنى.

وأما " **تَفْسِيرٌ تَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ** ". وهذا الذي يعلمه الخاصة وهذان النوعان من التفسير تفسير الخاصة.

يبقى " وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ يَقُولُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ".

هذا التفسير كل الناس يفهمونه على تفاوت في العلم.

ثم " وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ، مَنِ ادَّعَى عِلْمَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ ". وهذا التفسير الذي لا يعلم تأويله إلا الله هو الغيب؛ ما يتعلق بالغيبيات يعني ما هو مجهول عندنا لا نعلمه مثل كيفيات الصفات لأن الصفات لها معاني، في معاني ظاهرة لا يعذر أحد بجهالتها كالعلو وفي معاني تعرفها العلماء يعني من يدرس العلم من الصفات الخبرية السمعية يعرفها وفي معاني تعرفها العرب من لغتها يعني هو مدلولات لغوية أما ما يتعلق بكيفية الصفة فهذا الكيف مجهول لا نعلمه وهذا الذي يدخل فيه " لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ".

كذلك كيف تقوم الساعة، كيفية النار، كيفية الجنة، عذاب القبر يعني كل ما يتعلق بالغيبيات هذا " لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، مَنِ ادَّعَى عِلْمَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ ".

هذا من حيث تقسيم القرآن باعتبار ما يتعلق به من معاني.

الآن المصنف رحمه الله سيعطينا تقسيم القرآن باعتبار الموضوعات فما هي الموضوعات الموجودة في القرآن؟

نحن عرفنا القرآن تدرك معانيه ففي معاني لا يعذر أحد بجهالتها وإما أنها من جهة اللغة يعرفها أهل اللغة وإما من جهة تفسير أهل العلم يعني يعرفها أهل العلم وفي نوع من العلم لا يعلمه أحد.

طيب ما هو موضوعات هذا العلم؟

قال عبد الرزاق: نا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ رحمه الله قَالَ: " الْقُرْآنُ سِتُّ آيَاتٍ (يعني جماع الآيات هنا): آيَةٌ تَأْمُرُكَ ، وَآيَةٌ تَنْهَاكَ ، وَآيَةٌ تُبَشِّرُكَ ، وَآيَةٌ تُنْذِرُكَ ، وَآيَةٌ فَرِيضَةٌ ، وَآيَةٌ قَصَصٍ وَأَخْبَارٍ - أَوْ قَالَ: أَمْثَالٍ ".

وهذا الأثر يروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه شيخ أبي إدريس الخولاني رحمه الله بنفس المعنى يقول: " نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سِتِّ آيَاتٍ: آية مُبَشِّرَةٍ، وَآيَةٍ مُنْذِرَةٍ، وَآيَةِ فَرِيضَةٍ، وَآيَةٍ تَأْمُرُكَ، وَآيَةٍ تَنْهَاكَ، وَآيَةِ قِصَصٍ وَأَخْبَارٍ ".

طيب، هذا تفسير القرآن باعتبار موضوعاته.

وقد جاء أن القرآن أنزل على أبواب، مما يتعلق بهذه الأبواب هي موضوعاته ما جاء عن الربيع بن خثيم رضي الله عنه أحد التابعين وإمام كبير جدا قال له ابن مسعود رضي الله عنه : " وَاللَّهِ لَوْ رَآكَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَحَبَّكَ ". وكان من العباد الزهاد يقول: " وَجَدْتُ هَذَا الْقُرْآنَ فِي خَمْسٍ (هذا هو التدبر وهذا يسمى علم التفسير الموضوعي، طبعا بعضهم غلا فيه لكن له أصل عند السلف -التفسير الموضوعي-): حَلَالٍ، وَحرَامٍ، وَخبَرِ مَا قبْلَكُمْ، وَخبَرِ مَا هُوَ كَائنٌ بَعْدَكُمْ، وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ ".

وجاء في المرفوع: " ... وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ، وَعَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ: زَجْرٍ، وَأَمْرٍ، وَحَلَالٍ، وَحرَامٍ، وَمُحْكَمٍ، وَمُتَشَابِهٍ، وَأَمْثَالٍ ... ". وهذا يبين لك ما يتعلق بمسألة موضوعات القرآن.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى خَمْسَةِ أَحْرُفٍ: حَلَالٍ، وَحرَامٍ، وَمُحْكَمٍ، وَمُتَشَابِهٍ، وَأَمْثَالٍ، فَأَحِلَّ الْحَلَالَ وَحرِّمِ الْحَرَامَ، وَاعْمَلْ بِالْمُحْكَمِ، وَآمِنْ بِالْمُتَشَابِهِ، وَاعْتَبِرْ بِالْأَمْثَالِ ". انتهى

قوله هنا: " الْقُرْآنُ سِتُّ آيَاتٍ: آيَةٌ تَأْمُرُكَ (يعني آيات الأمر) وَآيَةٌ تَنْهَاكَ (وهذا يتعلق بها النهي) وَآيَةٌ تُبَشِّرُكَ (يعني بشرى لمن أتى بالأمر) وَآيَةٌ تُنْذِرُكَ (هذا لمن يتعلق بالنهي فرجع الأمر متعلقه إلى الأمر والنهي يعني ما يترتب على الأمر من بشرى وما يترتب على النهي من نذارة) وَآيَةٌ فَرِيضَةٍ (يعني فيها فرائض قال الله عز وجل { سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا }، وفي قراءة { وَفَرَّضْنَاهَا } [النور: 1] إما من الفرض بمعنى التقدير وإما من الفرض بمعنى الإيجاب وهذا أعلى درجات الإيجاب ولذلك الفرض لا يُنسخ أبدًا ويكون أقوى في الدلالة لأن الواجب على درجات وهذا الفرض رجع إلى الأمر لأن الفرض نوع من الأمر لكنه أمر على جهة الإيجاب والتأكيد والحتم لا يحل تركه، القصص خبر؛ يخبرك فهو نوع من الخبر وأما الخبر فهو عام ، في خبر عن الله وهذا أعظم الأخبار وفي خبر عن أنبياء الله وعن ملائكته وعن رسله وعن كتبه وعن اليوم الآخر وما فيه وعن غيبه وعن ملكوته وعن سمائه وعن أرضه يعني خبر عن الله أو عن مخلوقات الله وحتى عن الشياطين والجن وهو كله خبر.

إذن القرآن بين موضعين إما أمر ونهي وتعلق في الأمر والنهي البشرى والنذارة وأعظم ما أمر الله به التوحيد وأعظم ما نهى عنه الشرك، وفي الفريضة أعظم ما فرض الله عن عباده التوحيد والكفر بالطاغوت والصلاة والزكاة والصوم والحج وهذا كله راج للأمر والنهي؛ وإما خبر.

إذن نستطيع نخرج بخلاصة:

نقول القرآن إما أمر ونهي ونلخصه في كلمة " طلب " وإما خبر بمعنى موضوعات القرآن إما طلب وإما خبر.

يدخل في الطلب الأمر والنهي ومتعلقات الأمر والنهي ويدخل في الخبر كل ما أخبر الله به.

قلت: اعلم -رحمك الله- أن النسخ يتعلق بباب الأمر يعني بباب الأحكام كما نبه على هذا أبو عبيد رحمه الله في " الناسخ والمنسوخ " وكذلك الأثرم في " ناسخ الحديث ومنسوخه " أن الأخبار لا تنسخ بمعنى النسخ الذي يكون فيه رفع وإنما النسخ يتعلق بالأحكام، فالله تبارك وتعالى ينسخ الأحكام بمعنى هذا الأمر يكون حلال ثم يُحرم لكن الأخبار لا تكون كذلك؛ الأخبار لا تكون إلا وجهًا واحدًا فلا تكون وجوه مختلفة يأتي أمر وبعدين يُنهى عنه فهذه لا تكون في الأخبار مثلا: يقول لك خبر ثم يقول لك انسخ هذا الخبر فهذا لا يكون بالمعنى الذي ذكرناه وإنما النسخ عند السلف الذي يدخل الأخبار يدخلها من باب البيان كما نبه عليه الشافعي رحمه الله، كيف؟!

أي أنه ممكن خبر يُذكر مجمل في موضع كما في قصة نوح عليه السلام قال الله عز وجل { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ } [العنكبوت: 14 - 15] هذا مجمل ثم يأتي في سورة نوح قوله عز وجل { إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ } [نوح: 1] ويفصل لك القصة.

هذا يُسمى نسخ بمعنى البيان لأن من معاني النسخ البيان وهذا وارد في الأخبار لكن النسخ بمعنى الإزالة والرفع لا يكون في أبواب الخبر، فما يكون من باب الخبر لا يكون إلا وجه واحد وما كان من باب الأمر وارد أن يدخله النسخ، قال الله عز وجل { مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ } تعلقها بأوامر ونواهي يعني باب الطلب افعل لا تفعل ، هذه موضوعات القرآن نقسمها تقسيمين:

- طلب
- خبر

ويوفيك هذا في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: " { قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ }، تَعدِلُ ثُـلُثَ الْقُرْآنِ ".

تعدله بأي وجه؟ نبه بن سريج الشافعي رحمه الله إلى أن القرآن إما قصص وإما أحكام وإما توحيد يعني قسم القرآن إلى ثلاث فـ { قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ } كلها توحيد ، إذا هي تعدل ثلث القرآن من هذا الوجه.

ثم يُبين في هذا الوجه أيضا أن باب القصص محكم كله يعني باب الخبر ومنه القصص ومنه الأمثال محكم؛ ما معنى محكم؟ يعني أنه لا يُنسخ بمعنى الإزالة وأنه ظاهر بيِّن يعني المراد به ظاهره لا يُأوَّل هذا المحكم لذلك قال ربنا عز وجل في القصص { لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا

يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: 111]، وقال ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 176] وقال ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الكهف: 13] إلى غير ذلك، فالقصص كله محكم؛ يعني ظاهره مراد لا يأوّل كل أبواب القصص ما قصه الله لنا عن ملائكته أو عن رسله أو الصالحين من عباده أو عن الطواغيت أو عن الشياطين أو عن الجن أو عن الإنس أو عن كل مخلوق من مخلوقاته قصَّ اللهُ علينا قصصه فهو على ظاهره محكم لا ينسخ ولا يبدل لأنه من باب الخبر وأعظمه الخبر عن نفسه سبحانه وتعالى ومن هنا تعلم أنه لا تأوّل صفات الله لأنها من باب الخبر الذي لا يدخله نسخه وهو مراد ظاهره يعني ظاهر ولذلك قال رب العالمين عز وجل ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾، وفي قراءة ﴿ فَسَلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: 59] والخبير هو الله هو الذي يخبرك أنه على العرش استوى، لذلك هذا أعظم خبر هو الخبر عن الله تبارك وتعالى.

وأعظم آية في القرآن خبر عن الله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: 255]، وأعظم سورة في القرآن سورة الفاتحة وفيها الخبر عن الله ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: 2 - 4] والتي تعدل ثلث القرآن فيها الخبر عن الله، ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: 1 - 4] هذا لا يدخله النسخ ولا شيء هذا على ظاهره محكم وهو أحكم المحكم وأعلى درجاته يدخل فيه قوله عز وجل ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: 7].

ما يدخله النسخ ابتداءً قد يكون فيه نوع من الخفاء أي قد يخفى على بعض الناس أما ما لا يُنسخ الذي هو من فرائض الله هذا دائما يكون ظاهرًا ولذلك الصلاة لا تُنسخ؛ لا تُنسخ كوجوب إنما نسخ بعض أحكامها كالقبلة لكن كوجوب لا تُنسخ والزكاة أيضا فتكون من أظهر الظاهرات أما ما يكون مأمور به فترة ما ثم يُنسخ فهذا قد يدخل فيه نوع خفاء؛ يدخل على بعض الناس في أفراده وإن كان يستقر الإجماع على أن دلالة الحكم لا تؤخذ فقط من جهة الكتاب فقد يستقر الحكم بالإجماع ويستفيض فيزول فيها الخفاء كتحريم الخمر والربا وكثير مما حُرم على مراحل معلومة.

تنبيه: نحن قلنا الخبر لا يُنسخ لكن في أشياء من باب الأمر والنهي لا تُنسخ أبدًا بمعنى أنه في بعض الموضوعات لا تُنسخ بل لا تُنسخ في شريعة مأمور بها وفي أي شريعة منهي عنها أولها الشرك ما أباحه الله

قط، قال ﷻ { وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ } [الزخرف: 45] فالشرك محرم في كل شريعة والقول على الله بلا علم محرم في كل شريعة والفواحش محرمة ما ظهر منها وما بطن مثل الزنا وغيره محرم في كل شريعة والكذب محرم في كل شريعة يعني هذه الأشياء لا تُنسخ لم يبحها لنبي قط تعالى الله لأن قبحها مدرك من جهة العقل أيضا فهي مذمومة فهذه الأشياء تدخل في باب الأمر لا تُنسخ بل تكون من أحكم المحكم ومن الأمر الثابت المستقر في كل شريعة جاء بها نبي أو في كل كتاب جاء به نبي أو في كل رسالة جاء بها نبي عليهم الصلاة والسلام.

الأمر الأخير: أن باب الخبر قدر متفق بين الرسل جميعا ؛ الخبر عن الله الذي هو الإسلام العام { شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ } هذا الدين الذي شرعه فيه أمر ونهي وأخبار اتفق عليه قال { مَا وَصَّىٰ } يعني ما أمر { بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ } القرآن { وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ } هذا المتفق عليه بين الرسل جميعا { أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ } [الشورى: 13].

قال عبد الرزاق: نا مَعْمَرٌ، عَنْ أَبَانَ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ رحمه الله، قَالَ: " نَزَلَتِ الصُّحُفُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَنَزَلَتِ التَّوْرَاةُ لِستٍّ، وَنزلَ الزَّبُورُ لاِثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَنَزلَ الْإِنْجِيلُ لِثَمَانِي عَشْرَةَ، وَنَزَلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ". هذا نأتي عليه إن شاء الله تبارك وتعالى في المجلس القادم لأنه تعلق به مسائل عدة لأنه مبحث مهم جدًا هو مبحث نزول القرآن ونحن نتكلم على الآثار باعتبار موضوعات علوم القرآن.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين



الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدّين، أمّا بعد: فإنّ أحسن الكلام كلام الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النّار.

اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد.

هذا مجلس جديد من مجالس القراءة والتعليق على مقدمة التفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني رحمه الله وكنا وصلنا في المجلس الذي خلا عند الأثر السادس

قال عبد الرزاق: نا مَعْمَرٌ، عَنْ أَبَانَ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ رحمه الله، قَالَ: " **نَزَلَتِ الصُّحُفُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَنَزَلَتِ التَّوْرَاةُ لِستٍّ، وَنَزَلَ الزَّبُورُ لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَنَزَلَ الْإِنْجِيلُ لِثَمَانِي عَشْرَةَ، وَنَزَلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ** ".

- **أَبَانَ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ**: أبو إسماعيل وهو ضعيف بل متروك، حديثه مجتنب عند الأئمة رحمهم الله تعالى.

- **أَبِي الْعَالِيَةِ**: وهو رفيع بن مهران وهو يروي صحيفة أبيّ بن كعب رضي الله عنه في التفسير وهو كثير الإرسال مع أنه من كبار التابعين لكنه لم يسمع من علي رضي الله عنه مع أنه أدركه كما قال الإمام شعبة رحمه الله لكنه لم يسمع منه؛ لكنه إمام في التفسير وهذا الباب أي التفسير بابه وهو أحد أئمة الإقراء رحمه الله وحافظ لكتاب الله عز وجل وكان له سند عالٍ.

قَالَ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِيُّ: " **أَخَذَ أَبُو العَالِيَةِ القِرَاءَةَ عَرْضاً عَنْ: أُبَيٍّ، وَزَيْدٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ. وَيُقَالُ: قَرَأَ عَلَى عُمَرَ** ".

وقرأ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ويروي عنه قتادة؛ قتادة وإن كان لم يسمع منه إلا أربعة أحاديث لكن يروي عنه التفسير كأنه الصحيفة متلقاة، قَالَ أَبُو العَالِيَةِ رحمه الله: " قَرَأْتُ القُرْآنَ بَعْد وَفَاةِ نَبِيِّكُم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِعَشْرِ سِنِيْنَ ".

وهذا مهم جدا ضبط هذه القضايا قضايا التراجم لأنها تتعلق بها مسألة المعنى لأن التفسير يروى بصحائف ويروى بالمعاني يعني بالمعاني المجتمعة التي تلقاها السلف كما مر معنا في كلام أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال: " حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ -عُثْمَانُ بْنُ عفان وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ- أَنَّهُمْ قَالُوا: كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ (وهذا يسمى التعشير في العلم وهذه طريقة السلف في التلقي) لَمْ نُجَاوِزْهَا حَتَّى نَتَعَلَّمَ مَا فِيهَا مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ".

فكانوا يقرؤون القرآن بهذا الصفة حتى أنهم قالوا يستحب التعشير وجاءت آثار في التخميس يعني يؤخذ القران خمسًا خمسًا؛ عشرًا عشرًا، وجاءت عن بعض الصحابة والتابعين عشرين عشرين آية كلٌ بحسبه لكن هذا الشائع والمعمول به أنهم كانوا إذا قرؤوا عشر آيات في بعض ألفاظ الأثر كما عند ابن أبي شيبة رحمه الله في المصنف (6/ 117) قال: " أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، وَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعَمَلِ وَالْعِلْمِ فَإِنَّا عُلِّمْنَا الْعَمَلَ وَالْعِلْمَ ".

يقول أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله: " فَإِنَّا عُلِّمْنَا الْعَمَلَ وَالْعِلْمَ " هذه ترى من أعظم الحجج على فهم السلف وأنا تكلمت عليه كثيرًا في دروس فهم السلف ومجالس كثيرة، كيف ذلك؟ لاحظ كلمة " عُلِّمْنَا " اجمع هذه الكلمة مع كلمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما جاء عند الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (2/ 200): " إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَءُوا كَمَا عُلِّمْتُمْ ".

طرحنا سؤال على منكري فهم السلف قلنا لو أتى آت وقال لا أقبل أن يُقرأ هذا الحرف بهذا الوجه لأن القراءة كما قال زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه: " الْقِرَاءَةُ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ".

وقال محمد بن المنكدر رحمه الله: " قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ سُنّة، يَأْخُذُهَا الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ ".

فلو جاء شخص وقال أنا لا أقبل أو لا أقرأ هذا الوجه هكذا بل أقرأه مثلا قياسيا على اللغة ولذلك أبو عمرو بن العلاء حذر من هذا أنه يقرأ بوجه اللغة وهذا بالإجماع باطل وذكر ذلك أيضا الكسائي وقد

حذره عبد الله بن المبارك رحمه الله أن يقرأ على جهة اللغة؛ لا بل يُقرأ على جهة التلقي والنقل لا على جهة اللغة.

فلو أتى آت وقال سأقرأ هذا الوجه بهذا الوجه يعني بهذه الطريقة لأن هذا مقتضى اللغة وليس قول السلف في هذا الوجه بحجة؛ يقول لا أقبله.

ألا يكون ضالا؛ ألا يكون زنديقًا مارقًا الناس تضلله، كذلكم إذا خالف فهمهم للآية نفس الباب لأنه علموا القراءة وعلموا العلم والعمل يعني ما هو معنى الآية؟ وما هو العمل فيها؟ كلاهما عُلِّم فالذي يقبل قول السلف في وجه القراءة وجهة أداء الألفاظ ولا يقبل قول السلف في جهة العلم والعمل هذا متناقض ولذلك لما قال الظاهرية لا نقبل قول الصحابي في الفهم إذا فهم ليس بحجة شذوذ فيقال لهم هل تقبلوا قول الصحابي بأن هذا القرآن الذي بين أيدينا هو كلام الله أم لا؟! لأن الاجماع من الصحابة رضي الله عنهم كما قال الإمام أحمد رحمه الله على أن هذا هو المصحف فهكذا يكون الإلزام، ثم أوتي هؤلاء القوم في ظنهم أن المنقول هو الألفاظ.

لو سألنا سؤال الآن الكتب التي بين أيدينا اليوم ما أكثرها ولله الحمد كتب السنة يعني هذه الكتب لو سأل سائل وقال هذه الكتب نُقلت ألفاظها فقط ولم ينقل فهمها هذا الظن عند كثير لما يقلك الكتاب والسنة يكفي إيش يريد؟ هو يظن أن المنقول هو الألفاظ فقط وهذا ضرب من التفويض والتجهيل للسلف لأن السلف لم ينقلوا ألفاظًا بل نقل المعاني أكثر من نقل الألفاظ يعني لو جئنا للألفاظ المنقولة في الأحاديث طبعا القرآن محفوظ لكن الحديث يروى بالمعنى وله وجه، طيب المنقول من جهة المعاني أكثر بكثير من المنقول جهة الألفاظ يعني كما أنه عندك إسناد في اللفظ عندك إسناد في المعنى وهذا الذي لا يفقهه هؤلاء القوم.

فهؤلاء القوم ماذا صنعوا؟ قبلوا الألفاظ مع أن بعض يريد يشكك حتى بعد ظهر من لا يقبل خبر الواحد كأهل الرأي وبعدهم أهل الكلام لا يقبلون خبر الآحاد وبعدها تطور الأمر حتى لا يقبلون ما خالف القرآن وبعدها أنكروا السنة وهكذا ففي جمل من ينكرون سنن النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذه الفكرة فكرة مطورة أنهم ظنوا أن المنقول هو اللفظ فقط لكن معنى اللفظ لم ينقل وهذا ليس صحيح لأن كل من تأمل حال السلف وهذه حتى تفهمها جيدًا لا يستطيع أن يفهمها إنسان فهمًا ويستوعبها استيعابًا جيدًا حتى يعرف واقع السلف.

نحن الآن حياتنا مثلا اليومية المعيشية فيما نراه في الغالب مخالفًا لما عليه السف يعني تنظيم الحياة ليس هكذا كان عند السلف؛ أنا لا أتكلم من جانب الأثاث واللباس وهذه الأمور ليست القضية هنا، القضية من جهة هيكلة الدنيا كلها كيف كان ترتيبها أصلا؟! لأنه في اشياء اليوم لا نقول مهمشة بل نقول غير موجودة، منعدم دورها ووجودها في حياة الناس كانت عند السلف هي ركائز منها المسجد؛ فالمسجد لم يكن محل للصلاة فقط ومنها البيت الذي يسبق المسجد تربية الأولاد في البيوت فالسلف كان رحمهم الله تبارك وتعالى يبدؤون في تربية أولادهم ونشأتهم بتعليمهم دينهم يعني الإيمان قبل القرآن.

أنت عندك جيل يتربى على العقائد قبل القرآن ثم يتعلم القرآن ويتعلمه عشرًا عشرًا وإذا تعلم القرآن أخذ المغازي التي هي التطبيق العملي للكتاب لأن هكذا السلف يربون أولادهم فهو يكون عنده منهج القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ".

يعني أنه عنده سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة أصحابه رضي الله عنهم ثم يتعلم حب أبي بكر وعمر يعني سنتهم كما جاء عن شُعَيْبُ بْنُ حَرْبٍ رحمه الله ، قَالَ: " قُلْتُ لِمَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ: أَوْصِنِي، قَالَ: أُوصِيكَ بِحُبِّ الشَّيْخَيْنِ: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَكَ فِي حُبِّهِمَا مَا أَرْجُو لَكَ فِي التَّوْحِيدِ ". هكذا كان السلف.

فيخرج عندك شخص مبرمج على برنامج أول على ضبط العقيدة؛ ضبط القرآن عشرا عشرا مع العلم والعمل؛ ضبط ما يفسر القرآن عمليًا من ما لا يتعرض له عوارض الألفاظ وهي السيرة العملية لتطبيق القرآن ثم بعد هذا كله يجد محاكم شرعية تحكم بشرع الله يعرف فيها الحدود حدود ما أنزل الله ثم يذهب إلى المسجد فيجد حلق العلم وبث الآثار وبث الأحاديث والناس ملتزمة في الغالب بما يقال لها يعني من جهة النصوص والديانة ووجود العلم، هذا الواقع الذي كان موجودًا تنوقلت فيه ألفاظ الدين وفهم هذه الألفاظ فتحصل الفهم من جهة الأقوال يعني يقول لك هذه اللفظة وهذه معناها وتحصل اللفظ معناه من جهة الأعمال وهنا النقطة التي تخفى على هؤلاء .

وهو أن الإشكال عندهم لابد أن يكون الفهم مرفوعًا لحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ليس صحيح.

والذي يدلك على هذا أن أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أقل الصحابة رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جهة العدد وهو في نفس الوقت رضي الله عنه من ألزم الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يفارقه البتة حتى قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : " ...كُنْتُ أُكْثِرُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ... ".

يعني ملازمة دائمة ما فارقه رضي الله عنه ومع ذلك يروي عنه أقل يعني كأنه على منهج هؤلاء يكون أكثر واحد يروي لكن أبو بكر رضي الله عنه لم يروي حديثًا كثيرًا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

لكن أين ما أخذه من علم في ملازمة خير البشر وكان أعلم الناس بحاله حتى يقول أيوب السختياني رحمه الله: " إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ نَاسِخَ الحَدِيثِ مِنْ مَنْسُوخِهِ فَانْظُرْ مَا عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرْ".

وجاء عن الْأَوْزَاعِيِّ رحمه الله، قَالَ: " كَانَ مَكْحُولُ يَتَوَضَّأُ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ حَتَّى لَقِيَ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ فَأَخْبَرَهُ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ أَكَلَ ذِرَاعًا أَوْ كَتِفًا ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ فَتَرَكَ مَكْحُولُ الْوُضُوءَ فَقِيلَ لَهُ أَتَرَكْتَ الْوُضُوءَ فَقَالَ لَأَنْ يَقَعَ أَبُو بَكْرٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُخَالِفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ".

وجاء عند أبو عبيد رحمه الله في الأموال (ص12) لما صعد أبو بكر المنبر وخطب خطبة وقال فيها: " ... إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ".

وجاء عند البخاري في صحيحه (4/ 79) قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: " لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ ".

السؤال المطروح أين فقه أبي بكر رضي الله عنه وأين علمه للدّين الذي رآه في النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم؟! عند هؤلاء ليس عند أبي بكر رضي الله عنه علم لأنه لم يقل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخزاهم الله؛ وهل يقول هذا رجل عرف قدر الصديق رضي الله عنه الذي أنزل الله فيه آيات بعينه { وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ } [الزمر: 33]، وقال عز وجل { وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ } [الليل: 17 - 21] الذي شهد له رب العزة بالصحبة، { إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا } [التوبة: 40]

أين علم الصديق رضي الله عنه ؟!!.

هذا يُلزم به هؤلاء الذين يقولون لا نأخذ بفهم السلف حتى يكون مرفوع أما إذا فهموا فهم ولم يرفعوه فليس بحجة.

هذه زندقة الصلعاء؛ فيقال لهؤلاء أين أبو بكر رضي الله عنه ؟!

لذلك منكري السنة أو المعترضين على ما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه ، حتى أن علي بن المديني رحمه الله جعل حب أبي هريرة رضي الله عنه من أصول السنة كما في عقيدته، لماذا؟ لأن أبو هريرة رضي الله عنه يطعن فيه أهل الرأي.

فهؤلاء يقولون أبو هريرة رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ قليلا وروى عنه أكثر الأحاديث أي هو أكبر راوي للأحاديث وأبو بكر الصديق رضي الله عنه صاحبه كثيرًا وروى عنه قليلاً كيف؟!

فاستشكل هؤلاء وهذا ليس بمستشكل عند من يدري علوم السنن كيف هذا؟

لأن أبو هريرة رضي الله عنه ليس كل ما قال فيه: قال رسول الله ﷺ سمعه من رسول الله ﷺ ولا غيره، حتى البراء بن عازب رضي الله عنه قال هذا: " **ما كل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه من رسول الله ﷺ ، ولكن سمعناه وحدثنا أصحابنا، ولكننا لا نكذب** ".

يعني كان الصحابي يجلس يسمع النبي ﷺ فيذهب إلى بيته فيعلم أهله ويبث ما سمع، يكون معه صديق فيحدثه ما سمع.

وعمر بن الخطاب كان هو وعقبة بن عامر الجهني رضي الله عنهما كانا يتناوبان على مجلس النبي ﷺ يذهب عمر ويبقى عقبة بن عامر يعمل، ثم يرجع عقبة بن عامر من العمل فيحدثه، ثم يذهب عمر للعمل ويذهب عقبة بن عامر إلى مجلس النبي ﷺ .

قال الإمام أحمد رحمه الله : " **هذا من أعظم الأحاديث في تثبيت خبر الواحد** ".

انظر فقه الإمام أحمد رحمه الله كان يعجبه جدًا هذا الحديث لأنه فيه حجية خبر الواحد لأنه لما يرجع عقبة بن عامر إلى عمر ويحدثه قال رسول الله ﷺ فيقبل ولا يقول له: لا ، أنت خبر واحد وتفيد الظن وهذه الزندقة فنعوذ بالله وحاشى أن يقول هذا أصحاب رسول الله ﷺ .

فبعدها لما يأتي الصحابي يقول: قال رسول الله ﷺ ما يقول له أحد: أنت لم تسمع، لأنهم كانوا لا يكذبون؛ الله عدلهم ورضي عنهم رضي الله عنهم أجمعين فهم شهود عدل وأئمة صدق، هكذا كان الحال.

كما أنهم تناقلوا ألفاظه اعتنوا بتناقل العمل لأن نقل العمل عن الأنبياء وما يُفهم به دين الأنبياء أعظم من نقل الألفاظ؛ الفهم يكون أعظم لأنه أحوج الناس للفهم، لكي تفهم الألفاظ وتفهم كيف تعمل وكيف تعبد ربك وكيف تصلي وكيف تزكي وهكذا.

لذلك كان تحصيل الفهم حاصل عندهم وأنا أقرب لك السورة بمثال ممكن بعض الناس يستصعب عليه الكلام فسوف أعطيك مثلا وقس عليه: لو قدر الله عز وجل شخص رزقه الله أولاد وأراد أن يربيهم تربية صحيحة فكان يحدثهم وفي نفس الحديث يعمل يعني يوميًا هو معهم إن لم يراه جميعهم رآهم بعضهم وإن لم يشهده جميعهم شهدهم بعضهم في حله وترحاله وسفره وحضره وفي حاله ثم هو أيضا له زوجات يعلمهم كما قال الله عز وجل { وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ } [الأحزاب: 34] يعني حتى لما يرجع إلى البيت في ناس أيضا ترصد قوله وترقب عمله ومرضه وحاله وشأنه وكل ما يخصه.

هكذا هو الحال مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهم أمامهم خلق يمشي في الأرض؛ يراه الكبير والصغير والأعرابي والمرأة والرجل والشيخ، يعني شيء متواتر فالعلم معروف اختص أقوام فنقلوا الألفاظ بركة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، الباقي ماذا يصنعون؟ حج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم 114 ألف في حجة الوداع حجة الإسلام كما قال الزهري وأبو زرعة: " قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مِائَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ رَوَى عَنْهُ وَسَمِعَ مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا أَبَا زُرْعَةَ هَؤُلَاءِ أَيْنَ كَانُوا وَسَمِعُوا مِنْهُ؟ قَالَ: أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَأَهْلُ مَكَّةَ وَمَنْ بَيْنَهُمَا وَالْأَعْرَابُ وَمَنْ شَهِدَ مَعَهُ حَجَّةَ الْوَدَاعِ كُلٌّ رَآهُ وَسَمِعَ مِنْهُ يَعْرِفُهُ ". وفي رواية قال: " مِئَةٌ وأربَعَةٌ وعِشرُونَ ألفًا ".

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حج على ناقته حتى يراه الناس فكان يطوف على الناقة حتى يأخذ الناس عنه مناسكهم.

فرآه الناس رأوا أحوال رأوا سفره وحضره ورأوا غزوه وجهاده بأبي وأمي صلى الله عليه وآله وسلم فالفهم والمعنى وُجِد عند الناس نظرا؛ فجاء هؤلاء الأولاد وما رأوا من حال أبيهم فقالوا لأولادهم كان أبونا كذا وكان أبونا كذا وقسم كانوا يعملون بهدي أبيهم وقسم كانوا يجلسون حدثنا أبي حدثنا أبي فهل يقول قائل أن أولئك الأولاد البقية الذين لم يرفعوا الحديث إلى أبيهم أنهم لم يرو أباهم أو لم يشهدوا هديه أو لم يعلموا دينه!! ما يقول ذلك إلا جاهل مرتكس في الجهل أما من عقل يفهم هذا جيدًا أنه بعض الناس تنقل الألفاظ وبعض الناس تنقل المعاني لكنهم متفقون على المعنى هذا هو الأصل.

ولذلك ابن مسعود رضي الله عنه كان من أسبوع إلى أسبوع يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ طيب أسبوع كامل يفسر في القرآن ماذا يصنع ابن مسعود رضي الله عنه ؟! عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ رحمه الله قال هذا: " مَا أَخْطَأَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ عَشِيَّةَ خَمِيسٍ إِلَّا أَتَيْتُهُ فِيهِ، قَالَ: فَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ لِشَيْءٍ قَطُّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ عَشِيَّةٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَنَكَسَ قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَهُوَ قَائِمٌ مُحَلَّلَةً، أَزْرَارُ قَمِيصِهِ، قَدْ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ قَالَ: أَوْ دُونَ ذَلِكَ، أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، أَوْ شَبِيهًا بِذَلِكَ ".

يعني يهاب لأن الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شديد، لكن ابن مسعود رضي الله عنه حافظ المعنى واللفظ يخاف وهو قادر يعبر بالمعنى والرواية بالمعنى تجوز لكنهم كانوا من تيقظهم لتحفظهم يأتون بالألفاظ أي أنهم يحبوا أن يأتوا بالألفاظ النبوية، فيقول: " أَوْ دُونَ ذَلِكَ، أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، أَوْ شَبِيهًا بِذَلِكَ ".

وكثير ممن كان يحدث يقول الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شديد ولكن المعاني كانوا ضابطين لها لا يستطع أحد أن يفهم شيئا من الدين زائدًا عليه؛ يوقفونه ومن تأمل في آثار الصحابة أصولا وفروعا رأى ما قال ابن مسعود رضي الله عنه لأنه أحسن وصف؛ وصف الشخص أصحابه فلما واحد يوصف لك أصحابه يعني الوصف الدقيق كما جاء عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ رضي الله عنه ، قَالَ: " كُنَّا عِنْدَ الْحَسَنِ فِي مَجْلِسٍ، فَذَكَرَ كَلَامًا، وَذَكَرَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ ".

لن تجد عبارات في كلام صاحب لصاحب يصف لك هذا العلم هكذا كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن جئت لغزارة العلم فهم أي سرده ونثره فهم أغزر الناس وإن جئت إلى دقة الفهم فهم أدق الناس فهمًا هذا ليس قول ابن مسعود رضي الله عنه لأن أخذه من القرآن؛ القرآن شهد لهم بالعلم فالقرآن لما يقول { وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ } [سبأ: 6] طيب هذا { ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ } من هم ؟ في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم الصحابة هم المسلمون به هم الذين آمنوا به في ذلك الزمان، ولما يقول ربنا عز وجل { وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم: 56]، وقال ربنا ﷻ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [محمد: 16]، وقال ﷻ ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وقال ﷻ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28] هؤلاء أصحاب النبي ﷺ فهم المخاطبون بالآية زمن التمكين، فكل من نظر في علم الصحابة عرف أنه في دقة فهم لا يطلع عليها من بعدهم.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله في " الرسالة البغدادية " فيما معناه أن الصحابة قد يُشَارَكُون في بعض وسائل العلم وليس في كلها، لماذا؟ لأن بعض وسائل العلم هي الكتب المنقولة لنا الألفاظ، قال: " وَهُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَاجْتِهَادٍ وَوَرِعٍ وَعَقْلٍ وَأَمْرٍ اسْتُدْرِكَ بِهِ عِلْمٌ وَاسْتُنْبِطَ بِهِ ، وَآرَاؤُهُمْ لَنَا أَحْمَدُ وَأَوْلَى بِنَا مِنْ آرَائِنَا عِنْدَنَا لِأَنْفُسِنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ".

يعني وإن شاركتهم أنت، لماذا أنا وأنت وغيرها إذا جئنا نفهم كلمة فاستغربناها تذهب إلى كتب الغريب وبعدها يلزمك أن تقرأ النحو وكذا وكذا خاصة في زماننا صارت عجمة في اللسان أثرت علينا الثقافة المدنية وما يسمى بالاستعمار إلا بعض الأماكن فقط وإلا الغالب صارت فيه عجمة؛ حتى بعض الناس العامية لا يفهمها فضلا عن العربية، ليست العربية المرذولة ليلى تحلب البقرة لا ليست هذه العربية المرذولة بل العربية العالية السامقة تحتاج نفس زكية إنسانية، فالصحابة رضي الله عنهم كانوا على السليقة يسمع الآية يفهمها مباشرة على السليقة على الأصل لم يكونوا يتكلفون طلب المعنى من جهة اللسان لذلك سمقوا في العلم وكذا التابعون وكلما قربت الطبقة من ذلك السنن الأول والسمت الأول؛ السمت بمعنى الطريق كما قال الدارمي رحمه الله في مسنده (1/ 295) لما أورد حديث بن مسعود رضي الله عنه قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنِ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: عَائِذَةُ، قَالَتْ: " رَأَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوصِي الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَيَقُولُ: مَنْ أَدْرَكَ مِنكُمْ مِنَ امْرَأَةٍ أَوْ رَجُلٍ، فَالسَّمْتَ الْأَوَّلَ السَّمْتُ الْأَوَّلُ، فَإِنَّكُمْ عَلَى الْفِطْرَةِ ".

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ (الدارمي) رحمه الله: " السَّمْتُ: الطَّرِيقُ ".

فلذلك هذا أمر مقطوع به أن نقل المعاني أكثر من نقل الألفاظ الذي أبتلي ببدعة الظاهرية يظن أن نقل الألفاظ هو الأصل أما نقل المعاني لم تنقل المعاني؛ طيب نطرح لهم سؤال على فهم من نفهم؟!

فقالوا لا أجارهم الله قالوا: نفهم على فهم لسان العرب.

ابن حزم لما أصل وحتى النظامية وكل زنادقة المنكري فهم السلف لما يقولون أن فهم السلف رحمهم الله تعالى ليس بحجة في طرح مهم جدا تقوله لهم.

قل لهم: طيب، إذا ألغينا فهم السلف بأي فهم نفهم وعلى أي فهم نعتمد؟! فلابد من فهم!!

ابن حزم قال تفهم على الظاهر وأن تأخذ بالظاهر مع أنه هو نفسه يتناقض.

قلنا الظاهر هذا له معنى مستفاد حتى لا ندخل في سفسطة عقلية؛ فالله خاطبنا بما نعقل، يعنى في شيء يعقل يدرك

هذا الإدراك وهذا العقل وهذا القول الذي يُعقل من قول الله عز وجل ومن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأي شيء استُفِيد؟ لابد يكون استفيد بشيء.

الآن أنت لما تقرأ مثلا قول الله عز وجل { وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ } [البقرة: 43] استفدت وجوب الصلاة، بأي دلالة؟ بدلالة الأمر؛ إذا فيه دلالة فيه أصل فيه شيء استعمل وهذا أسلوب عربي.

إذا رجعنا للعربية، طيب إذا حكمنا لسان العرب في فهم الدين قلنا يفهم بالعربية هذا هو ظاهر، الظاهر العربي لأن ابن حزم يقول كما قال الله عز وجل { بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ } [الشعراء: 195] ويحتج بالآية هذه على أنه تفهم بالعربي المبين.

طيب، السؤال المطروح العربية أي لسان نفهم؟! لأن العربية فيها لهجات وفيها طرائق خطاب وفيها اتساع مجاز كلام ونحو ذلك ودلالات كثيرة مرة معنا في دروس فقه اللغة، فأي العربية نأخذ؟!

يعني لابد من عربية معينة أنت ما تستطيع تقول إلى شخص خذ بالعربية بإطلاق؛ طيب يأتيك بأي العربية والعربية فيها الشاذ والمستفيض وفيها القليل والنادر وفيها الغلب الأعم يعني موضوع كبير تراتيب كلام ودلالات فلابد أنك تضبط له الأمر على أي عربية يريد هذا فلابد أن يحدد لنا.

فهؤلاء لن تجد جوابا ولا يعطونك جواب مباشر يقول لك القرآن واضح.

طيب، الوضح هذا الذي أنت تقوله وأنا أقوله وكلنا نقوله هذا الوضوح بأي دلالة استفيد.

أنت استفدته بدلالة اللغة كما تزعم إذا على أي لغة ستأخذ؟! هذا أولا.

ثم اللغة في زمن الاحتجاج مضت معنا بالأمس ثلاثة قرون في الجاهلية وثلاثة قرون بعد الإسلام.

أنت بالخيار تأخذ بالقرون الثلاث المفضلة وإلا تأخذ بالقرون ثلاث قبل الإسلام هذه عربية وهذه عربية وهذه محتج بها وهذه محتج بها.

طيب، أنت الآن عندك ثلاث أجيال سابقت وثلاث أجيال بعدها فأي الأجيال تأخذ؟! يعني امرؤ القيس يصير ما يسلكه في اللغة مثل ما يسلكه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ؛ هذا لا يقوله عاقل آمن بالله رب، هؤلاء لم يقولوا هذا انتبه لم يقولوا نأخذ بقول شعراء العربية بل قالوا نأخذ بقواعد المنطق وهذا أشار إليه ابن حزم في كتاب له في المنطق وتفضيه وأنه من العلوم الأساسية وأشار إليه الغزالي في كتابه " المعيار " وفي مقدمته " المستصفى " وغيره قالوا فيه مقدمات منطقية هي التحكم لك الفهم إن لم تعرفها وإن لم تضبطها فأنت لست بأهل أن تفقه الشريعة.

وهذا للأسف ابتلي به ناس كثر اغتروا به وأبطلوا الإسناد السلفي في الفهم وقبلوا الإسناد المنطقي؛ الإسناد السلفي الذي ينتهي إلى أئمة التوحيد ناقشوه وردوه وإسناد المنطق الذي ينتهي إلى ائمة الشرك والتنديد قبلوه أفلاطون وأرسطو وهؤلاء الشلة الزنادقة فالله المستعان وعليه التكلان.

يعني ما في عاقل يقول هذا الكلام لذلك يفتقر الظاهرية ومعهم النظامية إلى فهم محدد يرجع إليه الناس.

دعك من كلمة الكتاب والسنة يكفي هذه دعوة كبيرة لكن عند التطبيق والممارسة العملية يحتاجوا إلى فهم في كل أصل من أصول الدين هذا الفهم بأي قاعدة ستحصله.

ابن حزم بيَّن ولذلك يقبل القياس المنطقي ولا يقبل القياس الشرعي لأن القياس الشرعي عنده نوع من القول على الله بلا علم بل التشريع في دين الله ويقبل القياس المنطقي، يقبل إجماع المناطقة على الحدود والتقسيمات ولا يقبل إجماع العلماء على الأحكام لماذا؟!

لأنه عنده المنطق عنده علم يقيني أما العلوم الأخرى مظنونة، علم القياس مظنون بكل صوره والإجماع مظنون بكل صوره وهكذا ثم يقول لك ونحن قد نهينا عن القول في دين الله بالظن.

طيب، نهينا عن قول في دين الله بالظن ولا ننها أن نقول في دين الله بما قال الزنادقة وبما قال أئمة الشرك من أفلاطون وسقراط؟!! والعياذ بالله تبارك وتعالى.

ولذلك أزمة الفهم ها هي النقطة التي يفتقر إليها هؤلاء وهي قضية المرجعية في الفهم كل أمة لها مرجعية في فهم دينها أما الذي يأتي ويقول لك { أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ } [الشورى: 21] ....

أولا: الآية في الطواغيت ومعاذ الله أن نجعل أقول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أقوال شركاء وهذا والعياذ بالله خدمة للرافضة.

ثانيا: فرق بين التشريع والبيان فالتشريع هو السَّن أن يبتدأ شيئا لم يكن؛ أما البيان هو كشف عن المعنى وثمة فرق كبير بينهما.

ثالثا: نحن نقول أن الفهم مسند كمثل الألفاظ مسندة والذي يدل على هذا المعنى ما نحن بصدده اليوم من قراءة التفسير ولذلك من الأسئلة التي تُحرج هؤلاء القرآن هل النبي فسره كله أم لا؟!!

على قولكم لم يفسره لأنكم تشترطون المرفوع، وعائشة رضي الله عنها تقول: " مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُفَسِّرُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا آيًا تُعَدُّ، عَلَّمَهُنَّ إِيَّاهُ جِبْرِيلُ ".

يعني أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التفسير قليلة جدًا المرفوع إليه، فأغلب التفسير يروى بالموقوف والمقطوع والصحائف، هذا تفسير القرآن فلذلك هؤلاء عندهم أزمة فهم في كتاب الله عز وجل ويقولون نلجأ إلى الظاهر.

يعني حتى ولو أخذت ما تستطيع تأخذ بالظاهر في كل آية، لأن الأخذ بالظاهر بعدين سيوقع عندك التعارض فلابد من عام يخصص ومطلق يُقيد لأنه الظاهر قد يكون من باب المجمل كالعام والمطلق وهذه الصيغ التي يكون فيها المجمل والمجمل يعني لا يستطيع أن يعمل به وحده حتى ضميمة بيان ومرات ضميمة البيان تكون من أقوال الصحابة هم الذين يبينون كما في قوله عز وجل { وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ } [المائدة: 6]، وفي قوله عز وجل { أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ } [النساء: 43] هذه الآية جاء تبينها في الآثار وغير ذلك من الأحوال وهذا معروف لمن درس وتعلم يعرف هذا جيدًا أنه لا غنى عن فهم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول أبو العالية رحمه الله: " نَزَلَتِ الصُّحُفُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَنَزَلَتِ التَّوْرَاةُ لِستٍّ، وَنَزَلَ الزَّبُورُ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَنَزَلَ الْإِنْجِيلُ لِثَمَانِي عَشْرَةَ، وَنَزَلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ".

هذه الكتب المنزلة على أنبياء الله عز وجل؛ ذكر منها الصحف كما قال الله عز وجل { إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ } [الأعلى: 18 - 19] وهذه أوتيها نبي الله إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من شهر رمضان قد جاء في ذلك حديث مرفوع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يثبت وجاء من قول أبي العالية رحمه الله كما في مصنف ابن أبي شيبة (6/ 144) يَذْكُرُ عَنْ أَبِي الْجَلْدِ، قَالَ: " نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَنَزَلَ الزَّبُورُ فِي سِتٍّ، وَالْإِنْجِيلُ فِي ثَمَانِ عَشْرَةَ، وَالْقُرْآنُ فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ ".

وجاء في أحاديث مرفوعة إلى النبي عليه السلام من طريق واثلة بن الأسقع لكنها أحاديث ضعيفة كما عند الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (28/ 191) قال: " أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِستٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ ".

صحف إبراهيم عليه السلام كانت فيها مواعظ كما هو ظاهر كلام السلف ونتنبه هنا إلى مسألة:

أن الموحى به إلى الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أنه يكون إما طلب وإما خبر كما قلنا إما أمر ونهي وإما أخبار.

فالأمر والنهي ثم قدر مشترك بين الكتب كلها وهو الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك والأخبار الخبر عن الله عز وجل الذي هو أسماؤه وصفاته هذا متفق عليه في كل الكتب التي أنزلها الله تبارك وتعالى وفيه أيضا قدر متفق عليه في النهي كما قال الله عز وجل ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: 33] وذم الكذب وهكذا يعني الأشياء المستقبحة هذه دائما تتفق عليها الشرائع كلها وإنما يكون التنوع في الحلال والحرام كما قال الله عز وجل ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: 48]، ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ يعني كما قال قتادة: " وَالشَّرَائِعُ مُخْتَلِفَةٌ، فِي التَّوْرَاةِ شَرِيعَةٌ، وَفِي الْإِنْجِيلِ شَرِيعَةٌ، وَفِي الْقُرْآنِ شَرِيعَةٌ حَلَالٌ وَحَرَامٌ. وَهَذَا كُلُّهُ فِي الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، وَالتَّوْحِيدِ لَهُ ".

يعني التوحيد واحد وأسس هذا الدين وكل الكتب كما قال أبو العالية رحمه الله: " أُسِّسَ الدِّينُ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ".

فالشريعة هي الحلال والحرام أما ما يتعلق بالكتب فليس كل كتب الله فيها الحلال والحرام قلنا نحن اتفقنا على أنه يكون فيها الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وتعظيم الله أسماؤه وصفاته لكن حلال والحرام ليس في كل كتاب فالزبور مثلا كتاب تمجيد وتسبيح ولم يكن كتاب شريعة من جهة الحلال والحرام، ولذلك داود عليه السلام كان في الحلال والحرام يحكم بالتوراة، وعيسى عليه السلام كان يحكم بالإنجيل وبعض التوراة كما قال الله عز وجل ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران: 50] فهو لم ينسخ التوراة كلها ولكن نسخ بعضها يعني في التخفيف

وبقي يحكم بها والإنجيل؛ فجهة الحكم تتعلق بالتوراة من جهة الحلال والحرام والحدود ولذلك قال الله ﷻ { وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞ } [المائدة: 45] ففيها الحدود وفيها القصاص، وقال ﷻ { وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٤٣ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ } فالنبيون توارثوا حكم التوراة داود، سليمان هؤلاء الذين كان عندهم دول كانوا يحكمون بالتوراة، { ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ } أي الذين انقادوا لحكم ولم يردوها، { وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ } [المائدة: 43 - 44] هذا الكفر الأكبر في حق هؤلاء الذين اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وبدلوا حلال الله حراما وحراما الله حلالا وردوا ما أمر من الرجم وادعوا أن حكم الله غير ذلك ونحو ذلك من مكفرات فقال الله ﷻ فيهم { وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٤٤ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٤٥ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٦ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤٧ } [المائدة: 44 - 47] فالمقصود أن هذه الشرائع الحلال والحرام الزبور لم يكن فيه حلال وحرام، إنما كان شريعة ذكر، قال الله ﷻ { وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ } [سبأ: 10] فتسبح معه الجبال وتسبح معه الطير وتأوي إليه الوحوش إذا قرأ الزبور وداوود عليه السلام كان صوته جميلا حسن، كما جاء عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُرَيْدَةَ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: " سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَ الْأَشْعَرِيِّ أَبِي مُوسَى وَهُوَ يَقْرَأُ، فَقَالَ: لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ فَحَدَّثَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: الْآنَ أَنْتَ لِي صَدِيقٌ حِينَ أَخْبَرْتَنِي هَذَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِي حَبَّرْتُهَا تَحْبِيرًا.... ".

والتحبير كان فيه تحزين، لذلك قراءة الصحابة كان فيها تحزين، يقرأوا القرآن بحزن وليس التنغيم لأن التنغيم شيء آخر وهذا ممكن بعض الناس يمشي على المقامات الموسيقية وهذا بدعة محدثة وهو مكروه ولكن التخزين يكون بدون تكلف على الطبع فكانت قراءة أبي موسى رضي الله عنه هكذا، ولقد وصفها بعض التابعين بأنه كان يقرأ بالتحزين وهذا التحبير الذي سمعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: " لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ ".

داوود عليه السلام كان صوته هكذا يأوي إليه الوحوش والطير والسباع إذا قرأ الزبور فلم يكن في كتابه تحليل ولا تحريم.

صحف إبراهيم كان فيها كما قال ربنا عز وجل { أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ } [النجم: 36 - 40] وهذا الذي كان موجود في صحف إبراهيم عليه السلام.

كذلك في سورة الأعلى قال الله عز وجل { سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ } إلى أن قال تعالى { إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ } [الأعلى: 1 - 19] ما معنى هذا؟ يعني كل الذي سبق موجود في الصحف وهذا يبين لك القدر المتفق بين الكتب في باب التوحيد لاحظت العلو أي علو الله تعالى، { سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى } والفائدة التي نأخذها هنا أن العلو كل الكتب نزلت به لذلك المخالف للعلو مخالف للأنبياء ومخالف للرسل ومخالف لما عليه إمام الملة إبراهيم.

رأيت لما نقول أن الجهمية خالفت ملة إبراهيم لأن ملة إبراهيم فيها إثبات علو الله عز وجل فربنا قال { سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى }، ثم قال { إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ } [الأعلى: 1 - 19] يعني إبراهيم عليه السلام في صحفه إثبات علو الله عز وجل.

فكفاك بهذا القول أن يخالف الإنسان كل الأنبياء وكل كتب الرسل عليهم السلام بل علو الله إلى اليوم موجود في كتب هؤلاء المحرفة أنهم يشيرون إلى العلو وكما روى ابن أبي حاتم رحمه الله في كتابه

" الرد على الجهمية" عن سعيد بن عامر الضبعي رحمه الله أنه ذكر عنده الجهمية فقال: " أشر قولا من اليهود والنصارى وقد أجمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش وهم قالوا: ليس على شيء ".

وقال الله عز وجل { إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ } يعني من أوائل ما نزل من الكتب لأن إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء لأن كل من جاء من الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام هو أبو لهم، وقبل إبراهيم عليه السلام فيه أنبياء نوح مثلا وبين نوح وآدم فيه أنبياء على قول بعض السلف هؤلاء جميعا صلوات الله وسلامه عليهم بعد نوح إلى إبراهيم في عشر قرون وهذه العشر قرون، قال الله عز وجل في سورة الصافات لما ذكر قصه نوح { وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الصافات: 83 - 84]، إلى قوله عز وجل { وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ } قال مجاهد رحمه الله: " يَعْنِي عَلَى مِنْهَاجِهِ وَسُنَّتِهِ ".

فكل من جاء بعد إبراهيم عليه السلام من الأنبياء هم على دينه دين التوحيد فكان إمامًا لهم كما قال الله عز وجل { إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } [البقرة: 124] وقال { إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ } [النحل: 120] يعني كان إمامًا معلمًا للخير ومقتدى به في الخير صلوات الله وسلامه عليه.

مما جاء في صحف إبراهيم عليه السلام ذكره الآخرة، قال الله عز وجل { وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ } وهذا متفق عليه، لذلك يقول قتادة: " تَتَابَعَتْ كُتُبُ اللَّهِ كَمَا تَسْمَعُونَ، أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ". فهذا ظاهر وبيِّن في تتابع كتب الله تبارك وتعالى.

وفي تفسير ابن أبي حاتم (10/ 3419): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، في قوله: { إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ } قَالَ: " نُسِخَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ". يعني سوره الأعلى موجودة أي معناها لأن صحف إبراهيم عليه السلام كانت بالسريانية وموسى كانت بالعبرانية، فالمقصود المعنى أي إتفاق المعنى وهذا يؤكد لك أن مسألة المعنى هي المؤكد والمؤكد مقصود المعنى والمعنى متفق عليه السرياني في لسان إبراهيم عليه السلام وكذلك العبراني في كلام موسى عليه السلام والعربي المبين في كلام محمد صلى الله عليه وسلم يعني مما أوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم كله متفق على ما في هذه السورة.

وقال السدي رحمه الله: " أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى مِثْلُ مَا نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ".

وقال أبو العالية رحمه الله: " قِصَّةُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ".

وقال الحسن البصري رحمه الله في قوله عز وجل { إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ } قال: " فِي كُتُبِ اللَّهِ كُلِّهَا ".

يعني في كتب الله كلها ذكر العلو.

بعض السلف يقول لك مثلا كما جاء عند ابن أبي الدنيا رحمه الله في ذم الدنيا (ص63) والزهد (ص97) وغيره ذكروا أنه ما هو موجود في صحف إبراهيم عليه السلام وهذا ممكن يكون منقول عن أهل الكتاب لكن التحديث عن أهل الكتاب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ".

يعني بشيء ليس فيه مع أنه والله أعلم بما ينزل كل معنى هذا موجود مما هو مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام قال: " يَا دُنْيَا مَا أَهْوَنَكِ عَلَى الْأَبْرَارِ الَّذِينَ تَصَنَّعْتِ لَهُمْ، وَتَزَيَّنْتِ لَهُمْ إِنِّي قَدْ قَذَفْتُ فِي قُلُوبِهِمْ بُغْضَكِ وَالصُّدُودَ عَنْكِ، مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْكِ، كُلُّ شَأْنِكِ صَغِيرٌ، وَإِلَى الْفَنَاءِ تَصِيرِينَ، قَضَيْتُ عَلَيْكِ يَوْمَ خَلَقْتُ الْخَلْقَ أَلَّا تَدُومِي لِأَحَدٍ، وَلَا يَدُومُ لَكِ أَحَدٌ، وَإِنْ بَخِلَ بِكِ صَاحِبُكِ وَشَحَّ عَلَيْكِ، طُوبَى لِلْأَبْرَارِ الَّذِينَ أَطْلَعُونِي مِنْ قُلُوبِهِمْ عَلَى الرِّضَا، وَأَطْلَعُونِي مِنْ ضَمِيرِهِمْ عَلَى الصِّدْقِ وَالِاسْتِقَامَةِ، طُوبَى لَهُمْ مَا لَهُمْ عِنْدِي مِنَ الْجَزَاءِ إِذَا وَفَدُوا إِلَيَّ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَّا النُّورُ يَسْعَى أَمَامَهُمْ، وَالْمَلَائِكَةُ حَافُّونَ بِهِمْ حَتَّى أُبَلِّغَ بِهِمْ مَا يَرْجُونَ مِنْ رَحْمَتِي ".

المقصود هنا ذكر المعنى الموجود وقد ذكرت لكم من قبل أنه الكلام هذا فيه فائدة وهذه تأتي معنا إن شاء الله تعالى نتكلم عن الإسرائيليات مهمة جدًا في بحث ابن أبي حاتم رحمه الله يأتي معنا الكلام عن الإسرائيليات أنه ما يتعلق بمسألة أن هذا موجود في التوراة وموجود الإنجيل المقصود هو المعاني وليس المقصود عين الألفاظ كما لم ينتبه إليه بعض من ينكر حجة الإسرائيليات وهذا مما يتعلق بصحف إبراهيم وموسى.

قال أبو العالية رحمه الله: " وَنَزَلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ ". يعني لست مضت من رمضان، ليلة السابع نزلت التوراة والتوراة كتاب الله تبارك وتعالى وكلامه الذي أنزله على نبيه وعبده موسى عليه السلام.

فالتوراة كتبها الله بيده كما قال ﷻ { وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ } [الأعراف: 145] هذا ما يتعلق بالكتب السابقة؛ الله تبارك وتعالى كتب التوراة بيده لموسى عليه السلام وجاء في بعض الآثار: " وَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ وَنَاوَلَهُ إِيَّاهُ مِنْ يَدِهِ إِلَى يَدِهِ ".

طيب، هذه الكتابة لا تنفي الكلام لأن الله تبارك وتعالى كتب ويكلم وكما قال ﷻ { وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا } [النساء: 164] أي مشافهة، وقال الله ﷻ { قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ } [الأعراف: 144] .

التوراة هي أعظم كتب الله تبارك وتعالى بعد القرآن أي شأنها عظيم وإن كان وقع فيها التحريف كما وقع في كتب الله ﷻ لكن التوراة أتاها الله ﷻ إلى موسى عليه السلام في ألواح ولما عبد بنوا إسرائيل العجل كما جاء في قول الله ﷻ { وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ } [الأعراف: 150] والألواح هذه كما وصفها ابن عباس رضي الله عنهما : " أَعْطَى اللَّهُ مُوسَى التَّوْرَاةَ فِي سَبْعَةِ أَلْوَاحٍ مِنْ زَبَرْجَدٍ فِيهَا تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَمَوْعِظَةٌ التَّوْرَاةِ مَكْتُوبَةً فَلَمَّا جَاءَ بِهَا فَرَأَى بَنِي إِسْرَائِيلَ عَكَفُوا عَلَى فِي الْعِجْلِ، رَمَى بِالتَّوْرَاةِ مِنْ يَدَيْهِ، فَتَحَطَّمَتْ وَأَقْبَلَ عَلَى هَارُونَ فَأَخَذَ بِرَأْسِهِ، فَرَفَعَ اللَّهُ مِنْهَا سِتَّةَ أَسْبَاعٍ وبقي سبعا ".

وهذا جاء في حديث مرفوع للنبي ﷺ كما في مسند أحمد (4/ 260): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ مُوسَى بِمَا صَنَعَ قَوْمُهُ فِي الْعِجْلِ، فَلَمْ يُلْقِ الْأَلْوَاحَ، فَلَمَّا عَايَنَ مَا صَنَعُوا، أَلْقَى الْأَلْوَاحَ فَانْكَسَرَتْ ". ولما ألقاها رفعت اثنتان وبقي أربعة كما جاء في أثر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي أخرجه أبي داود في سننه (2/ 72) قال: " أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي الطُّوَلِ، وَأُوتِيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام سِتًّا، فَلَمَّا أَلْقَى الْأَلْوَاحَ، رُفِعَتْ ثِنْتَانِ، وَبَقِيَ أَرْبَعٌ ".

فَجُعل الباقي الذي بقي بعد ما ألقى الألواح عليه السلام كما قال ﷻ { وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ } يعني بعد أن تكسرت ورفع منها، ثم قال ﷻ { وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ

هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ } [الأعراف: 154] فالذي في النسخ كلام الله لذلك نسميه مُصحف أو نسخة، قال عز وجل { وَفِي نُسْخَتِهَا } أي في الأصل { هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ }.

طيب هنا بني إسرائيل استأذن موسى ربه تبارك وتعالى أن يقرؤا كتابهم صدرًا يعني حفظًا فأبوا ذلك إلا أنهم يقرؤنه نظرًا واستأذن لهم رب العالمين تبارك وتعالى ذلك لهم وخيرهم هل تقرؤن كتابكم حفظًا من صدوركم فأبوا وقالوا نقرأه نظرًا فلذلك أُخذوا أنهم لا يقرؤن توراتهم إلا نظرًا ولا يحفظونها والذين حفظوا التوراة قلة وهم أنبياء موسى وهارون ويوشع بن نون وعيسى عليه السلام وعزير هو الذي حفظها وأملاها بعد ذلك بعد أن ذهبت لهم بعد السبي البابلي فهؤلاء حفظوا التوراة صلوات الله وسلامه عليهم. فالمهم قالوا نحن نقرأها نظرًا فلذلك تجد إلى اليوم حتى هذا المحرف الذي يقرؤه لا يقرؤونه حفظًا عكس ما عليه أهل الإسلام.

قال أبو العالية رحمه الله: " وَنَزَلَ الْإِنْجِيلُ لِثَمَانِي عَشْرَةَ ".

الإنجيل أنزله الله تبارك وتعالى على عبده عيسى عليه السلام.

طبعا التوراة شريعة عدل والإنجيل شريعة فضل لأنه جاء بالتخفيف ولم ينسخ كل ما في التوراة كما ذكر ربنا تبارك وتعالى.

هذه كتب الله السابقة وهذه الكتب كلها التوراة والإنجيل وقع عليها التحريف ولذلك ربنا قال { يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ } [المائدة: 41]

من معاني التحريف أنه تحريف معنى أو تحريف لفظ، أما تحريفهم المعاني هو تأويلاتهم الفاسدة يعني يعطون المعاني غير المنقول، غير الظاهر ومن تحريفهم أيضا أنهم كانوا يزيدون وينقصون في كلام الله، طبعا هل حرفوا نفس الموضع؟! رَوَى الْبُخَارِيُّ في صحيحه (9/ 160) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: " { يُحَرِّفُونَ } يُزِيلُونَ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِه ".

لذلك التبديل الحاصل تبديل من جهة المعاني والمخالفة في العمل { يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ } [الفتح: 15] يعني يخالفونه من جهة العمل وهذا حصل لهم لأن نبذوه وراء ظهورهم وتركوا العمل به كما قال الله عز وجل { وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [البقرة: 101] وهذا ترك العمل، اعرضوا عن العمل فخالفت

أعمالهم ما في كتابهم أما من جهة الألفاظ فماذا صنعوا؟! كتبوا كتبًا مع كتب الله التي هي المثناة ويسمونها اليهود اليوم المشناة.

المثناة هذه التي حذر منها عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما هي ما كُتب مع كتاب الله فتركوا كتاب الله يعني تناسوه وتناسوا العهد به وذهب لهم وكتبوا كتبًا نسبوها إلى الله تبارك وتعالى، فكان إذا جاءهم شخص له حق في الكتاب المنزل حكموا له بما في الكتاب المنزل لأنه يعطيهم رشوة أما إذا جاءهم رجل والكتاب المنزل يُلْزِمُه بحق معين فتحوا له المثناة لأنه له فيها فرجة مثل كتاب " الحيل " والعياذ بالله، فقال الله عز وجل { فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ } [البقرة: 79]، وقال عز وجل { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [آل عمران: 78] هذا الحاصل في هذه الأمة أنها أضاعت ونست كتاباها وما حفظ من كتابهم أفسدوه بالتفاسير والتأويلات الفاسدة.

نعم اليوم قد تجد في المحرف بعض الكلام حق بل تجد بعض الكلام له أصل عندنا حتى بعض الأشياء التي يضحك عليها بعض الناس مثلا أنه إذا ضربك شخص فأعطيه الخد الآخر فالفهم النصراني ملغي لعقيدة الولاء والبراء لأنه عندهم الحب وكل شيء الحب أي عندهم عقيدة حب كل شيء فألغوا الولاء والبراء والمعاداة في الله والبغض في الله لكن هذا المعنى " **من ضربك أعطيه الخد الآخر** " الفهم فيه تحريف، الظاهر فيه تحريف وإلا هذا فإنه يُحمل على الصبر على الأذى فقط وليس فيه القبول بالذل ففي فرق بين الصبر على الأذى وهذا مطلوب بل عد الله عز وجل وقال في كتابه العظيم { وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } [فصلت: 35] دائما هؤلاء ولاحظ أن بعض الأشياء أو بعض الحكم مما يُقال أنه قالها المسيح عليه السلام أنهم هم يفهمون فهم غلط ويروونه بالغلط هذا الذي حصل مثل " **داع الخلق للخالق** " وهذه فهموا منها أنه فيها حرية الفساد وهو ليس وكذلك وقولهم " **من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها** ". يعني في قصه الرجم لما جاءوا ينادون المعلم يقولوا له أرجم هذه الزانية فقال: " **من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها** ". فهم فهموا منها إلغاء الرجم وليس الأمر كذلك وإنما أمر في قضية الستر بمعنى أستر على الناس ولا تفضح مثلا هكذا.

فيكون عندهم دائما فهوم يعني تُلغي الأحكام وهذا ليس صحيح وهذا الفرق بين عالم الشريعة المحمدية وبين عالم الشريعة المحرفة عند أهل الكتاب؛ فعلماء الشريعة المحمدية أوتوا ألباب كما سماهم رب العالمين { أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ } أي أصحاب العقول أنه لا يأتي مثلا بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الغامدية أو في ماعز رضي الله عنه في قضيه الستر فالأمة لم تفهم أنه كونك تستر على العاصي أنك تلغي الحدود!!

بل قال ربنا تبارك وتعالى { وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ } [النور: 2] ثم لا تفهم من كونك لا ترأف به في إقامه الحد أنك لا ترحمه في فرق ، لذلك قال مجاهد رحمه الله في تفسيرها { وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ } قال: " فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ، يُقَامُ وَلَا يُعَطَّلُ ".

فأنا ممكن شخص أطبق عليه الحد وقلبي يتقطع رحمة به ليس فيه إشكال لكن لا تمنعني الرحمة من إلغاء الحد كما أفسد على أصحاب من أنزل الله فيهم الإنجيل الأحكام [الرحمة والشفقة والزائدة] فألغوا فيها الأحكام.

وأما أهل التوراة الذين أنزل الله فيهم التوراة فبغلوهم في الشماتة بلغوا في الأحكام حتى بدلوه وأحدثوا التحميم والتجبية وهذه مبالغة في الشماتة فكانوا يحبون الفضح فجاءت شريعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي هي أصلا الشرائع المنزلة توافقها لكن شريعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها الكمال فجاءت بالستر على العاصي إذا ستر نفسه والرحمة به والرفق به والنهي عن لعنه والدعاء له بالصلاح كما قال عمر رضي الله عنه : " إِذَا رَأَيْتُمْ أَخًا لَكُمْ زَلَّ زَلَّةً فَسَدِّدُوهُ، وَوَفِّقُوهُ، وَادْعُوا اللهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِ، وَلَا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ ".

ومع ذلك يطبق عليه الحد ولذلك محاسن الشريعة مهم جدًا النظر فيها فتعرف أن الذي أنزلها حكيم خبير سبحانه وتعالى.

فأنا مرات أقرأ لشنودة وهذا سابقا من باب الرد عليه فتجد أنه لا عقل له فمثلا سألوه في الميراث وتعرفون أن التوراة فيها ميراث والنصارى يؤمنون بكل الأسفار القديمة التي هي التوراة ويجعلونها هي الشريعة عندهم لكن لماذا النصارى لا يقولون بالميراث؟!!

فشنودة يتكلم يقول نحن الميراث عندنا يتقسم بالحب بمعنى أن الإخوة يجلسون والذي يحب أكثر يأخذ أكثر فهذا لو رُد إلى أهواء الناس ولا أحد يعطي أخاه وهذا جاءت الشريعة بإلغائه في الميراث أنه يُقسم بالأهواء.

بل الشريعة وضعت الحدود والمواريث حتى لا يكون للناس أهواء يتبعونها كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ ". وهذا باب جليل عظيم تعرف فيه عظمة الشريعة.

وحتى تعرف هؤلاء الرهبان والقساوسة والشمامسة والباباوات وكل هؤلاء الذين في الكنائس هم طواغيت وأئمة كفر كما سماهم ربنا في سورة التوبة { فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ } [التوبة: 12] قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : " هُمُ الشَّمَامِسَةِ ". هؤلاء أئمة الكفر هم باطنية يعني غلو في التحريف حتى ألغوا لذلك شريعة التحريف مأخوذة من بولس وهو الذي نسخ ووضع النصرانية، كيف أنه أتى إلى الأحكام وقال أن الشريعة ليس المقصود بها الظاهر مع أنك تجد في التوراة الختان بأن الأنبياء كانوا يختتنون ومع ذلك النصارى لا يختتنون، لماذا؟! لأن بولس قال أن الختان ختان الروح!! وهكذا أتى لهم بالتأويل الذي هو التحريف من بعد دخل على الأمة أخذ من عند الفلاسفة لذلك أنا قلتها في بعض الدروس أن أصل البلاء حتى تفهم فكرة أو طريقة أو منهج العداوة لدين الأنبياء لابد أنك تعلم أن كله جهة الفلاسفة، فكل ما تراه بدون استثناء وضع تحت كلمة " كل " ألف خط أن كل ما تراه من أي ملة أو نِحْلَة تعادي دين الأنبياء مبعثها فلسفي لأن الفلاسفة يسمون أنفسهم حكماء قالوا نحن نصل بلا أنبياء والعياذ بالله، فاختلفوا في أهوائهم فوقع فيهم عداوة للرسل جميعا فأصل البلاء هو الفلسفة، فالتأويل والتحريف للمعاني والقول بالباطنية والقرمطة مأخوذ من عند الفلاسفة، التحايل لإنكار السنن والأسانيد مأخوذ من عند الفلاسفة، القول بأن العقل مقدم على النقل مأخوذ من عند الفلاسفة، التشكيك في اليقينيات والنقليات النبوية مأخوذ من عند الفلاسفة، خبر الواحد والآحاد والظني والقطعي وما تسمعه في أصول الفقه موجود عند الفلاسفة كله هذا موجود في الفلسفة، ما تراه من أفكار سياسية وعلمانية وديموقراطية واللبرالية هذه كله من عند الفلاسفة منبوع الإلحاد وما تراه من أفكار اقتصاديه الإشتراكية والرأس مالية ووو كلٌ مخرجه من عند الفلاسفة وما تراه من أفكار تجريبية يعادون بها ما أُنزل على الأنبياء بأن الشمس ثابتة والأرض كروية غير مسطحة والأرض التي هي تدور ولا مركز للأرض وكذا مأخوذ من عند الفلاسفة، داروين وما قال داروين وماركس وما قال ماركس وهؤلاء أصلا هم فلاسفة، ابن سينا فيلسوف قبل أن يكون طبي، الرازي فيلسوف، بن رشد فيلسوف وهؤلاء طواغيت سواء المنتسبين للملة أو الذين ما هم عليه.

لذلك الفلسفة هي أصل البلاء والفلسفة ماذا أخرجت؟! الفلسفة أخرجت أبناء ولذلك بعض الناس يسأل يقول لك المنطق إيش علاقته بالفلسفة؟! بعضهم قال المنطق لا علاقة له بالفلسفة بعض الأغبياء

والجهلة ممن صدق بعض الشناقطة أن السلف لما ذموا علم الكلام والمنطق يقصدون الذي ذمته الفلاسفة كما قال المختار بن بونة شارح الألفية في المنطق:

قلتُ نرى الأقوال ذي المخالفة   محلّها ما صنف الفلاسفة

أمّا الذي خلّصه من أسلما   لا بد أن يُعلم عند العلماء

وهذه احتج بها الشنقيطي وقلده الحزامي ويقول لك رأيت المنطق هذا الذي ذمه السلف هو الذي قاله الفلاسفة لكن في منطق لم يقله الفلاسفة، هذا مثل من يأتيك شخص ويقول لك رأيت هذا الماء المالح هذا ما يجري من البحر لكن هو ليس في البحر يعني يفصل بين الشيء والشيء الذي هو من نفسه ويقول لك لا في فرق وهذا غباء واستغباء للناس، ما في منطق خرج من عند الفلاسفة ومنطق لم يخرج من عند الفلاسفة، طيب أين يرجع إسناد المنطق الذي لم يخرج من عند الفلاسفة؟! خرج من عند أرسطو وأرسطو طاغوت رأس من رؤوس الفلاسفة لعنة الله عليه معادي الأنبياء والرسل وبعد يقول لك المنطق حرره العلماء فتسأله من هم العلماء الذين حرروه؟! قال الغزالي في " القسطاس المستقيم " وفلان وبعضهم يقول أن هناك فرق بين المنطق وعلم الكلام!! وهم غصنان في شجرة واحدة اسمها الفلسفة والفلسفة هي أغصان كثيرة جدا سواء الإشراقية والغربية والهندية والصينية والقديمة والحديثة والوضعية كل أنواع الفلسفة شجرة كبيرة جدا من أغصانها المنطق بل المنطق للفلسفة كأصول الفقه للفقه وهكذا أقرب لك المعنى جيدا، رأيت الفقه ماذا يصنع الفقيه؟ يستنبط الأحكام، بماذا يستنبط؟ بالأصول والقواعد، كذلك الذي يستنبط الكفريات يستعمل المنطق ويطبقه على الفلسفة ليخرج بأحكام كفرية وعلم الكلام جامع لهما بمعنى أنهم يأخذون من الفلسفة المصطلحات ويأخذون من المناطقة طريقة التفكير وهذه خلاصة الباب والسلف ليسوا أغبياء لما يقولوا أن علم الكلام والمنطق كله سواء وأنه لا يوجد فرق وكله من الفلسفة لذلك السلف فهموا الموضوع وهم ليسوا بعمى عن الفلسفة ولذلك نطرح سؤال على هؤلاء متى دخل المنطق على الأمة؟! يقول لك لما ترجم المأمون الكتب، طيب المأمون ماذا ترجم؟! ترجم كتب الفلسفة بالمناسبة ولما أرسل إلى ملك الروم وقال له أترجم الكتب كل القساوسة وقفوا وقالوا لا تعطيه الكتب التي هي كتب اليونان وكتب أرسطو لأنه قبل ما تأتي النصرانية على اليونان كانوا وثنيين مع أن الفلسفة لم تأتي من عند اليونان وحقيقة الفلسفة في التاريخ أنها خرجت من عند الفراعنة والصينين والهنود هؤلاء الذين أخرجوا الفلسفة مثل بوذا وهو كان فيلسوف ولذلك هو لا يؤمن بما يقول الأنبياء، ولذلك البوذيون لا يقولون أن دينهم سماوي يزعمون أنه لم ينزل من السماء لكنهم

وضعوا ويؤمنون بعقيدة الحلول ووحدة الوجود وبوذا كان قبل المسيح عليه السلام يعني كان في الفترة فكان حينئذ فيلسوف فالفلسفة خرجت من عنده والفراعنة كانت عندهم فلسفة ووجد عندهم التثليث الذي هو موجود عن النصارى ووجد عندهم البنوة يعتقدون أنه في بشر ومخلوقات أبناء لله تعالى الله عما يقولون، ولذلك قال ربنا تبارك وتعالى { وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ } [التوبة: 30] فهؤلاء الزنادقة ما يدرسون ولا يفهمون ولا يتعلمون، نسأل الله السلامة والعافية.

لذلك الفلسفة اليونانية أصلها مأخوذ من عند الفراعنة لكن هم فقط طوروها وصار عندهم الرواقيون وقال الفلسفة جاءت من عند اليونان.

طيب، اليونان لما دخلت عليهم النصرانية انتبه هي كانت فيها الفلسفة فدخلت عليها النصرانية فلكي تَتَنَصَّر روما ترومت النصرانية كما قال بعض الزنادقة وهي كلمة حق وهذا الذي وقع أنه النصرانية هي التي تأثرت وازدادت وثنية فوق وثنيتها وتأثرت بالفلسفة فأصبح فيهم الحلول والإتحاد بقوة وعقائد كثيرة جدا في التحريف والتأويل يعني وجدوا مهداً لدين محرف، فلما غزى النصارى هذه البلدان مسكوا كتب الفلسفة ووضعوها في مكان، فجاء المأمون يطلبها لكي يترجمها فوقف كل القساوسة قالوا للأمير لا تعطيه الكتب، فجاء رجل من اليهود وقال للأمير أعطه هذه الكتب وما دخلت هذه الكتب على أمة إلا أفسدت عليها دينها، لأن حصن المناعة عند الأمة هو الإسناد والذي يهدد هذا الحصن هي الفلسفة ولذلك كل علوم الإسلام أفسدتها الفلسفة يعني دخل شيئا فشيئا فمثلا علم التفسير الذي يتعلق به علوم الآلة كالتجويد دخل بعد المئة الثالثة فبدأ يتأثر بعض الأعاجم الذين صاروا يكتبون في التجويد بالفلسفة فبدؤوا يحددون بعض القوانين ويخالفون في بعض المخارج وكانوا يخالفون الأئمة الأوائل الذين كانوا يتكلمون بالعربية على السليقة.

فلذلك الذي يزعم ويقول أن المنطق هذا قسمان منطق قالته الفلاسفة ومنطق حرره من أسلم وهؤلاء من أسلم هم الغزالي وغيره وهؤلاء زنادقة وليسوا مسلمين بل الغزالي نفسه رجع وكتب كتابًا أسماه " تهافت الفلاسفة " وكتب كتابا أسماه " إلجام العوام عن علم الكلام " وقال أن علم الكلام خطر على العوام. سبحان الله!! وعنده كتاب آخر كفرهم في سبعة مسائل تقريبًا ورد عليه بن رشد بـ " تهافت تهافت الفلاسفة " وبن رشد هذا قصة أخرى يأتي في محله ونتكلم عليه ولذلك يسمونه المعلم الثاني بعد أرسطو لأنه هو الذي عَرَّب كتب أرسطو ومهدها ولذلك تجد في الجامعات الفلاسفة الإلحادية

العالمية كالسربون وغيرها لهم مقاعد خاصة ويحتفون بابن رشد الحفيد صاحب " بداية المقتصد " وله نفس فقهي لكنه متأثر بعلم الكلام خاصة في وضع الكتب وأصول الفقه ونحو ذلك.

فمن عجب تراه أن ناسا لا يستشعرون هذا الخطر واذهب وقرأ " ذم الكلام " تجد كل السلف ذموا الكلام حتى أبو حنيفة الذي كان متأثر بهذه الفلسفة نقلوا عنه أنه قال: " أردت أن أطلب علم الكلام لكن لو كان خيرًا لقال به السلف ".

هذا أبو حنيفة أتاه الورع والله أعلم هذه تذكر عنه وإن كان تعرفون أبو حنيفة منافق زنديق.

يعني شيء اتفقوا عليه حتى أصحاب أبو حنيفة كانوا يذمون علم الكلام يعني ما كان في الأمة من يحتفي به حتى جاء المأمون ولذلك هذا من أعظم الأوزار التي يحملها هذا الكافر أخزاه الله تبارك وتعالى.

قال أبو العالية رحمه الله: " وَنَزَلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ".

طبعًا الآثار كثير منها أنه نزل في ليلة القدر وهذا الثابت لكن تحديد الليلة سيأتي معنا في أثر ابن عباس رضي الله عنهما في نزول القرآن

القرآن من ناحية النزول تتعلق به جملة من المسائل لابد من الانتباه لها:

المسألة الأولى: أن القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حمله عن جبريل عليه السلام مسموعًا من الله تبارك وتعالى، بمعنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمعه من جبريل، وجبريل سمعه من رب العزة، والصحابة رضي الله عنهم سمعوه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي نقرأه اليوم فيما بين دفتي المصحف، قال الله عز وجل { وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ } [الشعراء: 192 - 194] فهو كلام الله تعالى وكل كتبه هكذا، كلامه غيره مخلوق منه بدأ أي منه خرج أي تكلم الله به بحرف وصوت.

المسألة الثانية: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتلقى القرآن منجمًا يعني مفرقًا، قال الله عز وجل { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ } [القيامة: 17] وهذا أشرنا إليه من قبل، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه الوحي يظهر عليه التغير لكنه فيه وقار ليس كزمزمة الكهان مثل مسيلمة تسمع زمزمة وهطهطة وهكذا وهذا الفرق بين النبي والساحر لأن الساحر والكاهن ومن يدعي النبوة يتنزل عليه شياطين فيظهر عليه علامات الزمزمة والخربطة والتخرف والتخرس، أما الرسل عليهم السلام إذا نزل عليهم الوحي مع شدته يظهر

عليهم وقار لذلك جاء في **صحيح البخاري (1/ 6)**: عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها: " أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ (يعني صوت الجرس المعروف)، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ ".

قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: " وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ (يعني يفك عنه) وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا (يعني ينزل عرقه بشدة) ". لذلك قال ربنا عز وجل { إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا } [المزمل: 5].

المسألة الثالثة: الوحي الحاصل لأنبياء الله عموما صلوات الله وسلامه عليهم:

- **إما أن يكون وحيًا مجردًا.**
- **إما تكليم من وراء حجاب كما كلم الله موسى عليه السلام يعني مشافهة بلا واسطة.**
- **إما تكليم بواسطة كأن يرسل الله الملائكة للرسل عليهم الصلاة والسلام.**

كما قال الله عز وجل { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ } [الشورى: 51] هذه أنواع التكليم الثلاث.

أما إيحاء الرسول فهو أنواع:

كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: " أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ ".

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: " وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ ".

كلا النوعين إلقاء الملك وهو وحي من الله تبارك وتعالى.

وقد يكون بالتكليم والنبي كلمه الله تبارك وتعالى مباشرة في الإسراء والمعراج بل رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قول جماعة من السلف.

وإما أن يكون رؤيا يراها الأنبياء وهذا وحي مجرد كما قال عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ: " رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ وَقَرَأَ { إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ } [الصافات: 102] ". فرؤيا الأنبياء وحي من الله تبارك وتعالى.

كذلك يأتيهم الملك بصورة رجل كما تقدم وكان جبريل أحيانًا يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صورة أعرابي وأحيانا يأتيه في صورة دحية الكلبي كثيرًا وكان صورته جميلة دحية الكلبي رضي الله عنه .

المسألة الرابعة: أن جبريل عليه السلام تلقى الوحي من الله وهذا مهم جدًا، يعني أن جبريل عليه السلام سمعه من الله جميعه أي سمع القرآن كله، ولذلك قال ربنا عز وجل { عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ} [النجم: 5]، وقال عز وجل { إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ } [التكوير: 19 - 23]، وقال عز وجل { قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ } [النحل: 102] فهو الذي بلغ الكلام للرسول عليه السلام.

المسألة الخامسة: معرفة نزول القرآن وهذا مهم جدًا ولذلك البخاري بدأ بـ " كتاب نزول الوحي " وأبو محمد الدارمي رحمه الله ابتدأ كتابه بـ " دلائل النبوة " يعني هذا أصل العلم.

المسألة السادسة: أن القرآن موجود في اللوح المحفوظ، قال الله عز وجل { فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ } [البروج: 22]، وقال عز وجل { إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ } [الواقعة: 77 - 79]، القرآن في اللوح المحفوظ هذا مما هو متفق عليه بين الأمة يعني مكتوب في اللوح المحفوظ فهو كلام الله.

المسألة السابعة: أن القرآن نزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ليلة القدر نزل إلى بيت العزة كما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو أثر صحيح لابد من فقهه وضبطه وله طرق منها طريق سعيد ابْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : " فُصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَجَعَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنَزِّلُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُرَتِّلُهُ تَرْتِيلًا ". وهذا لا تنافي بينه وبين كون جبريل سمعه من الله لأنه كُتب ونزل، لماذا قلت هذا؟ لأنه الأشعرية يحتجوا بهذا من السيوطي الزنديق يحتجوا به على أن جبريل لم يسمعه من الله ويقول بالكلام النفسي لكن نحن نقول سمعه كما قال الله عز وجل { وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ } [الشعراء: 192 - 194] وقال { قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ } [النحل: 102] فالمقصود أنه هم يقولون لا جبريل أخذه من بيت العزة وهذا ليس صحيحا، لأنه ثبت أن جبريل عليه السلام سمعه من الله تبارك وتعالى، والأمر الثاني أن الكتابة لا تنفي الكلام كما أن التوراة كتبت وتكلم الله بها، كذلك القرآن كتبه الله وأنزله وتكلم به وهذه تكون فيها زيادة يقين في أنه

كلام الله غير مخلوق وتعظيم له وهذا كمن مثلا شخص أرسل رسالة لصديقه وتكلم بها في نفس الوقت من باب التقريب ولله المثل الأعلى.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: " رُفِعَ إِلَى جِبْرِيلَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ جُمْلَةً، فَرُفِعَ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ جَعَلَ يَنْزِلُ تَنْزِيلًا ".

وقال رضي الله عنهما: " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً حَتَّى، وُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَنَزَّلَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَوَابِ كَلَامِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَنَزَّلَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَوَابِ كَلَامِ الْعِبَادِ، وَأَعْمَالِهِمْ ".

وجاءت روايات أخرى تجدها في تفسير قوله عز وجل { وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا } [الفرقان: 32]

وقال عز وجل { إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ } [الدخان: 3]

وقال عز وجل { إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ } [القدر: 1]

فقد روي بطرق كثيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق سعيد بن جبير رحمه الله في غالبها وروي من طريق غيره والخلاصة أن هذا الأثر صحيح ثابت، وكما قال النحاس: " وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا يُدْفَعُ ".

ولا تلتفت لمن خالف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أو من المتأخرين ممن أنكروا هذا الأثر.

بعضهم قال: لو قلتم بهذا الأثر ممن لم يفهموه كما أشرت قالوا هذا يلزم منه أن جبريل عليه السلام أخذ القرآن من اللوح المحفوظ لا وحيًا وهذا الاعتراض باطل، كما أشرنا من قبل على أن السلف متفقون على أن جبريل عليه السلام أخذ القرآن من الله عز وجل وليس من اللوح المحفوظ يعني سمعه من الله تبارك وتعالى.

وكونه مكتوب في اللوح المحفوظ، وكما قال الله عز وجل { فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ } [عبس: 13 - 14] لا ينافي أن يكون جبريل عليه السلام نزل به من عند الله لأنه هو مكتوب ولذلك كما ذكرت لكم السيوطي احتفى بهذا الأثر ولا حجة له فيه.

ثم هذا الأثر يفيد فائدة وهو أن القرآن له نزولان:

النوع الأول: نزول إجمالي وهذا الذي جاء في هذا الأثر وهو يدل على أن القرآن ثم نزول إجمالي أي أنه نزل مرة واحدة إلى بيت العزة، قال الله عز وجل { شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ } [البقرة: 185]

وقال ﷻ { إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ } [الدخان: 3]، وقال ﷻ { إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ } [القدر: 1] وهذا نزول إجمالي، وابن مسعود رضي الله عنه فسر قوله ﷻ { فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ } [الواقعة: 75] قال: " بمحكم الْقُرْآن فَكَانَ ينزل على النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم نجوماً ".

النوع الثاني: النزول المنجم أي المفرق وهذا ليس هو النزول الأول، قال الله ﷻ { وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا } [الإسراء: 106]، وقال ﷻ { وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا } [الفرقان: 32]، وقال ﷻ { قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ } [البقرة: 97] وآيات كثيرة في هذا الباب.

وجاء عن ابن خزيمة في كتاب التوحيد (1/ 348): عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً، أَوْ قَالَ رِعْدَةً شَدِيدَةً، خَوْفًا مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَعِقُوا، وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ قَالَ: فَيَقُولُونَ: كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زَكَرِيَّا أَحَدُ عُبَّادِهِمْ ".

وعند البخاري في صحيحه (6/ 80): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ، قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، فَإِذَا { فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ } لِلَّذِي قَالَ: { ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ } [سبأ: 23] ... ". هذا النزول المفرق أو المنجم.

وفي النزول المفرق روعي الوقائع التي نزل بها، ولذلك ابن عباس رضي الله عنه قال: " وَنَزَّلَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَوَابِ كَلَامِ الْعِبَادِ، وَأَعْمَالِهِمْ ".

وابن جريج رحمه الله قال كما عند الطبري في تفسيره (17/ 446): " كَانَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ جَوَابًا لِقَوْلِهِمْ: لِيَعْلَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّ اللَّهَ يُجِيبُ الْقَوْمَ بِمَا يَقُولُونَ بِالْحَقِّ ".

وقال الحسن البصري رحمه الله كما في تفسير ابن أبي حاتم (8/ 2690): " كَانَ يُنْزِلُ الآيَةَ وَالآيَتَيْنِ وَالآيَاتِ كَانَ يُنْزِلُ جَوَابًا لَهُمْ إِذَا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ شَيْءٍ أَنْزَلَ اللَّهُ جَوَابًا لَهُمْ وَرَدًّا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا تَكَلَّمُوا بِهِ وَكَانَ مِنْ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ نحوا من عشرين سنة ".

وهذا يعني غالب مما نزل من القرآن يعني كثير من القرآن هكذا وإلا في آيات نزلت ابتداءً من دون سؤال سائل ولا رد راد، نزلت ابتداءً يعني ابتداءً للأحكام فالتنزيل كان نوعين:

النوع الأول: تنزيل جواب عليهم ورد عليهم.

النوع الثاني: تنزيل كان من باب الابتداء للأحكام وتشريعها.

المسألة الثامنة: نزول القرآن المقصود به ثلاثة أنواع:

النوع الأول: نزول مقيد بأنه منه، قال الله عز وجل { وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ } [الأنعام: 114] فهذه مقيد.

النوع الثاني: نزول من السماء، قال الله عز وجل { وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ } [المؤمنون: 18]

النوع الثالث: نزول غير مقيد لا بهذا ولا ذاك، قال الله عز وجل { تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ } [القدر: 4]، وقال أيضا { فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ } [الفتح: 26]. انتهى

طبعا النزول الذي يكون مقيد بأنه من الله هذا دالٌ على العلو.

المسألة التاسعة: القرآن هو الذي في المصاحف كلام الله عز وجل فنطلق على القرآن الذي في المصحف أنه كلام الله غير مخلوق لأن الله أطلق أن الذي في الصحف أو في المُصحف أو النسخ هو كلامه غير مخلوق تبارك وتعالى فقال { وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ } [الطور: 1 - 3] وقال عز وجل { رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ } [البينة: 2 - 3]، وقال أيضا { كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ } [عبس: 11 - 16] فمن قال القرآن في المصاحف والصدور فهو كلام الله غير مخلوق ومن قال إن ما في المصحف هو كلام الله غير مخلوق فهذا هو التوحيد، أما من قال أن الذي في المصاحف أو في الصدور ليس كلام الله فهو كافر وهذه عقيدة الجهمية، فالكلام نفسه هو كلام الله عز وجل

غير مخلوق حروفه ومعانيه كلام الله تبارك وتعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: 196]، وقال عز وجل ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ [القمر: 52] فالقرآن نفسه مكتوب وموجود في المصاحف وهذا بالإجماع، نقل الإجماع أبو عبيد رحمه الله في كتابه " فضائل القرآن " وقرأناه أن الذي بين دفتي المصحف هو كلام الله تبارك وتعالى غير مخلوق.

المسألة العاشرة: أن القرآن الموجود في المصحف ترتيبه من حيث الآيات أو السور توقيفي ليس اجتهادي يعني الترتيب هذا الموجود للآيات والترتيب الموجود للسور هذا بإجماع الأمة أنه توقيفي يعني من عند الله تبارك وتعالى والداني استفاض في هذا الباب في كتابه " المقنع " وكثير من كتبه، حقيقةً أبدع إبداع جيد في نقل الآثار والأدلة على هذا وانه هذا إجماع الأمة أنهم متفقين على أن المصحف في زمن عثمان هو الموجود في اللوح المحفوظ فأنت الآن وأنا وكل مسلم لما يُمسك المُصحف يجب الجزم دون ما شك وارتياب أن هذا المصحف بعينه بحروفه ومعانيه بنفس الترتيب هو الموجود في اللوح المحفوظ، فهذا الترتيب بين الآيات ترتيب توقيفي كذلك ترتيب السور ترتيب توقيفي وهذا دلت عليه الآثار، لذلك يُكره تنكيس الآي ويكره تنكيس السور وهذا جاء عن محمد بن سيرين وجماعة ونص عليه الإمام أحمد رحمه الله.

المسألة الحادي عشر: المصاحف التي كتبها الصحابة رضي الله عنهم ليس فيها تشكيل ولا نقط لأنهم كانوا عرب لا يلحنون، ففي أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم لما وقع اللحن صاروا ينقطون المصاحف ويشكلونها وهذا جائز عند أكثر أهل العلم ولا يكره وهذه من علوم القرآن تتعلق بالضبط وفيها كتب ولذلك جاء مما يروى عن أبي بكر وعمر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم : " أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ، وَسَيَأْتِي قَوْمٌ يُثَقِّفُونَهُ وَلَيْسُوا بِخِيَارِكُمْ ".

أما ما ورد من الكراهة عن محمد بن سيرين والحسن البصري وقتادة وآخرين كما نقل الآثار بن أبي داود في كتاب " المصاحف " هؤلاء أيضا روي عنهم الجواز وهذه يشبه أنه كرهوه أولا ثم بعد ذلك اقتضته المصلحة الشرعية مسألة النقط والشكل.

وانتبه جيدا أن النقط والشكل من الحرف وإنما هذا إبراز وإظهار لمعنى الحرف، فأنت مثلا لما تقول: قال هي لما تُكتب لا تكتب بنقطتين فوق القاف وفتحة، رأيت النقطتين والفتحة هي تابعة للحرف وجزء منه وبالتالي هي داخلة في حرف، ولذلك ظهرت جماعة متأخرة قليلا كانوا يقولون الشكل والنقط

مخلوق وهذا كفر وزندقة وقول بخلق القرآن لأن النقط والشكل جزء من الحرف والحروف كلام الله عز وجل، لكن الصحابة رضي الله عنهم كانوا عربًا لم يحتاجوا للنقط والشكل ثم أُبرز على تلك الصورة التي أشرنا إليها.

ولذلك الأوامر التي جاءت عن الصحابة بتجريد القرآن لكن يجوز تعشيره والتقسيم موجود عندهم تقسيم على السور وتقسيم على الآي وهذا باب واسع.

والترقيم يتبع التأكيد يعني تأكيد الفواصل والفواصل تختلف من المصحف الشامي والمصحف الكوفي وتختلف من قراءة إلى قراءة فهي تتبع الفاصلة وفواصل الآي هذه مقصودة لأن الآيات فيها فواصل.

المسألة الثانية عشر: البسملة من القرآن وليس آية من الفاتحة على الصحيح، وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما: " كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَعْرِفُ فَصْلَ السُّورَةِ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْهِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ". يعني هي آية للفصل بين السور لكن ليست جزء وآية من الفاتحة على الصحيح من أقوال أهل العلم لذلك الفاتحة هي سبع آيات تبد بـ { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ } أما البسملة هي آية للفصل بين السور.

المسألة الثالثة عشر: القرآن تتعلق به علوم من جهة لفظه ومن جهة معناه، أما من جهة اللفظ فيتعلق به:

علم التجويد: فهو مخارج الحروف وصفاتها.

علم الرسم والضبط: وهو التنقيط والتشكيل والكتابة نفسها.

أما ما يتعلق بالمعنى:

علم التفسير: ومن جملة علومه المهمة:

أولا: علم المكي والمدني.

ثانيا: علم أسباب النزول.

ثالثا: علم الوجوه والنظائر الذي هو المناسبات والتصاريف.

رابعا: علم الناسخ والمنسوخ.

خامسا: علم غريب القرآن يعني ما يتعلق بغريب الألفاظ تُبين وتُفسر.

سادسا: علم التفسير الذي هو شرح المعنى.

بعضهم يزيد مثلا علم موضوعات القرآن ومقاصده وهذه تتعلق بالتدبر.

هذه أهم علوم التفسير وهذه التي يحتاجها طالب التفسير، طبعًا مع علوم مساعدة أخرى وهي علوم اللغة والعربية لابد يكون له فيها زاد ولو قليل لكن يكون له دراسة واطلاع على علم اللغة.

هذه أهم مسائل تتعلق بهذا الباب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بها.

قال عبد الرزاق: نا الثَّوْرِيُّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ -وَذَكَرَهُ السُّدِّيُّ، وَالْأَعْمَشُ- قَالَ: " نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْقُرْآنِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، لَيْلَةَ الْقَدْرِ، عَلَى مَوْضِعِ النُّجُومِ مِنَ السَّمَاءِ، فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فَجَعَلَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ بِهِ عَلَى النَّبِيِّ رُتَبًا رُتَبًا ".

قال عبد الرزاق: نا مَعْمَرٌ قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ: " مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُ فِيهَا شَيْئًا ".

وسيأتي الكلام عن تفسير قتادة وهو بعض السلف كان يكرهه لأنه لا يُسنده لكنه هنا يدل على أنه ما من آية إلا وسمع فيها شيئا ولذلك الأئمة كانوا يحضون على تفسير قتادة وقوله: " وَقَدْ سَمِعْتُ فِيهَا شَيْئًا ". أي عن الحسن رحمه الله أو عن غيره، وكان يسأل سعيد بن المسيب رحمه الله ، وابن المسيب كان يتجنب الكلام في التفسير.

لذلك تفسير قتادة أحسن طريق له طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة كما قاله الإمام أحمد رحمه الله .

قال عبد الرزاق: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ قَالَ: أَخْبَرَنِي قَتَادَةُ قَالَ: " صَحِبْتُ الْحَسَنَ ثِنْتِي عَشْرَ سَنَةً، صَلَّيْتُ الصُّبْحَ فِيهَا مَعَهُ ثَلَاثَ سِنِينَ ".

وهذا يدل على أن أغلب تفسيره عن الحسن رحمه الله ، وتفسير الحسن رحمه الله لا يُسنده لكنه مأخوذ عن الصحابة حيث قال أنه كان في غزوة فيها مئة وعشرون صحابي فكان يعرف علوم الصحابة رضي الله عنهم وإن كان لا يُسنده لكن كان عنده فيها علم بما قال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكنه إذا ما قورن بالتابعين فإنه أكثر التابعين شذوذا في الأقوال ولا يؤخذ بما يُفسره أو ينقله عنه عمرو بن عبيد.

قال عبد الرزاق: قَالَ سُفْيَانُ فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ: " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ كان عَلَيْهِ وِزْرًا ".

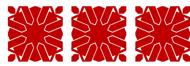
قال عبد الرزاق: عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ الزُّهْرِي قَالَ: " صَحِبْتُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ ثَمَانِ سِنِينَ ".

وسعيد بن المسيب رحمه الله هذا كان من أئمة السلف من أئمة التابعين وأجلائهم فالزهري يقول أنه صحبه ثمان سنين، وكان سعيد بن المسيب رحمه الله الشيء الذي يميزه هو علمه بالآثار، ممكن المرفوع شاركه غيره والمرسلات أحسن مراسيل مراسيله وهو أعلم التابعين وأكبرهم ، لكن علمه بالأثر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وكان يحرص على هذا، حتى عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان يسأل سعيد بن المسيب رحمه الله عن فتاوى عمر رضي الله عنه مع أنه كان هو يأخذها عنه، وكان يذهب سعيد بن المسيب رحمه الله

إلى بيوتات الأنصار ويسألهم عن قضاء أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فحفظ سنة الشيخين، فلازمه الزهري رحمه الله وقال: " **فخرجت منه بحر** ".

ولذلك جمع علم عروة عن عائشة، وعلم سعيد بن المسيب عن أبي بكر وعمر، وعلم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الذين هم أفقه العمل المدني، الزهري رحمة الله تبارك وتعالى عليه، ولذلك له تفسير وقوة الزهري في الناسخ والمنسوخ، ولذلك يكثر في الحديث تفسير يعني ما يسمى بالمدرج كان يفسر الأحاديث وكان يكثر كلامه في الناسخ والمنسوخ والعلم بأسباب النزول والمغازي، يُعتمد على الزهري رحمه الله في هذا كثيرًا أما قوته في الحديث فلا تخفى فقد روى ربع السّنة رحمه الله.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين



التعليق على مقدمة تفسير الإمام عبد الرحمان ابن أبي حاتم الرازي رحمه الله

الدرس الأول

بسم الله الرحمان الرحيم إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أما بعد: فإن أحسن الكلام كلام الله عز وجل وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

هذا المجلس الأول في الكتاب الثاني من هذه الدورة وهو القراءة والتعليق على مقدمة التفسير للإمام الحافظ الناقد أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي الرازي المشهور بابن أبي حاتم رحمه الله ورحم أباه.

وابن أبي حاتم هذا إمام من أئمه أهل السنة والجماعة فهو إمام عليه مدار نقل الدين، لذلك الاعتناء بترجمة هذا الإمام مهمة جدا ، ففي أئمة عليهم مدار نقل الدين يعني بالإسناد، فمدار نقل العقيدة ومدار نقل القرآن لفظا وتفسيرا وهو إمام في القراءات وأبو زرعة الرازي شيخه في هذا وأبو زرعة كان إمام من أئمة الإقراء كبير جدا في هذا الباب رحمه الله ، وابن أبي حاتم هو إمام في السنة إمام في علوم السنة وكتبه زاخرة، ألَّف في الجرح والتعديل وألَّف في علوم الإسناد " المراسيل " ثم ألَّف في علوم الحديث كتابه " العلل " وغير ذلك وهو أيضا إمام في أبواب المناقب والتراجم وله كتاب " مناقب الشافعي " وله ترجمة للإمام أحمد كأنه ضاع هذا الكتاب وله كذلك رحمه الله كتب " الزهد " يرويها في كتب كثيرة تروى من طريقه وحسبك أن تعلم قدر هذا الإمام في النقل والضبط والعناية أن له محنة من جنس محنة الإمام أحمد رحمه الله بل كانت أطول أمتحن بالجهمية أربعين عاما حاولوا قتله وكيد له وكان الله عز وجل عصم به الري من أن يدخلها التجهم، طبعا هو ألف في تكفيرهم كتاب عظيما أَسْمَاهُ " الرد على الجهمية " وهذا من الكتب المفقودة لكن حُفِظ بعض ما جاء فيها في بعض الكتب المتأخرة من مدونات الاعتقاد،

حُفِظ بعضها روى الآجري منها طرف وابن بطة في " الإبانة " طرفا وأورد أيضا اللالكائي طرفا كثيرا من هذا الكتاب وفي غيره، لكن هذا الكتاب ضاع وهو مجلد ضخم فيه الرد على الجهمية وهو من الكتب العظيمة، وأيضا من كتبه الكبيرة التي أشار إليها الخليلي " فضائل أحمد " تكلم فيها عن أصحابه وعن فضائل هذا الإمام ومناقبه لكن الكتاب هذا في حكم المفقود، لذلك هذا الإمام من الأئمة الذين عليهم مدار النقل، يعني أنت تتكلم الآن عن عمود، عن جبل من جبال النقل عند أهل السنة والجماعة، يعني إذا أحلت إلى ابن أبي حاتم حتى تعرف قدر الناس إذا أحلت إلى نقل لابن أبي حاتم فقد أحلت إلى جبل لا نقول ذلك من باب التعصب أو من باب يعني هكذا ضربة لازم، لا ، هذا يثبته شواهد الامتحان وحقائق الصدق بالنقل عن هذا الإمام إذا تأملت في منقولاته وما نقله حيث اعتمد في هذا التفسير رحمه الله على أزيد في هذا التفسير فحسب اعتمد على أزيد من مئة نسخة تفسيرية حديثة مسندة منها ما نعرفه ومنها كثير ضاع، فهو رحمه الله كان إماما كبيرا وهذا يعني لا نقوله إلا بشواهد الامتحان كما ذكرنا أنك إذا رجعت إلى ما رجع إليه في التفسير فاختصر لنا هذه الدرة الثمينة تفسير ابن أبي حاتم تعرف أنه اعتمد على أكثر من مئة نسخة تفسيرية للسلف منها المسند إلى الصحابة ومنها المسند إلى التابعين ومنها المسند إلى أتباع التابعين وكل موجود في الكتاب، لذلك لابد أن نعرف قدر هذه الكتب وقدر هؤلاء العلماء وألا نتجرأ باجتهاد منعور أو نفثت شيطان مغرور فيسول لك أن كل مدور رغيف، انتبه هذه أئمة عليهم مدار نقل الدين ومثل ذلك أبو عبيد قاسم بن سلام سيأتي معنا وهو مثل ابن أبي حاتم عليه مدار نقل الدين حتى قال إبراهيم الحربي فيه: " كَانَ أَبُو عُبَيْدٍ كَأَنَّهُ جَبَلٌ نُفِخَ فِيْهِ الرُّوحُ ". والجبل يضرب به مَثَل في الثبات ومَثَل في الضخامة كذلك أبو عبيد رحمه الله كان كذلك، كان أستاذًا يعني محققًا في الفنون والعلوم رحمه الله فابن أبي حاتم كان محققا في النقل رحمه الله فهنا يتجلى لك أن هذا الكتاب أي كتاب " التفسير " مرجع مهم لأهل السنة والجماعة في هذا الزمان في فهم كلام الله تبارك وتعالى، لذلك هو أَسْمَاهُ " تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول والصحابة والتابعين " وهذه منهجية تلقي الدين وفهم كتاب الله ربِّ العالمين سبحانه وتعالى ومما يبين لك ضخامة هذا الإمام علميا ورسوخه فيما ينقله أن تتأمل في شيوخه، فإذا تأملت في من تتلمذ على أيديهم خاصة ممن لازمهم على جهة الطول وهما أباه وأبا زرعة، أباه أبو حاتم وأبو زرعة الرازي عبيد الله بن عبد الكريم رحمة الله عليهم هذان كانا إمامين من أئمة أهل السنة حتى قال يونس بن عبد الأعلى: " أَبُو زُرْعَةَ، وَأَبُو حَاتِمٍ إِمَامَا خُرَاسَانَ، وَدَعَا لَهُمَا، وَقَالَ: بَقَاؤُهُمَا صَلَاحٌ لِلْمُسْلِمِيْنَ ".

وابن أبي حاتم طلب الحديث مبكرًا ولذلك كان بلده مملوءة بالشيوخ زاخرة بطبقات المحدثين ومع ذلك تردد في البلدان ونوع الشيوخ سواء في سفرات مع أبيه وفي سفرات وحده بعد أبيه فكان كثير الشيوخ، فتجد في شيوخه المروزية والمكية والمدنية والبغدادية والدمشقية والإسكندرانية والحمصية والمقدسية والرملية والأيلية والأصبهانية وغير ذلك كثير، وارجع إلى كتابه " الجرح والتعديل " ترى ذلك جليا ظاهرا يُبَيّن لك أنه كان واسع المشيخة رحمه الله تعالى.

يقول عنه الخليلي كما في السير (13/ 264): " أَخَذَ أَبُو مُحَمَّدٍ عِلْمَ أَبِيْهِ، وَأَبِي زُرْعَةَ، وَكَانَ بَحْراً فِي العُلُوْمِ وَمَعْرِفَةِ الرِّجَالِ، صَنَّفَ فِي الفِقْهِ وَفِي اخْتِلاَفِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ وَعُلَمَاءِ الأَمصَارِ".

وقال أبو عبد الله الزَّعْفَرَاني: " روى ابنُ صاعد ببغدادَ في أيَّامه حديثًا أخطأَ في إسناده، فأنكرَ عليه ابنُ عُقْدَةَ الحافظُ، فخرَجَ عليه أصحابُ ابن صاعد، وارتَفَعُوا إلى الوزيرِ عليِّ ابن عيسى، وحُبِسَ ابن عُقْدة، فقال الوزير: مَنْ يُسْأَلُ أو يُرْجَعُ إليه؟ فقالوا: ابن أبي حاتم. قال: فكتَبَ إليه الوزيرُ يسأَلُهُ عن ذلك؟ فنظَرَهُ وتأمَّلَ، وإذا الحديثُ على ما قال ابن عُقْدة، فكتَبَ إليه بذلك، فأُطْلِقَ عن ابن عُقْدة، وارتفَعَ شأنه ". يعني رجعوا له ليعرفوا من المصيب ومن المخطئ فكان مرجعًا في أهل زمانه رحمه الله تبارك وتعالى وقد نقل لنا من أصول الدين العقيدة " عقيدة الرازيين " نقلها لنا رحمه الله تبارك وتعالى وهذا من الدلائل والشواهد على الإمامة في النقل رحمه الله تعالى.

طيب، هذا على جهة الإجمال كما يقال في بيان شيء أو طرف مما يتعلق بهذا الإمام أعني ابن أبي حاتم رحمه الله تبارك وتعالى وممكن تراجعوا ترجمته وثناء العلماء عليه جدا في -**كتب التراجم**- فترجمته حافلة وهو أحد أئمة زمانه كما أشار إلى ذلك الخليلي فقال: " أئمة الناس ثلاثة .... ".

وذكر منهم أبو بكر بن أبي داود وذكر ومنهم ابن أبي حاتم وهؤلاء ممن تعاصروا جميعا في زمن واحد وفي قرن واحد رحمهم الله تبارك وتعالى.

وقبل أن ألج في مقدمة التفسير في مسألة مهمة جدًا طرحها وبيانها، طبعا المقدمة يسيرة لكن حوت في ثناياها شيئًا من العلوم الأساسية والمنهجية السلفية في التفاسير فعلى جهة الإجمال هذه المقدمة تبين لك منهج التفسير عند السلف سواءً من حيث النقد وركز معي جيدا أو من حيث طريقة التفسير لذلك

أنت ترجع لها وتصير لك مرجع في فهم المنهجية السلفية في التفسير وكذلك في طرائق التفسير، كيف يتلقى التفسير؟

يتلقى التفسير:

- تفسير القرآن بالقرآن
- تفسير القرآن بالسنة
- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين الذي هو التفسير بالمأثور على جهة العموم.

وأنبه فقط إلى مسألة مهمة وهي أنه لا يُكتفى في دراسة التفسير خاصة لطلابه بدراسة المختصرات لأنه شاع في زمان ضعف الهمة وكثرة التقاعس عن طلب الإسناد لسبب أو آخر أن بعض الناس يركن إلى من يختصر الأسانيد ترى هذا يفوت عليك علوم، أي نعم التفسير المختصر ممكن يعني له فائدته مثل ما صنع جماعة " التفسير بالمأثور " شي طيب لكن الإسناد لابد منه ودراسة الإسناد وقراءة الإسناد لابد منه لأن رسوخه وتدوير الإسناد في الذهن لا يقل أهميه على تدوير المتن والحُفَّاظ كانوا يجمعون بينهما حتى تعرف مدارات نقل التفسير لذلك على الأقل ابن أبي حاتم تقرأ في إسناده وتعتني بما يذكره لأنه كما سيأتي معنا قال: " فَتَحَرَّيْتُ إِخْرَاجَ ذَلِكَ بِأَصَحِّ الْأَخْبَارِ إِسْنَادًا ".

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ «الْحَافِظُ» أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ الْإِمَامِ الْحَافِظِ الْكَبِيرِ أَبِي حَاتِمٍ -مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الرَّازِيُّ- رحمه الله وَرَضِيَ عَنْهُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتِمِ(1) الْأَنْبِيَاءِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ.

سَأَلَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ إِخْوَانِي(2) إِخْرَاجَ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مُخْتَصَرًا(3) بأصح الأسانيد، وحذف الطرق (4) والشواهد والحروف (5) والروايات، وَتَنْزِيلِ السُّوَرِ(6)، وَأَنْ نَقْصِدَ لِإِخْرَاجِ التَّفْسِيرِ مُجَرَّدًا(7) دُونَ غَيْرِهِ، مُتَقَصِّينَ(8) تَفْسِيرَ الْآيِ حَتَّى لَا نَتْرُكَ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ يُوجَدُ لَهُ تَفْسِيرٌ(9) إِلَّا أُخْرِجَ ذَلِكَ.

فَأَجَبْتُهُمْ إِلَى مُلْتَمَسِهِمْ(10)، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ، وَإِيَّاهُ نَسْتَعِينُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ....

التعليق:

(1) هنا يجوز الوجهان " خَاتِمِ " و" خَاتَمِ ".

" خَاتِمِ " من الختم.

" خَاتَم " من الزينة فهو خاتمهم وزينتهم وبه قرئ { وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ }، { وَخَاتِمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ } [الأحزاب: 40] قرئ قراءتان وكلاهما عشرية متواترة.

(2) وهنا يبيّن المصنف في صدر المقدمة سبب إخراج التفسير.

(3) والاختصار نوعان:

النوع الأول: اختصار للسند.

وذلك بحذفه وهذا يسمى المعلق [ما أول الإسناد منه يحذف] هذا هو المعلق يحذف أول الإسناد أو كله فيختصر الإسناد.

النوع الثاني: اختصار المتن.

وهذا يختصر ألفاظ الحديث أو ألفاظ الأثر.

والاختصار هذا يعني جائز وفعله جماعة من الحفاظ منهم سفيان الثوري رحمه الله ، لكن انتبه إلى نقطة قد يكون بعدين من العلل الخفية، يعني من عُرِف بالاختصار مرات يختصر لسبب أو لآخر، مرات لا ينشط أن يسرد الإسناد كله أو أن يقول المتن كله ومرات يكون من باب بيان وجه الشاهد من الباب يعني يكون له أسباب واضح يعني الاختصار يكون له أسباب مثلا يريد أن يقتصر على محل الشاهد يكون الحديث فيه طول أو نحو ذلك وهو يريد محل الشاهد لما هو بصدده فيختصر، فمقصوده بالاختصار هنا أنه لا يطول في النقل في تفسير الآية لأن الآية قد يكون فيها تفاسير كثيرة فهو لا يُطَول وإنما يذكر الأهم المعتنى على ترتيب سيشير إليه، فمثلا إذا كانت الآية فيها تفسير عن النبي ﷺ ذكر الذي جاء عن النبي ﷺ وأشار إلى الباقي بحذف، لذلك يقول روي عن فلان وفلان فالذي يذكره هو أرفعها إسنادا واضح فإن كان مرفوعًا إلى النبي ﷺ ذكره، ومرات يذكر المرفوع ويشير إلى الموقوف وهذا يعني راجع إلى فوائد ونكات يضعها المصنف رحمه الله ولطائف ترى فيها بديع صنعته رحمه الله تعالى والذي لم يفهم منهجه أو لم يتحرى أو نظر إلى الكتاب نظرة ظاهرية دون أن يعيش مع الكتاب ويتأمل فيه يظن أن المصنف يسوق المنكرات وهذا ليس صحيحا، هو يعني يسوق المرفوع وقد يكون المرفوع لا يثبت بل يكون منكر السند ، فهو لماذا يورده؟ هو يورده لأنه أرفع شيء في الباب فهذه فائدة لطالب الحديث مع أن القاعدة في التفسير المضطردة من أول الفاتحة إلى الناس أن كل ما يروى مرفوعا غالبه ضعيف في التفسير كتفسير للآية غالبه ضعيف لأن التفسير الذي يكون مرفوعا الى النبي ﷺ من باب التفسير قليل كما جاء في " الصحيح " من حديث عائشة رضي الله عنها فالمرفوع من لفظ النبي ﷺ في التفسير قليل وإن كان النبي ﷺ قد بيّن كل القرآن والبيان حاصل كما بيّن الإمام الشافعي رحمه الله من جهة القول والعمل والترك وهذا كله يحصل به البيان وكذلك الإجماع مبيَّن وهكذا طرق البيان معروفة لكن فقط أنا أتكلم عن ألفاظ النبي ﷺ في التفسير هذه قليلة لذلك أنت الآن استحضر هذه القاعدة: **كل ما تراه مرفوعًا فيه تفسير مباشر** بهذا القيد لماذا؟ لأنه ممكن يكون فيه تفسير غير مباشر، يكون الحديث يشهد لمعنى الآية فصار عندي هاهنا أصلان مهمان في التفسير:

الأصل الأول: أن ما كان مرفوعًا إلى النبي ﷺ فيه تفسير مباشر لأعيان الآيات غالبه لا يثبت سندًا ومن هنا تأتي كلمة أحمد: " **ثَلَاثَةٌ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ** ". يعني ليس لها إسناد منها: " **التَّفْسِير**". لأن غالبه يروى مرسلا وما دون المرفوع.

الأصل الثاني: ما كان فيه شواهد للمعنى مثلا قوله ﷻ { **فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** } [البقرة: 22] فهنا كتفسير مباشر عن النبي ﷺ لعين الآية لا يوجد لكن يوجد شواهد كما جاء في الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ : " **أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّه نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ** ".

هذا يسمى التفسير الشاهد والسلف قالوا كما جاء عن سعيد بن جبير قال: " **مَا بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى وَجْهِهِ إِلَّا وَجَدْتُ مِصْدَاقَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى** ".

وجاء أيضا عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ويذكر عن الأوزاعي رحمة الله تبارك وتعالى عليهم وهذا تُحمل عليه كلمة الأوزاعي: " **أي حديث لا تجدوه في كتاب الله ...** " فهو يريد الشاهد ولا يريد عينه، فكل حديث للنبي ﷺ وكل آية في القرآن إلا ولها شاهد في السنة، على هذا نقول القرآن كله مبيَّن في السنة باعتبار الشواهد والمعاني لا باعتبار أعيان الآيات فصار عندي هنا أصلان، ابن أبي حاتم رحمه الله مرات يذكر التفسير المباشر لعين الآية إن وجد وهذا في غالبه يكون غير ثابت ومرات يذكر التفسير الشاهد لمعنى الآية وهذا في غالبه يكون ثابت أو له أصل في السنة لابد، لان كل آية معناها لها أصل في السنة وهذه نقطة مهمة جدًا ترى.

(4) الطرق يقصد المتابعات يعني من توبع في هذا الإسناد لأن أسانيد التفسير فيها متابعات كثيرة المروي بالنسخ منها فهو يحذف المتابعات، يحذف أسانيدها وإن كان يشير إلى أعيان القائلين باختصار.

(5) يعني القراءات، حروف الروايات يعني لا يذكر القراءات لأن كله يتعلق بعلوم القرآن أو علوم التفسير كما أشرنا من قبل أن علوم القرآن منها ما يتعلق باللفظ ومنها ما يتعلق بالمعنى فهو رحمه الله لا يذكر في كتابه المتابعات إذا كان التفسير الأصل في الباب ذكره فلا يذكر من توبع على ذلك بإسناد وإنما يشير إليه ويختصر ثم لا يذكر المتابعات ثم لا يذكر القراءات وجوه القرارات مع أن هذا الباب باب مهم جدا لطالب التفسير لماذا؟ لأن أبواب القراءات يتعلق بالمعنى وهي من باب التفسير لأنه في قراءات غير متواترة كقراءة ابن مسعود وقراءة أبيّ رضي الله عنه بعض الحروف منها محفوظ ذكر ذلك بن أبي داود

في " كتاب المصاحف " والحاكم في " المستدرك " ذكروا قراءات وغيرهم ممن كتب في هذا الباب قد تكون غير متواترة لكن يستعان بها في باب التفسير مثل قراءة ابن مسعود رضي الله عنه { فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ مُّتَتابِعاتٍ} [المائدة: 89] وهذه من باب القراءة التفسيرية فتكون من باب الاستعانة بها في باب التفسير.

(6) يعني لا يذكر أسباب النزول وهذا كله يتعلق بعلم التفسير كما مضى معنى.

(7) التجريد هو أن يحدد موضوع واحد بعينه.

(8) متقصين من التقصي وهو التتبع { فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا } [الكهف: 64] أي متبعين، تتبع الأثر يريد أنه يحصر ما استطاع إلى ذلك سبيل ولذلك التفسير ضاع منه شيء ووقع فيه سقط فليس كاملا كما وضعه مؤلفه لقد وقع فيه سقط كبير ونحو ذلك حتى في المطبوع أساءوا إليه خاصة طبعة ابن الجوزي هذه الطبعة فيها تعدي كبير وتجني على هذا الكتاب وضربوه ضربا يقولون هذه إسرائيليات، هذا لا يثبت وهذا كذا على طريقة المتأخرين في التعامل مع سند التفسير.

(9) ولذلك هو تفسير شامل وفي بعضه وجد حذف إسناد هو ذكره المصنف لكنه ضاع، سقط وابن كثير اعتمده في تفسيره ولذلك بعض الساقط من تفسير ابن أبي حاتم موجود عند ابن كثير بإسناده ومن نظر يجد هذا وكأنه في رسالة مرت عليّ مصنفها ماذا صنع؟ ذهب إلى تفسير ابن كثير واستخرج كل تفسير ابن أبي حاتم من تفسير ابن كثير، والرسالة موجودة مرت عليّ، وهي رسالة جيدة مهمة جدا، أنه ذهب إلى تفسير ابن كثير واستخرج منه تفسير ابن ابي حاتم لأنه كان يرويه بإسناد كأنه في زمانه كان عنده تمام أكثر ولذلك من الفوائد التي تبيّن لك هذا الباب أن ابن كثير أورد عند قوله تعالى { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ } [الرحمن: 46] أن هذه في من حرق نفسه الرجل الذي قال: " فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ .... ".

وذكر أنه تاب في هذا الأثر ذكره في تفسير ابن كثير بإسناده إلى ابن أبي حاتم.

(10) يعني إذا ما طلبوه.

(11) أي التي بدأ بها في أول الكلام عندما قال: " .... تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مُخْتَصَرًا بأصح الأسانيد ".

كلمة " **أصح الأسانيد** " التي يقولها الإمام رحمه الله تعالى لابد لها من فقه، مراده أصح الأسانيد في التفسير، لماذا؟ لأنه هنا عندي أصح الأسانيد من جهة الإطلاق فيما يروى في حديث النبي صلى الله عليه وسلم يختلف عن أصح الأسانيد في التفسير ويختلف عن أصح الأسانيد في السير والمغازي، يعني كل علم له

ما يخصه، فكلمة **أصح** هنا ليست على الإطلاق وإنما المراد بها من باب التفسير بدليل قوله في أول الكلام ايش قال؟ قال: " سَأَلَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ إِخْوَانِي إِخْرَاجَ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مُخْتَصَرًا بأصح الأسانيد ".

إذ تعلقت الصحة هنا التي هي في التفسير وليست على الإطلاق، لماذا؟ لأن الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ في المرفوع هذه أسانيدها التي تصح قلنا قليل في التفسير عن النبي ﷺ في الآيات المباشرة، فأصح الأسانيد مثلا عن أكثر من روى السنة هو أبو هريرة رضي الله عنه وهو أكبر صحابي روى عن النبي ﷺ، فأبو هريرة أصح الأسانيد عنه كثيرة جدا من أشهرها **الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة** هذا من أصح الأسانيد عن أبي هريرة وهو إسناد مدني.

مثلا الإمام مالك رحمه الله في " الموطأ " **عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة** هذا أصح إسناد مدني إلى أبي هريرة رضي الله عنه .

حماد بن زيد عن أيوب السختياني عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة هذا إسناد بصري من أصح الأسانيد إلى أبي هريرة.

معمر بن راشد عن همام بن منبه عن أبي هريرة، الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة هذه من أصح الأسانيد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ولابد أن نفرق بين أشهر الأسانيد وأصح الأسانيد، أصح الأسانيد يعني أعلى شيء في الدرجة، ذكر ذلك الإمام أحمد وذهب إليه عليّ بن المديني والبخاري أن **مالك عن نافع عن ابن عمر** هذا من أصح الأسانيد.

مثلا **سفيان عن منصور عن علقمة عن بن مسعود** هذا من أصح الأسانيد الكوفية واضح هذه من أصح الأسانيد، فأصح الأسانيد تختلف من علم إلى علم نحن نتكلم الآن عن علم الحديث المرفوع علم السنة عموما هذه أصح الأسانيد التي تذكر.

كذلك من أصح الأسانيد إلى أبي بكر الصديق **إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق** هذه من أصح الأسانيد إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

كذلك من أصح الأسانيد **الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر** وهذا ذكره جماعة، وعلى هذا صنف أصحاب الحديث حديثهم، وعلى هذا صنف أصحاب " الصحيح "، فعمرو بن عليّ الفلاس يقول:

" أصح الأسانيد بن سيرين عن عبيدة وهو السلماني عن عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه ".

فهذا ما يتعلق بكلمة " **أصح الأسانيد** "، أما أشهر الأسانيد لا تعني الصحة لكن تعني أنها أسانيد مشهورة على مراتب فمثلا **زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة** فهذا من الأشهر لكن ليس هو من الأصح.

من أصح الأسانيد عن ابن عمر **مالك عن نافع عن ابن عمر**، **أيوب عن نافع عن ابن عمر** ومالك قدم أيوب عنه في نافع لأنه سماع أيوب قديم.

يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر.

الزهري عند سالم عن بن عمر واضح هذه من أصح الأسانيد عن بن عمر فبالتالي هذا باب مهم كبير جدًا.

نأتي إلى أمنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أصح الأسانيد إليها:

هشام بن عروه عن عروة عن عائشة.

الزهري عن عروة عن عائشة.

عبيد الله بن عمر عن القاسم عن عائشة.

أفلح ابن حميد عن القاسم عن عائشة.

سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة.

وهذا كثير، رأيت هذه أصح الأسانيد هي التي روي بها عظم الدّين، أصول الدين حتى قال أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله: " **مَنْ لَمْ يَجْمَعْ حَدِيثَ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ فَهُوَ مُفْلِسٌ فِي الْحَدِيثِ: سُفْيَانَ وَشُعْبَةَ وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَابْنِ عُيَيْنَةَ وَهُمْ أُصُولُ الدِّينِ** ".

رأيت هذا الإسناد وركز معي جيدا مع أنها واضحة بينة جلية لكن كثير من هؤلاء تعاموا عن هذه الطريقة وهي طريقة السلف في دراسة الأسانيد، تعاموا سبحان الله.

ركز معي جيدا، أنت الآن عندك أصح الأسانيد وهذه الأسانيد قبل أن يخلق أصحاب الكتب الستة، بل قبل أن يخلق مالك، جاء مالك رحمه الله وأئمة الحديث فسلكوا أصنافا، منهم ناس قالوا نحن سنؤلف في ما عليه العمل، يعني من الأحاديث التي عليها العمل، منهم مالك ألّف " الموطأ " في ما عليه العمل، أي من العمل القديم الذي هو عمل أهل المدينة، ممكن يكون إجماع وممكن يكون داخل في فهم السلف في كلا الأمرين، لكن يكون من باب الإجماع القديم وهذا لا يكون إلا صحيحا كما نبه على ذلك الإمام الشافعي وأحمد رحمهم الله، حتى الليث بن سعد في رسالته للإمام مالك كما رواه الفسوي في " المعرفة

والتاريخ " لم يخالف مالك في العمل القديم أما العمل الجديد الذين هم مشيخة مالك، فهؤلاء مجتهدون كغيرهم يصيبون ويخطئون، المهم الشاهد مالك ألَّف على هذا الباب أحاديث يكون عليها العمل الصحيحة، يعني تكون أحاديث صحيحة معمول بها، شرط العمل هذا مهم.

وجاء أناس ألَّفوا فيما يعني من الصحيح اسنادًا، يعني أصح شيء في الإسناد، فلو أني مثلا عندي أسانيد مشهورة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أروي أصحها، لا أعتني فقط بمن كان مشهورًا عن عائشة رضي الله عنها لأنه في أسانيد مشهورة تروى عن عائشة لكن أعتني بأصح الأسانيد عن عائشة، أصح الأسانيد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أصح الأسانيد عن ابن عمر رضي الله عنه وهكذا، وهذا فعل البخاري ومسلم كما في " الصحيح "، والنسائي رحمه الله أيضا يعتني بهذا الباب.

وهناك ناس قالوا نحن سنجمع الأحاديث التي عليها العمل وهذا الترمذي في " جامع ".

وهناك من قال سأجمع الأحاديث التي عليها مدار الاستدلال عند أئمة الفتوى وهو أبو داود.

ومنهم من قال سأنتقي أهم الأحاديث التي أفتى بها العلماء في الأحكام كـ " منتقى بن الجارود " وهكذا.

فالعلماء أمامهم الأسانيد والمتون وكلٌّ له منهجية في الانتقاء، فبين مدقق في الشرط، ضابط كالبخاري في شرطه وبين من وسع قليلا، الذي يوسع قليلا في دائرة الشرط يَدْخُل عليه من الضعيف وربما من المنكر لكن لا يضره في أصل الانتقاء لأنه موجود ولذلك أبو داود قال عن " سننه " كما في رسالته لأهل مكة: " كَتَبْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَمْسَ مِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ، انْتَخَبْتُ مِنْهَا مَا ضَمَّنْتُهُ هَذَا الْكِتَابَ، يَعْنِي كِتَابَ السُّنَنِ، جَمَعْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ آلافٍ وَثَمَانِ مِائَةَ حَدِيثٍ، ذَكَرْتُ الصَّحِيحَ وَمَا يُشْبِهُهُ وَيُقَارِبُهُ، وَيَكْفِي الإِنْسَانَ لِدِينِهِ .... ". يعني في معنى كلامه أن كل حديث ذكره في " السنن " عمل به عالم، هذا العمل ممكن يكون مرجوح لكن عمل به عالم، ممكن يكون هذا العمل خلاف ما عليه أهل العلم لكن هو يقول لك: لا، بل أفتى به عالم.

وهناك من قال أنا سأجمع لكم الصحيح إسنادا والمشهور إسنادا على مراتبه وأتجنب المنكر لأن المنكر أبدا منكر ومنه الموضوع وأصنفه على المسانيد يعني آتي إلى مسند عائشة رضي الله عنها وأروي كل ما هو أصح الأسانيد وأشهر الأسانيد وأقرب الأسانيد اعتبارا وأتجنب المنكر قدر الاستطاعة ومنه الموضوع المكذوب، وهذا كفعل الإمام أحمد في " مسنده " وهذه طريقة الأئمة لكي تفهم أن كل إمام عنده منهجية أنت لما تمسك الكتاب يجب أن تكون فاهم منهجية صاحب الكتاب قبل الاعتراض والانتقاد وكذا.

فباب التفسير باب خاص وذلك أن العلماء في هذا الباب على جهة التحديد لهم تعامل يختلف عن الباب الأول، رأيت الاعتبار في الباب الأول ما هو الاعتبار في الباب الأول؟ الاعتبار في الباب الأول أن لهم شروط في قبول الحديث واضح شروط أول من ذكرها تنصيصا الإمام الشافعي في " الرسالة " لذلك كتابه هذا يعتبر أول كتاب في علوم الحديث لأنه حوى مباحث كم أنه أول كتاب في أصول الفقه، فهذه الشروط ترجع إلى الراوي في نفسه أن يكون عدلا ضابطا ويعنون بالعدالة هذا عند المتقدمين يعنون بالعدالة الإسلام والصدق لماذا؟ لأنه ممكن يكون صادق وهو مبتدع، لذلك تجد بعض العلماء يقولون فلان في الحديث ثقة ولكن في الهوى أو في الرأي مبتدع، يقصدون في العقيدة، يعني مثلا مرجئ أو قدري وهكذا، فهم يقصدون بالعدالة الإسلام فلا يروون عن كافر لأن الله تعالى يقول ﴿ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [البقرة: 282] فلا يروى عن جهمي مثلا وأن يكون صادقًا هذا شرط لا يكذب محله صدق فهذه العدالة عندهم وأما الضبط فهذا درجات إما أن يكون ضبط صدر أو يكون ضبط كتاب وفي ضبط الصدر لهم أحوال فلا يكون سيء الحفظ ولا مضطربا وقد يكون عامة حديثه مضبوط ولكن هذا الحديث بعينه ممن اختل فيه على منهجية عندهم عظيمة بديعة خصهم رب العالمين بها وفضلهم بها على سائر الأمم فصارت تحفة في هذه الأمة أعجزت العقول وأبهرتها حتى قيل لعبد الرحمن بن مهدي: " كَيْفَ تَعْرِفُ صَحِيحَ الْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِهِ؟ قَالَ: كَمَا يَعْرِفُ الطَّبِيبُ الْمَجْنُونَ ".

صدق رحمه الله وقال: " إنكارُنا الحديثَ عِنْد الجهّالِ كِهَانةٌ ".

فكانوا صيارفة هذا الشأن اشترطوا في الراوي عدلا وضبطا، طيب والمروي قالوا صفة الرواية يعني يكون عدل ويكون ضابط لكن كيف يرويه؟ قالوا لابد أن يسمع ممن روى عنه ليتصل السند وساروا في هذا الباب تدقيقا في السماع وعدم السماع ولم يكتفوا بمجرد الإدراك واللُّقي والمعاصرة هذا مذهب الأئمة الكبار حتى كان شعبة يدقق يقول: **ممن سمعت؟** ويتتبع شفاه قتادة وأبو إسحاق السبيعي يتتبع شفاههم يعني يتكلم ويركز مع شفتيه هل قال سمعت أو ماذا قال؟ رحمة الله عليهم بلغوا في هذا مبلغًا عظيمًا ومن قرأ " مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم " عرف فضل هؤلاء الأئمة وأن الله عز وجل اختارهم غرسا، ورباهم على عنايته ورعايته وبعينه سبحانه فكانوا أشاوس في هذا الباب، حموا صدقًا فهؤلاء والله حافظوا علينا ديننا لله درهم ورحمة الله عليهم أجمعين ثم اشترطوا مع السماع من الراوي أن يتواصل ذلك إلى آخر السند يعني من الراوي إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسندًا متصلاً بالسماع فلو أننا وصلنا إلى حلقة من حلقات الإسناد فوجدنا انقطاعا لم يعتبروا به هل هذا يكفي فقط؟ قالوا لا هذا شرط

في السند ولابد أن ننظر في المتن ونظروا في المتون واعتبروا بها فقالوا لابد أن تكون المتون موافقة للأصول الأصول المروية المنقولة فمن روى متنًا فيه تحليل شيء حرمه الله بتا أو حرمه النبي بتا أو قطعت الأمة إجماعًا أنه محروما بالبت يعني بالقطع واليقين فلا يقبل منه لأن متنه منكر بل يُخشى على راويه من أن يقارب الكفر أو يكفر إذا تعمد رواية هذا الكذب أو دان به فالمقصود أنهم نظروا للمتون فقالوا لابد أن توافق الأصول ، هذا يكفي فقط؟ قالو: لا قالو: لا بد أن يكون موجودا في نسخ الراوي إن كان يروي من كتاب أو نسخ تلاميذه إن كان يمليها وضربوا في ذلك أروع الأمثلة حتى قال إسماعيل ابن علية ليحيى بن معين قال: " كيف تعرفني عندك ".

سبحان الله لذلك أنا قلت مرة كلمة لبعض إخواني في مذاكرة قلت لهم أصحاب الحديث نقاد أعلم بالراوي وحديثه من الراوي نفسه يعني لما تأتي بيحيى بن معين هو أعلم بإسماعيل بن علية من إسماعيل بن علية بنفسه في باب الحديث لماذا؟ يعني قال له كيف تعرفني أنا ثقه أو لا قال له نظرنا في حديثك يعني دار حديثك على اللجنة واعتبر جيد أنت جيد ما لك مخالفات كثيرة ولا شيء يعني معنى الكلام هذا، هكذا كان رحمة الله عليهم فقالوا لابد أن يكون هذا الحديث إما موجود في نسخه أو موجود في نسخ التلاميذ وأشار إلى هذه القاعدة أبو حاتم في " العلل " قالوا ولابد أن يكون المروي الذي يرويه هو أهل أن يرويه كيف ذلك؟ فلو أن راوي قليل الرواية وروى لي حديثا غيره ممن هو كثير الرواية أولى أن يرويه نتوقف في حديثه ولو أن الراوي روى متنا في باب مهم جدا من الدين غيره ممن هم أعلم وأدق لم يروه لكان مدعاة للتوقف وهذه قواعد ليست اختراعات وإنما هي عند التحقيق والتأمل هي في القرآن ومن تأمل القرآن وجد هذا الأصل أنه مرات لما يكون شخص هو عالم هذا الباب ولا يروي شيئا ثم يأتي شخص ليس بذلك العلم الذي هو فيه ويرويه يكون محل للتوقف لأن هذا من المزيد ولذلك في القرآن قال الله تعالى لما ذكر قصة إبراهيم وهذه قاعدة حديثية تستنبطها من القرآن قال الله عز وجل لهم { يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ } يا علماء أهل الكتاب، { لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ } لماذا النقاش في إبراهيم؟! لماذا الجدال في إبراهيم؟! تقولون إبراهيم يهودي، إبراهيم نصراني، { وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ } [آل عمران: 65] يعني النسخ التي فيها بيان الدّين هي بعد إبراهيم وأنتم أحدثتم اليهودية بدعة بعد التوراة وأحدثتم النصرانية بدعة بعد الإنجيل نزولهما يعني فكيف يكون إبراهيم دان بدين حادث لم يدركه كما قال بعض السلف: " أَنَا أَكْبَرُ مِنَ الْإِرْجَاءِ ".

هذه قاعدة حديثة وذلك أن علم الراوي أو الراوي نفسه أو الناقل نفسه أعلم بمرويه من غيره الذي يرويه وهو أولى أن يرويه هو نفسه هو إبراهيم نفسه أولى أن يقول هو يهودي أو نصراني معاذ الله تعالى

بل نزهه الله عن ذلك وأنه هو لم يقل ذلك، قال الله ﷻ { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [آل عمران: 67] ويوسف عليه السلام قال { تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } [يوسف: 101] فهذا يدل على أن إحداث اليهودية بدعة كما قال قتادة: " الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ بِدْعَةٌ وَلَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ ".

وإنما رواها الكذبة وليس شيء هذا اعتمده الرواة، رواة الحديث اعتمدوا هذا إذا وجدوا شخصًا يروي عن شخص شيئا وذلك الشخص لا يقوله ولا طلابه اللَّصقون به والملازمون له يقولونه ولا الكتب التي عاصرته أو جاءت بعده أو كانت في زمانه قالته عدوا ذلك غلطًا وخطأً عليه ولذلك أبو عبيد لما أتوا له برواية ابن مسعود رضي الله عنه أنه لا يستثني في الإيمان أنكرها وقال: " وقد رأيت يحيى بن سَعِيدٍ يُنْكِرُهُ وَيَطْعَنُ فِي إِسْنَادِهِ لِأَنَّ أَصْحَابَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى خِلَافِهِ ".

وأنكرها أيضا الطبراني في " المعجم الكبير " وأشار أن هذه الرواية منكرة على خلاف من صححها لظاهر الإسناد كالألباني لأنه لم يتنبه أما الأئمة ينظرون في المتون وهذا باب واسع جدا لمن تأمله وتدبره علم دقة هؤلاء حينئذ أقول الآن التفسير يا إخواني باب خاص غلط الناس فجاءوا يتعاملون في التفسير كما يتعاملون في المرفوع، كما أنه يذهب للمرفوع ويشترط أن يُروى بأصح الأسانيد قال لابد للتفسير أن يروى بأصح الأسانيد.

ولهذا لما جاؤوا يؤلفون التفسير الصحيح خرج معهم التفسير صغير جدا لماذا؟

الأمر الأول: النبي ﷺ لم يفسر كل آية بعينها لم يروى عنه ذلك والمروي عنه قليل وقلنا الأصل فيه كثيره ضعيف هذه قاعدة فحينئذ يتحصل المرفوع قليل جدا، بضع آيات وغالب التفسير كما قال أحمد: " ثَلَاثَةٌ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ: التَّفْسِيرُ....".

يعني يروى مرسل فأسقطوا المرسل ماذا بقي؟! سيبقى القرآن بلا تفسير وهو فتح لباب الجناية على كلام الله والقول على الله بلا علم، رأيت أئمة هذا الشأن ومنهم ابن أبي حاتم يصف ما في كتابه في غالبه مما يرويه بمنهجيته يقول هذا أصح الأسانيد لأنه من باب التفسير كما قدمنا فباب التفسير يختلف عن باب المرفوع عندهم سواء في النقد أو في القبول، يقول لي أحد لماذا؟ وهذا وكلام الله أولى أن نشترط فيه الشروط الثقيلة؟ نقول له أنت لم تفهم لأن التفسير شرحناه من قبل هو **كشف عن المعنى** والكشف عن المعنى في كلام الله ﷻ تَحَصَّل عند جماهير الأمة كما تَحَصَّل في الحروف، قدمنا في دروس تفسير عبد الرزاق قلنا السلف **تعلموا عشر آيات وعرفوا ما فيها من العلم والعمل** حينئذ علم

الآيات هل هو علم خاصة أو علم عامة؟ نقول منه ما يكون علم عامة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما :
" .... وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ يَقُولُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ .... ".

ومنه علم خاصة وهذا إما أن يرجع إلى لسان العرب وهم كانوا عربا وإما أن يرجع إلى تفسير العلماء فحينئذ علم التفسير مبسوط في الأمة، فإذا جاء رجلا وفسر آية انتبه إما أن تكون من علم العامة فقد عرفها الناس فلا ينكرون تفسيره إذا كان المعنى واحد ولذلك أجازوا في التفسير الرواية بالمعنى بل غالب التفسير يروى بالمعنى ليس بالألفاظ، الألفاظ فيه قليلة غالبه يروى بالمعاني يعني المعاني التقريبية كما أشرنا من قبل في أنواع الاختلاف في تفسير عبد الرزاق وأشرنا إلى أنواع الاختلاف:

إما أن يكون إختلاف تنوع وهذا قسمان:

القسم الأول: إما أن يكون بالتوافق في المعنى وهو ما يسمى بالمترادف القريب.

القسم الثاني: إما أن يتغاير المعنى لكن يجوز الحمل عليهما وهو نوع من الاشتراك.

وهذا أشرنا إليه من قبل وغالب التفسير يروى بهذه طريقة، فالمقصود أنه كما جاء عَنْ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّخَعِيِّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، فَرَأَى السُّدِّيَّ، فَقَالَ: " أَمَا إِنَّهُ يُفَسِّرُ تَفْسِيرَ الْقَوْمِ ".

هو يقصد المعنى إما أن يكون من باب لا يعذر أحد بجهالته فإن تأول أحدٌ تأويل ولم يقله أحدٌ من الأمة الذي هو معلوم من الدّين بالضرورة عرفوا غلطه وأنكروا عليه لذلك أنكروا على الجهم تأويلاته، أنكرت عليه العامة والخاصة لماذا؟ لأن هذا النوع من علم التفسير عند الأمة كلها فمثلا قوله تعالى { ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ } [طه: 5] كل الأمة تعرف هذا، تعرف معناها آيات الصفات وهكذا فمبسوط في الأمة علمها قال الأوزاعي رحمه الله: " كُنَّا وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتِ السُّنَّةُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا ". يقصد شيئا متوافر، متكاثر، مستفيض في الناس فحينئذ يأمن الإنسان الكذب في باب التفسير ما يستطيع أحد أن يكذب بخلاف الحديث، الحديث علم خاصة لا يرويه إلا المعتنون ولذلك يعني احتمال الوقوع الغلط والكذب فيه أدعى فاشترطوا فيه تلك الشروط لكن التفسير لا الكذب فيه مأمون لماذا؟ لأنه فيه علم عامة كل الناس تعرف هذا المعنى لأننا شرحنا من قبل واقع الدولة الإسلامية الخلافة خاصة في عصر ازدهار العلوم والحفاظ عليها بين هوية الأمة في لسانها كما في وقت الأمويين أو ازدهارها في فترة بداية العباسيين، ازدهار العلوم الإسلامية يعني التأليف في السنة وهكذا فكانت العلوم عند الناس كلها والناس كانت لازالت على عربيتها ولم تدخل عليهم العجمة بكثرة فلما دخلت حاولوا إستنقاظها وايقاظها وبثوا فيها العلوم

فكان القصاص يقصون و العلماء يدرسون والخطباء يخطبون فعلوم القرآن في باب لا يعذر أحد بجهالته كل الأمة تعرفها بل يعلمون أولادهم ذلك في البيوت واضح وما تعلق بلسان العرب فلا زال للسان فرسانًا الأصمعي والخليل بن أحمد حموا اللسان ولله الحمد، إلى أن تصل لأبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله وأبي عمر الشيباني وثعلب وهكذا فحموا الأمة في لسانها فلا يستطيع أحدٌ أن يُدخل عليها من باب اللسان شيئا إلا كشف وفضح.

الأمر الثاني: ما يتعلق بعلم العلماء أنهم كانوا متواطئون على العمل بمعاني القرآن لأن معاني القرآن تواطئ بالعمل فيها:

- إما بالفتوى فكان علماء الأمصار يفتنون من زمن الصحابة وأنت نازل إلى زمن أتباع التابعين كل محل أو كورة فيها عالم وعلماء كثر يفتون.

- وإما أن يكون من باب القضاء فلا زالت محاكم أهل الإسلام تحكم بما في القرآن من أحكام فالناس عرفت فتوى أو قضاء معاني القرآن فلا أحد يلبس فيها لذلك إذا جاء الضعيف في باب الرواية عن الخاصة قبلوه في التفسير هذا الوجه الأول مهم جدا شرحه وضبطه للطلاب أن باب الحديث المرفوع باب خاصة فلم يقبلوا فيه إلا بتلك الشروط لأنه تثبيت أحكام وأصول دين أما باب التفسير فهو ليس كله باب خاصة بل منه ما هو باب عامة ومنه ما هو باب خاصة ثم هذا الباب الذي يتعلق بالخاصة اشتهر ومضى يعني طلبه يسير فالناس تعرفه.

الأمر الثالث: الذي جعلهم يتساهلون في التفسير أن باب التفسير يروى بالنسخ فكانت الكتابة فيه كثيرة إملاء النسخ في التفسير سواء آيات ذوات عدد أو للتفسير كله كما صنع مجاهد رحمه الله وغيره أو لبعض الآية فكذلك هذا سهل على العلماء فإذا جاء الضعيف الذي يكون آفته من جهة الحفظ وروى شيئا في التفسير قبلوه لأنه يرويه نسخة فحينئذ أمنا الغلط لأن حفظه غلط في جهة صدره لكنه لا يروي لنا من صدري **كالليث بن أبي سليم عن مجاهد** إنما يروي بنسخة يعني من كتاب يقرؤه فحينئذ أُمِنَ الغلط والتخليط عليه.

الأمر الرابع: أن التفاسير أو باب التفسير شواهده في السنة وإن لم تكن أحاديث بأعيانها مبينة للقرآن لعين الآيات إلا أن الشواهد فيه كثيرة بل ما من آية إلا وفي السنة تصديقها وما من حديث إلا وفي القرآن تصديقه كما قال سعيد بن جبير رضي الله عنه : " مَا بَلَغَنِي حَدِيثٌ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى وَجْهِهِ إِلا وَجَدْتُ مِصْدَاقَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى بَلَغَنِي أَنَّهُ قَالَ: لَا يَسْمَعُ أَيُّ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ لَا يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ

ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلا دَخَلَ النَّارَ قَالَ سَعِيدٌ: فَقُلْتُ أَيْنَ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ [هود: 17] قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ كُلِّهَا ". هذه مهم جدا ضبطها.

الأمر الخامس: أن متون التفسير تعلقت بالمعاني، كشف المعاني إما لذات الألفاظ أو معاني الآيات الإجمالية وهذا المتعلق بالتفسير من جهة كشف غريب القرآن الذي يتعلق بشعر العرب يعني فيه مرجع كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : " إِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلَمْ يَدْرِ مَا تَفْسِيرُهُ فَلْيَلْتَمِسْهُ فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ ".

هذا محفوظ في الأمة أو ما تعلق بمعاني الآي فأصوله محفوظة يعني في أصول ترد إليها التفاسير، أصول صحيحة يعني وهذا يقوي هذا الباب حينئذ إذا روى شيئا موافق للأصول الصحيحة في باب التفسير يمشى له كما مشيَ للسدي وهذا النوع، فهذا يعني خلاصة منهجية لابد أن يستحضرها الطالب وهو ينظر في أسانيد التفسير.

الأمر السادس: أن هذا الباب قُبِلَ فيه لأن الاختلاف في المتون فيه قليل بعكس الرواية عن النبي ﷺ فقد يقع الاضطراب والاختلاف فلذلك لم يُفتح الباب لكل أحد إلا للحفاظ المتقنين أما هذا الباب فُتح لمن له اعتبار ولم يكن كذابًا كالكلبي مثلا لأن التوافق فيه هو الأصل ولذلك أكثر الاختلاف فيه اختلاف تنوع، أحسب والله أنه من ضبط هذه الأمور واستحضرها جدًا سيفهم بإذن الله تبارك وتعالى لماذا أئمة السنة رحمة الله تبارك وتعالى عليهم يعني تساهلوا كما قال يحيى بن سعيد القطان: " تَسَاهَلُوا فِي أَخْذِ التَّفْسِيرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُوَثِّقُونَهُمْ فِي الْحَدِيثِ ".

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصبحه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين



الدرس الثاني

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

اللهم صل على محمد وعلى آله صحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدّين.

أما بعد فإن أحسن الكلام كلام الله عز وجل وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما بركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

هذا مجلس جديد من مجالس التعليق على مقدمة التفسير للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمهما الله تعالى وكنا في المجلس الذي خلا تكلمنا على عبارة المصنف رحمه الله حينما قَدَّمَ فقال: " .... **سَأَلَنِي جَمَاعَةٌ مِن إِخْوَانِي إِخْرَاجَ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مُخْتَصَرًا بأصح الأسانيد ....** ".

ثم قال بعد ذلك: " .... **فَتَحَرَّيْتُ إِخْرَاجَ ذَلِكَ بِأَصَحِّ الْأَخْبَارِ إِسْنَادًا** [(1)] .... ". انتهى

التعليق:

(1) يعني أنه خَرَّجَ هذه الأسانيد بأصحها إسنادًا وقد تكلمنا على أسانيد التفسير لها خصوصية وأنها تختلف عن أسانيد الحديث يعني من جهة الرواية سواء من جهة صفة الرواية لأن أكثر التفسير يروى مرسلا وبنسخ وهي النسخ التفسيرية ويروى أيضا مرسلا فغالبه مرسل وكذلك المرفوع فيه قليل نبهنا إلى هذه القضايا المهمة جدًا المرفوع نعني بذلك ما كان مباشرًا في تفسير الآية هذا قليل، أما أنَّ النبي ﷺ بَيَّنَ الكتاب؟ نعم بينه والكتاب يُحاط بعلمه يعني يفسر، وهذا حقيقة التفسير، فالتفسير معناه أن تحيط بعلم الكتاب هذا التفسير قال الله عز وجل { **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ** } [يونس 39] لأنهم

زعموا إنكار ما قد أُخْبِر به مما يُعلم وإن كانت تُجهل كيفيته كما فسر بعض أهل التفسير حملها على تكذيبهم بالجنّة والنّار والبعث فهذا وإن كان شيء لم يقع سيأتي تأويله أي وقوعه وكذلك لا تُعلم كيفيته لكن حقيقته معلومة للسامع من جهة بيان الثواب والعقاب، فقال المولى الحق عز وجل { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ } أي مما أنزل الله عز وجل في القرآن، { وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ } [يونس 39] فحقيقة الأمر أن الله رب العالمين جعل هذا الكتاب يُحاط بعلمه ويفقه ويفهم، ففهمه على ما تقدم منه ما لا يعذر يعني درجات الفهم، في شيء في القرآن لا يعذر أحد بجهالته يعني يجب علمه فمن جهله فلا عذر له، هذا الأصل لا يعذر أحد بجهالته ممن بلغه القرآن قال الله تبارك وتعالى { وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } [الأنعام 19] ترى هذه الدرجة في مقام الحجية أُسقطت عند من لا يقيم الحجة بنفس الكتاب وهذا من ميزات القرآن أنه فيه درجة يعني من العلم والفهم وهذا كثير و يغطي كل ما يحتاج إليه العبد في أصول الدين أي في فقهه وفهمه ومن جهة العمل به الكتاب وضَّحها فهذا مقام الحجية قال الله تبارك وتعالى { وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } [الأنعام 19] قال ابن عباس رضي الله عنهما: " مَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْقُرْآنُ فَهُوَ لَهُ نَذِيرٌ". [تفسير الطبري (183/9)].

وقال عز وجل { رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا } [آل عمران 193].

جاء عن مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرَظِيَّ قَالَ: " هُوَ الْقُرْآنُ، لَيْسَ كُلُّهُمْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ". [فضائل القرآن - أبو عبيد (ص58)]

قلت: فالمقصود والشاهد من كلامي هذا أنه درجات الفهم في الكتاب كما شرحناه من قبل أنه في درجة عند الناس كلها، هذا التفسير العام الذي يحاط بعلمه، نعم في تفاوت لا شك بحسب مراتب القلب والقرب من الله عز وجل فآية تؤثر في عبد لا تؤثر في غيره لكن المعنى مدرك الذي هو حقيقة التفسير الإحاطة بالعلم الآية.

وفي درجة من العلم درجة خاصة إما تعلقت باللسان يعني كل ذي لسان ممن له فهم للسان العرب يدركها.

وفي درجة من العلم خاصة بالعلماء وهذه التي تخص العلماء هي التي يَدخُلها اختلاف التضاد على قلته في التفسير.

إذا التفسير لا يدخل فيما لا يعذر الاختلاف أقصد التضاد لا يدخل فيما كان معلوما لا يعذر بجهله لا تجد هذا متفق عليه هذا القدر بل متفق بين سائر الكتب ولذلك هذا الذي قال الله عز وجل { الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝٣ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ } [آل عمران 1 - 4] هذه درجة الاتفاق، وهذا أعظم ما اتفقت عليه الكتب التوحيد فلذلك الآية كما يشير ابن الزبير أن فيها ردًا على النصارى أن في مخالفة النصارى فيما لا يعذر فيه بالجهل هذا القدر من التوحيد { الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } [آل عمران 1 - 2] " **الله** " ، " **هو الله** " إما يكون خبر لفظ الجلالة لمبتدأ محذوف تقديره "**هو الله**" وإما يكون مرفوع بالابتداء " **الله** " ويكون الخبر { لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ } توكيد لأن الله المعبود بحق فهو المستحق للعبادة لا تصلح العبادة إلا له، ثم قال { الْحَيُّ الْقَيُّومُ } وهاتان الصفتان أو هاذان الاسمان يجمعان صفات الذات وصفات الأفعال فاسم { الْحَيُّ } يجمع صفات الأفعال كما قال الدارمي رحمه الله: " كُلُّ حَيٍّ مُتَحَرِّكٌ ". يعني صفات الأفعال يعني أنه ينزل ويأتي وهكذا يفعل ما يشاء سبحانه ويجمع صفات الذات أيضا فالاسمان فيهما صفات الذات وصفات الأفعال واسم { الْقَيُّومُ } القائم على كل نفس { الْقَيُّومُ } فعول مبالغة يعني الذي يقوم على كل نفس { أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ } [الرعد 33] فهو مقيم لغيره سبحانه وتعالى وقائم بنفسه يعني مستغني عن خلقه وهذا معنى الصمدية.

إذا قوله سبحانه وتعالى { الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } [آل عمران 1 - 2] هذه الآية جامعة لأصول التوحيد ثم قال { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ } [آل عمران 3]، { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ } الألف واللام في الكتاب المراد به القرآن، الألف للعهد ثم قال { مُصَدِّقًا } أي أن هذا الكتاب نزل مصدق، هذه درجة العليا والأعظم درجات الاتفاق عن التوحيد والخبر عن الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بأسمائه وصفاته.

قال { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ } الشرعية الآن يعني كفر بالتوحيد الذي جاء به القرآن فهو كافر بالتوحيد الذي جاء في التوراة والذي جاء في الإنجيل { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ } [آل عمران 4] ثم قال ربّ العالمين تبارك وتعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ } وهذا أيضا استفاضة في بيان الوصف وكما يقول ابن الزبير: " هذه رد على النصارى ".

قال عز وجل { إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ } وهذه فيها رد على النصارى في مسألة خلق المسيح عسى ابن مريم عليه وعلى أمه الصلاة والسلام { لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [آل عمران 6] ثم قال { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ } [آل عمران 7] لاحظ تنزيل الكتاب في مدخل سورة آل عمران الكلام على التوحيد هنا ليس المقام في فقهيات أو أحكام أو فروع وليس الخلاف في أمر فيه سنة وبدعة ولكن الخلاف في توحيد وشرك، يقول رب العزة { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ } هذا القدر من المحكم على درجات فيه أعلاه ما نقول نحن فيه لا يعذر أحد بجهالته ، طبعا بعضهم يقول الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يصح **أولا** نقول:

هو أوردوه لأن هذا التقسيم صحيح وعليه عمل أهل العلم لأنه في درجة في الكتاب متفق عليها كما قال الشافعي رحمه الله: " علمُ عامَّةٍ لا يَسَعُ بالِغاً غيرَ مغلوب على عقْلِه جَهْلُهُ ".

ثانيا: تواطئ الأئمة على ذلك وهذا ذكرناه في غير ما مناسبة فعبارات السلف فيما لا يسع أحد جهله أي لا يُعذر أحد من جهله ، فإما أن يكون مقام فطرة فحينئذ إعراضه عن ما في الكتاب يزداد به كفرا لأنه أصلا بفطرته التي خلقه الله عز وجل عليها يُدرك كثيرا من حقائق هذه الأشياء إدراك علم ومعرفة وإما أن يكون من باب الخبر فحينئذ يكون رادًا مكذبًا لما جاء في كتاب الله تبارك وتعالى فلذلك قال عز وجل { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ } التي هي معظمه أو جله، أكثره على درجات في الإحكام ترى لأنه فيه درجة وفيه درجة تعرفها العرب من لسانها وهي محكمة يعني ظاهرة بينة وفي درجة يعرفها العلماء وهذه قد تكون محل إجماع من باب التفسير وهي كثير وإن وقع فيها اختلاف يكون اختلاف تنوع إما أن يكون المعنيان متفقان ولكن كل عبر بجزء

المعنى وإما أن يكون المعنيان متباينان ولكنهما متفقان يعني ليس بينهما تضاد فيجوز الحمل عليهما إما هذا أو ذاك وإما أن يكون اختلاف تضاد وهذا كما شرحناه لا يكون إلا في قضايا الأحكام في بعض فروعها وإلا فغالب أو معظم أو جمهور مسائل الأحكام أصولها متفق عليها احفظ هذا جيدا لأنه مهم جدا في فقه صور التفسير ووجوه قال عز وجل { وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } هذه الأخر المتشابهات هي أي هذه بها يكون زيغ الزائغين ولذلك إذا رجعنا إلى مسالة قبول التفسير بالصورة التي ذكرناها أسانيد مرسلة، نسخ أشرنا إلى هذا من قبل أنه يُقبل التفسير لأن التفسير معلوم عند السلف ومميز عن تفاسير وتأويلات أهل البدع ولذلك كل قول يتفرد به المتأخرون عن المتقدمين في التفسير فهو خطأ، انتبه جيدا في مقام التفسير كل قول يخرج عن أقوال المتقدمين فيكون خطأ، هذا الخطأ إما أن يكون موافق لبدعة قوم كفروا ببدعتهم كالجهمية وإما أن يكون موافقًا هذا التفسير والتأويل لبدعة قوم ضلوا عن الصراط وإن لم يكفروا كالخوارج مثلا وهذه الآية التي هي في صدر آل عمران نُزِّلَت في أهل الأهواء وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ ".

وفي بعض الروايات قال: " فَاحْذَرُوهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ ".

فلذلك تفسير الخطأ أو الشاذ أو المنكر يكون مبعثه وسببه الاعتقاد الفاسد وهذا من أسباب حدوث الأقوال الغلط في التفسير أن الإنسان يجد تأويلا بناه أصحابه على اعتقاد عندهم ومن هنا لا تُقرأ تفاسير أهل البدع وتفاسير الزنادقة لأنهم لا يُؤْمَنُون وهذه نقطة مهمة جدا لذلك نحن لما نقبل التفسير بالصورة التي أشرنا إليها من حيث الأسانيد ومن حيث وصف النقل لأن أصل التفسير محفوظ وأعظم ما حفظ فيه ما يتعلق بأصول الدين فمن نَاظِر إلى التفاسير الضالة يجد عجبًا ، فمسالك الغلط في التفسير عند أهل البدع لا تخرج عن ست مسالك:

المسلك الأول: مسلك التأويل.

ومسلك التأويل يعني التأويل الفاسد وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء في حديث الذي رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده (17/ 391): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِهِ، كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ. قَالَ: فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ. فَقَالَ: لَا ، وَلَكِنَّهُ خَاصِفُ النَّعْلِ، وَعَلِيٌّ يَخْصِفُ نَعْلَهُ ". لذلك الخوارج قوتلت على تأويل القرآن ووصفت الخوارج كما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أن من صفاتهم وهذه من أدق الوصف عندهم أنهم جمعوا مع كثرة العبادة سوء الفهم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ أَوْ صِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ أَوْ أَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، وَلَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ".

وفي رواية قال: " لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ".

والتراقي إشارة إلى أنه لا يصل إلى القلب لأن العلم النافع ما رسخ في القلوب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ .... ".

فالقلب الذي لا يخشع والعلم الذي لا ينفع متلازمان، فالعلم الذي لا ينفع يورث قلب لا يخشع، ولا يخشع يعني لا ينقاد ، لا يخضع وإن كان صاحبه قد يشعر بنوع من الاخبات في الظاهر لكنه سكون أهل الضلالة وليس بالسكون الذي مدح الله أهله بالسكينة والاخبات إذا تليت عليهم الآيات، فالمقصود من ذلك أن الخوارج قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: " .... يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، وَلَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ".

يعني لا يصل إلى قلوبهم فينفعهم، لذلك أخطر المسالك مسلك التأويل ومسلك التأويل هذا يتفرع عنه:

المسلك الأول: مسلك التخييل.

ومسلك التخييل مسلك فلسفي اعتمده ابن سينا وجماعته وهو أن ما في القرآن رموز وإشارات لا حقائق علمية تدرك يعني لا يحاط بعلمه وهؤلاء كلهم غلطوا، فغلط المخيلة الذين سلكوا مسلك التخييل في قولهم أن المراد من القرآن لا علمه الظاهر.

مسلك التخييل عند ابن سينا يقول لك هذا الظاهر من باب التقريب يعني يقرب لك رموز ترمز للأشياء باطنة فيكون كأنه كمن يقول لك مثلا يعني يعطيك شيئا وهو لا يريده فيكون كأنه تورية، هو لا يريد ما يتكلم به، هو يريد شيئا آخر فهو يعطيك هذا لي يخاطبك على قدر عقلك كما قال ابن سينا وغيره من الزنادقة أن الأنبياء خاطبوا الناس على قدر عقولهم ولكن حقيقة الأمر ليس الذي يقولونه وهذا كفر بالله سبحانه وتعالى.

المسلك الثاني: مسلك الباطنية.

وهؤلاء قوم ومنهم القرامطة وهم الذين يجعلون ظاهر القرآن غير مراد وأن له معنى باطن وهذا يشبه مسلك التخييل وهذا مسلك خطير ابتليت به الأمة ولازالت ويسلكه الآن الملاحدة والعلمانيين ونحو ذلك لأنه فيه ردا للكتاب ودفع له لا من جهة التنزيل صراحة فلا يقول لك هو لا يؤمن بالقرآن ولكن يزعم أنه يؤمن بالقرآن يدعي ذلك لكن يقول له معنى غير ظاهره وهذا المسلك الذي أضل به بولس النصارى فوضع لهم النصرانية في تأويل من التوراة أن ليس المراد الختان بل ختان الروح وهكذا والقرامطة قالت هذا وألغت حتى الشرائع فضلا عن أصول الدين والأركان الست فقالوا الصلاة صلة القلب والصوم عدم قول الحرام والحج حج القلب وهكذا فهذا يُظهر إقرارا بالظاهر لكنه يعطيه معنى باطن وهذا التفسير الباطني وهذا مسلك خطير جدا مسلك كفري في كتاب الله عز وجل.

المسلك الثالث: مسلك التحريف.

وهو وضع معاني للقرآن على غير الظاهر وهذا نوع من التأويل يعني يتفرع عن الأول وهو كتحريفات الجهمية وهذا مثاله وكان بشر المريسي كما جاء في السنة لأبي بكر بن الخلال (5 /105): أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَرَّاقُ، قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْبَزَّارِ، يَقُولُ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْمِرِّيسِيِّ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أُذَاكِرُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ، فَكُلَّمَا ذَكَرُوا الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ رَدَدْتُهُ. قَالَ: يَقُولُونَ: أَنْتَ كَافِرٌ. قَالَ: صَدَقُوا. إِذَا ذَكَرُوا الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَدْتَهُ، يَقُولُونَ: أَنْتَ كَافِرٌ. قَالَ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ. قَالَ: إِذَا ذَكَرُوا حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْ: صَدَقْتَ، ثُمَّ اضْرِبْهُ بِعِلَّةٍ، فَقُلْ: لَهُ عِلَّةٌ ". وهذا المسلك خصصناه لأنه ابتليت به الأمة وهو تحريف الآية وإن كان هو فرع عن التأويل وكلهم فرع عن التأويل الفاسد هذا ومسلك التحريف هذا كانوا يأمرون أصحابهم أن يضعوا معاني مخالفة لظواهر القرآن كما أشار إلى ذلك الدارمي رحمه الله في النقض على المريسي (ص338): " وَبَلَغَنَا أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ الْمَرِيسِيِّ قَالَ لَهُ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْأَسَانِيدِ الْجِيَادِ الَّتِي يَحْتَجُّونَ بِهَا عَلَيْنَا فِي رَدِّ مَذَاهِبِنَا، مِمَّا لَا يُمْكِنُ التَّكْذِيبُ بِهَا؟ مِثْلَ: سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُور، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَالزهرِيّ، عَنْ سَالِمٍ، وَأَيُّوبَ وَابْنُ عَوْنٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا أَشْبَهَهَا؟

قَالَ: فَقَالَ المَرِيسِيُّ: لَا تَرُدُّوهُ فَتُفْتَضَحُوا، وَلَكِنْ غَالِطُوهُمْ بِالتَّأْوِيلِ (يريد أن يضعوا معاني على شواذ اللغة ومتسقاتها) فَتَكُونُوا قَدْ رَدَدتمُوهَا بِلُطْفٍ؛ إِذْ لَم يُمْكِنُكُمْ رَدُّهَا بِعُنْفٍ، كَمَا فَعَلَ هَذَا المُعَارِضُ سَوَاءً". يعني لم يستطيعوا أن يقولوا للناس نحن لا نؤمن بها وإن كان بعضهم صرح بهذا لكن صاروا يقولوا لا نحن نخاطب العامة على قدر العقول حتى قال الغزالي: " أن الأنبياء خاطبوا العامة بالتشبيه لأن التشبيه أسبق لقلوب العامة ". وقال العز بن عبد السلام: " أكثر العوام مشبهة والتشبيه مما تعم به البلوى لما كانوا يتكلمون عن كفر العامة وهكذا فقالوا هذا شيء عمت به البلوى ولا نستطيع أن نكفر العامة كلها ". فهم يشيرون إلى أن عقائدهم معقدة وأنهم يؤمن بها الأقل والنخبة لا الكثرة إلا أن تُفرض عليهم فرضًا، أما من جهة الفطر فعقائدهم ممزوجة يعني غير مقبولة.

المسلك الرابع: مسلك التجهيل.

وهو القول بأن الظاهر مراد لكن لا ندري معناه الذي هو التفويض وهؤلاء ينسبون إلى الأنبياء الجهل بما أوحي إليهم وهذا كذب لأن الله تبارك وتعالى سمى الذي يوحي به إلى الأنبياء **علم** يعني يدرك قال الله تبارك وتعالى { وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ } [النساء: 113]، وقال الله لنبيه { بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ } [يونس: 39] عاب عليهم أن هذا يُحاط بعلمه وهم يكذبون به وقال عز وجل { وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: 44] ثم كل آيات التفكر والتدبر ردٌ عليهم وآيات الفضل ردٌ عليهم والآيات التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها في المناسبات كأذكار الصباح والمساء والنوم ونحو ذلك أو ما يتعلق بأوقات وأزمنة معينة ردٌ عليهم.

المسلك الخامس: مسلك الإشارة.

وهو مسلك الصوفية في التفسير وهو أنهم يقولون أن ما يُخاطب به العبد هو إشارة لمعاني خفية إما أن تُؤخذ من الباطن أو من لازم شيء لكن ليس المراد عينه، طبعا هذه المسالك بعضها يتداخل أي نعم لكنها بنيت عليها تفاسير وسار النّاس عليها سواء في التفسير كامل يعني من البداية يسلك مسلك التجهيل أو كذا في تفسير كامل وإما أنه يأتي لبعض المواضع إما يتعلق بالصفات على جهة الخاصة ويسلك أحد هذه المسالك أو ما يتعلق بأصول الدين عموما فيسلك أحد هذه المسالك.

وهذه المسالك الخمس فرع عن التأويل الفاسد أي [المسلك الأول] إلا أنه ينتبه أن مسلك الباطنية مسلك كفري مع كتاب الله هو ومسلك الإشارة، هذا كفر بالله عز وجل وزندقة أما لفظ التأويل في عرف السلف قد يكون يوصف به المبتدع لأن التأويل مبني عن المتشابه والذي يجادل بالمتشابه قد يكون مبتدعًا وقد يكون كافرًا ولذلك قال أيوب السختياني كما رواه بن بطة في الإبانة الكبرى (501/2): " لَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ يُخَاصِمُ إِلَّا بِالْمُتَشَابِهِ ".

ومسلك التجهيل مسلك كفري ومسلك التخييل مسلك كفري يعني كفر بالكتاب لأنهم لا يؤمنون بحقائقه وكذلك مسلك التحريف مسلك كفري أيضا نسأل الله السلامة والعافية، لأنه تكذيب وهذا الذي عناه أَبُو القاسم بن منده في كتاب " الرد على الجهمية " لما قال: " التَّأْوِيلُ عِنْدَ أَصْحَابِ الحَدِيثِ نَوْعٌ مِنَ التَّكْذِيبِ ".

يعني التأويل الذي من جنس التحريف أن ينسف الظاهر يقول الظاهر غير مراد، لكن المتأول بالبدعة هو يتمسك بجزء المعنى ويترك سياقه فمثلا يأخذ قوله عز وجل { وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } [المائدة: 44] ويكفر أهل التوحيد، الآية هي حق في نفسها لكنه غلط في تنزيلها فهو يؤمن بظاهر لكن هذا لا يؤمن بالظاهر أصلا ويقول الظاهر غير مراد ويحرفه مع وضوح معناه، ثم التأويل الذي يكون في حقوق الله عز وجل يختلف عن التأويل الذي يكون في حقوق العباد وهذا تنظر له الشريعة في مقاصدها وأحكامها لأن الذي يتعلق بالله عز وجل ظاهر بيِّن من أحكم المحكم فلا يقبل فيه الغلط والخطأ لأنه كثير منه موافق للفطرة كعلوه سبحانه وتعالى ووجوده ومنه ما تقبله الفطرة كاستوائه وما يوصف به من الصفات السمعية الخبرية فهذا تقبله الفطرة لأن الفطرة السليمة تقبل هذا فلو وضع لإنسان شخص يمشي وشخص لا يمشي لاختار الذي يمشي يراه أنه أكمل من الذي يقعد ولذلك قال الشاعر: " لَيْسَ الصَّحِيحُ إِذَا مَشَى كَالْمُقْعَدِ ".

كذلك العبد ممكن يجهل أن الله يمشي هذا ليس مما يدرك بالفطرة لكن إذا علمه قبله لأن الفطرة تدل على أن الأكمل هو الذي يمشي على من لا يمشي والذي ينزل أكمل من الذي لا ينزل والذي يفعل ما شاء وقت ما شاء أكمل من الذي لا يفعل شيئا فهذا مقتضى الفطرة يقبله.

لذلك ينتبه في هذه المسالك الخطيرة مع كتاب الله تبارك وتعالى حال تفسيره وحال بيانه للناس ثم آتي هنا وأضع لكم بعض الأمثلة لأن بعض الناس جهال لا يعرفون هذه الأصول وهذه الخطورة وقبل أن نأتي إلى الأمثلة قد روي عن الحسن البصري رحمه الله من كلامه روي مرسلا كما رواه بن مبارك رحمه الله في كتاب الزهد والرقائق (الملحق/ 23) ومراسيل الحسن تعرفون لها أصلا ولذلك العلماء وضعوا عليه علما هذا الحديث فقال: نا نُعَيْمٌ قَالَ: نا عَبْدُ الْوَهَّابِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ آيَةٌ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ ".

ذكر ابن المبارك رحمه الله تفسير له فقال: " سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ آيَةٌ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ يَقُولُ: لَهَا تَفْسِيرٌ ظَاهِرٌ، وَتَفْسِيرٌ خَفِيٌّ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ قَالَ: يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَيَسْتَعْمِلُونَهُ عَلَى تِلْكَ الْمَعَانِي، ثُمَّ يَذْهَبُ ذَلِكَ الْقَرْنُ، فَيَجِيءُ قَرْنٌ آخَرُ يَطَّلِعُونَ مِنْهَا عَلَى مَعْنًى آخَرَ، فَيَذْهَبُ عَلَيْهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَنْ قَبْلَهُمْ، فَلَا يَزَالُ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَنْهَى عَنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ يُفَسِّرُهُ السُّنَّةُ ".

قلت: وعلى هذا يحمل على أن المراد المتشابه، أنه يريد بذلك المتشابه وقد روي من كلام الحسن عند عبد الرزاق في [مصنفه (3/ 358)].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله كما في غريب الحديث (2 /12) لما ذكر هذا الأثر وفيه تكملة: " يَا أَبَا سعيد مَا المطلع قَالَ: يطلع قوم يعْملُونَ بِهِ ".

شرحها أبو عبيد رحمه الله قال: " فأحسب قَول الْحسَن هَذَا إِنَّمَا ذهب بِهِ إِلَى قَول عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود فِيهِ حَدَّثَنِي حجاج عَن شُعْبَة عَن عَمْرو بْن مرّة عَن عَبْد اللَّه قَالَ: مَا من حرف أَو قَالَ آيَة إِلَّا وَقد عمل بهَا قوم أَو لَهَا قوم سيعملون بهَا فَإِن كَانَ الْحسَن ذهب إِلَى هَذَا فَهُوَ وَجه .... ".

هذا الكلام جيد لأنه فيه أن آيات لم يُعمل بها اي لم يأتي واقع يشبهها وإن كانت لها أصل كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله عز وجل { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } [المائدة: 105] قَالَ: " .... لَمْ يَجِئْ تَأْوِيلُ هَذِهِ بَعْدُ، إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ حَيْثُ أُنْزِلَ وَمِنْهُ

آيٌ قَدْ مَضَى تَأْوِيلُهُنَّ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلْنَ، وَمِنْهُ مَا وَقَعَ تَأْوِيلُهُنَّ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَمِنْهُ آيٌ قَدْ وَقَعَ تَأْوِيلُهُنَّ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِيَسِيرٍ، وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهُنَّ بَعْدَ الْيَوْمِ، وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهُنَّ عِنْدَ السَّاعَةِ عَلَى مَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ، وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهُنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ عَلَى مَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ الْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَمَا دَامَتْ قُلُوبُكُمْ وَاحِدَةً، وَأَهْوَاؤُكُمْ وَاحِدَةً، وَلَمْ تَلْبَسُوا شِيَعًا، وَلَمْ يَذُقْ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَأْمُرُوا وَانْهَوْا، فَإِذَا اخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ وَالْأَهْوَاءُ، وَأُلْبِسْتُمْ شِيَعًا، وَذَاقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَامْرُؤٌ وَنَفْسُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ جَاءَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ ".

قلت: وعلى هذا يحمل أن آيات الاستضعاف تُنَزَّل في زمن أو الاستضعاف بأحكامها يعني وآيات التمكين تُنَزَّل في واقع التمكين بأحكامها والقول بأنها منسوخة وسننبه عليه إن شاء الله في دروس الناسخ والمنسوخ أن النسخ لا يعنى الإزالة من كل وجه وإنما من معاني النسخ عند السلف أنه لا يعمل بها في هذا الموضع ويعنون بهذا أنها منسوخة ولا يعنون أنها قد عطل الحكم بها مطلقًا وإنما يريدون مثلا آيات العفو والصفح كثيرًا ما تجد السلف يقولون نسختها آية السيف يريدون لا أنه لا يُعمل بآيات العفو مطلقًا كقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [المزمل: 10]، ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: 106]، ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [الأعراف: 180]، هذه كلها تمر بك في التفسير فتجد كلمة نسخت، نسخت، نسخت، نسختها آية السيف يعني في سورة التوبة، المراد أنها نسختها لأن الواقع تغير يعني واقع التمكين هذه والآيات نزلت في واقع الاستضعاف يعني الواقع لا هو يحكم النص معاذ الله، ولكن النص هو الذي يحكم الواقع وهذا من بدائع ما تقرأ عند أهل العلم أن هذه الآية في آيات أُخر العمل بها وأشارت إلى ذلك قراءة مجاهد وعطاء ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِأْهَا ﴾ [البقرة: 106] أي نؤخر العمل بها يعني في آيات يؤخر العمل بها سيأتي أقوام يحتاجون إليها وأقوام لا يحتاجون إليها ولذلك الأمة في ظرف ما تعيش فيه كل فرد فيها خاصة القائمين بدين الله عز وجل يعني الطائفة المنصورة يجدون في كتاب الله سبحانه وتعالى من الأحكام ما تحكم واقعهم وهنا يدخل الغلط على الناس أن واقع يُقاس بواقع وهذا يدرك فمثلا تجد بعض الناس يتكلم ويسلك مسلكًا في واقعه كأنه قد مكن له، فإذا وقع في البلاء لا يُقال أن هذا البلاء جاءه نتيجة التدين وإنما جاءه نتيجة التهور ذلك أنه لم يعلم واقعه واضح لأنه في واقع النص بينه أن هذا واقع استضعاف له أحكامه وهذا واقع تمكين له أحكامه ولذلك الكثير من الغلط في أبواب الدعوة على جهة التحديد هو أنه لا ينتبه للواقع الذي هو فيه حتى في أحوال الناس لا ينتبه لهذا أبدا

يعني حتى في أحوال الناس في الاستضعاف غير التمكين حتى في مسائل البراءة وإظهار الدّين أيضا درجات فواقع التمكين غير واقع الاستضعاف، حتى في أحكام العقوبات للمنافقين ونحوهم في أحكام الاستضعاف غير أحكام التمكين لأنه كل القرآن المكي للمخالف يقول ذره، ذره، أتركه لا تهيجه علينا لذلك الرجل لما كان بنو إسرائيل تحت سطوة فرعون ويهيج ذلك الإسرائيلي في آل فرعون على الناس فالمرة الأولى موسى نصره أما في الثانية قال له موسى كما أخبر الله عز وجل بذلك { قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ } [القصص: 18] يعني أنت غوي يعني كل مرة تُجَرِئ هؤلاء علينا فلذلك هذا فقه كبير جدا يغيب على كثير من الناس وهو أن يمارس التدين في واقعه.

ولذلك بعض الناس يتكلم كأنه قد مكن له وكأن الناس في واقعه هو قد نصروا الدّين والتوحيد فيتكلم بحجم الخطاب الوارد في آية التوبة والأنفال وهذا ليس صحيحا والشريعة فيها سعة، في ناس قيل لهم الآن تنفروا قال الله عز وجل { انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا } [التوبة: 41] وفي ناس قيل لهم كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: " مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ ".

يعني أنت في فسحة ممكن لا تغزو ولكن تحدث نفسك، هذه مرحلة لكن بعض الناس كله { انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا } [التوبة: 41] وثم النفير العام بمفهوم دلالة الآية في جهاد الطلب أنه يسبق جهاد الطلب جهاد العلم كما جاء عن مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ الْمَقْدِسِيُّ قال: " سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي عَبْلَةَ وَهُوَ يَقُوْلُ لِمَنْ جَاءَ مِنَ الغَزْوِ: قَدْ جِئْتُم مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ، فَمَا فَعَلتُم فِي الجِهَادِ الأَكْبَرِ؛ جِهَادِ القَلْبِ؟ ".

وهذا الذي أكثر الأنبياء مارسوه وسماه ربنا في كتابه { وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } [الفرقان: 52] ولهذا نحتاجه إلى أن نفقه ونحتاجه إلى أن نتعلم لأنه بعض الناس أو كثير من الشباب مريض نفسي يحتاج أن يعالج بالعلم، ولذلك من فقه الفريابي رحمه الله أورد أحاديث الخوارج في كتابه " فضائل القرآن " والله هذا الإمام رحمه الله من فقهه وضبطه أورد أحاديث الخوارج في " فضائل القرآن " مع أن الكتاب يتكلم عن فضائل السور، فلماذا يورد في أحاديث الخوارج؟ لأن الخوارج محرومين من القرآن والمحروم من حُرِم فهم كتاب الله عز وجل ولذلك سبحان الله وبحمده في سورة هود وهذا كثير جدا هذه اللمسات تجدها يعني النبي صلى الله عليه وسلم حتى تفهم الواقع الذي كان فيه، النبي صلى الله عليه وسلم له أصحاب قلة ويضربون يعني

غالبهم يضرب إلا سبعة فقط حماهم عشائرهم أما الباقي ألبسوهم أدراع الحديد وغيره كما رواه الطيالسي في " مسنده " فالغالب كان يُضرب وليس القلة بل الغالب يُضرب ويُؤذى ويُسجن ويُحصر وكذا لأنه اتبعوه ضعفاء الناس فاستطال عليهم قومهم، طيب النبي ﷺ في نفسه لما كانت ساحة مكنة أنه محمي من عمه كسبب قدره الله عز وجل ولذلك كما جاء في صحيح البخاري (5/ 52): حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه : " قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ".

وربنا قال عز وجل { وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ } [الأنعام: 26] لما ترجع لتفسير ابن أبي حاتم (1278/4): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: " كَانَ يَنْهَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُؤْذَى، وَيَنْأَى عَمَّا جَاءَ بِهِ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ ".

فكان قدر له الله عز وجل سبب وهذا من لطائف الله به وبره به ﷺ أنه هو مقامه مقام إظهار، يأتي شخص غبي من الأغبياء يريد أن يفرض هذا الحال على كل الناس مع أن النبي ﷺ لم يطلبه من بلال ولم يطلبه من عمار ولما جاء عمار وشكى له ما وقع في الاكراه فقال له النبي ﷺ: " فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ ". لكنه ﷺ لم يترخص قط لأن هذا مقام وهذا مقام يختلف، الناس درجات وليس كل الناس تريد لهم الدرجة العالية فلذلك بعض الناس يقول لك لا بد تظهر لابد تقول وإلا انت كذا وممكن يكفرك وكم رأينا من أغبياء أفسدوا دعوات بسبب هذا الجهل، بسبب الجهل بكتاب الله وهو يظن نفسه متبع وهو ليس بمتبع وهذه هي النقطة الأساسية التي تدرك من الأحوال وكان النبي ﷺ ينصح فيقول أنت لا تبقى هنا كما قالها لأبي ذر رضي الله عنه ورواها البخاري في صحيحه (4/ 183): قال: " .... فَقُلْتُ لَهُ اعْرِضْ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي فَقَالَ لِي: يَا أَبَا ذَرٍّ اكْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ .... ".

وهذا رفقه ورحمته ﷺ وقال ذلك لعمر بن عبسة وقالها لكثير ﷺ، ولذلك كما جاء في سيرة ابن إسحاق (ص174): نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: " ومنع الله بأبي طالب رسوله ﷺ،

فلما رأى رسول الله ﷺ أصحابه وما يصيبهم من البلاء والشدة، وأن الله تعالى قد أعفاه من ذلك، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم من قومهم، وأنه ليس في قومهم من يمنعهم كما منعه عمه أبو طالب، أمرهم بالهجرة إلى أرض الحبشة، وقال لهم: إن بها ملكاً لا يظلم الناس ببلاده في أرض صدق فتحرزوا عنده يأتيكم الله عز وجل بفرج منه، ويجعل لي ولكم مخرجاً".

فأحوال الدعوة تختلف وأحوال الناس يختلفون فلا يُفرض على الناس حالة واحدة، كما بعض الناس يتكلم ما يؤذيه أحد، فتح الله عليه، فنقول له أنت استغل انشر لكن بعضهم قد يؤذي وقد يتعرض له بأدنى فيخسر دينه فهذه مسائل مهمة جدا في مقامات الدعوة ، لذلك أنت إذا نظرت في القرآن وهذا معنى كلام نستلهمه من كلام ابن مسعود رضي الله عنه أنه آيات عمل بها وآيات سيعمل بها حتى في مقامات الاعتزال ومقامات الاجتناب ومقامات الهجر ومقامات الإعراض، الإمام أحمد رحمه الله كان يراعي هذا ولذلك أحمد كل نصوصه وارجع إلى " السنة للخلال " كل النصوص على مجانبة الجهمية ولما سئل عن واقع خرسان كما في مسائل الكوسج (9/ 4766): " **قلت: فتظهر العداوة لهم أم تداريهم؟** (أي الجهمية) **قال: أهل خراسان لا يقوون بهم ، يقول كأن المداراة** ".

في عبارات تخرج من الأئمة لا تعني أنها تخالف أصل الهجر لكن مرات بعض الناس لا يستطيع أن يظهر الإنكار فهذه هي القضية فلا يقال أنت الذي تسكن في كذا تُظهر الإنكار ثم حال الشخص حال ضعيف ممكن هو أسلم وآمن فلو أنه ابتلي نيل بشيء من الأذى ممكن يخسر دينه فيكون من رحمة الشرع به أنه يقال له أنت لا تتكلم، أنت لا تظهر، أنت أخفي لذلك قال النبي ﷺ كما في حديث مقداد بن الأسود الذي رواه البخاري صحيحه (9/ 3): قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمِقْدَادِ: " **إِذَا كَانَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ يُخْفِي إِيمَانَهُ مَعَ قَوْمٍ كُفَّارٍ، فَأَظْهَرَ إِيمَانَهُ فَقَتَلْتَهُ؟ فَكَذَلِكَ كُنْتَ أَنْتَ تُخْفِي إِيمَانَكَ بِمَكَّةَ مِنْ قَبْلُ** ".

يريد النبي ﷺ أنه في ناس أفاضل وأهل توحيد وأهل صدق في الدين ولكن يكتم إيمانه لا يستطيع أن يظهره لكل الناس فلا يكون هذا مشيئًا في حقه ولا معيبًا فيه انتبه، لذلك أكثر ما يقضي على الدعوات حماسة الخوارج لأنني لم أرى فرقة بعينها تشترط واقع الاظهار وتمتحنوا الناس فيه في جميع الأوقات والأحوال إلا الخوارج، عندهم المدارات كفر وليست نفاق فقط بالكفر أكبر لذلك ابن أبي الدنيا ألَّف

لهم كتاب " مدارارة الناس " وتكلم الإمام أحمد عنها وقال كثير من الناس أنه سياتي زمان يُحتاج فيه إلى المداراة وحتى قال الحسن البصري رحمه الله : " التَّقِيَّةُ جَائِزَةٌ لِلْمُؤْمِنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ".

انتبه ليس الأمر في المداهنة في فرق:

المداهنة: هي الموافقة على الباطل أو بعض الباطل لسلامه الدنيا وهذه الكفر إذا وافق على الكفر يكفر من غير إكراه بشرطه وهذا معنى قوله تبارك وتعالى { وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ } [القلم: 9] هي الركون للظالمين.

المداراة: وهي اجتناب الأذى مع ترك بعض الدّين مما لا يكفر به العبد، ترك إظهاره يعنى أو ترك إظهار بعض العداوة لأن العداوة درجات لذلك قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: " التَّقِيَّةُ جَائِزَةٌ لِلْمُؤْمِنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ". وكلامنا في هذا النوع.

وقال عز وجل { لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } ثم يأتي الاستثناء، { إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً } [آل عمران: 29] وقرئ في العشر، { إِلَّآ أن تَتَّقُوا مِنهُمۡ تَقِيَّةً } ممكن أنت تلاطفه لأن درجات العداوة تختلف، في دراجة قلبية وهذه التي لا تسقط بحال لكفره كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه : " إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَنَضْحَكُ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّ قُلُوبَنَا تَلْعَنُهُمْ ".

ممكن بعض الناس يلحق إلى هذه الدرجة وله أسوة من السلف في هذه الحال وفي بعض الأحوال ليس دائما ولذلك نحن لما نقول مثل هذا الشيء ليفهم الناس أن في دين الله فسحة، الشيء الذي مدحت به الشريعة الخوارج تسقطه حتى في الفروع مُدحت شريعة ربنا بأنها يسر وأنها حنيفية سمحة وما جعل الله علينا فيها من حرج الخوارج لا يمسحون على الخُفين ولا يقصرون الصلاة ويُوجبون الصلاة على الحائض وهذا في بعض فرقهم وإذا جاءوا إلى مسألة التقية يرونها كفرًا ونفاقًا وزندقة وإلا أنك تُظهر المحنة التي يقولونها بنفس الألفاظ لذلك راجع معي تفسير قتادة وأنا أتامل فيه لأشهر، ماذا يريد قتادة؟! من بعد لما فهمت أن الخوارج أصحاب محن بالألفاظ كما في قصص كثيرة عنهم ومعروفة قصة يحيى بن معين رحمه الله لما حكاها عن أبي جيفة وكثير أنهم يمتحنون بنفس الألفاظ يعني ليس لهم فسحة حتى في الكلام، راجع تفسير قتاده عند ابن ابي حاتم في " تفسيره " في قول الله عز وجل { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [آل عمران: 164] الخارجي يمتحنك بألفاظ أنت تجهلها ويكفرك من خلالها، النبي ﷺ وإن جاء إلى قوم كانوا في ضلال مبين كما قالت الآية لكن علمهم لذلك الخارجي يسقط باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا جعلوها محنة كما قالها قتادة فممكن أن تجد في الشريعة ألفاظ فيها فسحة نعم ، بعض الناس يقول لك إلا أن تقول كافر فإن لم تقل كافر فأنت كافر، بعض الناس وهذه محنة خوارج ترى وجدنا ناس كثير هكذا ويعدون أنهم من قال غير هذه الألفاظ أو لم يسلك هذا السبيل الذي يزعمونه ويقولونه أنه ضال وأنه مداهن في دينه ويقولون لا بد أن تصرح بالتكفير مع أن هذا التصريح بالتكفير هذه درجة من درجات الاظهار لكن ليس هو الاظهار الذي إذا لم يظهره صاحبه بنفس الألفاظ ومعاني والأقوال يصير في محنة ليس معنى هذا ولكنه درجة عليا ممكن تقول له هذا مارق كما قال أبو سلمة عن أبي حنيفة ورواها عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله في السنة (211/1): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رِزْمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: " **كُنَّا عِنْدَ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ فَذَكَرُوا مَسْأَلَةً فَقِيلَ أَبُو حَنِيفَةَ يَقُولُ بِهَا فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ قَوْلُ ذَاكَ الْمَارِقِ** ".

وممكن تقول كلمة أخرى ممكن تقول ضال والقرآن جعل في هذا فسحة، سمى الكفار ظالمين وسماهم ضالين وأسماء كثيرة جدا لك فيها فسحة، أنت إذا استعملت ما قال ربنا ووظفت في كلامك ما قال ربنا أنت لست بغلط ولا بمخطئ فأنت تدور مع التنزيل ولكنه درجات هذه النقطة الأساسية.

طيب، يقول لك شخص الإمام أحمد رحمه الله وهذه بعضهم اعترض بهذا لما يقول لك الإمام أحمد رحمه الله أنكر على أبي ثور لما قال: " **سألت أبا ثور عن اللفظية فقال: مبتدعة. فغضب أحمد وقال: اللفظية جهمية من أهل الكلام، ولا يفلح أهل الكلام** ".

وهذا مقام التمكين لا يجوز لك المدارات تعطي الحكم نفسه، أنت الآن كرابيسي لكن نحن نتكلم عمن كان يؤذى أو يُنَزَّل عليه أذى أو قد يخسر شيئا من دينه فهذا له أحوال لذلك أحمد لما سأله إسحاق قال: " **فتظهر العداوة لهم أم تداريهم؟** (أي الجهمية) قال: " **أهل خراسان لا يقوون بهم، يقول كأن المدارة** ".

وهذا هو فقه كلام الله عز وجل أن النبي صلى الله عليه وسلم ومن يقرأ السيرة في العهد المكي خاصة في الثلاث السنين الأولى التي كان فيها الأذى شديد لم يفرض النبي عليه الصلاة والسلام على أصحابه سمتا واحدًا في الدعوة، فيهم من يستخف فيتركه وفيهم من يأتيه فيقول له ارجع لبلدك كعمرو بن عبسة قال له كما رواه مسلم في صحيحه (2/ 209): " إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا! أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ؟ وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي ".

وهكذا بأبي وأمي وروحي ونفسي صلى الله عليه وسلم هذا هو الرؤوف الرحيم.

قال قتادة في قوله { وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [آل عمران: 164] " لَيْسَ وَاللَّهِ كَمَا يَقُولُ أَهْلُ حَرُورَاءَ: مِحْنَةٌ غَالِبَةٌ مَنْ أَخْطَأَهَا أُهَرِيقَ دَمُهُ (يعني ألفاظ معينة إذا لم تقلها أقطع لك رأسك هؤلاء هم الخوارج فالناس كانت تعرفهم)، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَ نَبِيَّهُ إِلَى قَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ فَعَلَّمَهُمْ، وَإِلَى قَوْمٍ لَا أَدَبَ لَهُمْ فَأَدَّبَهُمْ ". [تفسير ابن أبي حاتم (3 /810)]

المحنة الغالب هذه تفسد الدعوات يا جماعة إما أن تقول هذه الألفاظ وإما كذا أو كذا وإما أنك لست بمسلم فلذلك ينتبه وهذا علم دقيق جدا في كلام الله عز وجل من حُرِمه فقد يُحرَم خيرا كثيرا نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في دينه وأن يعلمنا ما ينفعنا.

ثم قال أبو عبيد رحمه الله: " فَإِن كَانَ الْحَسَن ذهب إِلَى هَذَا فَهُوَ وَجه وَإِلَّا كَانَ المطلع فِي كَلَام الْعَرَب على غير هَذَا ألف الْوَجْه وَقد فسرناه فِي مَوضِع آخر وَهُوَ المأتى الَّذِي يُؤْتى مِنْهُ حَتَّى يعلم علم الْقُرْآن من كل ذَلِك المأتى والمصعد ".

يعني من وجوه تعلم الكتاب ثم قال: " وَأما قَوْله: لَهَا ظهر وبطن فَإِن النَّاس قد اخْتلفُوا فِي تَأْوِيله يرْوى بطن عَن الْحسن أَنه سُئِلَ عَن ذَلِك فَقَالَ: أَن الْعَرَب يَقُول: قد قلبت أَمْرِي ظهرا لبطن. وَقَالَ غَيره: الظّهْر لفظ الْقُرْآن والبطن تَأْوِيله (يعني البطن مقصود به من البطون يعني التفسير والشرح) وَفِيه قَول ثَالِث وَهُوَ عِنْدِي أشبه الْأَقَاوِيل بِالصَّوَابِ وَذَلِكَ أَن اللَّه عز وجل قد قصّ عَلَيْك من نبأ عَاد وَثَمُود وَغَيرهمَا من الْقُرُون الظالمة لأنفسها فَأخْبر بِذُنُوبِهِمْ وَمَا عاقبهم بهَا فَهَذَا هُوَ الظّهْر إِنَّمَا هُوَ حَدِيث حَدثك بِهِ عَن قوم فَهُوَ فِي الظَّاهِر خبر وَأما الْبَاطِن مِنْهُ فَكَأَنَّهُ صير ذَلِك الْخَبَر عظة لَك وتنبيها .... ". وهذا المسمى

بدلالة التنبيه ودلالة التنبيه غير التفسير الإشاري، لماذا؟ لأنه دلالة الإشارة أو دلالة التنبيه يكون فيها في علاقة بين اللفظ ومعناه المشار إليه فربنا لما يقص لنا خبر عاد وثمود لنعتبر نحن، أخذ العبرة هذه دلالة الإشارة وهذا المعبر به هو الموافق لظاهر النص لأن الله تعالى قال ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور: 44]، وقال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: 111]، وقال عز وجل ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 176] أما التفسير الإشاري لا علاقة بين المشار إليه الذين هم يسمونه الإشارة إلى كذا وبين المنطوق به لا علاقه يعني لا يوجد مناسبة بينهما، فيفرق بين التفسير الإشاري الباطني الصوفي وهو من جنس التحريفات وبين ودلالة الإشارة أو دلالة العبارة وهي تكون ثمة مناسبة بين المنطوق به والمشار إليه وهذا المشار إليه قد يكون من باب التدبر يكون فيه إما ضرب مثل يعني في مناسبة مثل قوله تعالى ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد: 17]، فالظاهر أنت ترى أنه هذه المراد بها آية من آيات الله الكونية وشخص يقول لك هذه فيها إشارة للبعث مثلا، نعم الله تعالى يقول: ﴿ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ [ق: 11] وهنا تكون دلالة بالعلة المناسبة ولذلك أصل القياس هي المناسبة بين المقيس والمقيس عليه وشخص آخر يقول لك ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد: 17] يقول لك هذا العلم أنزله الله وحملته القلوب وهذا ضربه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثلا في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه كما في " الصحيحين " طبعا هذا باب للتدبر ، طبعا منضبط كما أشرت إليه من قبل بتفسير الآية يعني التدبر يُبنى على الشرح والمعنى لكن دلالة التفسير الإشاري عند أهل الإلحاد من التصوف لا علاقة بل هو من جنس الباطنيات لا علاقة بين المنطوق به أي لا مناسبة بين المنطوق به وبين المشار إليه مثال في قول الله تعالى ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ [النازعات: 17]، يقول لك هذه فيها إشارة إلى القلب المتكبر يعني فرعون، هو قال لك كل قلب متكبر ليس صحيحا، لماذا؟ لأن فرعون شخص معين والذاهب إليه شخص معين وهو موسى عليه السلام وهارون عليه السلام فيمنع أنه يقال أنها هذه فيها إشارة إلى القلب المتكبر ولكن عاقبة ما حصل لفرعون هي عاقبة لكل متكبر لذلك ربنا قال ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَىٰ ﴾ [النازعات: 26]، وقال عز وجل ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: 45] وهذا أصل القرآن أنه كل ما يُقص من أخبار أئمة الشرك ووو إنما يُراد به أمثالهم كما قال الله تبارك وتعالى

{ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا } [محمد: 10] هذا فرق وهذا فرق وعادة التفسير الإشاري يكون فيه تعسف وعدم مناسبة بين المنطوق وبين المشار إليه فلا تكون ثمة علة جامعة أو دلالة ظاهرة بين سياق النص وسباقه تدل على هذا المعنى.

فقال هنا -أبو عبيد رحمه الله-: " وَذَلِكَ أَن اللَّه عز وَجل قد قصّ عَلَيْك من نبأ عَاد وَثَمُود وَغَيرهمَا من الْقُرُون الظالمة لأنفسها فَأخْبر بِذُنُوبِهِمْ وَمَا عاقبهم بهَا فَهَذَا هُوَ الظّهْر إِنَّمَا هُوَ حَدِيث حَدثك بِهِ عَن قوم فَهُوَ فِي الظَّاهِر خبر وَأما الْبَاطِن مِنْهُ فَكَأَنَّهُ صير ذَلِك الْخَبَر عظة لَك وتنبيها وتحذيرا أَن تفعل فعلهم فَيحل بك مَا حل بهم من عُقُوبَته أَلا ترى أَنه لما أخبرك عَن قوم لوط وفعلهم وَمَا أنزل بهم أَن ذَلِك مِمَّا يبين ذَلِك أَن من صنع ذَلِك عُوقِبَ بِمثل عقوبتهم وَهَذَا كَرجل قَالَ لَك: إِن السُّلْطَان أُتِي بِقوم قتلوا فَقَتَلهُمْ وَآخَرين سرقوا فقطعهم وَشَرِبُوا الْخمر فجلدهم فَهَذَا الظَّاهِر إِنَّمَا هُو حَدِيث حَدثك بِهِ وَالْبَاطِن أَنه قد وعظك بذلك وأخبرك أَنه يفعل ذَلِك بِمن أذْنب تِلْكَ الذُّنُوب فَهَذَا هُوَ الْبَطن على مَا يُقَال وَالله أعلم ". [غريب الحديث (2 /14)]

وهنا أبو عبيد رحمه الله ينبه أنه ثمت فرق ظاهر بينما يكون تفسيرًا لكلام الله عز وجل يعني موافقًا بدلالة المناسبة وبينما يكون تفسيرًا إشاريًا، طبعا التفسير الإشاري هناك كتاب حكيم الترمذي وهذا إن كان قد تجهم وليس الترمذي صاحب " الجامع " انتبهوا وكذلك كتاب القشيري وهذا ممن اعتمده الصوفية اسمه " لطائف الإشارات " واضح كثيرًا ما يستعملون هذا الباب وكذلك أيضا من تفسيرات الإشارية المعاصرة تفسيرات الشعراوي فعنده الخواطر هذه تفسيرات إشارية يميل إليها في بعض المواضع.

قلت: ثم المشار إليه لا يكون مخالفًا للمنطوق به ويكون ثمة رابط صحيح بجهة المناسبة ويكون نوع من التدبر الحاصل في هذا الباب.

هذا ما يتعلق بأنواع التفسيرات الفاسدة لذلك أشرنا إلى أن التفسير باعثه الاعتقاد يعني أن كل تفسير منحرف مبني على عقائد كتفسير الباطنية وتفاسير الرافضة وتفاسير الجهمية وغيرهم وهذا تفسير أبو القاسم الزمخشري الزنديق المعتزلي فتفسيره يسميه " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل " طلب منه بعض المعتزلة أن يكتبه فكتبه وهذا التفسير ملائه بضلالات وكفريات المعتزلة، كذلك تفسير عبد الجبار وللأسف طُبع هذا ويسمى " المحيط " وهذا أيضا من التفاسير

الكفرية ملأه بالتجهم ونحو ذلك نسأل الله السلامة والعافية ، لأنه مبني على اعتقاد فبث فيه تفاسير الجهمية.

فعادة المقصود أن التفسير يُبنى على عقائد أصحابه، رأيت المسالك التي ذكرناها وهي فرع عن التأويل هذه في مقام المحكمات تعد تكذيبًا يعني ردًا للظاهر مثل من يقول لا يُؤمن بهذه الآية، نسأل الله العافية لأن التكذيب لا يتعلق بالألفاظ انتبه بل خذها قاعدة مني مهمة جدا، أن تفسير السلف هو على المعاني أكثر منه على الألفاظ، إيش الفرق؟ المتأخر يعتني باللفظ من جهة اشتقاقه ووو إلى آخره، السلف يعتنون من جهة اللفظ إلا بالغريب أي مكان غريبا فقط وألَّفوا فيه على قلة، أما غالب ما يتكلم فيه السلف هي المعاني لأنها هي المقصودة بالاعتقاد هي المقصودة بالدينونة يعني معاني القرآن هي التي تتعلق بالتدبر بالعقل ولذلك القرآن يذكر ربنا أننا مأمورون بتدبر القرآن وأن تُعقل آياته { لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }، { تَعْقِلُونَ }، { يَتَفَكَّرُونَ }، { يَعْلَمُونَ }، { يَفْقَهُونَ }، { يَذَّكَّرُونَ }، { يَتَذَكَّرُونَ } كثيرة جدًا في كلام الله عز وجل هذه مقاصد لذا المعاني هي الأساسية فلما انت تأتي للمعاني المحكمة وتسلك فيها أحد المسالك إما باطنية وإما تجهيلية يعني أن يقول المعاني لا نعلم معناها، لا من جهة أنه هو لا يعلم تفسيرها في فرق فممكن شخص يقرأ آية ما يفهم معناها وهذا المتشابه النسبي يعني يقول لك أنا هذا المعنى لا أعرفه يعني لم أقرأ فيه شرحًا نحن ليس كلامنا على هذا ولكن كلامنا على من له أصل إما مضطرد وإما في بعض الأبواب كالصفات يقول لك معانيها لا نعلمها مع أنه الظاهر مراد لكن المعنى غير مراد وهذا التفويض عند بعض الحنابلة وبعضهم يسلك مسلك التفويض فيقول لك الظاهر غير مراد ونحن لا نعلم المعنى، فالتفويض عند بعض الحنابلة مختلف عن غيرهم وكلاهما تجهم لأنه اجتمع كلاهما على أن المعنى غير مراد، فبعضهم يقول الظاهر مراد وبعضهم يقول الظاهر غير مراد فقط هذا الفرق وإلا اختلفوا في العبارة وإلا كلاهما يُجمع المفوضة على أن المعنى غير مراد فعندهم مثلا { الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ } [طه: 5] غير معلومة، تقول له إيش معنى استوى؟

الأول يقول لك نعم ظاهرها مراد بعض الحنابلة لكن لا ندري معناها وهذا يسلكه ابن قدامة يقول لا نعلم معناها لا لأننا جهلنا جهلا نسبيًا، يقول لا يُعلم معناها مطلقًا هذا الجنس أو هذا الضرب لا يُعلم معناه هذا المفوض.

وهناك من يقول لك من المفوضة وهذا يسلكه مرات أبو يعلى يقول لك أن هذا الظاهر نفسه غير مراد ولكن لا نضع له معنى، لا نضع له معنى يعني من جنس تأويلات الجهمية، طبعا أنت اجمعت مع الجهمي في أن الظاهر غير مراد واتفقت مع الجهمي أن المعنى لا يُعلم، الجهمي أورد معنى جديد وأنت توقفت عن إراد المعنى المحدث وإلا كلاكما متفق على أن المعنى غير مراد، الذي يُستفاد من الظاهر وهذا والعياذ بالله إبطال.

لذلك السلف قالوا أن الصحابة شاهدوا التنزيل وعلموا التأويل كما وصفه الإمام ابن أبي حاتم والإمام الشافعي وقبل ذلك في " الرسالة البغدادية " علموا التأويل يعني علموا المعاني وأحاطوا بها كما دعا النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما قال: " اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ وَفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ". يعني التفسير فالمعاني موجودة، ولذلك هذه المسالك كفرية نواقض يعني ويُوافق بها طائفة وأقول لكم والله الذي رفع السماء لا يسلُكنَّ عبدٌ إحدى هذه المسالك إلا ونُخرِج له الطائفة التي سبقته إلى ما قال، ولما دندن بعض الزنادقة بقصه إبراهيم عليه السلام في القصص، وسورة القصص من باب المحكم لأنه قال الله عز وجل فيه { فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [الأعراف: 176]، إذا هو يُدرك معناه وقال ربنا تبارك وتعالى { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [يوسف: 111] طيب، ماذا سلكوا مع هذا الموضع؟ الجواب وهو أن قومٌ سلكوا مسلك التجهيل قالوا لا نعلم معناه، ليس لأنه لم يقرأ تفسيرها، ليس لأنه له ليس عنده فهم في هذا الموضع ولكنه سلك مع أصل هذا الباب أنه يُجَهِّل المعاني يقول لك { هَٰذَا رَبِّي } [الأنعام: 76] غير مراد ظاهرها، طيب، ما هو المراد؟ يقول لك لم يضع معنى جديد، ما هو مسلكه؟ هذا مسلكه مسلك تجهيل وقوم قالوا الظاهر غير مراد والمراد [أهذا ربي] على جهة الاستفهام، استنكارا في مقام المناظرة لقومه، طيب، وهذا التفسير من قال به؟ قالت به المعتزلة وعامة المتكلمين بنوه على أصلين فاسدين:

الأصل الأول: النظر والاستدلال

الأصل الثاني: في باب عصمة الأنبياء

بنوه على عقيدتين كفريتين في هذا الباب فحرفوا هذه الآية ولذلك كل قصص الأنبياء عليهم السلام تُرد من جهة ثلاث طرق كل قصص الأنبياء يعني تفسيرها:

الطريق الأول: إما أن يُسلك معها طريق التحريف أو التجهيل أو غيرها من التي أشرنا إليها يسلك معها هذا.

الطريق الثاني: إما أن يُقال فيها إسرائيليات وسيأتي بحث الإسرائيليات إن شاء الله في المجلس القادم.

الطريق الثالث: إما أن يُقال أسانيدها ليست بذاك يُطعن في أسانيدها أو يقول لك هذا مرسل فلان لم يسمع من علان وهكذا.

فهذه طريقتهم إما أنه يأتيك ويطعن لك في الإسناد وإما يقول لك أنها إسرائيليات يعني أنها من كذب اليهود على أنبيائهم ودُس في كتبنا كما قالها بعض الناس من زنادقة العصر وهذه تهمة قديمة حتى بشر المريسي قديما أشار إليها كما قال الإمام الدارمي رحمه الله يعني في معنى كلامه أن بشر المريسي أشار إلى أن ما يُورد في آيات الصفات مأخوذ من بني إسرائيل في قصه الزاملتين تكلم عنها الدارمي رحمه الله وقال هذا لا يثبت وهذا معروف الباب.

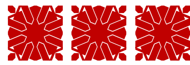
وهذه ثلاث طرق كلها يسلكها الزنادقة في باب ما يورد من قصص الأنبياء أو ما يورد في أخبار الأنبياء عليهم السلام.

[[فقط الأخ أشار إلى أن الحديث في " صحيح مسلم " إذا كان يقصد حديث الكلمات الثلاث فزيادة { هَـٰذَا رَبِّي } أنه من الكذبات الثلاثة فهي زيادة شاذة تُفرد بها ولكن المحفوظ في غالب الروايات ذكر ثلاث كذبات فقط كلهن في ذات الله وليس فيها ذكر { هَـٰذَا رَبِّي } بالعكس هذا يستدل به جماعة الحداد على أنه قال هذا من باب الإخبار بغير الواقع يعني هذا يؤكد أنه مناظر هذا والعياذ بالله جهل بالآثار والسنن ثم قد ذكرنا وأشرنا إليه من قبل أن التفسير فيه إجماع على المعاني فالفظة التي ظاهرها أن تُخالف الإجماع عن التفسير فإن إبراهيم كان ناظرًا هذا بإجماع السلف ، هذا المقام لا تلغيه لأنهم اتفقوا عليه كل السلف قالوا ناظر ولم يقل أحد من السلف أنه كان مناظر لأنه كان مستدل على التوحيد بل هذا القرآن يدل على هذا المعنى { لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ } [الأنعام: 77] ارجع للتفسير كل السلف على هذا المعنى الذي ذكرناه بن مسعود وبن عباس ولقد شرحنا هذه القضية من قبل فلذلك أخذ القصة على مقام المناظرة هذا رد لظاهرها نسأل الله السلامة والعافية.]]

قلت: الشاهد من كلامي أني أردت أن أنبه على قضية هنا أن هذه المسالك أخطر المسالك التي تسلك مع تفسير كتاب الله عز وجل مرجعها إلى هذه الثلاث إما أن يسلك أحد المسالك التي ذكرناها الخمس فرع عن التأويل الفاسد وإما أنه يردها بأنها مرسل وهكذا وهذا يسلكه بعض المعاصرين خاصة ممن يحققون كتب السلف في التفسير وإما أن يقول هذه اسرائيليات نسأل الله السلام والعافية.

إن شاء الله المرة القادمة في المجلس القادم سنتكلم عن هذه الثلاث طرق باستفاضة وندخل في أسانيد المصنف في التفسير إن شاء الله تبارك وتعالى

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين



الدرس الثالث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد فإن أحسن الكلام كلام الله عز وجل وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

هذا مجلس جديد من مجالس القراءة والتعليق على مقدمة تفسير بن أبي حاتم وكنا في المجلس الذي خلا قد تناولنا قضية مهمة جدا في مسائل أنواع التفسير المخالف لما عليه السلف رحمهم الله.

قلنا التفسير الذي يكون مخالفًا كله مرجعه إلى التأويل الفاسد وينبثق منه أنواع أشرنا إليها في المجلس السابق.

وكذلك أيضا اليوم إن شاء الله تبارك وتعالى وهذا نبه له المصنف في المقدمة في بيان وجوه التفسير، أن التفسير الذي اعتمده فيمن مشى على التفسير بالمأثور أن التفسير:

- إما أن يكون تفسير القرآن بالقرآن.
- إما تفسير القرآن بالسنة فهي مقام تبين وبيان.
- إما تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم.

هذه جهة النقل في القرآن من حيث بيانه، طبعا التفسير من هذه الوجوه المشار إليها لابد أن يُفهم على وجهه وذلك أن المقصود به والمعمول به أن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن لأصحابه معاني القرآن حتى نفهم جيدا أنه أنواع التفسير هذه هي ليست المقصود بها أن الإنسان يُفسر بالقرآن فإن لم يجد فبالسنة كما هو المتبادر عند بعضهم ليس المقصود هذا وهو أنك لابد تضبط أمر ذكرناه من قبل وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن معاني القرآن ثم هذا البيان حاصل بطرق النبي بيَّن معاني القرآن كله واضح، موضوع البيان النبوي أو الحاصل للقرآن:

إما أن يكون معلوما من جهة الكتاب نفسه وهذا البيان الذي يكون من جهة الكتاب نفسه هذا البيان يكون للمجمل من الكتاب، فثمة أمور أجملها القرآن وفسرتها السنة أو بُيِّن في القرآن في موضع آخر أو فسرته السنة بينته، فهذه جهة نقل التفسير فهو حاصل إما من جهة القرآن والمجمل هو ما لا يكتفى به بالعمل وحده يعني لما تسمع وأقيموا الصلاة هي محكمة لا شك ولكن من جهة العمل هي محكمة من جهة العلم وجوب الصلاة هذا يُستفاد منه الإحكام قطعا لأن هذا من ما لا يسع جهله كما هو معلوم، لكن من جهة العمل بالأمر كيف تقيم الصلاة؟ هذا يسمى مجمل، ليس المجمل هو الذي لا يعرف معناه أو يُفتقر للبيان كما هو اصطلاح من تأخر من أهل الأصول وهذا غلط. المجمل في كلام من تقدم من علماء السلف الشافعي وأحمد وإسحاق وأبو عبيد القاسم بن سلام إذا تكلموا بهذا اللفظ عنوا بأن المجمل لا يُكتفى به بالعمل وحده يعني فيه جهة بيان يعني جهة العلم صريحة أو واضحة لكن جهة العمل تفتقر إلى بيان أو تحتاج إلى مبين، فيأتي البيان من جهة القرآن نفسه في بعض الأشياء كعدد الصلوات أنها جمع بعضهم ألمح إلى قوله تعالى { فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ } [الروم: 17 - 18]، لما ترجع لتفسيرها كما جاء في تفسير الطبري (18 /475): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ: " { فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ } [الروم: 17] إِلَى قَوْلِهِ: { وَحِينَ تُظْهِرُونَ } [الروم: 18] قَالَ: جَمَعَتِ الصَّلَوَاتِ، { فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ } [الروم: 17] الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ { وَحِينَ تُصْبِحُونَ } [الروم: 17] صَلَاةُ الصُّبْحِ { وَعَشِيًّا } [مريم: 11] صَلَاةُ الْعَصْرِ { وَحِينَ تُظْهِرُونَ } [الروم: 18] صَلَاةُ الظُّهْرِ". وقال { أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } [الإسراء: 78] وقال { وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ } [هود 114] ".

طبعا هنا جماع الأوقات سواء قلنا بالاشتراك أو بالإفراد هذا نوع من البيان حاصل من جهة الكتاب وهو بيان القرآن بالقرآن وقد يُجْمَل ويُراد به إطلاق العام يعني ما جاء عامًا لأن المُجمل من إطلاقاته عند السلف يعني ما ورد عاما في موضع يخصص في موضع أو ما ورد مطلقا في موضع يُقيد في موضع فجاء إطلاق الرقبة وجاء تقيدها بمؤمنة فيحمل المطلق على المقيد لأن كلاهما من باب الكفارة في القتل والظهار مثلا، فهذا يسمى تفسير القرآن بالقرآن فيدخل فيه تخصيص العام وتقييد المطلق وهكذا، كذلك إذا أبهم اسم في موضع في قصة ما ثم كُشِفَ عن اسمه في موضع آخر هذا أيضا يعد من التفسير ونحو هذا وهو كثير في كتاب الله تبارك وتعالى، لذلك جهة البيان من جهة القرآن أي تفسير القرآن بالقرآن هذه

طريق للبيان، لكن ثمة ضوابط تتعلق بهذا لأن بعضهم لما يتكلمون على تفسير القرآن بالقرآن يظنون لابد تبحث في القرآن فإن لم ففي السنة يعني على جهة الترتيب وهذا ليس صحيحا ليس هذا مراد السلف، مراد السلف أنه يحصل البيان بالقرآن يعني نوع من أنواع البيان ليس كله لا يختصر وحده لذلك الإمام أحمد رحمه الله أشار إلى أنه من يأخذ بعموم القرآن دون أن ينظر فيما يفسره من جهة السنن أن هذا سبيل أهل البدع وهذا كلامه رحمه الله كما جاء في السنة للخلال (4/ 23) قال: " **فَأَمَّا مَنْ تَأَوَّلَهُ** (أي القرآن) **عَلَى ظَاهِرٍ بِلَا دَلَالَةٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَهَذَا تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبِدَعِ** ".

لاحظ هذا جيدا الإمام أحمد رحمه الله أشار إلى أنه من يأخذ بعمومات القرآن أو بإطلاقات القرآن دون نظر فيما يفسره من السنن أن هذا يعد تفسيرا لأهل البدع يعني أهل البدع طريقتهم ماذا؟ أنه يأتي إلى شيء مطلق في القرآن أو عام ثم هو لا ينظر في ما يقيده ويخصصه في السنن ، يأخذ بالعموم يقول لك الآية على عمومها، وهذه طريقة لظاهرية ترى فلا ينظر في ما يفسره من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أقوال الصحابة أو من جهة الإجماع أيضا فقد يأتي إجماع على أن ظاهر الآية بالعموم غير مراد أو ظاهر الآية مخصوص أو ظاهر الآية مقيد يأتي هذا وله أمثلة كثيرة جدًا، فحينئذ الأخذ بالظاهر دون رجوع إلى ما يفسره من السنن هذه طريقة أهل البدع لأنه بالمآل أو بالحال يعني قد يحصل في الحال أو قد يؤدي مع مرور الوقت إلى مناقضة الإجماعات، ولذلك الله سبحانه وتعالى لما قال في آيات المواريث وهي آيات محكمة وبينها الله سبحانه وتعالى بيانًا شافيًا كافيًا في أصولها قال { **مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ** } [النساء: 12]، وقال رب العزة والجلال أيضا لما ذكر { **وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ** } [النساء: 12]، ثم قسم المواريث ثم قال ربنا عز وجل { **مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ** } [النساء: 12] ثم قال { **تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ** } [النساء: 13] أي قسمة الله، فرائض الله عز وجل.

هنا إذا تأملت الآيات هذه محكمة لو أخذنا بظاهر الآية لقلنا أن الوصية مقدمة على الدَيْن لأن الله سبحانه وتعالى يقول { **مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ** } [النساء: 12] هذا الظاهر لكن إذا رجعت إلى الإجماع فإن الدين يُقضى به قبل الوصية فكان الإجماع على أن الدَيْن مُقدم على الوصية وهذا فسرته السنة

مع أن الحديث ضعيف لكن عليه العمل، أن النبي ﷺ قضى بالدَيْن قبل الوصية وذلك مع ضعف الحديث إلا أنه عليه الإجماع.

فالمقصود من كلامي أن النظر تحقيقه وتدقيقه إذا قلت يُفسر القرآن بالقرآن أن هذا أحد طرق البيان، نعم، هو من أَجَلِّ الطرق تفسير القرآن بالقرآن لكن له شروط فليست على إطلاقها حتى لا يفتح الباب ويقول لك هذا من تفسير القرآن للقرآن، فتفسير القرآن بالقرآن على شروط:

الشرط الأول: أن لا يُخالف تفسير القرآن بالقرآن حديث عن النبي ﷺ يعني لا يُخالف تفسيرًا نبويًا لأن الحكمة تبينه { وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: 44]، وقال أيضا { وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ } [البقرة: 231]، الإمام الشافعي رحمه الله يقول كما جاء في الرسالة (ص78): " سمعتُ مَنْ أرْضى من أهل العلم بالقُرآن يقول الحكمة سنة رسول الله ".

قال الإمام الشافعي رحمه الله: " وهذا يشبه ما قال والله أعلم لأن القُرآن ذُكر وأُتْبِعَتْه الحكمة وذكرَ الله منَّه على خَلْقه بتعليمهم الكتاب والحكمة فلم يجز الله والله أعلم أن يقال الحكمة ها هنا إلا سنةُ رسول الله ".

والنبي ﷺ كما في الحديث الذي أورده أحمد رحمه الله في مسنده (28/ 410): عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ .... ". فالمقصود أن هذا النوع من التفسير أي تفسير القرآن بالقرآن لا يخالف تفسيرًا نبوي يعني إذا كان الحديث الذي جاء عن النبي ﷺ حصل به البيان للآية فلا يُقال هذا من تفسير القرآن بالقرآن وهو يخالف حديث النبي ﷺ الذي جاء ببيان معنى الآية بأن التفسير النبوي مقدم.

الشرط الثاني: ألا يُخالف الإجماع أي إجماع السلف رحمهم الله تعالى على معنى الآية، فالإجماع حجة ماضية واضح فإذا كان تفسير القرآن بالقرآن ظاهره سيخالف إجماعًا تقرر فحينئذ يُرد هذا الفهم فينظر فيه معه ولذلك طريقة أهل البدع أنهم يأخذون بالقرآن بما لا يفسره من السنن، ولذلك كان الإمام الشعبي رحمه الله يقول: " وَاعْمَلْ بِالْقُرآنِ، وَلَا تَكُنْ حَرُورِيًّا ".

ما معناه؟ أنه ممكن يَستقل بفهم القرآن دون السنن ويَعدُ فهم القرآن من القرآن هو البيان، يقول لك القرآن يفسره القرآن وهذا قال به منكري السنة قالوا لا يحتاج إلى السنة حتى تبينه القرآن، هو نفسه ربنا قال فيه { هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } [آل عمران 138]، منكر السنة هو لا يفهم أن البيان في القرآن نفسه طرق يعني الله تعالى لما أنزل كتابه قال { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ } [النحل: 89]، هذا التبيان والبيان بيَّن القرآن نفسه أنه يحصل بالسنة ويحصل بالإجماع، فقال الله تعالى في السنة { وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: 44]، وقال تعالى { وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } [آل عمران: 113]، التي هي فهم القرآن في تفسير السلف هي السنة نفسها تفهم بها كلام الله تعالى.

وقوله أيضا { وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ } [الحشر: 7] وهذا أيضا في مقام البيان وقوله عز وجل { فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ } [النساء: 59] وغير ذلك.

وبيَّن القرآن أيضا أنه يحصل بيانه بالمرجع إلى أهل العلم قال الله عز وجل { فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ } [النحل: 43 - 44].

وقال تعالى أيضا في بيان أهل العلم { وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ } [النساء: 83].

وقال تعالى أيضا { وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ } [سبأ: 6].

وقال عز وجل { وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا } [آل عمران: 115]، أي جماعة المؤمنين الذي هو إجماعهم في الدين ليس اجتماع الأبدان كما قال الإمام الشافعي رحمه الله في الرسالة (ص475): " إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة وأبدان قوم متفرقين وقد وُجِدَت الأبدان تكون مجتمعة

من المسلمين والكافرين والأتقياء والفُجّار فلم يكن في لزوم الأبدان معنى لأنه لا يمكن ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئاً فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا عليهم جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما ومن قال بما تقول به جماعةُ المسلمين فقد لزم جماعتهم ومن خالف ما تقول به جماعةُ المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها وإنما تكون الغفلة في الفُرقة فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافةً غفلةٌ عن معنة كتاب ولا سنة ولا قياس إن شاء الله".

قلت: فالمقصود حينئذ أن تفسير القرآن بالقرآن لابد أن يكون لا يخالف الإجماع فمثلا قوله تعالى { إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ } [الروم: 50] طبعا هنا إثبات أن الله يُحي سبحانه، ظاهر هذا يُحي الموتى سبحانه { وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ } أي أن الله يفعل في المخلوق ما شاء، طبعا هذا رد على قدريه في قولهم أن الله لا يضل أحد ولا يهدي أحد، فالله يفعل في المخلوق يحييه ويميته يهديه يضله هذه قدرته، فيأتي زنادقة القدرية كالمعتزلة فيقولون إن هذه اللفظة في الإثبات لا تفيد في اللغة العموم يعني في قوله جل جلاله { إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ } أي في كل شيء إحياء الموتى وغيرها { عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} فيقولون أنها لا تفيد العموم وإنما تفيد التكثير لاحظ حتى يخرجوا أن الله يضل ويهدي سبحانه وبحمده ولاشك أن هذا مخالف للإجماع، قال جل جلاله { وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ } هذا عام محفوظ بإجماع السلف لا يعجزه شيء سبحانه وبحمده وليس للتكثير.

كذلك قوله تعالى { وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [الأنعام: 39] الصمم هنا والبكم هذا للكفار في الدنيا، أي هم صمم عن الهدى { صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ } فهؤلاء الذين هم صم بكم لا يسمعون الحق إعراضا ولا ينطقون به تكذيبًا فالله هو الذي أضلهم هذا ظاهر الآية وهذا الذي عليه تفسير السلف، طبعا هذا ينقض ما عليه القدرية في قولهم أن الله لا يضل أحد فهم يقولون أن هذا الصمم والبكم هنا المراد به في الآخرة يعني يضله في الآخرة ليس في الدنيا وهذا مخالف للإجماع لاحظت ويأتوا ممكن بآيات أخرى { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ } [الإسراء: 97]، فيقول لك { وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ } يقول لك هذا المراد به الآخرة بدليل تفسير القرآن بالقرآن. لاحظت كيف الطريقة، نقول هذا تفسير القرآن بالقرآن مخالف للإجماع لآن الآية الأولى التي في الانعام { وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ } لما ترجع للتفسير عند ابن أبي حاتم (4 /1287)

قال قتادة: " هَذَا مَثَلُ الْكَافِرِ، أَصَمُّ أَبْكَمُ، لَا يَسْمَعُ هُدًى، وَلا يَنْتَفِعُ بِهِ، أَصَمُّ، عَنِ الْحَقِّ فِي ظُلُمَاتٍ لا يَسْتَطِيعُ مِنْهَا خُرُوجًا، متسكع فِيهَا ". أي في الدنيا، والآية الثانية { وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ } [الإسراء: 97] هذه في الآخرة كما جاء في تفاسير السلف رحمة الله عليهم وهذا مما يخالف الذي ذكروه وهو مخالف للإجماع ، فلذلك لابد أن ننتبه إلى أن تفسير القرآن بالقرآن لابد أن لا يخالف تفسيرًا نبويًا الذي هو أحد طرق البيان وأن لا يخالف إجماعًا عن أهل العلم، ثم لابد في تفسير القرآن بالقرآن أن يكون ثمة سبق في تفسير القرآن بالقرآن ويُعتمد في تفسير القرآن بالقرآن على الاضطراد يعني ثمة شيء مضطرد غالب في كتاب الله عز وجل هذا يفسر به القرآن بالقرآن ما في مشكلة وهذا الذي سندرسه في الوجوه والنظائر مثاله لفظ الطاغوت كم ورد؟ نقول ثماني مرات، تقول كل موضع جاء فيه الطاغوت فهو كافر ولا يوجد موضع جاء فيه الطاغوت والمراد به ليس كافر فهنا هذا من تفسير القرآن بالقرآن ترى لكن هذا لا يخالف ما عليه السلف لأنه هذه قاعدة مضطردة لذلك من ينتبه إلى مسألة تفسير القرآن بالقرآن سيجد أن اللفظ أو المعنى سواء اللفظ كان مفردًا كطاغوت وغيرها أو كان مركبًا من كلمتين وصفيتين مثل { ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ } هنا ورد مُعرفًا وورد منكرًا { ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ } وورد منونًا { ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا } ورد بكل الصيغ فهمت.

يُستفاد من { ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ } في كل الموضع ورد فيها في القرآن أنه الكفر الأكبر فحينئذ هذه قاعدة مضطردة سواءً كان في باب البعث أو في باب الاشراك بعبادة الله { وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا } [النساء: 116]، سواءً كان في التحاكم وهكذا يعني في كل موضع يرد { ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ } إلا يُراد به الكفر الأكبر بهذا التركيب ليس { ٱلضَّلَٰلُ } وحده وليس { ٱلۡبَعِيدُ } وحده يعني { ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ } مركبًا توصيفيًا يعني صفة وموصوف، فهنا تفسير القرآن بالقرآن لشيء مضطرد لا يكون لشيء يرد في موضع بمعنى وفي نفس موضع يرد بمعنى هذا يحكمه السياق واضح الفرق كيف؟ يعني لابد أن يكون شيء مضطرد في كتاب الله حتى تقول هذا من تفسير القرآن بالقرآن ولذلك هذا يحتاج إلى قراءة لكتاب الله وتأمل وتدبر لتفاسير السلف ليس هكذا تقول هذا من تفسير القرآن بالقرآن لابد أن يكون له علم بالوجوه والنظائر هذا باب خاصة مسألة لاضطراد تحتاج لدقة في الوجوه والنظائر وهذه ألَّف فيها العلماء وسيأتي معنا كتاب في هذه الدورة وهو كتاب " التصاريف " ليحي بن سلام رحمه الله أنه مدارات معاني اللفظ مثل لفظ الكفر، الكفر غالبه ليس كله الذي يأتي بالألف واللام غالبه في الشريعة يكون كفرًا أكبر غالبه هذا اضطراد. هذا الغالب هل له استثناءات؟ نعم له استثناءات معروفة عند السلف لم يحكموا

بها لكن هذا يكون من باب التقريب فقط وإلا فإنه لا يوجد فعل يختلف فيه السلف هل هو أكبر أو أصغر؟ لأن هذا الباب حُسِم يعني فيه إجماعات حاصلة إلا ما يكون مثلا من خلاف في بعض المسائل أفرادها معلومة باختلاف في كفر صاحبها لكن من حيث أصول النواقض المكفرات الظاهرة متفق عليها وما كان من محل الاختلاف هذا من المكفرات في علم الخاصة كتكفير تارك الزكاة مجردا وتكفير تارك الحج مجردا و تكفير تارك الصوم مجردا وهكذا أما ما كان من المكفرات الظاهرة التي لا يسع احد جهلها فهذه يحكمها السلف بإجماع أن هذا الأمر كفر وأن هذا ليس بكفر فما تردد واحتمل رجع إلى الأصغر لأنه لا يُكفر بالاحتمال يعني يرجع إلى التفصيل وهذه النقطة الأساسية في الموضوع، ولذلك لفظ { ٱلضَّلَـٰلُ } هذا يطلق على العاصي كما يطلق على الكافر في القرآن، ولفظ { ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ } جاء في المشركين وجاء في عصاة المؤمنين فالعاصي عصيان الموحدين يُقال { ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا } [الأحزاب: 36]، ويقال أيضا في من كفر { ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا } طبعا ما الذي يُستفاد من الضلال المبين كقدر مشترك؟ يُستفاد أن هذا أمر واضح يعني ليس خفي، { إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ } [الأنعام: 74]، { لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ } [مريم: 38]، يعني كفر ظاهر { مُّبِينٍ } هو الشيء الظاهر لكن نفس اللفظ لا يُستفاد به في كل محاله أنه حيث ما وصف الفعل بأنه { ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ } دلّ على الضلال الأكبر بخلاف { ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ } باستقراء القرآن لا يرد إلا بما كان مكفرًا أو ناقضًا رأيت الفرق أين؟ هذا علم دقيق كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه : " إِنَّكَ لَنْ تَفْقَهَ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا ".

وهذا الفقه في كلام الله عز وجل لذلك الضوابط مهمة جدا، مسألة الضوابط وكان الإمام أحمد رحمه الله يعتني بها يعني الغالب في إطلاق اللفظ في القرآن تأملت نظرت في المصحف كثير من السلف كان هكذا حاله حتى الإمام الآجري رحمه الله لما احتج على المرجئة قال: " وَاعْلَمُوا رَحِمَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ أَنِّي قَدْ تَصَفَّحْتُ الْقُرْآنَ فَوَجَدْتُ فِيهِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي سِتَّةٍ وَخَمْسِينَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عز وجل أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُدْخِلِ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ، بَلْ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَبِمَا وَفَّقَهُمْ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ". [الشريعة للآجري (2 /619)] وسرد الآيات كلها.

الإمام أحمد رحمه الله في مسألة القرآن كلام الله غير مخلوق سرد للمتوكل آيات كثيرة جدًا على أنه القرآن كلام الله غير مخلوق ولا يُقال في مخلوق وأن الله فرق بين الخلق والأمر فكان بنى رسالته هكذا أنه الخلق يفرق بينه وبين الأمر ويفرق بينه وبين العلم قال الله عز وجل { أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ } [الأعراف: 54].

وقال أيضا ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ بعد يأتي الخلق ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ [الرحمن:1-3].

احتجاجات الجهمية بماذا؟ بعمومات أدخلوا فيها القرآن ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ ﴾ [الزمر: 62] فالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال لهم في معنى كلامه أن قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ ﴾ أن الذي دخل في أفراد العموم هنا هو ما كان مخلوقًا حقًا ليس متوهمًا في أذهانكم كالقرآن أو صفات الله تعالى الله عما يقولون، واستدل لهم الإمام أحمد رحمه الله بقوله تعالى ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف: 25] قال: " **فدمرت كل شيء؟! إنما دمرت ما أراد الله من شيء** ".

هكذا احتج عليهم في المناظرة، فدلَّ أن العام قيد هنا بالسياق ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا ﴾ الجار والمجرور بهذا القيد يعني ما كان تحت أمر ربها دمرته وما لم يأمر الله بتدميره لم تدمره فلم تدمر السموات ولم تدمر الأرض واحتج عليهم بهذا رحمه الله تعالى.

قلت: فالمقصود من كلامي هذا يا إخواني أننا نفهم قضية مهمة جدا في ضوابط فهم القرآن بالقرآن أنه من ضوابط فهم القرآن بالقرآن لابد من التأمل في دلالة اللفظ وتكون القاعدة مضطردة لا تأتي إلى شيء فيه تفصيل وتقول: لا، هذا مضطرد في القرآن كله بهذا فيكون بهذا المعنى لا وإنما السلف في مواضع بأعيانها حكموا بدلالة السياق والسباق وهذه مُحَكَّمَه في العلم كله ومر معنا في دروس اللغة الدلالات وذكرنا أن منها دلالة السياق والسباق واللحاق هذه مُحَكَّمَه أنه يقرأ ما قبلها وكثير من السلف يقولون هذا جاء عن جابر قالها للخوارج وجاء عن علي بن أبي طالب وعن ابن عباس رضي الله عنهم كثيرا ما كانوا يقولون اقرأ ما قبلها لأن ما قبلها وما بعدها هو المراد كما قال معقل بن يسار: " **إذا أَخْبَرَت عن الله فقرأ ما قبلها وما بعدها** ". لأن الخبر عن الله عظيم سبحانه وبحمده لا إله غيره ولا رب سواه.

طيب، هنا نفهم أن هذا الأمر المتعلق بتفسير القرآن بالقرآن أن يكون على قاعدة مضطردة، كذلك في مسألة تفسير القرآن بالقرآن أنه ينتبه إلى أمر مهم جدًا وهي قضية الحمل في الألفاظ أنه يُراعى كما أشرت من قبل السياق في الكلام.

ونعني بالسياق كدلالة: هو إدخال الكلام فيما قبله وما بعده يعني سياق الآية يعني ما قبلها وما بعدها هذا مهم جدًا وهذا من العلوم التي ضيعها أهل البدع، فمن أسباب الضلال إهمال مسألة السياق أن تقرأ ما قبله وما بعده الآية نفسها تقرأ ما قبلها وتقرأ ما بعدها لأن السياق يُقيد المطلق ويخصص العام ويبين المجمل وكان من طريقة أهل البدع أنهم يقتطعون ويجتزئون في الاستدلال وهو إتباع المتشابه، لماذا سمي يتبع المتشابه؟ لأنه يأتي بدليل مجتزأ من سياقه، مقتطع من سياقه ويسموه

التلفيق، التلفيق ما هو؟ هو أنك تأتي إلى دليل تنتزعه من سياقه وتحتج به كم فعلت الجهمية في نفي العلو قالوا { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ } [الحديد: 4] دل على نفي العلو. أنظر كيف يفعلون هو لا يقرأ ما قبلها ولا يقرأ ما بعدها كما قال سفيان وأحمد رحمة الله عليهما بل يأتيك مباشرة لنفس الموضع ويقول لك { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ } يقول لك هذا دليل على نفي العلو والعياذ بالله فهمت، وفعلها النصارى { وَرُوحٌ مِّنْهُ } [النساء: 171] قالوا هذا دليل على الحلول والاتحاد والعياذ بالله، لماذا لم تقرأ ما قبلها وما بعدها { يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا } [النساء: 171]، فهذه هي طريقتهم فقال الله تعالى { فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ } [آل عمران: 7]، فاتباع المتشابه أخطر ما فيه الاجتزاء ولذلك بين سعيد ابن جبير رحمه الله بيّن أن الخوارج يقرؤون ءايتين اجتزاءً ويركبوهم تلفيقا بين الدلالتين في الآية قال رحمه الله كما جاء في **الشريعة للآجري (1 /341):** " أَمَّا الْمُتَشَابِهَاتُ: فَهُنَّ آيٌّ فِي الْقُرْآنِ يَتَشَابَهْنَ عَلَى النَّاسِ إِذَا قَرَءُوهُنَّ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يُضِلُّ مَنْ ضَلَّ مِمَّنِ ادَّعَى هَذِهِ الْكَلِمَةَ ، كُلُّ فِرْقَةٍ يَقْرَءُونَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا لَهُمْ أَصَابُوا بِهَا الْهُدَى وَمِمَّا تَتْبَعُ الْحَرُورِيَّةُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: { وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ } [المائدة: 44] وَيَقْرَءُونَ مَعَهَا: { ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } [الأنعام: 1] فَإِذَا رَأَوُا الْإِمَامَ يَحْكُمُ بِغَيْرِ الْحَقِّ قَالُوا: قَدْ كَفَرَ ، وَمَنْ كَفَرَ عَدَلَ بِرَبِّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ فَهَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ مُشْرِكُونَ، فَيَخْرُجُونَ فَيَفْعَلُونَ مَا رَأَيْتَ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ ".

وهذا غلط لأن الإشراك بالله في عبادته غير الإشراك بالله تبارك وتعالى في طاعته لأن في طاعته فيها تفصيل ممكن يكون أصغر وممكن يكون أكبر أما في عبادته كله أكبر من يعبد غير الله، لأن الشرك الأصغر وإن كان شركًا ليس فيه مضاهاة في العبادة فيه نوع تنديد إما باللفظ أو مراعات الخلق في حقوق الحق سبحانه لكن ليس فيه مضاهاة في العبادة ، قد يكون وسيلة مثل بناء مسجد على القبر قال الإمام الشافعي رحمه الله كما في **الأم (317/1):** " ... أَخْبَرَنَا مَالِكٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ لَا يَبْقَى دِينَانِ بِأَرْضِ الْعَرَبِ.

(قَالَ): وَأَكْرَهُ هَذَا لِلسُّنَّةِ، وَالْآثَارِ، وَأَنَّهُ كُرِهَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ أَنْ يُعَظَّمَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَعْنِي يُتَّخَذُ قَبْرُهُ مَسْجِدًا، وَلَمْ تُؤْمَنْ فِي ذَلِكَ الْفِتْنَةُ، وَالضَّلَالُ عَلَى مَنْ يَأْتِي بَعْدُ فَكُرِهَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِئَلَّا يُوطَأَ فَكُرِهَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِأَنَّ مُسْتَوْدَعَ الْمَوْتَى مِنَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَنْظَفِ الْأَرْضِ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَرْضِ أَنْظَفُ ".

يعني في معنى كلامه أنه قال أخشى أنه يفتن بعدين لكن نفس البناء ليس فيه مضاهاة في العبادة وهكذا، فالشرك الأكبر فيه عبادة لغير الله أما الإشراك بالله سبحانه وتعالى في طاعته هذا ممكن يكون أكبر وممكن يكون أصغر لأنه في شرك أصغر في الطاعة ولذلك هذا الشرك الحاصل في الطاعة كالطاعة في المعصية والشرك الأكبر في الطاعة كالطاعة في الكفر كما حصل ممن اتبع الأحبار والرهبان أطاعوهم في الكفر نسأل الله السلامة والعافية قال الله سبحانه وتعالى { وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ } [سبأ: 33] ولذلك بعض السلف ماذا قال؟ كما جاء في مصنف ابن أبي شيبة (6/ 544): " حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، قَالَ ثنا الْأَعْمَشُ، عَنْ عُمَارَةَ، قَالَ: " نَزَلَ مُعَضِّدٌ إِلَى جُبِّ شَجَرَةٍ فَقَالَ: مَا أُبَالِي أَطَعْتُ رَجُلًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ أَوْ سَجَدْتُ لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ".

هنا المراد أن كلاهما شرك انتبه والجمع في الوصف لا يعني الجمع في الحكم ممكن شيئان يجتمعان في الوصف كلاهما شرك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ .... ".

سماهم كبائر لكن جعل فيها ما يكون مكفرًا كالشرك بالله وجعل فيها ما يكون موبقة ومعصية ولا يكون كفرًا كعقوق الوالدين وغير ذلك فهو جمعٌ في الوصف لا يعني الجمع في الحكم فقول السلف: " مَا أُبَالِي أَطَعْتُ رَجُلًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ أَوْ سَجَدْتُ لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ".

هو يريد أن كلاهما شرك لكن انتبه وهو لتعظيم ذلك أنه قارب الشرك الأكبر وهذا فقه السلف والذي يتأمل في كلامهم وهذه النقطة التي أنصح بها الشباب هو التوسع في العلم، الشباب اليوم جالس مع مسألتين يردد فيهما وجالس مع الصور ومع الأغبياء من أمثاله ولا يبني نفسه بالتوسع، فالعلماء لم يكونوا كذلك كما قال يحي ابن أبي كثير رحمه الله الذي هو أحد الست الذين عليهم مدار الإسناد: " مَا وَجَدْتُ عَالِمَيْنِ، إِلَّا كَانَ أَكْثَرُهُمَا تَوَسُّعًا أَكْثَرُهُمَا عِلْمًا ". لابد التوسع، الإنسان يكثر ويوسع ما عنده ليس أنه يتوقف عند ثلاث جزيئات وخمسين ألف سنة وهو يردد فيهم ويوميًا يسأل عنهم ويوميًا يتكلم

عنهم، يا أخي توسع في العلوم اذهب وغص في العلوم لأن العلم لا ينال إلا بمر الأيام والليالي بعد فضل الله الواحد الأحد وفي شرط مهم في العلم فطلبت العلم كلهم جلهم خالفوه إلا من رحم ربي وهو الإنصات في أثر ردده غير واحد من السلف منهم محمد بن النضر الحارثي العابد الكوفي، عبد الله بن مبارك، الفضيل بن عياض، سفيان بن عيينة، سفيان الثوري، الأصمعي، كثير وكثير تكلم به وهو: " أَوَّلُ الْعِلْمِ الْإِنْصَاتُ لَهُ ثُمَّ الِاسْتِمَاعُ لَهُ ثُمَّ حِفْظُهُ ثُمَّ الْعَمَلُ بِهِ ثُمَّ بَثُّهُ ". تجده كثيرا هذا الأثر.

وهذا في درجة في العلم تسمى الإنصات غير الاستماع والقرآن { وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ } هذا سمع أذان حتى لا تنشغل أضبط الألفاظ أضبط الكلام { وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الأعراف: 204]، الإنصات وهو قطع الكلام، الإنصات بمعنى السكوت ولذلك كما جاء في مصنف عبد الرزاق (3/ 488): أخبرنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ عُثْمَانَ قَالَ: " أَجْرُ الْمُنْصِتِ الَّذِي لَا يَسْمَعُ الْخُطْبَةَ، كَأَجْرِ الْمُنْصِتِ الَّذِي يَسْمَعُ الْخُطْبَةَ ".

وعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ قَلَّمَا يَدَعُ أَنْ يَخْطُبَ بِهِ: " إِذَا قَامَ الْإِمَامُ فَاسْتَمِعُوا وَأَنصِتُوا فَإِنَّ لِلْمُنْصِتِ الَّذِي لَا يَسْمَعُ مِنَ الْخُطْبَةِ مِثْلَ مَا لِلْمُسْتَمِعِ الْمُنْصِتِ .... ".

ما معنى أنه يترك طالب العلم الكلام؟ وهو أنه يتفهم ولذلك في بعض الروايات الأثر وضع **الفهم** مكان **الإنصات** لأنه هذا أدعى في مرحلة في العلم يلزمك تغلق وتخيط وتوقف كل أنواع الكلام والثرثرات لأنها لا تنفعك، يلزمك أن تفهم المسائل طالب العلم لا هو يفهم كلمتين ويتكلم، قال الشافعي رحمه الله: " إِذَا تَصَدَّرَ الْحَدَثُ فَاتَهُ عِلْمٌ كَثِيرٌ ". هو يظن هذه القضية فطالب العلم يحتاج توسع في العلم فالذي يفهم عبارات السلف رحمهم الله يعرف أنه لما يقول لك الكلام هذا" مَا أُبَالِي أَطَعْتُ رَجُلًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ أَوْ سَجَدْتُ لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ". يقول لك شخص هذا يطيع في المعصية [[شرك أكبر]] وهذا يدل على أنه مثل عبادة الشجر، هذا غير صحيح فمراد السلف أنهم يتكلمون في مقامات التعظيم أن هذا شرك أصغر يوصل للأكبر يعني يوصلك أنك تقع في الكفر والعياذ بالله فهذا وجهه مثل ما قال القاسم بن أبي مخيمرة رحمه الله كما أورده ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (ص196): " لَأَنْ أَحْلِفَ بِالصَّلِيبِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِحَيَاةِ رَجُلٍ ". فقال بعضهم كيف يحلف بالصليب والعياذ بالله وهم لا يفهمون كلام السلف أن مرادهم هو التعظيم أي تعظيم الفعل بالمقابلة وهذا موجود في كلام السلف كثير فيعظمون الفعل بمقابلة الشنيع منه أنه يُشَنع لك الفعل الذي يريد أن يحذرك منه بأن يقابله لك بفعل شنيع كما قال بعض السلف فيما رواه بن أبي حاتم في الجرح والتعديل (1 /173): حدثنا

عبد الرحمن نا أبو سعيد الأشج قال سمعت أبا نعيم يقول سمعت شعبة رحمه الله يقول: " لأن أزني أحب إلى من أن أدلس ". مع أن التدليس لا يصل إلى الزنا إلا أن يكون كذبا على رسول الله ﷺ لكن التدليس لا يصل إلى الزنا لكن أراد التعظيم بشناعة الفعل عندهم رحمة الله عليهم فهذا موجود في عبارات السلف فلا يستنكر.

قلت: فالمقصود حينئذ دقة السلف هنا أنك لا تجتزأ الآية لا تجتزأ المحل تقول هذا محل شاهد لا اقرأ ما قبلها واقرأ ما بعدها لأن هذا الذي يزيل اللبس والالتباس عند السامع وما ضل من ضل من الضالين عن الصراط المستقيم من أسباب ذلك عدم النظر في دلالة السياق.

يقول محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى وهو من أعلم من أوتى علما بتأويل القرآن ومات وهو يفسر القرآن هو وأصحابه وسقط عليهم سقف المسجد فنحسبه حسن خاتمة رحمه الله فكان من أعلم الناس وكان لما يفسر القرآن يبكي تأثر بالقرآن رحمه الله تبارك وتعالى، فله كلمة رواها الفريابي في القدر (ص171) والآجري في الشريعة (2/ 899) وابن بطة في الإبانة الكبرى (4/ 211) قال كلمة هي في القدرية لكن هي منهج لكل الزائغين يقول:" لَا تُخَاصِمُوا هَذِهِ الْقَدَرِيَّةَ وَلَا تُجَالِسُوهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُجَالِسُهُمْ رَجُلٌ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ فِقْهًا فِي دِينِهِ، وَلَا عِلْمًا فِي كِتَابِهِ، إِلَّا أَمْرَضُوهُ (وهذا في كل أهل البدع وانظر إلى القيد هنا يعني أي شخص يجالس أهل البدع وليس له فقه في دينه ولا علم في كتابه إلا أمرضوه بالشبهات، ثم قال) وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ يَمِينِي هَذِهِ تُقْطَعُ عَلَى كِبَرِ سِنِّي، وَأَنَّهُمْ أَتَمُّوا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى (لا يعني لا يتمون آية تقول له أكمل الآية لا يكملها)، وَلَكِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ بِأَوَّلِهَا وَيَتْرُكُونَ آخِرَهَا، وَيَأْخُذُونَ بِآخِرِهَا وَيَتْرُكُونَ أَوَّلَهَا .... ".

وهذه قاعدة احفظها عندك في كل ضال عن الصراط المستقيم مثل الزنادقة الذين ينكرون حجية الإجماع يستدلون بقوله ﷻ { أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ } [الشورى: 21]، وينزلها على الإجماع ولا أحد مرت عليه الآية على أمة أمم علماء ولا أحد قال أن هذه فيها إنكار الإجماع فنقول لهم:

أولا: أن كل شخص يفهم القرآن فهم لم يُسبق إليه أعرف أنه خطأ فهم منبتر.

ثانيا: بالله عليكم هل فتحتم تفسير الآية في يوم من الأيام قلتم أنظر ماذا قال السلف فيها.

ثالثا: هل قرأتم سياقها أم لا؟ ما قبلها وما بعدها؟! ولا قرأتموها ولن تقرأوها إلا أن يشاء الله لأنكم أنتم عندكم أصل، الآية أصبحت عندكم أصل ثم أنتم هذا كله مغالطة مبنية على أن الإجماع تشريع من دون الله.

قلت: هم بنوها على أن الإجماع تشريع من دون الله وهم لا يفهمون كلمت تشريع أصلا لأن التشريع في عرفه الشرعي واستعمال السلف يأتي بمعنى البيان ويأتي بمعنى الابتداء أي ابتداء الشيء ثم ابتداء الشيء قد يكون بدعة إن كان ابتداؤه على غير هدى من الله وهذا حقيقة البدع لم يشرعها الله ورسوله ﷺ ولا كان عليها الصالحون من عباده وإما أن يكون الشرع ابتداء من الله وهذا الدين الذي ندين الله به { شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ } [الشورى: 13]، وابن مسعود رضي الله عنه كما في صحيح مسلم (2/ 124) يقول: " ... فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى ... ".

أي الإسلام كله شرع له، سنن الهدى ﷺ، لكن هل الشرع بمعنى الابتداء بالأحكام الذي هو لله { إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ } [الأنعام: 57]، { إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ } [المائدة: 1] هذا ابتداءه بالأحكام يخالف البيان لا، لأن الله رب العالمين الذي ابتدأ بالأحكام تحليلاً وتحريمًا هو الذي شرع طريق فهم الأحكام طريق فهم الأحكام هو البيان هذا الذي نتكلم عليه تفسير القرآن بالقرآن تفسير بالسنة هذا البيان وهذا الغلط الذي وقع عند هؤلاء القوم، فلذلك حتى نفهم أنه أصحاب هذه المدرسة المنحرفة لا يراعون السياق ومن قرأ في كتاب " النقض لعثمان بن سعيد الدارمي " الذي أصَّل فيه لمنهج التلقي والاستدلال كما أصل فيه لباب الصفات والتوحيد لأنه هذا المقام لكن حوى في ثناياه الكثير من طرائق الاستدلال عند أهل البدع ونقضها لذلك لما فسر المريسي القرآن بالقرآن وهذه طريقة عند المجرمين يقول لك أنا سأفسر لك القرآن بالقرآن هو المريسي يظن أنه فسر القرآن بالقرآن لكن فسره بتفسير مخالف لتفسير النبوي والإجماع. فقال له الإمام الدارمي رحمه الله كلمات قوية ومهمة جدًا وهذه نقولها لكل أحد يفسر تفسيرًا لم يُسبق إليه ويزعم أنه أحد طرق البيان كالتفسير القرآن بالقرآن هذا يسلكه كثير من العقلانيون كمدرسة المنار محمد رشيد رضا وجماعته وإلى الملاحدة بعدين عدنان إبراهيم وغيره يقول لك القرآن تفسير القرآن قال هكذا بعض الناس هكذا يقول لك { لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ } [البقرة: 256]، خلاص { لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ } طيب أنت قرأت هذه الآية سياقها وفي من نزلت حتى سياقها لست تفهمه

{ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ } هذا أوائل القرآن المدني لو قرأت أنت { لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ } يعني أنت تفهم ما معناها؟ يقول لك لا أكره أحدًا على الدخول في الإسلام طيب لا تكرهه لكن تدعوه يعني ما في مشكل تدعوه، يقول لك لا كيف أدعوه.

يعني هم عندهم { لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ } لا تكرهه على الدخول ولا تدعوه إلى الدخول بل تحترم ما هو عليه انتبه إلى كلمة تحترم ليس فقط تقره لا تحترمه تقول له أنت أخي في الإنسانية والبطيخية هذا هو التفسير الموجود اليوم ولذلك هذا ماذا ولد عند هؤلاء أفراخ المعتزلة العقلانيون؟ طبعا هؤلاء مسبوقين إلى هذا الضلال المقيت لكن وَلَّد عندهم أنه يمسك لك شخص مثل الشعراوي المصحف ويفسر لك القرآن بالقرآن، يا شعراوي ماذا تصنع؟ يقول لك لا القرآن واضح ولذلك الشعراوي يعني تخيل واسمع هذا الكلام جيدا، هو لما جاء شخص يحقق تفسير الشعراوي وهذا نفس طريقة سيد قطب أيضا وقعت له مع الدويش لما جاء يحقق له في كتابه فوجد غالب ما يذكره من الأحاديث لا أصل له مكذوب والسنة أصلا لا توجد قليل جدا ما تسمع قال رسول الله ﷺ عند الشعراوي أو عند سيد قطب في " الظلال " أو عند محمد راتب النابلسي أو عند هذه الجماعة عموما هذه مدرسة كلها فكريات وسخافات وما يوردونه من أحاديث ضعيفة الأصل فيه لا نقول ضعيف بل لا أصل له أو مكذوب غالبه من " إحياء علوم الدين " أو من " ياقوت القلوب " وهذه الكتب التي هي مأوى الأحاديث الموضوعة حتى بعضهم قال في تفسير النقاش وهو أحد التفاسير الضالة أسماه " محاسن التأويل " قال شخص هذا " مخازئ التأويل " وقال بعض الناس في تفسير الرازي فيه كل شيء، هو تفسير الرازي اسمه " التفسير الكبير " يقول فيه كل شيء إلا التفسير يعني هو قال سأفسر لكم القرآن فجاء بعض الناس وقال هذا التفسير فيه كل شيء إلا التفسير، هذه مدرسة يسوق لك أحاديث مكذوبة وموضعة لكن الغالب إيش؟ الغالب هو كلامه هو، فهمه هو لذلك يقول لك هذه خواطر، خواطر أين تصنفها هذه الخواطر؟ يقول لك تفسير القرآن بالقرآن ولا شيء تصنفها أنت أنها علم ولذلك بعض الناس يحكم عليها فيأتون من هذا المنطلق ويبنون عليه هذا الإلحاد الذي يقولونه، نفس الشيء في قوله ﷻ { فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ } [الكهف: 29] يقول لك الحرية وأحد رؤوس هؤلاء سئل مرة فقيل له يا فلان هل الناس يجوز أن نقول لهم أنتم مخيرون بين حكم الشريعة وبين حكم ما يناقض الشريعة أم لا؟ هل يجوز تخييرهم يعني أصل التخيير موجود يجوز يعني؟ الكلام ليس الآن في يفعل لا، يجوز أنظر الكلام؟ فقال يجوز، قالوا له إيش الدليل؟ قال إبراهيم خَيَّرَ إسماعيل فقال له { يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ }

[الصافات: 102]، فقال أنت مختار تقبل أمر الله أو لا تقبله وإبراهيم خَيَّر إسماعيل. والله سمعته بأذنيَّ من أحد رؤوس هؤلاء الزنادقة وجالسين شباب وكذا ويقولون الله على الفائدة، لعنة الله عليك يا زنديق.

أمثال هؤلاء وغيرهم طبعا الآية { فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ } وفي قراءة { فَٱنظُرۡ مَاذَا تُرِي } أي ماذا تري الله أنت بموضع امتحان قدر الله عليك هذا البلاء فأري الله منك خيرا يعني هذا معنى كلام إبراهيم عليه السلام،

والشافعي رحمه الله أشار لهذا كما جاء في تاريخ دمشق لابن عساكر (24 /454): عَن نوح بن حبيب قَالَ: سَمِعت الشَّافِعِي يَقُول كلَاما مَا سَمِعت قطّ أحسن مِنْهُ سمعته يَقُول: " قَالَ خَلِيل الله إِبْرَاهِيم لوَلَده فِي وَقت مَا قصّ عَلَيْهِ مَا رأى مَاذَا ترى أَي مَاذَا تُشِير بِهِ ليستخرج بِهَذِهِ اللَّفْظَة مِنْهُ ذكر التَّفْوِيض وَالصَّبْر وَالتَّسْلِيم والانقياد لأمر الله لَا لمؤامرته له مع أَمر الله تَعَالَى { يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ } [الصافات: 102].

قَالَ الشَّافِعِي رحمه الله: " والتفويض هُوَ الصَّبْر وَالتَّسْلِيم هُوَ الصَّبْر والانقياد هُوَ ملاك الصَّبْر فَجمع لَهُ الذَّبِيح جمع مَا ابتغاه بِهَذِهِ اللَّفْظَة الْيَسِيرَة ".

قلت: وهذه شبهة قديمة ترى في إنكار التسليم لأن التسليم هذا أصل لا تكون مسلمًا إلا بالتسليم { إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ } [البقرة: 131] يعني هؤلاء الزنادقة يأتيك إلى أصل الإسلام وينقضه وهو التسليم، العبد المعارض والعبد المناقض والعبد الممانع و العبد الراد هذا ليس عبدًا لله كموحد لا يكون موحد، الموحد مُسَلِّم حتى كان ابن عمر يكره كلمت أسلمت له في الدين وكان يقول الإسلام لله رب العالمين يعني من باب إنتقاء الألفاظ كما جاء في مصنف عبد الرزاق (7/ 442): أخبرنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَرِهَ ذَلِكَ الْكَلِمَةَ أَنْ يَقُولَ: " أَسْلَمْتُ فِي كَذَا وَكَذَا، يَقُولُ: إِنَّمَا الْإِسْلَامُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ".

يعني أن الإسلام لله، الإسلام بمعنى الاستسلام بدون معارضة ولا ممانعة هذا لله وحده، فيأتيك الزنديق لهذا الأصل وينقضه.

قلت: فمقصودي من هذا أن هؤلاء لهم جرأة عجيبة جدًا على كلام الله عز وجل، فشخص يدخل لك باسم التدبر، هم عندهم طرق ترى فشخص يدخل لك باسم التدبر وشخص يدخل باسم الخواطر وشخص يقول لك مع القرآن، ماذا ستصنع مع القرآن؟ يقول لك: نحن نعيش مع القرآن، كيف تعيش مع القرآن؟ بالآثار وكلام العلماء وإلا تعيش مع القرآن بخزعبلاتك هذه التي ستأتينا بها أنت؟ وفيها كثير من الناس فخرجوا بأقوال غريبة عجيبة لم يُسبقوا إليها أبدًا، حتى بعضهم الله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله

يعني ترى مخازي وبعضهم دخل بالإعجاز العلمي التي هي نظرية أهل الالحاد وضعها أناس وثنيون امتداد لهم الأرض كذا والشمس كذا والكون كذا و السطح كذا والسقف كذا ويريد ليّ عنق النصوص لتلك النظريات الإلحادية هذا موجود فلهؤلاء وغيرهم ممن يستقلون ظن منهم أن هذا من تفسير القرآن بالقرآن نقول لهم ما قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله للمريسي ومن كان على شاكلته قال له كما في النقض (ص120 - 122): فيُقَالُ لِهَذَا المَرِيسِيِّ: قَاتَلَكَ اللهُ! مَا أَجْرَأَكَ عَلَى اللهِ وَعَلَى كِتَابِهِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا بَصَرٍ! أَنْبَأَكَ الله أَنَّهُ إِتْيَانٌ، وَتَقُولُ لَيْسَ إتيانا، إِنَّمَا هُوَ قَوْلُهُ: { فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ } [النحل: 26] (والمريسي هنا يزعم أنه فسر القرآن بالقرآن ولم يفرق بين الإتيان الذي هو وصف لله عز وجل يعني من جهة الأفراد فعل لله عز وجل وبين الإتيان الذي هو وصف تركيبي ففي فرق بين الصفة التركيبية والفردية وقد شرحناها في دروس الصفات فقال:) لقد مَيَّزْتَ بَيْنَ مَا جَمَعَ اللهُ، وَجَمَعْتَ بَيْنَ مَا مَيَّزَ اللهُ (يعني الإتيان الذي في آية النحل غير الإتيان الذي في سورة الإنعام) وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ هذَيْن فِي التَّأْوِيلِ إِلَّا كُلُّ جَاهِلٍ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لِأَنَّ تأويلَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَقْرُونٌ بِهِ فِي سِيَاقِ القِرَاءَةِ، لَا يَجْهَلُهُ إِلَّا مِثْلُكَ .... ".

وقال: " .... فَتَفْسِيرُ الإِتْيَانِ مَقْرُونٌ بِهِمَا؛ خُرُورُ السَّقْفِ، وَالرُّعْبُ، وَتَفْسِيرُ إِتْيَانِ الله يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْصُوصٌ فِي الكِتَابِ مُفَسَّرٌ .... ".

وقال: " .... وَالرُّعْبُ، وَتَفْسِيرُ إِتْيَانِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْصُوصٌ فِي الْكِتَابِ مُفَسَّرٌ فَقَدْ فَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَعْنَيَيْنِ تَفْسِيرا لَا لَبْسَ فِيهِ، وَلَا يُشْتَبَهُ عَلَى ذِي عَقْلٍ، فَقَالَ فِيمَا يُصِيب بِهِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ فِي الدُّنْيَا: { أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ } [يونس: 24] فحين قَالَ: { أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا } عَلِمَ أَهْلُ العِلْمِ أَنَّ أَمْرَهُ يَنْزِلُ مِنْ عِنْدِهِ مِنَ السَّمَاءِ، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ، وَقَالَ أَيْضًا { وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا } [الفرقان: 25] { يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ} [البقرة: 210] .... ".

وقال: " .... وَإِنَّمَا يَصْرِفُ كل معنى الْمَعْنَى الَّذِي يَنْصَرِفُ إِلَيْهِ وَيَحْتَمِلُهُ فِي سِيَاقِ الْقَوْلِ فَيَعْمِدُ إِلَى أَكْثَرِ مَعَانِي الْأَشْيَاءِ وَأَغْلَبِهَا فَيَصْرِفُ الْمَشْهُورَاتِ مِنْهَا (على طريقة هؤلاء، ماذا يصنع؟ يقول) فَيَعْمِدُ (يعني يقصد) إِلَى أَكْثَرِ مَعَانِي الْأَشْيَاء (يعني الشيء الظاهر الغالب على معنى الشيء المضطرد) وَأَغْلَبِهَا فَيَصْرِفُ المَشْهُورَاتِ مِنْهَا (المعاني) إِلَى المَغْمُورَاتِ المُسْتَحَالَاتِ يُغَالِطُ بِهَا الْجُهَّالَ، وَيُرَوِّجُ عَلَيْهِمْ بِهِ الضَّلَالَ فَيَكُونُ

ذَلِكَ دَلِيلًا مِنْهُ عَلَى الظَّنَّةِ وَالرِّيبَةِ، وَمُخَالَفَةِ الْعَامَّةِ (يعني الإجماع) وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ، تُصْرَفُ مَعَانِيهِ إِلَى أَشْهَرِ مَا تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ فِي لُغَاتِهَا، وَأَعَمِّهَا عِنْدَهُمْ .... ". انتهى كلامه رحمه الله تبارك وتعالى.

قلت: وهذا من بديع الخطاب وقوي الكلام أن المراد بذلك مراعاة دلالة السياق.

كذلك أن القول في تفسير القرآن بالقرآن يُنظر إلى القول الذي تؤيده عموم وجمهور الآيات فإذا كان تفسير آية في موضع يعينه عموم الآيات، عموم الآيات يعني أكثر الآيات تدل على معنى معين فالحكم للأكثر الذي تؤيده عموم الآيات وهذا أشرنا إليه من قبل وهو ضابط الاضطراد.

كذلك في تفسير القرآن بالقرآن لا يُحمل القرآن على اللغة النادرة وهذا أشرنا إليه في كلام الدارمي.

كذلك في تفسير القرآن بالقرآن يُلتزم الظاهر في تفسير القرآن بالقرآن ولا يُذهب إلى التأويلات ويُقال هذا من تفسير القرآن بالقرآن فلابد أن يُراعى في ذلك الظاهر وهذا ما يتعلق بتفسير القرآن بالقرآن.

ومن أسباب الغلط الموقعة في هذا البيان في هذا الطريق ما أشرنا إليه من قبل إما أنه يُخالف السياق، سياق القرآن.

وإما أنه يُخالف التفسير النبوي.

وإما أنه يُخالف ما عليه السلف وهذا الثالث كثير بعضهم يقول لك مثلا من تفسير القرآن بالقرآن قوله تعالى { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ } [الأنبياء: 51]، فيقول لك هذا يُخالف أن تقول أنت على الظاهر في قوله عز وجل { هَـٰذَا رَبِّي } وأنه المقصود " **أهذا ربي** " وأنه المقصود { وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ } [الأنعام: 80] فكان في مقام محاجة وهي المناظرة هكذا يقولون كثير ممن يفسر، نقول هذا الذي تعتبره أنت سياقه من تفسير القرآن بالقرآن كله مخالف لما عليه السلف لأن مخالفة ما عليه السلف بحد ذاتها خطأ تجعل القول باطل فضلا أن يكون هذا القول موافقًا لطائفة من الطوائف الضالة فانتبه إلى هذا جيدا.

الباب الثاني: تفسير القرآن بالسنة

وهذا أشرنا إليه من قبل كثيرًا واشرحناه كثيرًا في أنواع البيان النبوي للقرآن.

أنواع البيان النبوي للقرآن:

النوع الأول: إما أن يكون مباشرًا وهذا قلنا آيات قليلة

النوع الثاني: وإما أن يكون غير مباشر وهذا البيان استغرق القرآن كله ، لكن جهة الاستغراق للقرآن كله:

- إما أن يكون بالقول أي من مقال النبي ﷺ فيقول قولًا يُفسر به معنى كلام الله عز وجل.

- وإما أن يكون من جهة الفعل وهو أكثر وهذا أيضا حاصل به البيان أن النبي ﷺ يفعل فعلًا بيانًا لما في الكتاب كما قال عليه الصلاة والسلام: " صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ".

هذا بيان للكتاب وقال: " لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ ".

وأيضا لما بدأ الصفا والمروة قال: " نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ ".

وهكذا فهذا حاصل من جهة الفعل.

في الفعل ننتبه لأمر أن فعله صلى الله عليه وآله وسلم إما أن يذكره عنه أصحابه فيقولون كان النبي ﷺ يفعل كذا ويقول كذا ونحوه.

وإما أن يفعله أصحابه رضي الله عنهم وهذه نقطه قد نبهنا إليها من قبل قلنا ليس شرطًا الصحابي أن يقول قال رسول الله ﷺ فباب الأفعال في الصحابة أبواب اقتداء لأننا أمرنا بالاقتداء بهم { وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ } [التوبة: 100] فأنت مأمور بالاقتداء بأصحاب النبي ﷺ والنبي أمر بذلك عليه السلام قال: " اقْتَدُوا بِالَّذَيْنِ بَعْدِي أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ ".

وقال كما في صحيح مسلم (2/ 140): "...فَإِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا ".

هذا في الشيخين ثم عام في سائر الصحابة ونحو ذلك وهذا باب واضح فلذلك التفسير العام هذا وركز جيدا الحاصل في هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم موجود في هدي أصحابه لأن اصحابه وافقوا هديه كانوا على هديه قال النبي ﷺ: " قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ .... ".

وهذه شهادة منه لأصحابه بأنهم على الجادة هذه تزكية من النبي ﷺ غير تزكية رب العالمين سبحانه وتعالى في الكتاب لهما أنهم على الجاد وأنهم على الطريق وأنهم المؤمنون وأنهم السابقون وأنهم هم أهل الحق وأنهم خير أمة أخرجت للناس لأن هذه كلها أنزلت وهم جماعة الإسلام خطبوا بمثل هذا رضي الله عنهم أجمعين.

فالمقصود أنه حاصل في هدي النبي ﷺ بيان عام للقرآن وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما قال لها سعد بن هشام وغيره: " أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ (خُلُق أي طريقة ليس الخُلُق هو الجانب الفضائل الذي يحصره بعض الناس الخُلُق هو الطريقة المسلك يعني { لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ } [الروم: 30]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: " دين الله ". فالمقصود ليس الخلق بمعنى الخلق المعروف ولكن المقصود به الطريقة الهدي - قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: " فَإِنَّ خُلُقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ ". والحديث في [صحيح مسلم (2/ 169) - مسند أحمد (40/ 315)]

وقال ربنا عز وجل { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم: 4] وجابر في حجة الوداع وهذا مهم جدًا جاء جابر يقول: " .... وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ .... ".

لاحظ هنا كلمة " وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ ". يعني الصحابة رضي الله عنهم تُرجم هديه في أفعالهم رضي الله عنهم أجمعين، والإمام الشافعي رحمه الله يقول: " جميع السُّنَّة شرح للقرآن ". فهذا أمر مهم جدًا ضبطه وفقهه وتأمله.

الباب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة وبأقوال التابعين

وهنا في هذا المقام في تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم تعرف الشافعي قسم الصحابة في " الرسالة البغدادية " بحسب الفضل يكون الاحتجاج فمثلا الشيخان مقدمان على من بعدهم والأربعة مقدمون على العشرة المبشرين والعشرة المبشرين مقدمون على أصحاب بدر وأصحاب بدر مقدمون على غيرهم وهكذا وقال: " الصحابة أشكال".

يعني أنواع ودرجات على حسب الفضل يكون التقدم فمثلا لو قدر على سبيل التمثيل جاء قول عن ابن مسعود رضي الله عنه وجاء قول عن أبي بكر رضي الله عنه فقول أبي بكر مقدم رضي الله عن الصحابة أجمعين، فابن مسعود كان يترك قوله لعمر، وزيد بن ثابت كان يترك قوله لأبيّ، وأبو موسى الأشعري كان يترك قوله لمعاذ وكلهم كانوا يسلمون لعمر لعلمه رضي الله عنهم وأرضاهم وهكذا، فما كان من جهة الفضل معلومًا قُدِّمَ على غيره وهذا باب الاحتجاج في عامة ما نقوله ونفس الشيء التابعين الكبار مقدمين

على الصغار وهكذا والذي لازم كبار الصحابة مقدم على من لازم من دونهم هكذا تكون سبيل الاحتجاج فيهم رحمهم الله تعالى.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين



الدرس الرابع

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

اللهم صل على محمد وعلى آله صحبه ومن استن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدّين.

أما بعد فإن أحسن الكلام كلام الله عز وجل وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما بركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

هذا المجلس الرابع من مجالس التعليق على مقدمة التفسير للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رحمه الله وكنا في المجلس الذي سبق توقفنا عند أنواع أو طرق التفسير وذكرنا **تفسير القرآن بالقرآن** وذكرنا **تفسير القرآن بالسنة** وذكرنا **تفسير القرآن بأقوال الصحابة** رضي الله عنهم أجمعين.

وبالنسبة الى تفسير القرآن بأقوال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابد أن ننتبه وهذه نقطة أشرت إليها من قبل اشارة على جهة الاختصار لكن سنبسطها هنا إن شاء الله حتى تُفهم جيدا ولها تعلق ليس فقط في تفسير القرآن بل بفهم الدّين كله وهي الإشكالية التي دائما تكثر عند من يعارض فهم السلف أو ينكره أو ينكر بعضه أو يعارضه في بعض الأشياء والمسائل وهي الظن بأن فهم السلف هو كغيره من الآراء، يعني لو كان رأيًا تقديرًا من كل وجه لكان رأيه كما قال الحسن البصري رحمه الله: " رَأْيَنَا لَهُمْ خَيْرٌ مِنْ رَأْيِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ ".

والإمام الشافعي رحمه الله قال: " رَأْيُ الصَّحَابَةِ لَنَا خَيْرٌ مِنْ رَأْيِنَا لِأَنْفُسِنَا". كما في جاء عنه في " الرسالة البغدادية" وهي الرسالة القديمة التي تكلم فيها على حجية قول الصحابي باستفاضة.

فالشاهد والمقصود أن المسألة هذه حتى نفهم بعدين نُسخ التفسير، كيف ينتقل فهم القرآن في عموم الأمة فإذا جئنا إلى باب التفسير ونحن الآن نتكلم في قول الصحابي قلنا في تفسير القرآن بالقرآن وفي تفسير القرآن بسُنَّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا التفسير قلنا منه ما كان مباشرًا وهذا الأصل فيه لأنه قليل والغالب تفسيرًا بالمشاهدة يعني من جهة الشواهد والمعاني، ولذلك ابن مسعود رضي الله عنه يقول: " إِذَا حَدَّثْنَاكُمْ بِحَدِيثٍ أَتَيْنَاكُمْ بِتَصْدِيقِ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ". كما رواه الطبري في [تفسير جامع البيان (338/19)] ورواه الدارمي رحمه الله مختصرا في [النقض على المريسي (ص277)].

قال رضي الله عنه : " إِذَا حَدَّثْنَاكُمْ بِحَدِيثٍ أَتَيْنَاكُمْ بِتَصْدِيقِ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ". لما حدثهم بحديث: " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ، قَبَضَ عَلَيْهِنَّ مَلَكٌ فَضَمَّهُنَّ تَحْتَ جَنَاحِهِ وَصَعِدَ بِهِنَّ لَا يَمُرُّ بِهِنَّ عَلَى جَمْعٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا اسْتَغْفَرُوا لِقَائِلِهِنَّ حَتَّى يَجِيءَ بِهِنَّ وَجْهَ الرَّحْمَنِ .... ". هذا حديث قال: " أَتَيْنَاكُمْ بِتَصْدِيقِ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ".

لاحظ هذه القاعدة مهمة جدًا أنه كل شيء جاء من سُنَّة الهادي صلى الله عليه وآله وسلم هو بيان للكتاب، التصديق هنا يعني معنى أن معناه موجود في الكتاب ولذلك عندنا من قواعد نقد المتن في الحديث المتن المنكر أن يُخالف أصول القرآن هذه هي يسلكها العلماء إذا جاء متن مُخالف لأصول القرآن طبعا هذا ليس كل أحد يقول مجرد مخالفة القرآن في ما يتوهم ولكن هذا فعل أهل الاستنباط وأهل الغوص في كلام الله عز وجل وهم أهل دراية يعرفون أن هذا المتن يخالف القرآن أو يخالف أصول القرآن فيقول هذا المتن منكر ولو صح ظاهر السند فينتقدونه لذلك بناءً على ماذا؟ بناءً على أن كل حديث وهي جانب الاحتجاج بسُنَّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن كل حديث أصله راجع إلى الكتاب، ولذلك ابن مسعود رضي الله عنه استدل على هؤلاء الكلمات بقول الله عز وجل { إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ } [فاطر:10] فهذه نقطة أردت التنبيه عليها والتذكير بها حتى نفهم كيف انتقل التفسير؟ يعني عموم الأمة المسلمة وخواصها وهم علمائها كانوا أُمناء على نقل الألفاظ لا يعارض في ذلك إلا شرذمة الرافضة في قولهم بالتحريف وهكذا وجاحد السُّنَّة من زنادقة الجهمية وغيرهم أما عموم أهل القبلة فجمهور المنقول من الألفاظ يقولون به ومنه المصحف، ظهرت طائفة من الخوارج يعني شاذة قالت إنكار سورة يوسف وهكذا وإلا عموما منقول لفظًا محفوظ عند الأمة وأهل السُّنَّة وأهل الإسلام وأهل الأثر يعلمون هذا،

عموم المنقول من جهة الفهم نحن نقول أنه منقول أيضا فيأتي المعترض يقول لك لا ويقول لك كيف نُقل هذا الفهم؟ نقول نُقل هذا الفهم مع نَقل الرواية وهذا الذي سنتكلم عنه في تفسير الصحابة للقرآن.

لابد أنك تعلم أن الله تبارك وتعالى قدر أن تكون هذه العلوم موزعة بين العباد ومفرقة بينهم لحكمة يعلمها فكان منهم المستقل أي في النقل وكان منهم المستكثر ومنه علم التفسير فإن علم التفسير هو الفهم للكتاب، وقد قال الله عز وجل في الحكمة وقد فسرها جماعة من السلف أن الحكمة هي الفهم للكتاب، قال الله عز وجل { يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ } [البقرة: 269]، قوله عز وجل { مَن يَشَآءُ } على جهة الاختيار بعلمه بمن كان أهل لذلك ، لذلك الذين تصدروا لنقل التفسير في عموم الأمة الذي هو فهم القرآن وفهم الشريعة إذا تأملت في أحوالهم وصلاحهم مع ربهم تبارك وتعالى رأيت عجبًا فتعلم أن الله سبحانه وتعالى أنه يصطفي للرسل أصحابهم كما يصطفي الرسل برسالات يصطفي للرسل من يحمل عنهم الرسالات، قال الله عز وجل { ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا } [الأحزاب: 39] فهؤلاء يبلغون رسالات الله تبارك وتعالى فكانوا أهلا للاختيار فعلم التفسير في خريطة الأمة العلمية وُجِد في محال أساسية أنا لا أتكلم عن المخرج الآن أتكلم عن الموجود، عن المشهور، عن المستفيض أما مخرجه وهو ما يقال له النشأة ونحو ذلك فكل علوم الإسلام خرجت من المدينة فهي دار العلم والسُّنَّة كما قال عبد الرحمن بن عوف: " .... الْمَدِينَةَ، فَإِنَّهَا دَارُ السُّنَّةِ وَالْهِجْرَةِ". أي دار العلوم فعلوم الإسلام كلها أصلها من المدينة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن توزع العلوم واشتهارها في الأمة كان خاصًا بمحل دون محل فمنه التفسير.

التفسير أشهر الناس اعتناءً به ورواية له من حيث كثرة الأسانيد والعدد هم أهل مكة يعني تلاميذ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فعبد الله بن عباس رضي الله عنهما هو ترجمان القرآن كما ذكر ذلك عنه عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، علمه في الكتاب كأسباب، طبعا تعرفون أولا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالتوفيق له في هذا الباب كان بأسباب ما بقي ابن عباس رضي الله عنهما لما سمع دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : " اللهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ، وَفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ".

فلم يقل: " لا حاجة للعمل والإجتهاد لأن الدعاء سيصيبني ". بل علم أن هذا الدعاء لا يصيبه إلا بأسباب وهذا حال المتوكلين على الله في تعلم دينهم، { وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ } [العنكبوت:69]، فالرجل بذل توفيقًا من الله إليه، فكان العلماء ثلاثة:

الأول: عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

الثاني: علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الثالث: زيد بن ثابت رضي الله عنه .

يعني ممن باشرهم بالعلم واستفاد منهم في هذا الباب وهذا قاله غير واحد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فيما رواه الفسوي وغير أنه هو خلاصة هؤلاء الثلاثة من جهة العلم.

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إذا تأملنا في نقله للتفسير كانت هناك أسباب كثيرة جدًا تُقوي فيه جانب العلم بالتفسير منها قلنا بركة دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، كونه صحابي ثم خلاصة ثلاثة علماء وهم أئمة في هذا الشأن في باب كلام الله عز وجل ثم شامم الناس يعني لم يكتفي بهذا شامم الناس يعني خالط وكان يجلس مع عمر في المجالس ويعرف الأقضيات وما لم يدركه بعينه وبصره نُقل إليه قال هو رضي الله عنه كما جاء في مقدمة صحيح مسلم (1/ 10): " إِنَّا كُنَّا نُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكْذَبُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ، تَرَكْنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ ". يعني بعد ذلك وقعت المحن يعني.

فعبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان ملازمًا لعبد الله بن مسعود أيضًا رضي الله عنه كان ملازم له في تلقي أحكام التفسير بل كان ابن عباس رضي الله عنهما يسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما كَيْفَ أَصَبْتَ هَذَا الْعِلْمَ؟ قَالَ: " بِلِسَانٍ سَؤُولٍ (مبالغة لأنه كان يسأل كثيرا)، وَقَلْبٍ عَقُولٍ ".

فكان هذا حاله رضي الله عنه ثم كان يُنادى في زمان عمر رضي الله عنه في شأن شيوخ ابن عباس أبيّ بن كعب كما جاء عند أبو عبيد رحمه الله في كتاب **الأموال (ص285):** " **أَنَّ عُمَرَبْنَ الْخَطَّابِ خَطَبَ النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ، فَقَالَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ، فَلْيَأْتِ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ ...** ".

لاحظ هذا أبيّ بن كعب شيخ لزيد بن ثابت رضي الله عنهم لأن خلاصات التي أخذها ابن عباس من زيد بن ثابت هي صفوة الشيء، أصلا هو شيخه أبيّ بن كعب فاجتمع عنده علم هؤلاء لذلك هذا سبب تَقَدُّمِه رضي الله عنه في باب التفسير وكان غواصا كما كان يقول له عمر رضي الله عنه : " **غُصْ يَا غَوَّاصُ** ".

فهو تتلمذ على نهج الكبار حتى قال عكرمة: " **كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالقُرْآنِ** ".

طبعا عكرمة كان مُجالس لابن عباس رضي الله عنهما حتى كان يقول: " **طَلَبْتُ العِلْمَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكُنْتُ أُفْتِي بِالبَابِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ فِي الدَّارِ** ".

وقال: " **كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَجْعَلُ فِي رِجْلَيَّ الْكَبْلَ، وَيُعَلِّمُنِي الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ** ".

فلذلك كان من أعلم الناس بالتفسير طلاب ابن عباس رضي الله عنهما كما سيأتي بشهادة الكل أن طلابه من أعلم الناس بالتفسير ثم كان ابن عباس رضي الله عنهما يفسر للناس وهذا انتقال الفهم لأن بعض الناس يقولون كيف انتقل الفهم؟ اسمع كيف انتقل الفهم، أنا أقول لك الآن ابن عباس أخذ عن عمر رضي الله عنهم وأخذ عن كذا، الأخذ هذا ليس بالمشافهة فقط فالذي يقرأ سير الصحابة يعلم أن الدين ما كان عندهم بمجالس علم يحضرونها وانتهى الموضوع، لا، الدّين هذا كان منهج حياة عندهم كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يسافر مع عمر رضي الله عنه ويسأله وكان يحج معه كما جاء في **صحيح البخاري (3/133)**

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " **لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّتَيْنِ قَالَ اللهُ لَهُمَا: { إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ } [التحريم: 4] فَحَجَجْتُ مَعَهُ، فَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّزَ، حَتَّى جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنِ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّتَانِ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**

لَهُمَا: { إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ } فَقَالَ: وَاعَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الْحَدِيثَ يَسُوقُهُ ....".

ثم عمر رضي الله عنه هذا كان له مجلس إقراء ومجلس قضاء ومجلس فتوى وهو يجلس معه وكان يحضر معهم مع الكبار من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المهاجرين والأنصار وهو صغير، فالمشاهد تنوعها تنوعت فيها العلوم لذلك كما جاء في فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (2/ 980): " كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى الْمَوْسِمِ فَخَطَبَ فَافْتَتَحَ سُورَةَ النُّورِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ، ثُمَّ يُفَسِّرُ، فَقَالَ شَيْخٌ مِنَ الْحَيِّ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَلَامًا يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِ رَجُلٍ لَوْ سَمِعَتْهُ التُّرْكُ لَأَسْلَمَتْ".

حتى قال فيه ابن مسعود رضي الله عنه الذي هو من أعلم الصحابة بالكتاب، قال حذيفة رضي الله عنه: " لَقَدْ عَلِمَ الْمَحْفُوظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ مِنْ أَقْرَبِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَسِيلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

وشهد له بالعلم عمر رضي الله عنه وأنا أتكلم لك على الصحابة، وشهد له بذلك علي رضي الله عنه أنه أُتِي علمًا بكتاب الله وفقهًا في كلام الله عز وجل، ومسروق رحمه الله يقول: " لقد جالست أصحاب محمد فوجدتهم كالأخاذ (الأخاذ هو الغدير) فمنها: ما يروي الرجل، ومنها ما يروي الرجلين ومنها ما يروي العشرة، ومنها ما يروي المائة، ومنها ما يروي لو نزل به أهل الأرض لصدروا رواء فوجدت عبد الله بن مسعود أغزر تلك الأخاذ".

فابن مسعود رضي الله عنه يقول في ابن عباس رضي الله عنهما كشهادة: " لَوْ بَلَغَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَسْنَانَنَا مَا عَاشَرَهُ مِنَّا رَجُلٌ نِعْمَ التُّرْجُمَانُ ابْنُ عَبَّاسٍ لِلْقُرْآنِ". الترجمان هو المفسر.

قلت: وهذا تثبيت لمسألة النقل في التفسير.

طيب ابن عباس رضي الله عنهما لما كان يسأل وركز معي جيدًا هل كان يسأل عن التفسير المباشر؟ وهذا هو الظن الذي غلط فيه هؤلاء الجهلة من منكري فهم السلف، ظنوا أن التفسير كحالنا لذلك هو القياس الشاهد على الغائب وهذه ذكرتني بقاعدة عند المتكلمين والفلاسفة ينكرون عذاب القبر

فعندهم قاعدة كلامية اسمها قياس الشاهد على الغالب فهؤلاء وقعوا فيها، ما معناه؟ شيء غاب عنه فينكره بمقتضى شيء يشاهده فهو اليوم يشاهد مثلا أن التفسير تخصص، كتب في التفسير فقط، علوم التفسير وهكذا فتفسير مباشر يظن الصحابة كانوا يتعلمون هكذا التفسير يعني شيء خاص، درس للتفسير خاص وليس الأمر كذلك فالصحابة كانوا يفهمون القرآن من وقائع بالمغازي ذكرنا حديث جابر رضي الله عنه في صحيح مسلم (39/4): " .... وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ".

فحال الأنبياء حال اقتداء بالكل { لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } [الأحزاب: 21] في قوله، في فعله، في جميع شأنه صلى الله عليه وآله وسلم، ما غاب عن الصحابة رضي الله عنهم بحكم الاستئذان علمه زوجاته وهكذا اكتمل العلم الأمة ثم هذا العلم لم يبقى سرًا بل انتشر في الأمه وعُلم لذلك من مقاصد الخلافة الراشدة إقامة الدّين في الناس، تتعلم دينها قبل الطعام والشراب بالعكس بل هذه الأشياء فروعيات وقد تكون وقد لا تكون تعرفون عام المجاعة وغيره لكن الأساس الذي لا يسقط تعليم الناس الدين والصحابة كانوا إذا فتحوا محلة عَلَّمُوا أهلها الدّين، انتبه كلمة " عَلَّمُوا أهلها الدين" بعض الناس ممكن لا يفهمها، لذلك نحن لا بأس أن نوضح الواقع التاريخي أنت الآن لما فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر، أهل مصر البلاد المفتوحة هذه التي فتحت بالإسلام لم يكونوا يتكلمون العربية حتى يعني ثقافهم على التعبير المعاصر العادات والتقاليد ليست هي تقاليد العرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما فتح الجزيرة كان لسانهم عربي وعاداتهم عربية وهو يعرفها فيهم منها ما أقره الإسلام فصار شرعا ومنها ما سكت عنه فرجع إلى أصله كما قال سعيد بن جبير رحمه الله: " كان الناسُ على أمرِ جاهِليَّتِهم حتى يُؤمَروا أو يُنْهَوا".

ومنه ما نهي عنه بالبت والقطع وتركه وسمي سُنَّة جاهلية وهجره وهكذا ولكن هؤلاء اللسان غير اللسان والثقافة غير الثقافة الصحابة فتحوا الروم بلاد الروم يعني الشام ومصر والفرس العراق وهكذا فكان الاختلاف في اللسان والاختلاف في المورث يعني العقائدي والمجتمعي إن صح التعبير كان فيه اختلاف فكيف كان باب الصحابة في هذا الأمر؟ كانوا يعلمون الناس الدين يبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ناس تُعلم الدّين، ارجع إلى ترجمه سلمان الفارسي رضي الله عنه كان يفسر سوره يوسف في المدائن يعني الآن لما يحضر له الناس وهذا صحابي علم الكتابين وعلم هذه السورة لأن النبي

ﷺ كان خلقه القرآن وكل القرآن بينه لأصحابه وبيَّن لهم معانيه بالقول والعمل والتقرير فشاهدوا التنزيل وعلموا التأويل طيب يقف هو ويفسرها لألف أو ألفين مثلا يبقى فيهم طلاب هؤلاء خمسة ستة ينقلون هذا العلم لأنه ليس شرط أنه يحضر ألف فينقل ألف لا بل الصحابة مئة وأربعة وعشرون ألف الذين رووا الحديث تسع مئة وتسع وتسعون حسب " مسند بقية بن مخلد" وممكن يكون أقل قليلا يعني معناه مئة وأربع وعشرون ألف على الأقل رأوا النبي ﷺ في حجة الوداع أو حجة الإسلام كما يسميها الزهري ﵀، مثلا سمعوا كلامه وخطب فيهم خطبة ونقل فيهم تسع مئة وتسع وتسعون، إذا النقل شيء والاستفاضة بالعمل شيء آخر بل أنا أقول لك أن النقل الذي تسمعه هو مستفاض بالعمل عندهم يعني من جهة الفهم يعني يكون فهم الناس كله تعرفه لا يُستنكر لذلك إذا جاء عالم وقاله أمام الناس في ذلك الزمان أو كتبه وسطره في كتاب لا ينكره عليه أحد بخلاف لما تغيرت الدقة العلمية ودخلت علوم الكلام وتأثر الناس بمنطق اليونان ثم تسلط على العلم دُخلاء فأضروا بعلوم أهل الإسلام فصار من المستبشع أنك تُظهر العقائد السلفية التي كانت في زمن السلف مُسَلَّمًا بها صارت في ذلك الزمان الذي طغى فيه أهله صار إذا صرحت ببعض العقائد السلفية أستتبت ونحو ذلك، إذا هو تغير الزمن لذلك أنا قلت لك أن هؤلاء عندهم قياس الشاهد على الغائب يظن أنه لما قلنا الصحابة نقلوا التفسير يظن التفسير هذا مثل ما يقرأ كتاب تفسير ، رأيت الذي تراه أنت عند ابن أبي حاتم ﵀ مثلا كتفسير مدونة من مدونات السلف في التفسير هذا الذي تراه في تفسير ابن أبي حاتم ﵀ مرجعه إلى أكثر من مائة نسخة تفسيرية، النسخة التفسيرية نفسها كيف كتبت؟ كتبت على جهة الاختصار يعني بين المنقول والمفهوم من جهة العمل المفهوم أكثر يعني الآن فهم الشريعة متسارع في الناس أكثر من نقلها، النقل ينتدب له يحمل هذا الدّين من كل خلف، طبعًا عندي جيل عدول ينتصب للنقل أفضل الناس العدول، الخيار لكن الفهم موجود عند عموم الأمة فيما تقدم منه ما لا يعذر بجهله وهكذا كما تقدم من قبل.

لذلك الصحابة ﵃ لما كانوا ينقلون التفسير كان نقلهم للتفسير استفاضوا بفهمه في الأمة يعني يجلس كما سيأتي معنا ابن مسعود ﵁ يفسر القرآن عامة النهار، يا جماعة هذا ليس درس ساعة أو ساعتين ابن مسعود ﵁ كما قال مسروق ﵀ فيما رواه الطبري بإسناد صحيح في مقدمة التفسير جامع البيان (1/ 75): " كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقْرَأُ عَلَيْنَا السُّورَةَ، ثُمَّ يُحَدِّثُنَا فِيهَا، وَيُفَسِّرُهَا عَامَّةَ النَّهَارِ".

هذا غير أنه كان له أصحاب يدخلون في دهليز وينشرون مصاحفهم ويقرأ لهم يفسر، هذا غير أنه كان هو وعلقمة يقف أمام الناس صفين عند أبواب كندة ويتذاكران القرآن ثم يتذاكران الحلال والحرام ونحو ذلك، لذلك قال الرجل: " **فإذا رأيت علقمة فلا يضرك ألا ترى عبد الله أشبه الناس به سمتا وهديا وإذا رأيت إبراهيم النخعي فلا يضرك ألا ترى علقمة أشبه الناس به سمنا وهديا**". وهذا الأثر رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (41 /163) بإسناد صحيح، ابن مسعود هذا كان يصف الناس صفين عنده ويفسر لهم ويقرأ لهم وهذا لا يوجد عندك اليوم، أنت اليوم عندك زنادقة يمسكون لك المصحف مثل الشعراوي ويقول لك اللي هو إيه، اللي هو إيه فانتشر في الناس الجهل بالكتاب وثم نقطة أساسية ينبغي أننا ننتبه لها في قضية الفهم أن الدليل وهذه قد تكلمت عليها في دروس فهم السلف الدليل على أن فهم السلف حُفظ نقد الفهم المزيف، كيف هذا؟ يعني الدليل على أن الفهم الصحيح هو الموجود في عدول الأمة النقلة هو الذي نقل لنا الذي يدل على أن هذا هو الفهم الصحيح هو أن الفهم الفاسد نقدوه، كان الصحابة ينقدون على الناس إذا أساء أحدهم الفهم ولو في باب الوعظ ليس شرطًا أن يكون مبتدعًا لأن الفهوم البدعية هذه تُقطع فيها الأعناق في الزمان الأول لكن ممكن الإنسان يحيد بالآية عن معناها لظاهرًا تأوله أو فهم قاسه أو نحو ذلك كان الصحابة والتابعين من أشد الناس في هذا الباب أي في تحريره ونقدهم للناس وتعرفون في هذا لهم قصص كثير وهو الباب هذا كان نتيجة المحافظة على الفهم الصحيح يعني ما هو السبب الذين دعاهم إلى أنهم ينقدون؟ لأنه هناك فهم صحيح وإلا لو كان الفهم لكل أحد ولا فهم أحد حجة على أحد ما ينقدون أنت عندك فهم خلاص الذي هو اليوم ما يسمى بحرية الرأي أعوذ بالله، الصحابة رضي الله عنهم نقدهم للفهوم المزيفة دل على أن ثمة فهم صحيح من خلاله نقدنا الفهوم الفاسدة ثم عظموا الكلام في القرآن لمن ليس أهل، يقول عبيد الله بن عمر رحمه الله: " **لَقَدْ أَدْرَكْتُ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ، وَإِنَّهُمْ لَيُعَظِّمُونَ الْقَوْلَ فِي التَّفْسِيرِ، مِنْهُمْ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَنَافِعٌ**".

وهؤلاء أبناء صحابة يعظم القول في التفسير إذا هم يفهمون أنه هناك فهم واحد وهذا الفهم هو الذي بُسِط وغير هذا الفهم ولو بالاجتهاد ممكن يؤدي إلى نقضه أو إلى الغلط فيه فكانوا يعظمون القول في التفسير واعتبروا أن الغلط في التفسير قول على الله بلا علم كما مضى معنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " **مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**".

ومسروق رحمه الله يقول: " اتَّقُوا التَّفْسِيرَ، فَإِنَّمَا هُوَ الرِّوَايَةُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".

وكما جاء عن الشعبي رحمه الله أيضا أنه قال: " إِنَّ الَّذِي يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ إِنَّمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ".

وقال رحمه الله: " مَنْ كَذَبَ عَلَى الْقُرْآنِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللهِ". إلى آخره وهذه مسألة مهمة جدًا وهي التحذير من الكلام في الدّين عمومًا بالرأي ومنه التفسير.

كذلك في هذا الباب حتى نفهم أنهم كانوا ينتقدون التفاسير التي تقع غلطًا ولو كانت قريبة من الوهم لأنهم اعتنوا بالتفسير الصحيح وطلبوه فمن ذلك تعرفون الرجل الذي جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه كما عند مسلم في صحيحه (8/ 131): " جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللهِ رَجُلٌ فَقَالَ: تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، يُفَسِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ: { يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} [الدخان:10] قَالَ: يَأْتِي النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُخَانٌ، فَيَأْخُذُ بِأَنْفَاسِهِمْ حَتَّى يَأْخُذَهُمْ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ (كلمته المشهورة التي هي أصل في باب العلم، قال:) مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ: اللهُ أَعْلَمُ". فهنا ابن مسعود رضي الله عنه نبه إلى غلطه وأنه ليس هذا هو التفسير المعني.

والترمذي رحمه الله لما أورد حديث النبي صلى الله عليه وسلم كما في الجامع (5/ 66): عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ".

علق عليه فقال رحمه الله: " وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِمْ، أَنَّهُمْ شَدَّدُوا فِي هَذَا فِي أَنْ يُفَسَّرَ القُرْآنُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَأَمَّا الَّذِي رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّهُمْ فَسَّرُوا القُرْآنَ، فَلَيْسَ الظَّنُّ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي القُرْآنِ أَوْ فَسَّرُوهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا، أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ".

لاحظت الآن هو الترمذي رحمه الله ماذا يقصد هنا؟ في معنى كلامه أنه لو أتاك شخص ويقول لك لماذا مجاهد رحمه الله لم يقل: قال ابن عباس رضي الله عنهما؟ يا عبد الله هذا فهم نقله، أي نعم ممكن مجاهد رحمه الله يتصرف في الفهم بالألفاظ ويجوز رواية الحديث بالمعاني، يعني مجاهد رحمه الله هو جالس لابن عباس

رضي الله عنهما وفهم المعنى المراد فعبر عنه بألفاظه وهو عدل ويفهم العربية يعني ما يحيله كما اشترط سفيان الثوري، سفيان الثوري رحمه الله كان إمامًا ويروي بالمعنى كما قال يحيى بن سعيد القطان رحمه الله: " **أَخَافُ أَنْ يُضَيَّقَ عَلَى النَّاسِ تَتَبُّعُ الأَلْفَاظِ؛ لأَنَّ القُرْآنَ أَعْظَمُ حُرمَةً، وَوُسِّعَ أَنْ يُقْرَأَ عَلَى وُجُوهٍ إِذَا كَانَ المَعْنَى وَاحِداً**".

ولذلك مجاهد رحمه الله مع أنه من أصحاب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذين نقلوا التفسير بالألفاظ وكان يحرص على الألفاظ إلا أنه في جانب تدخل معنى ما في مشكلة يعني ممكن يرويه بالمعنى ورواية الحديث بالمعنى مع توارد المعنى من أكثر من طرف تقوي أن له أصل هذه نقطة المهمة في هذا الباب.

فالمهم المقصود فيما نحن بصدده أن الظن كل الظن بهؤلاء العصبة الصالحة أنهم كانوا ينقدون التفسير الغلط يعني أنه إذا حدث أحد بتفسير غلط أنكروا عليه وهذا في دائرة أهل السنة والجماعة فما بالك بنقد التفسير على أهل البدع وهذا كان من باب أولى والذي يدلك على ذلك خلاف الخوارج مع الصحابة لأنه كان في فهم القرآن في التأويل فالصحابة غلطوهم في الفهم، نَافِعَ بْنَ الْأَزْرَقِ قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: " **يَا أَعْمَى الْبَصَرِ، أَعْمَى الْقَلْبِ، تَزْعُمُ أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا ﴾ [المائدة:37]** (لكي يرد أحاديث الشفاعة) **فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَيْحَكَ، اقْرَأْ مَا فَوْقَهَا، هَذِهِ لِلْكُفَّارِ**".

وكما جاء في صحيح البخاري (9/ 16): " **ابْنُ عُمَرَ يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللهِ وَقَالَ: إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**".

هذا يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم عرفوا التفسير الصحيح الذي هو المعيار في النقد ولذلك زيفوا كل فهم غيره مثل الرجل الذي جاء لعليّ رضي الله عنه كما رواه بن أبي حاتم في تفسير (4/ 1260): " **عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: أَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ فَقَالَ لَهُ: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأنعام:1] أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ عَلِيٌّ: ارْجِعْ ارْجِعْ، أَيْ قُلْ: إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ وَهُمُ الَّذِينَ عَدَلُوا بِرَبِّهِمْ، يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ**".

وجاء آخر إلى عبد الرحمن بن أبزى رحمه الله كما رواه الطبري في تفسيره (9/ 148): " جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَقْرَأُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } [الأنعام: 1] ، قَالَ لَهُ: أَلَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: وَانْصَرَفَ عَنْهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا ابْنَ أَبْزَى، إِنَّ هَذَا قَدْ أَرَادَ تَفْسِيرَ هَذِهِ غَيْرَ هَذَا، إِنَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ، فَقَالَ: رُدُّوهُ عَلَيَّ، فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ: هَلْ تَدْرِي فِيمَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، اذْهَبْ وَلَا تَضَعْهَا عَلَى غَيْرِ حَدِّهَا".

وجاء في تفسير ابن أبي حاتم (4/ 1380): عن عِيسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: " سَأَلْتُ الشَّعْبِيَّ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: { وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } [الأنعام: 121] قَالَ: قُلْتُ تَزْعُمُ الْخَوَارِجُ أَنَّهَا فِي الْأُمَرَاءِ (يعني في الأمراء الذين يأمرون بالمعاصي) قَالَ: كَذَبُوا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُخَاصِمُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُونَ: أَمَّا مَا قَتَلَ اللَّهُ فَلا تَأْكُلُونَ مِنْهُ يَعْنِي الْمَيْتَةَ، وأما ما قتلتم أنتم فَتَأْكُلُونَ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: { وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ } إِلَى قَوْلِهِ: { إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } قَالَ: لَئِنْ أَكَلْتُمُ الْمَيْتَةَ وَأَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ".

وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رحمه الله قَالَ: " مر سعد بن أبي وقاص بِرَجُلٍ مِنَ الْخَوَارِجِ فَقَالَ الْخَارِجِيُّ: هَذَا مِنْ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ (يشير إلى قوله تعالى { فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ } [التوبة: 12]) فَقَالَ سَعْدٌ: كَذَبْتَ بَلْ أَنَا قَاتَلْتُ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ". [رواه ابن مردويه]

وعن بكر بن عبد الله المُزَني رحمه الله ، في قوله عز وجل: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ } [محمد: 22] الآية، قال: " ما أُراها نزلت إلا في الحَرُورِيَّة ".

وجاء في تفسير عبد الرزاق (1/ 382): قَالَ مَعْمَرٌ رحمه الله : " وَكَانَ قَتَادَةُ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: { فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ } [آل عمران: 7] قَالَ: إِنْ لَمْ تَكُنِ الْحَرُورِيَّةُ أَوِ السَّبَئِيَّةُ ، فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ". يعني هؤلاء في اتباع المتشابه من كلام الله تبارك وتعالى.

كذلك ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل { وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ } [المائدة: 44] قال: " هِيَ بِهِ كُفْرٌ، وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ".

وقال رضي الله عنهما أيضا: " لَيْسَ بِالْكُفْرِ الَّذِي تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ".

وقال عطاء رحمه الله: " كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ، وَفِسْقٌ دُونَ فِسْقٍ".

قلت: فالصحابة رضي الله عنهم كانوا ينتقدون وهذا كثير كثير جدًا في انتقادهم التفسير المتشابه سواءً على أهل البدع يردونهم وسواءً حتى في دائرة أهل القبلة يعني من يغلط غلط كما ذكرنا في قصة الواعظ واضح من يغلط غلطًا يُخشى أن يُحسب على الفهم الصحيح ناقضوه وعارضوه ومنهم ما يكون بابًا للمحاورة حتى في أبواب الأحكام أو من جهة الفهم، يقول مُجَاهِدٍ رحمه الله: " كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ، فَقَرَأَ: { لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ } إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: { قَدِيرٌ} [البقرة: 284] فَبَكَى، قَالَ: وَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، (لاحظ مجاهد الآن على من يكون بين بن عمر وبن عباس في العلم في التفسير مثل هذا كان هكذا الناس ينقلون الفهم)، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ آنِفًا، فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فَبَكَى، قَالَ: «أَيَّةُ آيَةٍ؟» قَالَ: قُلْتُ: { لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ} إِلَى: { قَدِيرٌ } [البقرة: 284] قَالَ: فَضَحِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عُمَرَ، أَوَمَا يَدْرِي فِيمَا أُنْزِلَتْ؟ وَكَيْفَ أُنْزِلَتْ؟ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ حِينَ أُنْزِلَتْ غَمَّتْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَمًّا شَدِيدًا، وَغَاظَتْهُمْ غَيْظًا شَدِيدًا وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْنَا، إِنَّمَا كُنَّا نُؤْخَذُ بِمَا تَكَلَّمْنَا، فَأَمَّا مَا تَعْقِلُ قُلُوبُنَا لَيْسَتْ بِأَيْدِينَا(يعني حديث النفس)، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا"، فَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا قَالَ: فَنَسَخَتْهَا هَذِهِ الْآيَةُ: { ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ} [البقرة: 285] إِلَى: { وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ} [البقرة: 286] (فانظر هنا ابن عباس يصوب لابن عمر رضي الله عنهم يعني لا يُفهم من ذلك كل عموم، كل حديث النفس أنك تؤاخذ به وإنما الذي تؤاخذ ما عقد عليه العبد قلبه أو نطق به لسانه أو عملته جوارحه) **قَالَ:** " فَتَجَوَّزَ لَهُمْ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَأُخِذُوا بِالْأَعْمَالِ".

في قوله ﷻ ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [الشورى: 23] وهذا التدقيق يبين لك أن الصحابة رضي الله عنهم حرصوا على نقل الفهم الصحيح، سعيد ابن جبير لما سُئِلَ عن هذه الآية كما في صحيح البخاري (6/ 129): " ﴿ إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾. فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رحمه الله: " قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: " عَجِلْتَ، إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، فَقَالَ: إِلَّا أَنْ تَصِلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ القَرَابَةِ".

وجاء في تفسير الطبري (19 /391): عَنْ أَبِي وَائِلٍ رحمه الله، قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ: مِنَ الشَّامِ، قَالَ: مَنْ لَقِيتَ؟ قَالَ: لَقِيتُ كَعْبًا، فَقَالَ: مَا حَدَّثَكَ كَعْبٌ؟ قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَّ السَّمَوَاتِ تَدُورُ عَلَى مَنْكِبِ مَلَكٍ، قَالَ: فَصَدَّقْتَهُ أَوْ كَذَّبْتَهُ؟ قَالَ: مَا صَدَّقْتُهُ وَلَا كَذَّبْتُهُ، قَالَ: " لَوَدِدْتُ أَنَّكَ افْتَدَيْتَ مِنْ رِحْلَتِكَ إِلَيْهِ بِرَاحِلَتِكَ وَرَحْلِهَا، وَكَذَبَ كَعْبٌ (يعني أخطأ وفي كلام أهل الحجاز الكذب هو التخطئة)؛ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ ﴾ [فاطر: 41].

وردَّ ابن عباس على نوفا البكالي كما جاء عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: " قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبَكَالِيَّ يَزْعُمُ: أَنَّ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْسَ بِمُوسَى الْخَضِرِ، فَقَالَ: " كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ". وحدث بحديث أبيّ بن كعب.

وجاء في مصنف عبد الرزاق (3/ 293): عَنِ الْمُخْدَجِيِّ، قَالَ: " قِيلَ لِعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَوْ قُلْتُ لَهُ: إِنَّ أَبَا مُحَمَّدٍ، يَقُولُ: إِنَّ الْوِتْرَ وَاجِبٌ، فَقَالَ عُبَادَةُ: كَذَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ ...".

وجاء في تفسير ابن أبي حاتم (6 /1960): ذَكَرَهُ عَنْ بَقِيَّةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ أَيْفَعَ بْنَ عَبْدٍ الْكَلَاعِيِّ يَقُولُ: " لَمَّا قَدِمَ خَرَاجُ الْعِرَاقِ (يعني خير على الأمة) إِلَى عُمَرَ خَرَجَ عُمَرُ وَمَوْلًى لَهُ فَجَعَلَ عُمَرُ يَعُدُّ الإِبِلَ فَإِذَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَجَعَلَ عُمَرُ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَيَقُولُ مَوْلاهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا وَاللَّهِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبْتَ لَيْسَ هَذَا هُوَ. يَقُولُ اللَّهُ: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [يونس: 58] وَهَذَا مِمَّا تَجْمَعُونَ".

وجاء عن بِشْرُ بنُ المُفَضَّلِ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُثْمَانَ بنِ خُثَيْمٍ قال: " سَأَلْتُ عِكْرِمَةَ، أَنَا وَعَبْدُ اللهِ بنُ سَعِيْدٍ، عَنْ قَوْلِهِ: { وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ } [ق:10] ، قَالَ: بُسُوْقُهَا كَبُسُوْقِ النِّسَاءِ عِنْدَ وِلاَدَتِهَا. فَرُحْتُ إِلَى سَعِيْدٍ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: كَذَبَ. بُسُوْقُهَا: طُوْلُهَا".

وعَنْ طَاوسٍ أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَيْهِ فَأَكْثَرَا فقال طَاوسٌ: " اخْتَلَفْتُمَا وَأَكْثَرْتُمَا، قَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: لِذَلِكَ خُلِقْنَا فَقَالَ طَاوُسٌ: كَذَبْتَ (يعني أخطأت) قَالَ (أي الرجل): أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: { وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ } [هود: 118 - 119] قَالَ: لَمْ يَخْلُقْهُمْ لِيَخْتَلِفُوا، وَلَكِنْ خَلَقَهُمْ لِلْجَمَاعَةِ وَالرَّحْمَةِ". [تفسير ابن أبي حاتم (6 /2095)]

مع أن الآية هذه محل تفسير يعني من الوجهين وكل وجه له دلالة لكن فقط أحببت أن أوضح لك أنه حتى ما هو في حيز القبول أو ما كان من جهة الاختلاف إلا ويدققون في ذلك الفهم وكان الصحابة تصويباتهم كثيرة لبعضهم البعض وعثمان صوب الخوارج لما استدلوا بآية يونس عليه وقال: إنما هي في المشركون وعمر بن الخطاب صوب قدامة ابن مظعون لما تأول في الخمر كما عند عبد الرزاق في مصنفه (8/ 539): " .... فَقَالَ عُمَرُ لِقُدَامَةَ: إِنِّي حَادُّكَ، فَقَالَ: لَوْ شَرِبْتُ كَمَا يَقُولُونَ مَا كَانَ لكمْ أَنْ تَجْلِدُونِي، فَقَالَ عُمَرُ: لِمَ؟ قَالَ قُدَامَةُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ } [المائدة:93] الآيَةَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَخْطَأْتَ التَّأْوِيلَ، إِنَّكَ إِذَا اتَّقَيْتَ اجْتَنَبْتَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ....". وغير ذلك وهذا كثير كثير في الأمة يعني في باب الفروع وباب الأصول.

كذلك يردون على من يضع الآية في غير موضعها كما جاء في مسند أحمد (1/ 197): " قَامَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَحَمِدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ } [المائدة: 105] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا".

وفي قوله تعالى: { وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ } [القصص: 77] كثير من الناس يظن الدنيا زينتها فقال عون بن عبد الله كما جاء في تفسير الطبري (18 /322) قَالَ: " إِنَّ قَوْمًا يَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا { وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ } [القصص: 77] تَعْمَلُ فِيهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ". وهذا جاء عن بن مسعود أيضا رضي الله عنهما.

وفي قوله تعالى { إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ } [فصلت:30] قَالَ أَبُو بَكْرٍ: " مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: { إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ } [فصلت:30] قَالَ: فَقَالُوا " رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا مِنْ ذَنْبٍ - يعني لا يذنبون الاستقامة أرادوا الكمال فيها -، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: " لَقَدْ حَمَلْتُمْ عَلَى غَيْرِ الْمَحْمَلِ، { قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ } فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى إِلَهٍ غَيْرِهِ".

وكان الأمراء يرجعون إلى العلماء بالتفسير نقلة فلذلك مروان بن الحكم لما قرأ قوله تعالى { لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ } [آل عمران:188] قَالَ: " اذْهَبْ يَا رَافِعُ لِبَوَّابِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا فَرِحَ بِمَا أَتَى، وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّبًا لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ.

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: " مَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ الْآيَةِ، إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ ...". وسرد ابن عباس رضي الله عنهما الواقعة كما جاء في [صحيح مسلم (8/ 122)]، [صحيح البخاري (6/ 40)].

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كما في تفسير ابن أبي حاتم (5 /1671) في قوله تعالى { وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ } [الأنفال:16] قال: " لَا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ الْآيَةُ (يعني لا يغرنكم فهمكم الظاهر لها)، فَإِنَّمَا كَانَتْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَنَا فِئَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ".

لأن الله قال { إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ } يعني يرجع ليستعد { أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ } يعني الإنسان لا يرجع من الزحف ضد الكفار إلا أنه يرجع ليستعد { مُتَحَرِّفٗا } يعني يستعدا للقتال مرة أخرى يعني تراجع للاستعداد وإما أنه يرجع إلى فئة أخرى من المسلمين ليعضدوه فقال عمر رضي الله عنه: " وَأَنَا فِئَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ".

كذلك قوله عز وجل { أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ } [النور:31] قال سعيد بن مسيب: " لَا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ الْآيَةُ إِنَّمَا عَنَى بِهَا الْإِمَاءَ، وَلَمْ يَعْنِ بِهَا الْعَبِيدَ".

واضح وهذا محل خلاف القول بأن الآية تشمل الإماء والعبيد وروي ذلك عن بعض الصحابة يعني يجوز للمرأة أن تكشف لرقيقها وهو قول أكثر أهل العلم لكن فقط الصحابة والتابعون كانوا يدققون في الفهوم رحمة الله تبارك وتعالى عليهم.

طيب، هذا الباب باب طويل جدا ومليء بالآثار وسخي صراحة وكله نستدل به على أن الفهم ضُبط في الأمة بدليل أنه في معيار للنقد وإلا لو كان كل فهم يجوز أن يُقال ما صار ثمة معيار للنقد وهذا فتح للقول على الله تبارك وتعالى بلا علم.

لذلك نرجع فنقول أن ابن عباس كان كما ذكر عن نفسه ملازمًا للأكابر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني كان يلزم الكبار رضي الله عنه وأرضاه قال هو عن نفسه ذلك وهذا موجود في سيرته قال رضي الله عنه : " **كُنْتُ أَلْزَمُ الْأَكَابِرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَأَسْأَلُهُمْ عَنْ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ. وَكُنْتَ لا آتِي أَحَدًا مِنْهُمْ إِلا سُرَّ بِإِتْيَانِي لِقُرْبِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلْتُ أَسْأَلُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ يَوْمًا. وَكَانَ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ. عَمَّا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ: نَزَلَ بِهَا سَبْعٌ وَعِشْرُونَ سُورَةً وَسَائِرُهَا بِمَكَّةَ**". فكان من أهل العلم رضي الله عنه .

طيب، طبيعة ابن عباس رضي الله عنهما من تخرج من هذه المدرسة؟ هذا الشاهد يعني في نقل الفهم ، طبعا علم ابن عباس رضي الله عنهما معروف.

نأتي الآن إلى نقل الفهم فابن عباس رضي الله عنهما كان يفسر القرآن في الموسم يعني للحجاج فسر لهم سوره النور آلاف بل مئات الآلاف كان يفسر لهم، النقلة عنه يعني من جهة التفسير طبعا هم معدودون في الأمة، النقل عمومًا كثير في التفسير وغيره تقريبا مئتين وشيء هكذا ممن رووا عن ابن عباس رضي الله عنهما لكن النقلة في التفسير هم طلابه الأخص به منهم مجاهد وعطاء هؤلاء مثلا عطاء يقول قال: " **البحر**" و " **فعل البحر**" يقصد ابن عباس رضي الله عنهما وكذلك مجاهد رحمه الله كان يقول عنه: " **البحر**" لكثره علمه، يذكر لنا أبو صالح طبيعة مجالس ابن عباس رضي الله عنهما وهذا موجود في " الحلية" وغيره ، يقول أبو صالح: " **لَقَدْ رَأَيْتُ مِنَ ابْنِ عَبَّاسٍ مَجْلِسًا لَوْ أَنَّ جَمِيعَ قُرَيْشٍ فَخَرَتْ بِهِ لَكَانَ لَهَا فَخْرًا، لَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ اجْتَمَعُوا**

حَتَّى ضَاقَ بِهِمُ الطَّرِيقُ، فَمَا كَانَ أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَجِيءَ وَلَا يَذْهَبَ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ كَأَنَّهُمْ عَلَى بَابِهِ، فَقَالَ لِي: ضَعْ لِي وَضُوءًا ، قَالَ: فَتَوَضَّأَ وَجَلَسَ، وَقَالَ لِي: اخْرُجْ وَقُلْ لَهُمْ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ وَحُرُوفِهِ(يعني القراءات) وَمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَدْخُلَ".

فهؤلاء برز منهم مجاهد، مجاهد بن جبر جمع بين رفقتين رفقة ابن عباس ورفقة بن عمر وصاحب بن عمر مدة كثيرة وأخذ عنه وكان من أقرب أصحاب بن عباس إليه حتى قال كلمته مشهورة: " عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا".

وقال: " عرضت على ابن عباس ثلاثين مرة".

لذلك هو متخصص وهذا من معايير القبول أن مجاهد متخصص في التفسير منه في باب آخر رحمة الله تبارك وتعالى عليه حتى قال قتادة: " أَعْلَمُ مَنْ بَقِيَ بِالتَّفْسِيرِ مُجَاهِدٌ".

وقال ابن جريج: " لأن أكون سمعت من محمد بن مجاهد فأقول سمعت مجاهدا أحب إلي من أهلي ومالي".

وقال سفيان الثوري كلماته المشهورة: " إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ، فَحَسْبُكَ بِهِ".

ومن أبرزهم أيضا أي في تلاميذ بن عباس سعيد بن جبير رحمه الله تعالى أبو محمد أو أبو عبد الله كلاهما منقول هذا تتلمذا على بن عباس كثيرا وكان من علمه بالتفسير أنه كان يسأل بن عباس عن كل شيء وكان يحفظ انتبه كان يحفظ تفسير بن عباس لذلك أَبُو حَصِينٍ قَالَ: " سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ قُلْتُ: أَكُلُّ مَا أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ سَأَلْتَ عَنْهُ ابْنَ عَبَّاسٍ؟- سؤال مباشر وهذا يقوي كلمة الترمذي يعني هم سألوه هل هذا التفسير الذي نسمعه منك تصيغه بألفاظك هل هذا كله سمعته من بن عباس؟ - فَقَالَ: لا - ممكن شخص يقول لك كيف - فقال: كُنْتُ أَجْلِسُ وَلا أَتَكَلَّمُ حَتَّى أَقُومَ- يعني هو كان يجلس عند بن عباس والناس تسأله وهو يسمع ولذلك قال السلف: " أَوَّلُ الْعِلْمِ الْإِنْصَاتُ".

فكان الناس يسألون بن عباس وهو جالس - قال: " كُنْتُ أَجْلِسُ وَلا أَتَكَلَّمُ حَتَّى أَقُومَ. فَيَتَحَدَّثُونَ فَأَحْفَظُ ". [الطبقات الكبرى (6 /268)]

كان الناس إذا جاءوا لابن عباس يسألونه من أهل الكوفة أي يستفتون بن عباس يقول: " أليس فيكم ابن الدهماء؟ يعنى سعيد بن جبير - رحمه الله تعالى -".

تعرفون لما قتله الحجاج قال عنه مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ: " لَقَدْ مَاتَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمَا عَلَى ظَهْرِ الأرض رجل إلا يحتاج إلى سعيد". مات صغيرًا رحمه الله.

ومن علماء التفسير المختصين عكرمة مولى ابن عباس هذا ابن البيت يعني في بيت مع بن عباس رضي الله عنه وكانوا يشهدون له كثير الشعبي يقول: " مَا بَقِيَ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللهِ مِنْ عِكْرِمَةَ".

قتادة يقول: " أَعْلَمُهُمْ بِالتَّفْسِيرِ عِكْرِمَةُ".

وقال سعيد بن جبير نحوه واضح فكان من أعلم الناس يقولون أيوب السختياني: " كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَرْحَلَ إِلَى عِكْرِمَةَ إِلَى أُفُقٍ مِنَ الآفَاقِ. قَالَ فَإِنِّي لَفِي سُوقِ الْبَصْرَةِ فَإِذَا بِهِ عَلَى حِمَارٍ. قَالَ فَقِيلَ لِي هَذَا عِكْرِمَةُ. قَالَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ. قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَمَا قَدَرْتُ عَلَى شَيْءٍ أَسْأَلُهُ عَنْهُ. ذَهَبَتِ الْمَسَائِلُ مِنِّي. فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِ حِمَارِهِ. فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ وَأَنَا أَحْفَظُ".

فعكرمة أربعين سنة عند بن عباس طلب للعلم بين طلب للعلم وما بعد بن عباس طلب للعلم وكان يضع الكبل في رجله على تعليم القرآن والسنن فكان يقول له ابن عباس: " انْطَلَقْ فَأَفْتِ النَّاسَ وَأَنَا لَكَ عَوْنٌ قَالَ: قُلْتُ: لَوْ أَنَّ هَذَا النَّاسَ مِثْلُهُمْ مَرَّتَيْنِ لَأَفْتَيْتُهُمْ قَالَ: انْطَلَقْ فَأَفْتِ النَّاسَ فَمَنْ جَاءَكَ يَسْأَلُكَ عَمَّا يُعْنِيهِ فَأَفْتِهِ، وَمَنْ سَأَلَكَ عَمَّا لَا يُعْنِيهِ فَلَا تُفْتِهِ، فَإِنَّكَ تَطْرَحُ عَنْ نَفْسِكَ ثُلُثَيْ مُؤْنَةِ النَّاسِ". وكان يقول كلام كثيرا في مدحه.

تعرفون في قصة أصحاب السبت لما قرأ بن عباس بكى قال: " لم أدرِ نجا القوم أم هلكوا. فما زلت أُبيِّنُ له أُبَصِّرُه حتَّى عرفَ أنهم قد نَجَوْا. قال: فكساني حُلَّةً". وهذا من تواضع ابن عباس رضي الله عنه.

وجاء عَنْ مُغِيرَةَ، قَالَ: " قِيلَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: " تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، عِكْرِمَةَ". لذلك حاله في التفسير مقبولة.

عندك أيضا عطاء ابن أبي رباح وإن كان روي عنه التفسير ولكن ليس بالكثير مع ذلك عطاء بن أبي رباح أدرك مئتين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

كذلك عندك طاووس ابن كيسان وهذا أدرك خمسين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان أيضا من الذين نقلوا التفسير على قلة ولكن الأوائل مكثرين مجاهد ، عكرمة ، سعيد ابن جبير هؤلاء أكثر تلاميذ بن عباس نقلاً لتفسير حتى الصحائف والنسخ تخرج من جهتهم.

هذه المدرسة هي المدرسة المكية الجامعة في باب التفسير تليها من جهة كثرة الأسانيد والنقل المدرسة الكوفية في التفسير والكوفة في باب التفسير أفضل من البصرة ولذلك قال حسن البصري: " **كانوا يبدؤون بالكوفة ثم أهل البصرة**".

طيب، المدرسة الكوفية في باب التفسير لمن ترجع ؟ ترجع إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عبد الله بن مسعود دخل الكوفة ناشرًا للعلم ولذلك في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بعثها إلى أهل إلى أهل الكوفة قال فيها: " **أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ أَمِيرًا وَابْنَ مَسْعُودٍ مُعَلِّمًا وَوَزِيرًا** - يعني بُعث معلم ووزير وكان قاضي رضي الله عنه - **وَقَدْ جَعَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ عَلَى بَيْتِ مَالِكُمْ. وَإِنَّهُمَا لَمِنَ النُّجَبَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ. فَاسْمَعُوا لَهُمَا وَأَطِيعُوا وَاقْتَدُوا بِهِمَا. وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِابْنِ أُمِّ عَبْدٍ عَلَى نَفْسِي**". وهذا بإسناد صحيح عند بن سعد في " الطبقات" وغيره.

مدة التدريس حتى تعلم فضل نشر علوم السلف ابن مسعود رضي الله عنه درس بالكوفة من خلافة عمر بن الخطاب إلى صدر من خلافة عثمان رضي الله عنه ثم بعد ذلك عاد إلى المدينة رضي الله عنه وأرضاه.

طيب، عبد الله بن مسعود شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بأنه من أهل الإقراء ، من أهل العلم بكتاب الله تبارك وتعالى وشهد له أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد أوتي علمًا بالقرآن شهد له عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وحذيفة رضي الله عنهم أجمعين وهو كان قال له النبي صلى الله عليه وسلم: " **إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ** ". وهذا في أول إسلامه.

طيب، ابن مسعود كان ينشر علم التفسير بنشر عشر آيات ، عشر آيات فلا يتجاوزها كما كان يحدث عبد الرحمن السلمي قال: " **حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يُجَاوِزُونَ الْعَشْرَ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ**".

ثم ابن مسعود قال ما قالته التي تدل على سعة علمه: " وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا نَزَلَتْ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَ نَزَلَتْ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَنَالُهُ الْمَطَايَا لَأَتَيْتُهُ".

يقول مسروق ابن الأجدع رحمه الله: " كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقْرَأُ عَلَيْنَا السُّورَةَ، ثُمَّ يُحَدِّثُنَا فِيهَا، وَيُفَسِّرُهَا عَامَّةَ النَّهَارِ". وهذا بإسناد صحيح عند الطبري في " مقدمة التفسير".

الأمر الآخر الذي يدل على إمامة الرجل وعلمه في باب التفسير أن طلابه كما قال سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ: " كَانَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ شُيُوخَ هَذِهِ الْأُمَّةِ". كما عند الفسوي في [المعرفة والتاريخ (2/ 559)] يعني هم القضاة وهم المفتيين كما قال علي بن المديني وأحمد هم القضاة ، هم المفتون ، هم المقرؤون ، هم علماء هذه الأمة رحمهم الله تعالى.

بن مسعود رضي الله عنه من أبرز تلاميذه علقمة ابن قيس هذا أدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله بن مسعود وعلقمة كما جاء في تاريخ دمشق (41/ 163): " يصفان الناس صفين عند أبواب كندة فيقرئ عبد الله رجلا ويقرئ علقمة رجلا فإذا فرغا تذاكرا أبواب المناسك وأبواب الحلال والحرام فإذا رأيت علقمة فلا يضرك ألا ترى عبد الله أشبه الناس به سمتا وهديا وإذا رأيت إبراهيم النخعي فلا يضرك ألا ترى علقمة أشبه الناس به سمتا وهديا".

ولما سئل ابن مسعود من قِبَلِ أصحابه قِيْلَ لهٍ: مَا عَلْقَمَةُ بِأَقْرَئِنَا.

قَالَ: " بَلَى - وَالله - إِنَّهُ لَأَقْرَؤُكُم".

وكان يقرأ وصوته جميل كما جاء في فضائل القرآن لأبي عبيد (ص157): قَرَأَ عَلْقَمَةُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَكَأَنَّهُ عَجِلَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: " فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي رَتِّلْ، فَإِنَّهُ زَيْنُ الْقُرْآنِ".

قَالَ: وَكَانَ عَلْقَمَةُ حَسَنَ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ".

ثم عَبْدَ اللَّهِ قَالَ - لعلقمة -: " أَمْسِكْ عَلَيَّ سُورَةَ الْبَقَرَةِ. فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ: هَلْ تَرَكْتُ مِنْهَا شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: حَرْفًا واحدا. قال: كذا وكذا؟! فقلت: نعم".

وقِيلَ لِعَلْقَمَةَ: " لَوْ جَلَسْتَ فَأَقْرَأْتَ الْقُرْآنَ وَحَدَّثْتَهُمْ قَالَ: أَكْرَهُ أَنْ يُوطَأَ عَقِبِي وَأَنْ يُقَالَ: هَذَا عَلْقَمَةُ وَكَانَ يَكُونُ فِي مَبِيتِهِ يَعْلِفُ غَنَمَهُ وَيَفُتُّ لَهُمْ ". لذلك ممن نقل علومه إبراهيم النخعيرحمه الله رحمة واسعة.

وعَمَّر علقمة تقريبا عاش إلى خلافة ما بعد معاوية رضي الله عنه ، مات عمره تسعون سنة ، أنظر إلى الفترة هذه كلها الخلافة الراشدة وما بعدها ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وصلى خلف عمر سنتين وبعدين عثمان وبعدين عليّ ثم أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه ثم تقريبًا إلى خلافة يزيد هذه كلها في نشر العلم وبثه في الأمة.

عندك أيضا من تلاميذ بن مسعود مسروق ابن عبد الرحمن كما سماه عمر في الديوان قال: " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الأجدع الشيطان ولكنك مسروق بن عبد الرحمن ".

مسروق كان من أعلم الناس بكتاب الله عز وجل وتتلمذ على ابن مسعود وخاصته وكذلك الأسود بن يزيد وهذا من الأئمة وإن كان نقل عنه يسير لكن تقريبًا تفسير هؤلاء منقول في كلام إبراهيم النخعي ومنهم مُرَّة الهمداني هؤلاء أصحاب عبد الله نقل لنا معنى كلامهم إبراهيم ولذلك ابراهيم النخعي إذا قال كانوا يقصد أصحاب ابن مسعود ، وأحمد ابن حنبل قال: " مُرْسَلَاتُ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ لَا بَأْسَ بِهَا". لماذا؟ لأنه أدرك هؤلاء الجلة من الأئمة رحمة الله عليهم.

مُرَّة الهمداني وهو مُرَّة الطيب هذا كان من علماء التفسير لكن كأنه لم يُنقَل عنه وكان من العُبَّاد الكبار حتى أكل التراب جبهته من كثرة سجوده وكان بصيرًا بالتفسير رحمه الله.

كذلك من تلاميذ هؤلاء الشعبي إمام من الأئمة وهذا الشعبي رحمة الله عليه من الكبار أدرك خمسين من الصحابة وحَدَّث عنه جم غفير من التابعين والشعبي يقول: " وَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا، وَلَكِنَّهَا الرِّوَايَةُ عَنِ اللَّهِ".

مع أنه كان متحفظ في التفسير وكان يُنكر على السدي و يُنكر على أبي صالح وقال: " ثَلَاثٌ لَا أَقُولُ فِيهِنَّ حَتَّى أَمُوتَ: الْقُرْآنُ، وَالرُّوحُ، وَالرَّأْيُ". وكان لا يعجبه تفسير السدي ولا تفسير أبي صالح وينكر عليهما ذلك رحمه الله تعالى.

من امتداد هذه المدرسة ، المدرسة البصرية استفادوا من المدرسة الكوفية واستفادوا من المدرسة المكية واستفادوا من المدرسة المدنية في التفسير يعني جماع مدارس التفسير منهم الحسن البصري رحمه الله تعالى والحسن البصري تفسيره مستفاد من هؤلاء يعني من أصحاب عبد الله بن مسعود من المدرسة الكوفية ومن المدرسة المكية يعني من ابن عباس وأصحابه لأنه استفاد لما دخل عكرمة البصرة وكذلك لما دخل عروة بن الزبير إلى البصرة مع قله كلام البصريين في التفسير إلا أن كلام الحسن ، الحسن كان له علم بالقرآن وحتى من جهة لغته كان فصيحا ومن الكلمات المأثورة تُذكر عن الشافعي لكن وجدتها لغيره قال: " **لو أشاء أن أقول إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت؛ لفصاحته**".

وقال: " **أن الكلمة الواحدة منه تُجزي**".

وفعلا من تأمل كلام الحسن البصري وجده در من الدرر يعني سبحان الله حتى مثل بكلمات الموت في الدنيا هكذا كلام عالي حتى قال أيوب السختياني: " **كَانَ الحَسَنُ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ كَأَنَّهُ الدُّرُّ، فَتَكَلَّمَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِهِ بِكَلَامٍ يَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِم كَأَنَّهُ القَيْءُ**".

فكان معروف عنه الحكمة أنه حكيم من حكماء هذه الأمة رحمه اللع حتى كان أقرانه يقولون الحسن البصري كلامه يشبه كلام الأنبياء يعني في فصاحته وقوته رحمه الله تبارك وتعالى.

كذلك ممن نقل وهؤلاء استفاد بالصحيفة قتادة ، قتادة استفاد من الحسن واستفاد من المدرسة المدنية لكن سعيد بن المسيب لما يذهب إليه قتادة لكي يسأله عن التفسير كأنه لم يسمع لا يحب سعيد ابن المسيب الكلام فيه لكن استفاد وكان حافظ كبير لعلم سعيد بن المسيب وشهد له سعيد بن المسيب بالحفظ وكان أحمد بن حنبل يُثني على حفظ قتادة مع بدعته التي كان فيه إلا أنه كان يثني على حفظه لأنه لم يفتي برأيه منذ أربعين سنة وما من شيء إلا وسمع فيه حتى قال أحمد رحمه الله كلمته: " **كَانَ قَتَادَةُ عَالِماً بِالتَّفْسِيْرِ، وَبِاخْتِلَافِ العُلَمَاءِ ... ، ثُمَّ وَصَفَه بِالفِقْهِ وَالحفظِ، وَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ، وَقَالَ: قَلَّمَا تَجِدُ مَنْ يَتَقَدَّمُه**". يعني في هذا الباب من أبواب الحفظ.

هذه ملامح عامة عن مدرستين مهمتين جليلتين كبيرتين في التفسير بهما اشتهر التفسير وبهما خرجت نسخ التفسير ، طبعا رجعنا إلى المدرسة الأم الآن التي خرجت منها العلوم كلها هي المدرسة المدنية ، المدرسة المدنية أنت تتكلم الآن عن حاضرة العلم اشتهر فيها الإقراء والقراءات والتفسير ونحن نتكلم في هذا الباب وكان من أئمة هذا الشأن أبيّ ابن كعب بعد الصحابة الخلفاء رضي الله عنهم وأرضاهم.

أُبيّ بن كعب أبو المنذر هذا شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم في الكتاب قال: " لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ".

وقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن وقال: " خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ". فكان من علماء الصحابة رضي الله عنهم بالكتاب.

أُبيّ بن كعب سيأتي معنا صحيفة أبي العالية عنه أُبيّ بن كعب هو مُتأله كان صاحب عبادة يقول أبو العالية رحمه الله: " كَانَ أُبَيٌّ صَاحِبَ عِبَادَةٍ، فَلَمَّا احْتَاجَ النَّاسُ إِلَيْهِ، تَرَكَ العِبَادَةَ، وَجَلَسَ لِلْقَوْمِ".

هنا استفاد منه أبو العالية الصحيفة المشهورة التي تُروى في التفسير ويُروى التفسير عن أبي العالية رحمه الله تعالى وقَالَ مَعْمَرٌ: " عَامَّةُ عِلْمِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ".

وعمر بن الخطاب خَطَبَ النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ، فَقَالَ: " مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ، فَلْيَأْتِ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ ". فهذه شهادة من عمر له بالعلم في باب التفسير.

طيب هذه المدرسة ماذا خَرَّجَت؟ المدرسة المدنية التي هي أصل المدارس وبعدين تفرع الناس عنها، أبيّ بن كعب أيضا كان له علم بالمغازي وهذا مهم جدا ولذلك أعلم الناس بالمغازي أهل المدينة ثم أهل الشام ثم أهل العراق هذا في المغازي واضح وأعلم الناس بالتفسير [أعلم] يعني من جهة كثرة الرواية والاعتناء أهل مكة ثم أهل الكوفة هذا في التفسير لذلك تمر عليك الأسانيد أكثرها هكذا مكية وكوفية لما نقول كوفية تدخل البصرة **يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة** لأن هؤلاء استفادوا من المدرستين كليهما ومنهم الحسن البصري.

طبعا المدرسة المدنية ممن استفاد منها في التفسير أبو العالية ورُفَيع بن مهران وأبو العالية رحمه الله تعالى كان إماما من أئمة التفسير طبعا أبو العالية مخضرم يعني أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين يُقال دخل على أبي بكر وصلى خلف عمر وقتادة استفاد من أبي العالية في التفسير قال أبو العالية: " قَرَأْتُ الْقُرْآنَ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِشْرِينَ سَنَةً".

وكان يذهب إلى بن عباس وبن عباس يرفعه على السرير ويجلسه معه وقريش أسفل سبحان الله وهذا لتواضعه لعلمه رحمه الله وكان قرأ على أبيّ بن كعب وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ: " لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ الصَّحَابَةِ أعلم بِالْقُرْآنِ مِنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ".

وهذا لكثرة ما اعتنى به حتى كان يمشي في فهم الآية مسيرة ليالي لأجل من أن يستفيد في فهم الآية وقد روى نسخة كبيرة في التفسير عن أبيّ بن كعب.

والمدرسة المدنية فيها سعيد بن المسيب وأغلب كلام سعيد بن المسيب في التفسير بعد تأمل هو في الأحكام غالب كلامه في الأحكام لكن شواهد كلامه في غير ذلك موجود لكن فتاويه في الأحكام كثيرة وكان يتكلم في الحلال والحرام وكان هو عالم من العلماء الكبار رحمه الله تعالى وبلغ مبلغًا عظيم حتى كان الحسن البصري إذا أشكل عليه شيء كتب إلى سعيد بن المسيب يسأله ومع ذلك معروف كلمته يقول: " أَنَا لَا أَقُولُ فِي الْقُرْآنِ شَيْئًا ". ونحو ذلك.

وعندك أيضا من علماء المدينة المفسرين وهذا أيضا له نسخة وأقوال موجودة في التفسير يُعتنى تفسير محمد بن كعب القرظي أبو حمزة محمد بن كعب سُليم القرظي هذا من العلماء الكبار في باب التفسير وكان من أئمة هذا الشأن وكان يتأمل في القرآن كثيرًا حتى كان يقول: " عَجَائِبَ الْقُرْآنِ تُورِدُ عَلَيَّ أُمُورًا، حَتَّى أَنَّهُ لَيَنْقَضِيَ اللَّيْلُ وَلَمْ أَفْرُغْ مِنْ حَاجَتِي ".

وهؤلاء ناس عاشوا مع كتاب الله عز وجل مستحيل أن يقارن بهم هؤلاء الجهال ممن ممكن يمر به أسبوع ولا يفتح المصحف هؤلاء الناس كانوا يتأملون في الكتاب لأنهم علموا أنه فيه النجاة حتى قال: " لِأَنْ أَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ حَتَّى أُصْبِحَ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَالْقَارِعَةَ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِمَا، وَأَتَرَدَّدُ فِيهِمَا، وَأَتَفَكَّرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَهْذِرَ الْقُرْآنَ هَذْرًا، أَوْ قَالَ: أَنْثُرُهُ نَثْرًا ".

عندك أيضا من علماء المدينة في التفسير زيد بن أسلم هذه المدرسة المدنية زيد بن أسلم اعتمد تفسيره الإمام مالك وسفيان بن عيينة اعتمد تفاسير ابن عباس هو وابن جريج عندهم صحيفة في التفسير حتى أن الإمام مالك عنده تفسير اعتمد فيه على زيد بن أسلم ، زيد بن أسلم هذا أبو أسامة والده أسلم مولى عمر كان له علم بالتفسير ويروي عنه ابنه عبد الرحمن وكأن تفسيره فهوم يعني غالبه فهوم نُقلت واستنباطات حسنة ولذلك لما سُئل عُبيد الله بن عمر عن زيد بن أسلم قال: " لا أعلم به بأسًا، إلا أنه يفسر القرآن برأيه ويكثر منه ".

فكان عنده استنباطات وكان عنده تدبر وكل من تأمل في القرآن والتفسير لَمَّا يصل إلى زيد بن أسلم يتأمل يجد استنباطات ، دقائق ظهرت بعدين في كلام مقاتل بن سليمان مثلا لكن لَمَّا كان يُسأل عن تفسيره من أين أخذه؟ وهذه النقطة الأساسية ، فهم يفهمون فهما ويعبرون عليه بألفاظهم فكان يقول: " مَا كُنَّا نُجَالِسُ السُّفَهَاءَ، وَلَا نَحْمِلُ عنهم". يقصد أنه هذا التفسير سمعه من علماء فحينئذ تبقى القضية في ضبط النقل ، أمثال هؤلاء الذين يرون بالمعنى لو اخْتِلف عنهم يُقدم عنهم من يُحفظ الألفاظ وهذه قاعدة من قواعد التفسير لعلها تُبسط في كتاب غير هذا حتى تُفهم أكثر وتُدقق فيها أكثر لأن الرواية بالمعنى نهتم بها ونعتني بها لكن لو وجد من يروي بالمعنى يعني عما يفهم من كلام العلماء ووجدنا من ينقل ألفاظ العلماء يُقدم من يحافظ على الألفاظ على من ينقل بالمعنى لأن المعنى ممكن يقع باختصار لفظ أو بسط لفظ أو نحو ذلك يعني وارد عليه الوهم أكثر ممن يضبط الألفاظ أما إذا اتُفق وهذا غالب التفسير اتفاقات فحينئذ خلاص فشخص يروي لك بألفاظ العلماء وشخص يروي لك بما يُفهم مما رآه من علماء السلف كما قال زيد بن أسلم: " مَا كُنَّا نُجَالِسُ السُّفَهَاءَ، وَلَا نَحْمِلُ عنهم".

طيب بهذا قد نكون أعطينا صورة عملية لنقول فهم السلف رحمهم الله تبارك وتعالى ، تبقى لنا قضية في هذا الباب وهذا الصدد وهي قضية رواية الاسرائيليات وهذا مبحث طويل جدا لكن نختصره فنقول أن من يزعم أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ينقلون ما قاله أهل الكتاب في كتبهم من تحريفات أو مما هو مسكوت عنه في ما حرفوه ثم نقلوه في تفسير كلام الله واهم لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحذرون من هذا أشد الحذر وهذا ابن عباس كان يحذر من أحاديث أهل الكتاب وهم يقولون أن ابن عباس يروي الاسرائيليات كيف؟! كيف بن عباس رضي الله عنه يقال عنه أنه يروي الاسرائيليات وهو رضي الله عنه كان من أشد الناس على الاسرائيليات وكان ينقد هذا نقد جيد كثيراً في أصحابه ويُبَيِّن لهم ذلك حتى لا يقعوا في الغلط وقال كما جاء في صحيح البخاري (9/ 111) قال: " كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْدَثُ، تَقْرَؤُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللهِ وَغَيَّرُوهُ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، وَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا؟ أَلَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ؟ لَا وَاللهِ، مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ".

فهذا يبين لك أن الصحابة كيف هم يقولون نسأل أهل الكتاب وهم كانوا ينكرون على أهل الكتاب وهذه نقطة أساسية لابد تفهمها فبالتالي ما يروى من أخبار بني إسرائيل أو من تفاسير في مقامات

بيان الرواية في صفات الله تبارك وتعالى أو في أخبار أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام في هذه الأبواب وغيرها إنما لا يُقال فيه عن أهل الكتاب وهذا طعن في الصحابة رضي الله عنهم وأول من زعم قصة الزاملة والتحذير منها بشر المريسي ورد عليه الدارمي كما جاء في " النقض" مع أن لها أصل لكن لا يثبت لكن كانوا يحتجون ويذكرون هذا أن الصحابة يأخذون من أهل الكتاب فبين الدارمي الرد عليهم وأن الصحابة رضي الله عنهم في باب الرواية عن الله عز وجل أو في باب بيان أصل الخليقة أو قصص الأنبياء أو الجنة والنار و نحو هذا لا يوردون إلا ما هو الحق في نفسه هذه مسألة مهم جدا فالصحابة لم يعتمدوا على الرويات التي يُقال فيها اسرائليات ونحو ذلك كما يزعمه كثير ممن تأخر أنهم يقولون هذه من باب الاسرائليات وهذا من باب الحديث عن بني إسرائيل ونحو هذا ثم النبي عليه الصلاة والسلام لما قال: " حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ....".

قال كما في حديث آخر: " لَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا، وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ".

وهؤلاء بنوها على الأصل تكذيبهم يعني والمقصود " لَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ" مما لم يأتي في شرعنا رده أو قبوله هذا المحل أما ما جاء بقبوله فهذا من شرعنا وما جاء بتكذيبه فتصديقه به كفر يبقى الذي لم يُصدقوا فيه لم يأتي في شرعنا لا تصديقه ولا نفيه هذا تحدث به ولا حرج الشريعة لم تنهى على هذا ليس كما يشدد المتأخرين لكن تفاسير الصحابة ليست من هذا الجنس لأن ما فسر به الصحابة القرآن كما ذكرنا هو مبني على العلم لأنهم هم كانوا يقولون أنه لا تسألوا أهل الكتاب وأنه من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فمعاذ الله أن يقول الصحابة فيه ما يكون فيه ضرر وخطر والذي يؤكد لك على هذا المعنى أيضا أن الصحابة رضي الله عنهم نقدوا تفاسير أهل الكتاب أكثر شخص يروى عنه ويُقال أنه بث الاسرائليات يكذبون التوسع هكذا يقصدون شيء مكذوب وهكذا هو كعب الأحبار رحمه الله تعالى ، كعب الأحبار إذا تأملت فيما يقوله عامت ما يقوله مقبول وما كان محل لنقد يعني خولف في شريعتنا مما قال فهو قسمين:

- إما قليل.

- وإما الحمل فيه على غيره يعني من وضاعين كذبوه عليه وليس منه.

هذا الموجود وإلا الأصل أنه ما يقوله تجد له أصلاً حتى كان عمر يقول له: " يَا كَعْبُ، خَوِّفْنَا ".

وكان يحدث في زمان معاوية وإن كان معاوية قال كما في صحيح البخاري (9/ 110): " إِنْ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْهِ الْكَذِبَ ".

يقصد الخطأ وهذا يبيِّن لك أن الصحابة كانوا يُمرُّون كلام كعب الأحبار ويختبرونه وينظرون فيه رضي الله عنهم ما كانوا يأخذون عنه كل شيء كانوا يعتبرونه فما وافق الشرع قرروه له وقبلوه ومرت معنا قصة ابن مسعود وإنكاره على كعب الأحبار فالصحابة نهوا عما حدث به أهل الكتاب فلا يفعلونه ابن مسعود يقول: " لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ، وَقَدْ ضَلُّوا، فَتُكَذِّبُوا بِحَقٍّ، وَتُصَدِّقُوا الْبَاطِلَ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا فِي قَلْبِهِ تَالِيَةٌ تَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ وَكِتَابِهِ كَتَالِيَةِ الْمَالِ ".

وقال: " إِنْ كُنْتُمْ سَائِلِيهِمْ لَا مَحَالَةَ فَانْظُرُوا مَا وَاطَى كِتَابَ اللَّهِ فَخُذُوهُ، وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ ". [مصنف عبد الرزاق - (6/ 111)].انتهى

قلت: وهذا من ابن مسعود يبيِّن لك أن الصحابة كان ينظرون في التفسير.

كعب الأحبار قال في قوله تعالى { يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ } [مريم: 28] " لَيْسَ بِهَارُونَ أَخِي مُوسَى، قَالَ: فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: كَذَبْتَ - يعني أخطأت -، قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهُ فَهُوَ أَعْلَمُ وَأَخْبَرُ، وَإِلَّا فَإِنِّي أَجِدُ بَيْنَهُمَا سِتَّ مِائَةِ سَنَةٍ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ".

وجاء في تفسير الطبري (19 /391): عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قَالَ: مِنَ الشَّامِ، قَالَ: مَنْ لَقِيتَ؟ قَالَ: لَقِيتُ كَعْبًا، فَقَالَ: مَا حَدَّثَكَ كَعْبٌ؟ قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَّ السَّمَوَاتِ تَدُورُ عَلَى مَنْكِبِ مَلَكٍ، قَالَ: فَصَدَّقْتَهُ أَوْ كَذَّبْتَهُ؟ قَالَ: مَا صَدَّقْتُهُ وَلَا كَذَّبْتُهُ، قَالَ: لَوَدِدْتُ أَنَّكَ افْتَدَيْتَ مِنْ رِحْلَتِكَ إِلَيْهِ بِرَاحِلَتِكَ وَرَحْلِهَا، وَكَذَبَ كَعْبٌ (يعني أخطأ وفي كلام أهل الحجاز الكذب هو التخطئة)؛ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: { إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ } [فاطر: 41].

وجاء أيضا عند الطبري في تفسيره (6/ 296): عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَوْمٍ فِي الْمَسْجِدِ وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: إِنَّ أَخَاكُمْ كَعْبًا يُقْرِئُكُمُ السَّلَامَ، وَيُبَشِّرُكُمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَيْسَتْ فِيكُمْ: { وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ } [آل عمران: 187] فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: " وَأَنْتَ فَأَقْرِئْهُ السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّهَا نَزَلَتْ وَهُوَ يَهُودِيٌّ ".

لاحظت النقد، هنا ينقدون ما قال وليس كل شيء يُمرر وهكذا.

وهذا كله للنقد سواء بالتخطئة أو بالقبول ولما **قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ**: " أَيْنَ جَهَنَّمُ؟ " فَقَالَ: الْبَحْرُ، فَقَالَ: " مَا أُرَاهُ إِلَّا صَادِقًا، - لاحظ هنا يراقبون يعني يعرفون ويميزون الصحابة لأنهم كما قدمنا عندهم الفهم الصحيح على أساس يبنون ما أصاب وما أخطأ من كلام أهل الكتاب - { وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ } [الطور: 6]، { وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ } [التكوير: 6] مُخَفَّفَةً. فصدقه عليٌّ وصوب ما قال وهذا يبين لك المسألة التي ذكرناها فالصحابة إذا فسروا تفسيرًا أو قالوا بشيء في التفسير فالأصل أنه هو الفهم الصحيح وما نقلوه عن أهل الكتاب لو جاز أن يقول من كلام كعب مع أن ابن عباس قال: " أَرْبَعُ آيَاتٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَمْ أَدْرِ مَا هُنَّ حَتَّى سَأَلْتُ عَنْهُنَّ كَعْبَ الْأَحْبَارِ ". كما عند [تفسير عبد الرزاق (3/ 120)]

وفي بعض الروايات " خمس آيات ".

ولم يسأل غيرها فهذا يُحمل على أنهم سمعوه ولم يجدوا ما يرده كما قال ابن مسعود: " فَانْظُرُوا مَا وَاطَى كِتَابَ اللَّهِ فَخُذُوهُ، وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ ".

فكان يراقبون هذا وهذا لأهل العلم لكن أن يُقال أن الأصل ما يروي الصحابة هو نفسه مأخوذ من أهل الكتاب دون بصيرةٍ واستفسار فيرد هذا مذهب حادث لم يكن عليه السلف رحمه الله تبارك وتعالى بالتعامل مع المرويات لأنها الرواية عن الله وهؤلاء بالعكس إذا نظرت إلى فيما يقولون أنه من الاسرائيليات اذهب وانظر في كتب اليهود كيف يتكلمون عن سليمان أنه عندهم ملك واسمه لوط وكيف يتكلمون عن أنبياء الله أنهم زنوا وأنهم فعلوا أشياء فلا تجد هذا في كتاب الله وتجد إلا الكلام الجميل الذي يجمع عنهم القلوب ويحببهم إلى القلوب ويرفع مقامهم ويشرف مراتبهم صلوات الله وسلامه عليهم فاليهود حتى الكلام عن الله يصفونه بالنقص.

فأين هذا من ذاك أن يقال هذا من الاسرائيليات وغير ذلك فهذا ادعاءٌ ودعوى كاذبه زعمها بشر المريسي ثم استفحلت في المعاصرين في رد آثار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

آخر شيء نختم به ما قاله المصنف رحمه الله تعالى لما تكلم عن مروياته من باب التمثيل والتقريب لهذا الباب فقال رحمه الله:

سَأَلَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ إِخْوَانِي إِخْرَاجَ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مُخْتَصَرًا بأصح الأسانيد، وحذف الطرق والشواهد والحروف والروايات، وَتَنْزِيلِ السُّوَرِ، وَأَنْ نَقْصِدَ لِإِخْرَاجِ التَّفْسِيرِ مُجَرَّدًا دُونَ غَيْرِهِ، مُتَقَصِّينَ تَفْسِيرَ الآيِ حَتَّى لَا نَتْرُكَ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ يُوجَدُ لَهُ تَفْسِيرٌ إِلَّا أُخْرِجَ ذَلِكَ.
فَأَجَبْتُهُمْ إِلَى مُلْتَمَسِهِمْ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ، وَإِيَّاهُ نَسْتَعِينُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

فَتَحَرَّيْتُ إِخْرَاجَ ذَلِكَ بِأَصَحِّ الْأَخْبَارِ إِسْنَادًا، وَأَشْبَهِهَا مَتْنًا (1) فَإِذَا وَجَدْتُ التَّفْسِيرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمْ أَذْكُرْ مَعَهُ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ (2) مِمَّنْ أَتَى بِمِثْلِ ذَلِكَ وَإِذَا وَجَدْتُهُ عَنِ الصَّحَابَةِ فَإِنْ كَانُوا مُتَّفِقِينَ ذَكَرْتُهُ عَنْ أَعْلَاهُمْ دَرَجَةً (3) بِأَصَحِّ الْأَسَانِيدِ وَسَمَّيْتُ مُوَافِقِيهِمْ (4) بِحَذْفِ الْإِسْنَادِ (5) وَإِنْ كَانُوا مُخْتَلِفِينَ (6) ذَكَرْتُ اخْتِلَافَهُمْ وَذَكَرْتُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِسْنَادًا (7)، وَسَمَّيْتُ مُوَافِقِيهِمْ بِحَذْفِ الْإِسْنَادِ (8)، فَإِنْ لَمْ أَجِدْ عَنِ الصَّحَابَةِ وَوَجَدْتُهُ عَنِ التَّابِعِينَ عَمِلْتُ فِيمَا أَجِدُ عَنْهُمْ مَا ذَكَرْتُهُ مِنَ الْمِثَالِ فِي الصَّحَابَةِ، وَكَذَا أَجْعَلُ الْمِثَالَ فِي أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ. جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لِوَجْهِهِ خَالِصًا، وَنَفَعَ بِهِ.

فَأَمَّا مَا ذَكَرْنَا عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِلَا إِسْنَادٍ فَهُوَ مَا:

حَدَّثَنَا عِصَامُ بْنُ رَوَّادٍ الْعَسْقَلانِيُّ ثنا آدَمُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ. (9)

وَمَا ذَكَرْنَا فِيهِ عَنِ السُّدِّيِّ بِلَا إِسْنَادٍ فَهُوَ مَا:

حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ عَمْرُو بْنُ حَمَّادِ بْنِ طَلْحَةَ ثنا أَسْبَاطُ عَنِ السدى. (10)

وَمَا ذَكَرْنَا عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ بِلَا إِسْنَادٍ فَهُوَ مَا: (11)

حَدَّثَنَا أَبِي ثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّشْتَكِيُّ ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ. (12)

وَمَا ذَكَرْنَا فِيهِ عَنْ مُقَاتِلٍ فَهُوَ مَا:

قَرَأْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ مُوسَى، عَنْ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ مُحَمَّدُ بْنُ مُزَاحِمٍ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ مَعْرُوفٍ، عن مقاتل. (13)

التعليق:

(1) وهذه النقطة التي أشرنا إليها من قبل أنه أصح الأسانيد من باب التفسير - وَأَشْبَهِهَا مَتْنًا - يعني من جهة المعاني يعني تكون المعاني مقبولة غير مستبشعة.

(2) يعني المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم قلنا على وجهين:

إما يكون مباشر: وهذا قليل الأصل فيه ضعيف ولذلك إذا وجدته عن ابن أبي حاتم شيء تفسيره مباشر ووجدته لا يصح فهو يعلم أنه لا يصح لأن القاعدة عنده يعرف أن التفسير المباشر قليل لكن هو التزم هذا فمرات يذكر هذا ومرات يذكر ما يوافقه في المعنى وإن لم يكن مباشرًا ، انظر ما يرويه ابن أبي حاتم مما كان مباشرًا في تفسير الآية مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فغالبه لا يصح لذلك يُتْبِعه بما يكون من أقوال الصحابة والتابعين وهذا الذي عليه العمدة ولكن يرويه لأن المعنى حق ، المعنى شبيه فهمت القضية كيف.

وإما غير مباشر: فهذا منه الصحيح ومنه الضعيف لكن لا ينزل في الغالب عن حد الاعتبار مما لم يكن مباشرًا لأن قلنا هذا الذي غير مباشر كثير في معاني الآية.

(3) إذا كان كلهم على قول واحد فيذكر أعلاهم درجة يعني في المقام إذا كان قول الخليفة من الخلفاء الراشدين كما قدمنا في كلام الشافعي فالخلفاء الراشدين مقدمين على العشرة والعشرة مقدمين على كذا بحسب الفضل فيقدمهم بحسب الفضل وهي الدرجة العلمية ويسوق بأصح الأسانيد إلى ذلك المقدم لأن الأسانيد عن ابن عباس أصحها ما كان عن مجاهد وسعيد بن جبير مباشرة لأن هؤلاء أخص الناس بتفسيره.

(4) يعني من وافق القائل من الصحابة أو من التابعين.

(5) يعني باختصاره يذكره فقط من غير ما إسناد.

(6) ويعني هنا باختلاف رحمه الله اختلاف تنوع الذي هو الأكثر ولذلك سيأتي أنه لما يقول الوجه الأول والوجه الثاني والوجه الثالث مرات تجد الاختلاف يذكره لكن لا يكون اختلاف تضاد لأن الغالب في تفسير القرآن كما تقدم معنا أنه اختلاف تنوع لذلك أنا أعزُ لكم إلى ما سبق لكي لا نبقى نكرر لأنه كل شيء سبق معنا وذكرنا كلمة سفيان بن عيينة: " لَيْسَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ اخْتِلَافٌ، إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ جَامِعٌ يُرَادُ بِهِ هَذَا وهذا".

يعني يكون إما من بعض تسمية بعض أفراد العام وإما أن يكون من المعنيان المتغايران لكنهما متفقين على الحق وهو المشترك فلذلك يُحمل على الجميع معًا واختلاف التضاد يعني التقابل قليل وهذا بابه الأحكام هذه خلاصة ما ذكرنا.

(7) يعني هنا اب أبي حاتم أعطانا فائدة إذا كانت المسألة إجماعية ذكر أعلى طبقة من جهة الفضل والعلم القائل وساق له قوله بأصح الإسناد وذكر الذي وافقه بحذف الإسناد أما إذا كانت مسألة خلافية ساق الكل بإسناد مع بيان الوجوه.

(8) يعني إذا كان في المسألة ثلاثة أقوال ساق القول الأول بأعلى طبقة وبأصح إسناد وساق من وافقه على ذلك القول الأول بحذف الإسناد ثم القول الثاني يسوقه بأعلى طبقة بأصح إسناد إليه ثم يسوق موافقيه بحذف الإسناد ثم القول الثالث يذكره بأعلى طبقة وبأصح إسناد ثم يسوق موافقيه بحذف الإسناد.

(9) هو مَثَّل هنا بوجه واحد من جهة النُسخ التفسيرية مَثَّل رحمه الله تعالى بأبي العالية، طبعا أبو العالية روى نسخة أبيّ بن كعب اشتهرت عنه هذه النسخة وروية من وجوه كثيرة عن أبي العالية عن أبيّ بن كعب ومرات يأتي الكلام من كلام أبي العالية رُفيع بن مهران رحمه الله تعالى وساق إسنادًا من طريق عصام بن رواد العسقلاني هذا وإن كان في الحديث ليّن لكن قُبِل منه التفسير ويروي عنه ابن أبي حاتم.

حدثنا آدَمُ يعني ابن أبي إياس الإمام رحمه الله وهو ثقة ثبت عابد صاحب " التفسير عن مجاهد " وصاحب كتاب " العلم والحلم" **عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ** عيسى بن مهان وهو في الحديث ليس بذلك ولكنه في باب التفسير محفوظ عنه. **عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ** وكذلك الربيع بن أنس البكري هذا في باب الحديث صدوق له أوهام ويهم كثيرًا لكنه في التفسير حفظ التفسير عن أبي العالية رحمه الله تبارك وتعالى لذلك هذه نسخة محفوظة التي اعتمدها ابن أبي حاتم.

(10) **حدثنا أَسْبَاطٌ** وهو ابن نصر طبعا فيه ضعف أسباط بن نصر لكن هنا في تفسير قُبل وأشار إلى هذا الإمام أحمد **عَنِ السدي** والسدي رجلان:

الأول: السدي الكبير عبد الرحمن بن أبي كريمة هو المقصود بذلك وهذا في التفسير مقبول وتفسيره أثنى عليه جماعة من السلف منهم إبراهيم النخعي قال: " **أَمَا إِنَّهُ يُفَسِّرُ تَفْسِيرَ الْقَوْمِ** ".

هنا إبراهيم النخاعي ماذا يقصد بالقوم؟ يقصد أصحاب ابن مسعود ، قلنا إبراهيم النخعي هو الذي روى تفسيرهم فهو يقصد بالمقارنة وهذا يؤكد لك على المسألة التي أشرت إليها من قبل وهي أنه التفسير يروى بالمعنى لذلك كان إبراهيم النخعي كما قال مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّخَعِيِّ، قَالَ: " **كُنْتُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، فَرَأَى السُّدِّيَّ، فَقَالَ: " أَمَا إِنَّهُ يُفَسِّرُ تَفْسِيرَ الْقَوْمِ**".

يقصد أن إبراهيم النخعي تفسير أصحاب عبد الله بن مسعود لأن إبراهيم النخعي نفسه روى عنه ابن أبي حاتم في التفسير يُروى عنه من طريق **المغيرة عن إبراهيم** كذا رواه الطبري ويُروى أيضا من طريق **عبد الرحمن عن سفيان عن المغيرة عن إبراهيم** ومن طريق أيضا **منصور بن المعتمر عن إبراهيم** رحمه الله تبارك وتعالى فإبراهيم النخعي تفسيره الذي نُقل عنه نسخة ويُروى عنه من طريقين مشهورين وهي نسخة مشهورة هذه النسخة التفسيرية التي رويت عن إبراهيم النخعي هي تفسير أصحاب عبد الله ابن مسعود ، إذا إبراهيم النخعي عنده نسخة محفوظة لمَّا سمع السدي يفسر وهو تفسير معاني هو لم يسمع من بن عباس ولا غيره لذلك لما قيل له أهل التفسير من أين لك هذا التفسير؟ هو يركب الأسانيد، ما معنى يركب أسانيد؟ يعني لم يدرك هؤلاء كلهم ولكن يروي عنهم بالمعاني فمن جهة السند فيه انقطاع مع أن أحمد في رواية قال: " **لا بأس به**".

يعني يُمرر في التفسير لكن ركز في كلمة ابن أبي حاتم لما قال: " **وَأَشْبَهِهَا مَتْنًا**" يعني اعتبار بالمعاني أن التفسير يُقبل فيه باب المنقطع إذا وافق المعاني فهنا يُتجاوز.

الثاني: السدي الصغير محمد بن مروان فهذا متروك ولا يحل رواية التفسير عنه وفيه تَشَيُّع وكذلك تفسير الكلبي هذا لا تحل روايته كما قال أحمد.

لكن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكبير هذا يفسر تفسيرًا القوم يقول إسماعيل بن أبي خالد: " **كَانَ السُّدِّيُّ أَعْلَمَ بِالْقُرْآنِ مِنَ الشَّعْبِيِّ**".

وقال الخليلي في الإرشاد في معرفة علماء الحديث (1 /398): " **لَكِنَّ التَّفْسِيرَ الَّذِي جَمَعَهُ رَوَاهُ عَنْهُ أَسْبَاطُ بْنِ نَصْرٍ ، وَأَسْبَاطُ لَمْ يَتَّفِقُوا عَلَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّ أَمْثَلَ التَّفَاسِيرِ تَفْسِيرُ السُّدِّيِّ**".

ويروى أيضا هذا التفسير من طريق **أحمد ابن مفضل حدثنا أسباط ابن نصر عن السدي** ويروى من طرق أخرى لذلك هذه النسخة مشهورة ورواها ابن أبي حاتم من طريق أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم ورواها من طرق أخرى هذه النسخة.

(11) مرات الربيع بن أنس لأنه طبقته غير عالية فيشير إليه بلا ذكر إسناد وهو أشار قال إذا كانت الطبقة عالية اسوقها بأصح إسناد وإذا جاء موافقًا ذكرته روي عن فلان.

الربيع بن أنس الذي يروي عن أبي العالية مضى معنا ، الربيع بن أنس روايته للتفسير وهنا أعطانا إشارة مهمة أن الربيع بن أنس مقامه مقام موافقة ليس مقام تفرد فهمت أعطاك فائدة هنا كذلك السدي وهؤلاء دائما يوافقون ، الاعتبار بالموافقة في أصحاب ابن عباس أعطيتك مثال: مجاهد هذا اعتبار الأصل تفسير مجاهد أصولا و جاء سعيد بن جبير الذي سميتهم لك من قبل هؤلاء رواة أصول النسخة الأولى الذين حافظوا على الألفاظ ودققوا فيها وفي ناس تروي المعاني مثل علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هذه صحيفة هو نعم لم يسمعها من ابن عباس قطعًا لكن عن أصحابه كما أشار إلى ذلك أبو حاتم في " المراسيل " وأشار إليه أحمد في رواية النسخة التي ذكرها النحاس في " الناسخ والمنسوخ" فهي نسخة بالمعاني بذلك الاعتبار فيها بما في الألفاظ يعني برواة الألفاظ كذلك جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ،الضحاك كما جاء عن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرَةَ قال: " قلت **لِلضَّحَّاكِ أَسَمِعْتَ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَا قُلْتُ فَهَذَا الَّذِي تَرْوِيهِ عَنْ مَنْ أَخَذْتَهُ قَالَ عَنْكَ وَعَنْ ذَا وَعَنْ ذَا**".

هو لم يلقى بن عباس لكن أخذ عن أصحابه كما قال أيضا عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرَةَ، قَالَ: " **الضَّحَّاكُ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ ابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّمَا لَقِيَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ بِالرَّيِّ فَسَمِعَ مِنْهُ التَّفْسِيرَ**".

لكن ممكن سماع معاني لم يسق الألفاظ قطعًا لأنه هو قال: " **عَنْ ذَا وَعَنْ ذَا**".

وأشار الثوري إلى أنه عالم بالتفسير متخصص في التفسير ولذلك درجة التخصص مهمة كان يقول: " **خُذُوا التَّفْسِيرَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَالضَّحَّاكِ**".

وابن عدي يقول الكامل في ضعفاء الرجل (5 /152): " **والضحاك بن مزاحم عرف بالتفسير فأما رواياته، عن ابن عباس وأبي هريرة وجميع من روى عنه ففي ذلك كله نظر، وإنَّما اشتهر بالتفسير**".

ولذلك مقام الربيع بن أنس وهذه تأخذها فائدة أنه ابن أبي حاتم إذا شخص يذكره في الموافقين معناها ان

هذا مقامه مقام موافقة والذي يذكره لك ابن أبي حاتم ويسوقه لك بالإسناد ابتداء في أحد الوجوه أو عند الاتفاق فهؤلاء هم الأصول يُعتمد على تفسيرهم ولذلك أنا قلت للإخوة يا جماعة عليكم بتفسير ابن أبي حاتم ليس القضية أنك والله ضعيف ليس هكذا أنت ما تفهم وممكن إن شاء الله في نهاية الدرس سأعطيكم نموذج عملي لهذا الكتاب رحم الله مصنفه رحمة واسعة فقد ملأ في جوامعه دررا تحتاج إلى بُزَّل من الرجال حتى يقفوا عليها ويكشفوا عنها لذلك هذه فائدة أنت بن أبي حاتم إذا ساق لك شخص بإسناد وقدمه في الوجه هذه رواية أصول وهي تشبه جماعة " الصحيح " البخاري إذا روى لشخص في الأصول غير الذي يَروي له في المتابعات مسلم أيضا إذا شخص روى له في الأصول غير الذي يروي له في المتابعات لأن الذي يُروى له في الأصول معناه هذا عمدة ، هذا الإنسان عمدة في ما يُروى فيه إما أن يكون عمدة في كل شيء وإما عمدة في الراوي الذي يروي عنه المهم أنه عمدة لذلك يُفرق العلماء ، ابن أبي حاتم كيف نعرف رواة التفسير الأصول؟ الذي يسوقهم لنا ابن أبي حاتم ابتداءً ثم إذا ذكر الموافقين هذا زيادة تأكيد خاصة في مقام الإجماع الذي يكون لفظ واحد لكن مرات يختلف المعاني ويكون أيضا مجمع عليه من باب اختلاف التنوع كما تقدم.

صحيفة الربيع ابن أنس رحمه الله تعالى وهي تُروى عنه من وجوه كثيرة وهذا تفسير الربيع بن انس بعضة أخذه عن أبي العالية وبعضهم لم يسمه الربيع واضح ويُروى عنه من طرق ساق ابن أبي حاتم أحد هذه الطرق.

(12)وهذا أحد الوجوه في هذه النسخة، طبعا يرواها من أكثر من طريق.

قوله **عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ** وهو أبو جعفر الرازي وهذا قد تقدم معنا وهذا في الحديث ليس بذاك ولكن في التفسير حفظت عنه هذه النسخة والطبري مرات يقول **حُدثت عن عمار بن حسين قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر** ويسوق الإسناد ومرات يرويها **عن محمد بن حميد حدثنا مهران** بنفس النسخة والنسخة مخرجها واحد ، مخرجها **عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس** هذا مخرج نسخة الربيع بن أنس وهي نسخة حسنة والمخرج فيها متعدد ولكنه واحد ومحفوظ عند العلماء مرات يقول عن أبي العالية الربيع بن أنس نفسه ومرات لا يذكره ، الذي يذكره عن أبي العالية أقرب إلى ألفاظ أبي العالية والذي لا يكون عن أبي العالية أقرب إلى معاني ما فُسر عن أبي العالية كذا هي القاعدة فالذي يروي بالمعاني يُنتبه له فقط في مقام الترجيح لأن هذا مهم جدا.

(13)مقاتل هما رجلان:

الأول: مقاتل ابن سليمان وهذا مُتكلم فيه حتى في عقيدته وتكلم فيه بشديد حتى بعضهم رماه بالكذب يعني نتكلم فيه من جهة الضبط والعدالة لكن تفسيره بعضهم مدحه من باب الإنصاف لكن تفسيره يُعد من التفسير بالمعنى ليس من رواة الألفاظ لذلك مرتبته تنزل هنا فهو تفسير معاني خاصة من جهة الألفاظ يعني يستفاد منه يعني عامة تفسيره جيد لكنه يروي بالمعنى.

الثاني: مقاتل بن حيان هذا الذي نتكلم عنه هذا مُقدم عليه في باب التفسير وهو صاحب نسخة ونسخته ثقة واسمه مقاتل ابن حيان النبطي أبو بسطان البلخي رحمه الله تعالى هذا كان متخصص في تفسير أي كان صاحب تفسير يروي عنه التفسير محمد بن مزاحم العامري الذي هو عندنا في الباب الآن **أبو وهب** وهو صدوق **ومحمد بن علي بن الحسن بن شقيق** هذا ثقة و**محمد بن الفضل بن موسى** هذا صدوق لذلك نسخته صدوق ويرويه ابن أبي حاتم مرات يقول حدثنا أبو زرعة هو يرويه من طريق **أبو زرعة حدثنا صفوان أخبرنا بكير بن معروف عن مقاتل** ومرات يرويها في تفسيره **عن محمد بن فضل بن موسى** هذا وصفوان هو بن صالح ابو عبد الملك هذا ثقة.

تنبيه: بكير بن معروف ضعيف في الحديث ثقة في التفسير لأنه متخصص صاحب تفسير أشار إلى هذا عبد الرحمن بن مهدي وغيره ولذلك تضعيفه إنما هو التضعيف في رواية المرفوع وقد اعتمد التفسير هذا تفسير مقاتل هذا اعتمده الشافعي في " **الأم** " رحمه الله تعالى وكفى به إمامه ولما سئل مقاتل عن التفسير قال: " **أَخَذْت هَذَا التَّفْسِيرَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ وَالضَّحَّاك**".

والشافعي أشار إلى هذا في " **الأم** " وبكير بن معروف كان قاضيًا سئل الإمام أحمد عنه فقال: " **لا بأس به**".

لعله يقصد باب التفسير وإلا هو مُتكلم في حفظه وأحمد تكلم في حفظه وهو الذي روى في المعية أنها العلم وله روايات في هذا الباب وهذا خلاصة ما ذكره المصنف رحمه الله.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصبحه أجمعين والحمد لله رب العالمين



التعليق على مقدمة تفسير أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري

الدرس الأول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ ت بالله من شرور أنفسنا وسيئات اعمالنا من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله المبعوث رحمة للعالمين اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى أله وصحبه ومن استن بسنته وهديه إلى يوم الدين أما بعد:

فإن أحسن الكلام كلام الله تبارك وتعالى وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

هذا إن شاء الله أُولى مجالسنا في قراءة مقدمة التفسير من جامع البيان لابن جرير الطبري نبدأ إن شاء الله تبارك وتعالى وهو الكتاب قبل الأخير معنا في الدورة إن شاء الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

قُرِئَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَجَبَتِ الْأَلْبَابَ بَدَائِعُ حِكَمِهِ، وَخَصَمَتِ الْعُقُولَ لَطَائِفُ حُجَجِهِ، وَقَطَعَتْ عُذْرَ الْمُلْحِدِينَ عَجَائِبُ صُنْعِهِ، وَهَتَفَ فِي أَسْمَاعِ الْعَالَمِينَ أَلْسُنُ أَدِلَّتِهِ، شَاهِدَةً أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الَّذِي لَا عِدْلَ لَهُ مُعَادِلٌ، وَلَا مِثْلَ لَهُ مُمَاثِلٌ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ مُظَاهِرٌ، وَلَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَلَا كُفُوًا أَحَدٌ، وَأَنَّهُ الْجَبَّارُ الَّذِي خَضَعَتْ لِجَبَرُوتِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَالْعَزِيزُ الَّذِي ذَلَّتْ لِعِزَّتِهِ الْمُلُوكُ الْأَعِزَّةُ، وَخَشَعَتْ لِمَهَابَةِ سَطْوَتِهِ ذَوُو الْمَهَابَةِ، وَأَذْعَنَ لَهُ جَمِيعُ الْخَلْقِ بِالطَّاعَةِ طَوْعًا وَكَرْهًا، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ} [الرعد: 15]. فَكُلُّ مَوْجُودٍ إِلَى وَحْدَانِيَّتِهِ دَاعٍ، وَكُلُّ مَحْسُوسٍ إِلَى رُبُوبِيَّتِهِ هَادٍ، بِمَا وَسَمَهُمْ بِهِ مِنْ آثَارِ الصَّنْعَةِ، مِنْ نَقْصٍ وَزِيَادَةٍ، وَعَجْزٍ وَحَاجَةٍ، وَتَصَرُّفٍ فِي

عَاهَاتٍ عَارِضَةٍ، وَمُقَارَنَةِ أَحْدَاثٍ لَازِمَةٍ، لِتَكُونَ لَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ. ثُمَّ أَرْدَفَ مَا شَهِدَتْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ أَدِلَّتُهُ، وَأَكَّدَ مَا اسْتَنَارَتْ فِي الْقُلُوبِ مِنْهُ بَهْجَتُهُ، بِرُسُلٍ ابْتَعَثَهُمْ إِلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، دُعَاةً إِلَى مَا اتَّضَحَتْ لَدَيْهِمْ صِحَّتُهُ، وَثَبَتَتْ فِي الْعُقُولِ حُجَّتُهُ؛ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: 165]، وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو النُّهَى وَالْحِلْمِ؛ فَأَمَدَّهُمْ بِعَوْنِهِ، وَأَبَانَهُمْ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ، بِمَا دَلَّ بِهِ عَلَى صِدْقِهِمْ مِنَ الْأَدِلَّةِ، وَأَيَّدَهُمْ بِهِ مِنَ الْحُجَجِ الْبَالِغَةِ، وَالْآيِ الْمُعْجِزَةِ؛ لِئَلَّا يَقُولَ الْقَائِلُ فِيهِمْ: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [المؤمنون: 33-34]. فَجَعَلَهُمْ سُفَرَاءَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَأُمَنَاءَهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَاخْتَصَّهُمْ بِفَضْلِهِ، وَاصْطَفَاهُمْ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِيمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ مَوَاهِبِهِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَرَامَاتِهِ، مَرَاتِبَ مُخْتَلِفَةً، وَمَنَازِلَ مُتَفَرِّقَةً، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، مُتَفَاضِلَاتٍ مُتَبَايِنَاتٍ، فَكَرَّمَ بَعْضَهُمْ بِالتَّكْلِيمِ وَالنَّجْوَى، وَأَيَّدَ بَعْضَهُمْ بِرُوحِ الْقُدُسِ، وَخَصَّهُ بِإِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَإِبْرَاءِ أُولِي الْعَاهَةِ وَالْعَمَى. وَفَضَّلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدَّرَجَاتِ بِالْعُلْيَا، وَمِنَ الْمَرَاتِبِ بِالْعُظْمَى، فَحَبَاهُ مِنْ أَقْسَامِ كَرَامَتِهِ بِالْقِسْمِ الْأَفْضَلِ، وَخَصَّهُ مِنْ دَرَجَاتِ النُّبُوَّةِ بِالْحَظِّ الْأَجْزَلِ، وَمِنَ الْأَتْبَاعِ وَالْأَصْحَابِ بِالنَّصِيبِ الْأَوْفَرِ. وَابْتَعَثَهُ بِالدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالرِّسَالَةِ الْعَامَّةِ، وَحَاطَهُ وَحِيدًا، وَعَصَمَهُ فَرِيدًا، مِنْ كُلِّ جَبَّارٍ عَانِدٍ، وَكُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، حَتَّى أَظْهَرَ بِهِ الدِّينَ، وَأَوْضَحَ بِهِ السَّبِيلَ، وَأَنْهَجَ بِهِ مَعَالِمَ الْحَقِّ، وَمَحَقَ بِهِ مَنَارَ الشِّرْكِ، وَزَهَقَ بِهِ الْبَاطِلُ، وَاضْمَحَلَّ بِهِ الضَّلَالُ وَخُدَعُ الشَّيْطَانِ، وَعِبَادَةُ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، مُؤَيَّدًا بِدَلَالَةٍ عَلَى الْأَيَّامِ بَاقِيَةٍ، وَعَلَى الدُّهُورِ وَالْأَزْمَانِ ثَابِتَةٍ، وَعَلَى مَمَرِّ الشُّهُورِ وَالسِّنِينَ دَائِمَةٍ، يَزْدَادُ ضِيَاؤُهَا عَلَى كَرِّ الدُّهُورِ إِشْرَاقًا، وَعَلَى مَرِّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ائْتِلَاقًا، تَخْصِيصًا مِنَ اللَّهِ لَهُ بِهَا، دُونَ سَائِرِ رُسُلِهِ، الَّذِينَ قَهَرَتْهُمُ الْجَبَابِرَةُ، وَاسْتَذَلَّتْهُمُ الْأُمَمُ الْفَاجِرَةُ، فَعَفَتْ بَعْدَهُمْ مِنْهُمُ الْآثَارُ، وَأَخْمَلَتْ ذِكْرَهُمُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، وَدُونَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُرْسَلًا إِلَى أُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ، وَخَاصَّةٍ دُونَ عَامَّةٍ، وَجَمَاعَةٍ دُونَ كَافَّةٍ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَرَّمَنَا بِتَصْدِيقِهِ، وَشَرَّفَنَا بِاتِّبَاعِهِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الْإِقْرَارِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَبِمَا دَعَا إِلَيْهِ وَجَاءَ بِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَزْكَى صَلَوَاتِهِ، وَأَفْضَلَ سَلَامِهِ، وَأَتَمَّ تَحِيَّاتِهِ. (1)

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مِنْ جَسِيمِ مَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ أُمَّةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَضِيلَةِ، وَشَرَّفَهُمْ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ مِنَ الْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ، وَحَبَاهُمْ بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ السَّنِيَّةِ، حِفْظَهُ مَا حَفِظَ جَلَّ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ وَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ عَلَى حَقِيقَةِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَلَالَةً، وَعَلَى مَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْكَرَامَةِ عَلَامَةً وَاضِحَةً، وَحُجَّةً بَالِغَةً، أَبَانَهُ بِهِ مِنْ كُلِّ كَاذِبٍ وَمُفْتَرٍ، وَفَصَلَ بِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كُلِّ جَاحِدٍ وَمُلْحِدٍ، وَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كُلِّ كَافِرٍ وَمُشْرِكٍ، الَّذِي لَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا، مِنْ جِنِّهَا وَإِنْسِهَا، وَصَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، لَمْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا. فَجَعَلَهُ لَهُمْ فِي دُجَى الظُّلَمِ نُورًا سَاطِعًا، وَفِي سَدَفِ الشُّبَهِ شِهَابًا لَامِعًا، وَفِي مَضَلَّةِ الْمَسَالِكِ دَلِيلًا هَادِيًا، وَإِلَى سُبُلِ النَّجَاةِ وَالْحَقِّ حَادِيًا، ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: 16]. حَرَسَهُ بِعَيْنٍ مِنْهُ لَا تَنَامُ، وَحَاطَهُ بِرُكْنٍ مِنْهُ لَا يُضَامُ، لَا تَهِي عَلَى الْأَيَّامِ دَعَائِمُهُ، وَلَا تَبِيدُ عَلَى طُولِ الْأَزْمَانِ مَعَالِمُهُ، وَلَا يَجُورُ عَنْ قَصْدِ الْمَحَجَّةِ تَابِعُهُ، وَلَا يَضِلُّ عَنْ سُبُلِ الْهُدَى مُصَاحِبُهُ. مَنِ اتَّبَعَهُ فَازَ وَهُدَى، وَمَنْ حَادَ عَنْهُ ضَلَّ وَغَوَى. فَهُوَ مَوْئِلُهُمُ الَّذِي إِلَيْهِ عِنْدَ الِاخْتِلَافِ يَئِلُونَ، وَمَعْقِلُهُمُ الَّذِي إِلَيْهِ فِي النَّوَازِلِ يَعْتَقِلُونَ، وَحِصْنُهُمُ الَّذِي بِهِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ يَتَحَصَّنُونَ، وَحِكْمَةُ رَبِّهِمُ الَّتِي إِلَيْهَا يَحْتَكِمُونَ، وَفَصْلُ قَضَائِهِ بَيْنَهُمُ الَّذِي إِلَيْهِ يَنْتَهُونَ، وَعَنِ الرِّضَا بِهِ يَصْدُرُونَ، وَحَبْلُهُ الَّذِي بِالتَّمَسُّكِ بِهِ مِنَ الْهَلَكَةِ يَعْتَصِمُونَ. اللَّهُمَّ فَوَفِّقْنَا لِإِصَابَةِ صَوَابِ الْقَوْلِ فِي مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَعَامِّهِ وَخَاصِّهِ، وَمُجْمَلِهِ وَمُفَسَّرِهِ، وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَتَأْوِيلِ آيِهِ، وَتَفْسِيرِ مُشْكِلِهِ، وَأَلْهِمْنَا التَّمَسُّكَ بِهِ، وَالِاعْتِصَامَ بِمُحْكَمِهِ، وَالثَّبَاتَ عَلَى التَّسْلِيمِ لِمُتَشَابِهِهِ، وَأَوْزِعْنَا الشُّكْرَ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ حِفْظِهِ، وَالْعِلْمِ بِحُدُودِهِ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، قَرِيبُ الْإِجَابَةِ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، أَنَّ أَحَقَّ مَا صُرِفَتْ إِلَى عِلْمِهِ الْعِنَايَةُ، وَبَلَغَتْ فِي مَعْرِفَتِهِ الْغَايَةُ، مَا كَانَ لِلَّهِ فِي الْعِلْمِ بِهِ رِضًا، وَلِلْعَالِمِ بِهِ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ هُدًى، وَأَنَّ أَجْمَعَ ذَلِكَ لِبَاغِيهِ، كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ، وَتَنْزِيلُهُ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ، الْفَائِزُ بِجَزِيلِ الذُّخْرِ وَسَنَى الْأَجْرِ تَالِيهِ،

الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ. وَنَحْنُ فِي شَرْحِ تَأْوِيلِهِ، وَبَيَانِ مَا فِيهِ مِنْ مَعَانِيهِ ـ: مُنْشِئُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ - كِتَابًا مُسْتَوْعِبًا لِكُلِّ مَا بِالنَّاسِ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ عِلْمِهِ جَامِعًا، وَمِنْ سَائِرِ الْكُتُبِ غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ كَافِيًا، وَمُخْبِرُونَ فِي كُلِّ ذَلِكَ بِمَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنَ اتِّفَاقِ الْحُجَّةِ فِيمَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، وَاخْتِلَافِهَا فِيمَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ مِنْهُ، وَمُبَيِّنُو عِلَلِ كُلِّ مَذْهَبٍ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ، وَمُوَضِّحُو الصَّحِيحِ لَدَيْنَا مِنْ ذَلِكَ، بِأَوْجَزِ مَا أَمْكَنَ مِنَ الْإِيجَازِ فِي ذَلِكَ، وَأَخْصَرِ مَا أَمْكَنَ مِنَ الِاخْتِصَارِ فِيهِ. وَاللَّهَ نَسْأَلُ عَوْنَهُ وَتَوْفِيقَهُ لِمَا يُقَرِّبُ مِنْ مَحَابِّهِ، وَيُبْعِدُ مِنْ مَسَاخِطِهِ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى صَفْوَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيراً.

وَإِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ مِنَ الْقِيلِ فِي ذَلِكَ، الْإِبَانَةُ عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي الْبِدَايَةُ بِهَا أَوْلَى، وَتَقْدِيمُهَا قَبْلَ مَا عَدَاهَا أَحْرَى، وَذَلِكَ الْبَيَانُ عَمَّا فِي آيِ الْقُرْآنِ مِنَ الْمَعَانِي، الَّتِي مِنْ قِبَلِهَا يَدْخُلُ اللَّبْسُ عَلَى مَنْ لَمْ يُعَانِ رِيَاضَةَ الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَمْ تَسْتَحْكِمْ مَعْرِفَتُهُ بِتَصَارِيفِ وُجُوهِ مَنْطِقِ الْأَلْسُنِ السَّلِيقِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ.[2]

الْقَوْلُ فِي الْبَيَانِ عَنِ اتِّفَاقِ مَعَانِي آيِ الْقُرْآنِ وَمَعَانِي مَنْطِقِ مَنْ نَزَلَ بِلِسَانِهِ مِنْ وَجْهِ الْبَيَانِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ هُوَ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، مَعَ الْإِبَانَةِ عَنْ فَضْلِ الْمَعْنَى الَّذِي بِهِ بَايَنَ الْقُرْآنُ سَائِرَ الْكَلَامِ:[3]

قال أبو جعفر: إِنَّ مِنْ عَظِيمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَجَسِيمِ مِنَنِهِ عَلَى خَلْقِهِ، مَا مَنَحَهُمْ مِنْ فَضْلِ الْبَيَانِ، الَّذِي بِهِ عَنْ ضَمَائِرِ صُدُورِهِمْ يُبِينُونَ، وَبِهِ عَلَى عَزَائِمِ نُفُوسِهِمْ يَدُلُّونَ، فَذَلَّلَ بِهِ مِنْهُمُ الْأَلْسُنَ، وَسَهَّلَ بِهِ عَلَيْهِمُ الْمُسْتَصْعَبَ، فَبِهِ إِيَّاهُ يُوَحِّدُونَ، وَإِيَّاهُ بِهِ يُسَبِّحُونَ وَيُقَدِّسُونَ، وَإِلَى حَاجَاتِهِمْ بِهِ يَتَوَصَّلُونَ، وَبِهِ بَيْنَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ، فَيَتَعَارَفُونَ وَيَتَعَامَلُونَ[4] ثُمَّ جَعَلَهُمْ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيمَا مَنَحَهُمْ مِنْ ذَلِكَ طَبَقَاتٍ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ[5]، فَبَيْنَ خَطِيبٍ مُسْهِبٍ، وَذَلِقِ اللِّسَانِ مُهَذَّبٍ، وَمُفْحَمٍ عَنْ نَفْسِهِ لَا يُبِينُ، وَعَيٍّ عَنْ ضَمِيرِ قَلْبِهِ لَا يُعَبِّرُ، وَجَعَلَ أَعْلَاهُمْ فِيهِ رُتْبَةً، وَأَرْفَعَهُمْ فِيهِ دَرَجَةً، أَبْلَغَهُمْ فِيمَا أَرَادَ بِهِ بَلَاغًا، وَأَبْيَنَهُمْ عَنْ نَفْسِهِ بِهِ بَيَانًا. ثُمَّ عَرَّفَهُمْ فِي تَنْزِيلِهِ، وَمُحْكَمِ آيِ كِتَابِهِ، فَضْلَ مَا حَبَاهُمْ بِهِ مِنَ الْبَيَانِ، عَلَى مَنْ فَضَّلَهُمْ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ ذِي الْبَكَمِ وَالْمُسْتَعْجِمِ اللِّسَانِ؛ فَقَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ: { أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ

مُبِينٍ} [الزخرف: 18]. فَقَدْ وَضَحَ إِذَنْ لِذَوِي الْأَفْهَامِ، وَتَبَيَّنَ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، أَنَّ فَضْلَ أَهْلِ الْبَيَانِ عَلَى أَهْلِ الْبَكَمِ وَالْمُسْتَعْجِمِ اللِّسَانِ، بِفَضْلِ اقْتِدَارِ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ عَلَى إِبَانَةِ مَا أَرَادَ إِبَانَتَهُ عَنْ نَفْسِهِ بِبَيَانِهِ، وَاسْتِعْجَامِ لِسَانِ هَذَا عَمَّا حَاوَلَ إِبَانَتَهُ بِلِسَانِهِ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ الْمَعْنَى الَّذِي بِهِ بَايَنَ الْفَاضِلُ الْمَفْضُولَ فِي ذَلِكَ فَصَارَ بِهِ فَاضِلًا، وَالْآخَرُ مَفْضُولًا، هُوَ مَا وَصَفْنَا مِنْ فَضْلِ إِبَانَةِ ذِي الْبَيَانِ، عَمَّا قَصَّرَ عَنْهُ الْمُسْتَعْجِمُ اللِّسَانِ، وَكَانَ ذَلِكَ مُخْتَلِفَ الْأَقْدَارِ، مُتَفَاوِتَ الْغَايَاتِ وَالنِّهَايَاتِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ أَعْلَى مَنَازِلِ الْبَيَانِ دَرَجَةً، وَأَسْنَى مَرَاتِبِهِ مَرْتَبَةً، أَبْلَغُهُ فِي حَاجَةِ الْمُبِينِ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَبْيَنُهُ عَنْ مُرَادِ قَائِلِهِ، وَأَقْرَبُهُ مِنْ فَهْمِ سَامِعِهِ. فَإِنْ تَجَاوَزَ ذَلِكَ الْمِقْدَارَ، وَارْتَفَعَ عَنْ وُسْعِ الْأَنَامِ، وَعَجَزَ عَنْ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ جَمِيعُ الْعِبَادِ؛ كَانَ حُجَّةً وَعَلَمًا لِرُسُلِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، كَمَا كَانَ حُجَّةً وَعَلَمًا لَهَا إِحْيَاءُ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءُ الْأَبْرَصِ وَذَوِي الْعَمَى، بِارْتِفَاعِ ذَلِكَ عَنْ مَقَادِيرِ أَعْلَى مَنَازِلِ طِبِّ الْمُتَطَبِّبِينَ، وَأَرْفَعِ مَرَاتِبِ عِلَاجِ الْمُعَالِجِينَ، إِلَى مَا يَعْجِزُ عَنْهُ جَمِيعُ الْعَالَمِينَ. وَكَالَّذِي كَانَ لَهَا حُجَّةً وَعَلَمًا قَطْعُ مَسَافَةِ شَهْرَيْنِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ، بِارْتِفَاعِ ذَلِكَ عَنْ وُسْعِ الْأَنَامِ، وَتَعَذُّرِ مِثْلِهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى قَطْعِ الْقَلِيلِ مِنَ الْمَسَافَةِ قَادِرِينَ، وَلِلْيَسِيرِ مِنْهُ فَاعِلِينَ.(6)

فَإِذَا كَانَ مَا وَصَفْنَا مِنْ ذَلِكَ كَالَّذِي وَصَفْنَا، فَبَيِّنٌ أَنْ لَا بَيَانَ أَبْيَنُ، وَلَا حِكْمَةَ أَبْلَغُ، وَلَا مَنْطِقَ أَعْلَى، وَلَا كَلَامَ أَشْرَفُ، مِنْ بَيَانٍ وَمَنْطِقٍ تَحَدَّى بِهِ امْرُؤٌ قَوْمًا، فِي زَمَانٍ هُمْ فِيهِ رُؤَسَاءُ صِنَاعَةِ الْخُطَبِ وَالْبَلَاغَةِ، وَقِيلِ الشِّعْرِ وَالْفَصَاحَةِ، وَالسَّجْعِ وَالْكَهَانَةِ، كُلَّ خَطِيبٍ مِنْهُمْ وَبَلِيغٍ، وَشَاعِرٍ مِنْهُمْ وَفَصِيحٍ، وَكُلَّ ذِي سَجْعٍ وَكَهَانَةٍ. فَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ، وَقَصَّرَ مَعْقُولَهُمْ، وَتَبَرَّأَ مِنْ دِينِهِمْ، وَدَعَا جَمِيعَهُمْ إِلَى اتِّبَاعِهِ، وَالْقَبُولِ مِنْهُ، وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِأَنَّهُ رَسُولٌ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ. وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ دَلَالَتَهُ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِهِ، وَحُجَّتَهُ عَلَى حَقِيقَةِ نُبُوَّتِهِ، مَا أَتَاهُمْ بِهِ مِنَ الْبَيَانِ وَالْحِكْمَةِ وَالْفُرْقَانِ، بِلِسَانٍ مِثْلِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَمَنْطِقٍ مُوَافِقَةٍ مَعَانِيهِ مَعَانِيَ مَنْطِقِهِمْ. ثُمَّ أَنْبَأَ جَمِيعَهُمْ أَنَّهُمْ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ بَعْضِهِ عَجَزَةٌ، وَمِنَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ نَقَصَةٌ، فَأَقَرَّ جَمِيعُهُمْ بِالْعَجْزِ، وَأَذْعَنُوا لَهُ بِالتَّصْدِيقِ، وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالنَّقْصِ(7)، إِلَّا مَنْ تَجَاهَلَ مِنْهُمْ وَتَعَامَى، وَاسْتَكْبَرَ وَتَعَاشَى، فَحَاوَلَ تَكَلُّفَ مَا قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ عَنْهُ عَاجِزٌ، وَرَامَ مَا قَدْ تَيَقَّنَ أَنَّهُ عَلَيْهِ غَيْرُ قَادِرٍ، فَأَبْدَى مِنْ ضَعْفِ

عَقْلِهِ مَا كَانَ مَسْتُورًا، وَمِنْ عِيٍّ لِسَانِهِ مَا كَانَ مَصُونًا، فَأَتَى بِمَا لَا يَعْجِزُ عَنْهُ الضَّعِيفُ الْأَخْرَقُ، وَالْجَاهِلُ الْأَحْمَقُ، فَقَالَ: وَالطَّاحِنَاتِ طَحْنًا، وَالْعَاجِنَاتِ عَجْنًا، فَالْخَابِزَاتِ خَبْزًا، وَالثَّارِدَاتِ ثَرْدًا، وَاللَّاقِمَاتِ لَقْمًا وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْحَمَاقَاتِ الْمُشْبِهَةِ دَعْوَاهُ الْكَاذِبَةَ. (8)

فَإِذَا كَانَ تَفَاضُلُ مَرَاتِبِ الْبَيَانِ، وَتَبَايُنُ مَنَازِلِ دَرَجَاتِ الْكَلَامِ، بِمَا وَصَفْنَا قَبْلُ، وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ أَحْكَمَ الْحُكَمَاءِ، وَأَحْلَمَ الْحُلَمَاءِ؛ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ أَبْيَنَ الْبَيَانِ بَيَانُهُ، وَأَفْضَلَ الْكَلَامِ كَلَامُهُ، وَأَنَّ قَدْرَ فَضْلِ بَيَانِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ عَلَى بَيَانِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، كَفَضْلِهِ عَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ. فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ غَيْرَ مُبِينٍ مِنَّا عَنْ نَفْسِهِ مَنْ خَاطَبَ غَيْرَهُ بِمَا لَا يَفْهَمُهُ عَنْهُ الْمُخَاطَبُ؛ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُخَاطِبَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا بِمَا يَفْهَمُهُ الْمُخَاطَبُ، وَلَا يُرْسِلُ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ رَسُولًا بِرِسَالَةٍ إِلَّا بِلِسَانٍ وَبَيَانٍ يَفْهَمُهُ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْمُخَاطَبَ وَالْمُرْسَلَ إِلَيْهِ إِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَا خُوطِبَ بِهِ وَأُرْسِلَ بِهِ إِلَيْهِ، فَحَالُهُ قَبْلَ الْخِطَابِ وَقَبْلَ مَجِيءِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِ وَبَعْدَهُ سَوَاءٌ، إِذْ لَمْ يُفِدْهُ الْخِطَابُ وَالرِّسَالَةُ شَيْئًا كَانَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ جَاهِلًا، وَاللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ يَتَعَالَى عَنْ أَنْ يُخَاطِبَ خِطَابًا أَوْ يُرْسِلَ رِسَالَةً لَا تُوجِبُ فَائِدَةً لِمَنْ خُوطِبَ أَوْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ فِينَا مِنْ فِعْلِ أَهْلِ النَّقْصِ وَالْعَبَثِ، وَاللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ مُتَعَالٍ، وَلِذَلِكَ قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [إبراهيم: 04]، وَقَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [النحل: 64]. فَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَكُونَ بِهِ مُهْتَدِيًا مَنْ كَانَ بِمَا يُهْدَى إِلَيْهِ جَاهِلًا(9)، فَقَدْ تَبَيَّنَ إِذًا بِمَا عَلَيْهِ دَلَّلْنَا مِنَ الدَّلَالَةِ أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ لِلَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، أَرْسَلَهُ إِلَى قَوْمٍ، فَإِنَّمَا أَرْسَلَهُ بِلِسَانِ مَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ، وَكُلَّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيٍّ، وَرِسَالَةٍ أَرْسَلَهَا إِلَى أُمَّةٍ، فَإِنَّمَا أَنْزَلَهُ لَهُ بِلِسَانِ مَنْ أَنْزَلَهُ أَوْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ. وَاتَّضَحَ بِمَا قُلْنَا وَوَصَفْنَا أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَإِذَا كَانَ لِسَانُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَبِيًّا، فَبَيِّنٌ أَنَّ الْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ، وَبِذَلِكَ أَيْضًا نَطَقَ مُحْكَمُ تَنْزِيلِ رَبِّنَا، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف: 2]، وَقَالَ: ﴿

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: 192 - 195].

وَإِذَا كَانَتْ وَاضِحَةً صِحَّةُ مَا قُلْنَا، بِمَا عَلَيْهِ اسْتَشْهَدْنَا مِنَ الشَّوَاهِدِ وَدَلَّلْنَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّلَائِلِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ تَكُونَ مَعَانِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَعَانِي كَلَامِ الْعَرَبِ مُوَافِقَةً، وَظَاهِرُهُ لِظَاهِرِ كَلَامِهَا مُلَائِمًا، وَإِنْ بَايَنَهُ كِتَابُ اللَّهِ بِالْفَضِيلَةِ الَّتِي فَضَلَ بِهَا سَائِرَ الْكَلَامِ وَالْبَيَانِ بِمَا قَدْ تَقَدَّمَ وَصْفُنَا. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ فَبَيِّنٌ - إِذْ كَانَ مَوْجُودًا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْإِيجَازُ وَالِاخْتِصَارُ[10]، وَالِاجْتِزَاءُ بِالْإِخْفَاءِ مِنَ الْإِظْهَارِ، وَبِالْقِلَّةِ مِنَ الْإِكْثَارِ، فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، وَاسْتِعْمَالُ الْإِطَالَةِ وَالْإِكْثَارِ، وَالتَّرْدَادِ وَالتَّكْرَارِ، وَإِظْهَارُ الْمَعَانِي بِالْأَسْمَاءِ دُونَ الْكِنَايَةِ عَنْهَا، وَالْإِسْرَارُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَالْخَبَرُ عَنِ الْخَاصِّ فِي الْمُرَادِ بِالْعَامِّ الظَّاهِرِ، وَعَنِ الْعَامِّ فِي الْمُرَادِ بِالْخَاصِّ الظَّاهِرِ، وَعَنِ الْكِنَايَةِ وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْمُصَرَّحُ، وَعَنِ الصِّفَةِ وَالْمُرَادُ الْمَوْصُوفُ، وَعَنِ الْمَوْصُوفِ وَالْمُرَادُ الصِّفَةُ، وَتَقْدِيمُ مَا هُوَ فِي الْمَعْنَى مُؤَخَّرٌ، وَتَأْخِيرُ مَا هُوَ فِي الْمَعْنَى مُقَدَّمٌ، وَالِاكْتِفَاءُ بِبَعْضٍ مِنْ بَعْضٍ، وَبِمَا يَظْهَرُ عَمَّا يُحْذَفُ، وَإِظْهَارُ مَا حَظُّهُ الْحَذْفُ - أَنْ يَكُونَ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ فِي كُلِّ ذَلِكَ لَهُ نَظِيرًا، وَلَهُ مِثْلًا وَشَبِيهًا. وَنَحْنُ مُبَيِّنُو جَمِيعِ ذَلِكَ فِي أَمَاكِنِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ، وَأَمُدُّهُ مِنْهُ بِعَوْنٍ وَقُوَّةٍ.[11]

التعليق:

[1] بالنسبة لهذه المقدمة التي هي افتتاح لما سيذكره المؤلف فإنه قد ذكر أمرين مهمين في مسالة قيام الحجة:

ذكر ما أقامه الله رب العالمين من حجج على عباده فيما هو من الآيات الأفقية والتي يتأملونها في أنفسهم وفيما حولهم قال الله عزوجل ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: 53] الآيات الآفاقية هي السماوات والأرض لذلك رب العزة والجلالة أمرنا بالنظر والنظر عند أهل السنة والجماعة غير النظر عند المتكلمين فالنظر عند المتكلمين هو النظر في أدلة مبتدعة لتحصيل شيء ضروري في النفس الذي هو وجود الله ووجود الله

تعالى أمر فطري عند أهل السنة والجماعة ضروري في نفس كل عبد إلا من انحرفت فطرته وانصرف عن هذا الذي هو موجود في نفس كل مسلم وكافر ألا وهو وجود الله ، أما النظر عند أهل السنة فهو النظر فيما أمر الله بالنظر إليه إما في الكون وإما في آية كونية أو آية شرعية ، ثم هذا المحصل والمطلوب يكون لزيادة الإيمان بالنسبة لأهل التوحيد وأهل اليقين يكون زيادة في الإيمان لذلك أبو الدرداء رضي الله عنه كان أكثر عبادته التفكر قال ربنا عزوجل { إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ } [آل عمران: 190 - 191] ثم هذا النظر ليس عرفاني مجرد بل هو للاستقامة على أمره سبحانه وتعالى ، أما بالنسبة للكافر فهو مدعو للنظر الذي في القرآن هو ليعلم أن الله هو المستحق وحده للعبادة ليس لتحصيل وجوده لأنه ما في كافر في عموم المشركين إلا شرذمة قليلون عمومهم كانوا مُسَلِّمُون في وجود الله ولكن كانت أصل الخصومة في إفراد الله سبحانه بالعبادة وحده لا شريك له لذلك دعوا إلى النظر قال ربنا { وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ } [يوسف: 105 - 106] أي بالربوبية كما قال مجاهد وغيره من خلق الجبل يقول الله هذه معرفة ، معرفة الوجود وأفعال والربوبية { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ} أي في عبادته.

إذا حجة النظر في الآيات الأفقية والآيات النفسية { وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: 21] هذه مسقطة للعذر وموجبة لاسم الشرك قبل الرسل وبعد الرسل هذا عند أهل السنة والجماعة وتجعل صاحبها مستحق للعقوبة والعذاب ، يعني الله تبارك وتعالى ما أقامه من حجج كما يقول هنا: " **وَخَصَمَتِ الْعُقُولَ لَطَائِفُ حُجَجِهِ، وَقَطَعَتْ عُذْرَ الْمُلْحِدِينَ عَجَائِبُ صُنْعِهِ، وَهَتَفَ فِي أَسْمَاعِ الْعَالَمِينَ أَلْسُنُ أَدِلَّتِهِ**".

يعني أمر ظاهر توحيده سبحانه وبحمده لا إله إلا هو ولا رب سواه هذا يوجب هذه أي المعرض عن هذه الآيات والمعرض عن هذه الحجج الباهرة وهي بعد حجة الميثاق وأن العبد يولد على الفطرة الذي هو شاهد الميثاق ثم حجج العقول بما رَكَّبَ الله عزو جل في العبد من عقل يميز ويفكر هذه كلها موجبة لقطع العذر يعني لو فعل الشرك مشرك فيوصف بالشرك قبل الرسل وبعد الرسل ويستحق العذاب والمقت من الله عز وجل ينزل به مقت الله وغضبه لذلك قال صلى الله عليه وسلم في حديث عياض بن حمار

المجاشعي: " إِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ، عَجَمِيَّهُمْ وَعَرَبِيَّهُمْ - هذا كان في الجاهلية قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم - إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ".

الله رب العالمين سبحانه والحجة الثانية التي ذكرها المؤلف هي حجة الرسل رب العالمين سبحانه كما ذكرنا العبد مستحق للعذاب لكن الله من لطيف بره بالخلق وواسع رحمته بهم ومزيد فضله عليهم أرسل رسلا وأنزل كتبا بين يدي العذاب لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: " فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ". أي في عذاب سيأتي ، سينزل والرسل كلهم كذلك فقوم نوح لما فعلوا ما فعلوا مشركون استحقوا العذاب مذمومون وممقوتون ومقبحون ومغضوب عليهم لكن الله عز وجل وهذا كما قال عليه الصلاة والسلام: " لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ ".

وهذا العذر هو مزيد فضل منه سبحانه على عباده أنه أرسل رسلا تذكر { فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ } [الغاشية: 21] فجاءت الرسل بين يدي العذاب فمن أجاب المرسلين نجى ومن كذبهم ممن سبق في علم الله تعالى شقوته عذب وظهر فيه علم الله تعالى في شقوته فلذلك المنصف هنا ذكر حجتين حجة بالعموم أشار إلى أدلة الصنعة والخلق والسماوات والأرض ونحو ذلك ، طبعا هو بسط ذلك في كتاب له اسمه " المعالم في تبصير الدين" والطبري في هذا الكتاب تكلم عن مسائل كثيرة منها هذه المسألة وفي مجمل ما ذكر الطبري في هذه المسألة في مجمل ما ذكر ، ذكر كلاما في مجمله جيد بنسبة لقضية تثبيت إسقاط إعذار على المخالف في أصل الدين أو أصل الملة أو في معرفة الله وتوحيده إذا كان مخطأ غير معاندا كما قيده الجاحظ في استحقاق العذاب أن العذاب لا ينزل إلا بالمعاند وقد رد ابن جرير في تفسيره في مواضع على الجاحظ على بدعته كما في أوائل سورة البقرة وسورة الأعراف وسورة الكهف ردا عليه وغيره رد عليه بن منده وهؤلاء يعني بدعة الجاحظ بدعة حتى المعتزلة ردوها عليه وهي تقيد العذاب بالمعاند ، اليوم غلاة المرجئة جعلوا تقيد العذاب أو تقيد التكفير بالمعاند ليس العذاب فقط لا تقيد التكفير يقولون لا يسمى كافرا حتى يعاند وهذا والعياذ بالله قول باطل لذلك الطبري في " المعالم في تبصير الدين" في هذه المسألة بالتحديد إجمالا ذكر كلاما جيد في قضية إسقاط الإعذار وأن العذاب لا يختص بالمجتهد المعاند إلا أنه في الكتاب وقع في أشياء من تخليطه في مسائل اللفظ وإثباته الصفات على طريقة متكلفة من قوله مثلا إثبات كذا من غير جوارح من غير أعضاء مع أن بعض الكلام قد يكون حق في نفيه لكن السلف لا يثبتون هكذا هذه لا تعرف عند السلف في أمهات كتب العقيدة إذا أثبتوا الصفات نفوا أو استحضروا المحذورات وهذه المنفيات وخلط في مسألة اللفظ وكذلك في تفسيره اضطرب في مسألة

الكرسي ونحو ذلك فحقيقة هو في عموم حاله ليس على التحقيق وقد ظهر ذلك في مسألة اللفظ أنه خلط فيها تخليطا عجيبا وفصَّل تفصيل الجهمية في مسألة اللفظ يعني في قضية أن لفظي بمعنى التلفظ وفعل العبد مخلوق هذا التفصيل ذهني ورددنا عليه كثيرا ورده الأئمة رحمهم الله تعالى ولم يقبلوه من قائله سواء كتفصيل بين اللفظ والملفوظ والتلاوة والمتلو أو كتبرير وتعليل أن المراد بالتلاوة فعل العبد وبالمتلو القرآن فلم يقبلوا منه الأئمة رحمهم الله تبارك وتعالى وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى لذلك حتى أنه في كتاب له لم يذكر أحمد في الفقهاء وهذه كانت أيضا زيادة إلى شذوذاته أنه كان يعتبر الإمام أحمد ليس فقيها وعجيب ولذلك لما قال هذه الكلمة يذكر أنه أبو العباس بن سريج الفقيه الشافعي من أصحاب الوجوه في مذهب الإمام الشافعي في طبقة أصحاب الأصحاب وما بعدهم قال فخاضوا مرة محمد بن جرير الطبري ذكروه وقد كان له محنة مع الحنابلة وأنه لم يدخل الإمام أحمد في كتابه الذي ألفه كتاب هذا ما طبع منه أجزاء ألَّف كتاب أسماه " إختلاف الفقهاء " فلم يذكر الإمام أحمد بن حنبل مع أنه ذكر أبا حنيفة سبحان الله! فقالوا له لماذا لم تذكر أحمد؟ قال أحمد ليس فقيها أنما هو محدث فأبو العباس بن سريج لما سمع هذه الكلمة وهو رجل مختص بالفقه ومن أصحاب مذهب الشافعي فقال كلمة فقال: " وَهَلْ أُصُولُ الْفِقْهِ إِلَّا مَا كَانَ يُحْسِنُهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؟! ".

أنت الآن تقول أحمد ليس فقيه بأي حجة بأي برهان مثلا أصول الفقه يعني أدلة الفقه وأصول الاستنباط التي على طريقة السلف في دراية آيات الأحكام وما قيل فيها من أثر وأحاديث الأحكام وما يعرف صحيحها من سقيمها ودلالاتها واستنباطاتها وكذلك محل الإجماع والأثار الصحابية ، هذه أحمد كان مقدم فيها رحمه الله إمام فيها فلذلك قال: " وَهَلْ أُصُولُ الْفِقْهِ إِلَّا مَا كَانَ يُحْسِنُهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؟ حِفْظُ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالْمَعْرِفَةُ بِسُنَّتِه ، وَاخْتِلَافُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ - رَضِيَ اللَّهُ تعالَى عَنْهُمْ - ".

يعني هذا كان من جملة تخليطاته ، المهم الشاهد في هذه المقدمة ذكر الحجتين وسيذكر هنا هذا التمهيد لمسالة حجة القرءان وحجة القرءان حجة بالغة يعني من الحجج الباغة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في بيان هذه الحجة العظيمة التي أوتيها صلوات ربي وسلامه عليه كما جاء في " صحيح " البخاري من حديث أبي هريرة قال: " مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

فهذا حجة القرآن ولذلك قال في حديث عياض بن حمار في ذكر هذه الحجة قال: " وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ - يعني أنه لا يتفلت وإن محي من السطور فهو محفوظ في الصدور -، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ".

قد يسأل سائل وهذه سنأتي عليها إن شاء الله تعالى قد يسأل سائل وهذه من الشبه التي أطلقها النصارى قديما ورددها المستشرقون وأعداء الملة وهي كيف يقال وهذه نذكرها أن القرآن نزل بلسان عربي مبين ثم بعد ذلك قامت الحجة على العرب وعلى العجم لأن ربنا سبحانه وتعالى قال { وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ } [الأنعام:19] أي بلغه القرآن فهو داع له ونذير كما قال بن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم ، طبعا { وَمَنۢ بَلَغَ ۚ } بعض السلف فسرها بالأعاجم يعني { وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ } إنذار للعرب كما قال الله عز وجل { لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا } [الشورى:7] طيب كيف قامت الحجة على العجم؟ قال { وَمَنۢ بَلَغَ ۚ } فالنصارى قديما كانوا ألقوا شبهة ويكررها كثيرا أعداء الملة يقولون القرآن عربي وعربية القرآن مجمع بين المسلمين كما هو صريح القرآن { بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ } [الشعراء:195] وكيف قامت الحجة على العجم؟.

أولا: نقول مقام قيام الحجة في باب النبوة والنذارة بالنبي صلى الله عليه وسلم هو أوسع دلالة من معرفة القرآن بلسان العرب يعني من وجوه قيام الحجة أنه يكون صاحب لسان هذا تقوم الحجة في نبوة النبي صلى الله عليه وسلام لكن غير العربي أو من لا يدري اللسان العربي كيف تقوم عليه الحجة في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بسماعه عليه الصلاة والسلام بسماع اسمه قال عليه الصلاة والسلام: " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، أَوْ نَصْرَانِيٌّ - لاحظ ، ذكر اليهودي وذكر النصراني - لَا يَسْمَعُ بِي - الكلام في مقام الإنذار بالنبوة والرسالة رسالته صلى الله عليه وسلم قال - ثُمَّ يَمُوتُ وَلَا يُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ".

قال سعيد بن جبير: " مَا بَلَغَنِي حَدِيثٌ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى وَجْهِهِ إِلا وَجَدْتُ مِصْدَاقَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى بَلَغَنِي أَنَّهُ قَالَ: لَا يَسْمَعُ أَيٌّ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ لَا يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلا دَخَلَ النَّارَ".

قَالَ سَعِيدٌ: " فَقُلْتُ أَيْنَ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى هَذِهِ الآيَةِ: { وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ } [هود:17] قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ كُلِّهَا".

ثانيا: نقول أن الحجة في القرآن تقوم بلفظه وبمعناه يعني مهما كان عربي صاحب لسان يسمع القرآن تقوم عليه الحجة بما هو مدرك من لسانه وإما غير العرب فالمعاني القرآن وصلت لأن ربنا سبحانه وتعالى قال { وَمَنۢ بَلَغَۚ } يعني البلوغ هنا بلوغ معاني القرآن ومعاني القرآن التي بلغت كل مكان هذه المعاني التي تتعلق بباب التوحيد هذه موجودة في فطر الخلق إنما القرآن يؤكدها يرسخها ويذكر بها وأما ما كان في مقام النبوة فهذا سهل مدرك فهمه ولذلك موسى عليه السلام كان لسانه عبرانيا وعيسى عليه السلام كان لسانه سرياني ومع ذلك يعني مع هذا اللسان الذي كان عليه موسى عليه الصلاة والسلام أو المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام مع ذلك كان الناس يعلمون بلسان قومه ولكن الناس يعرفون نبوتهم أنه في نبي اسمه موسى وفي نبي اسمه عيسى ومن غير أمتهم كانوا يعرفون بذلك ، كذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عرفوا نبوته عجمًا وعربًا ولذلك عليه الصلاة والسلام لما أرسل رسالته إلى هرقل كتب له الآية { قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ} الآية [آل عمران:64] كان في ترجمان وهذا يؤكد لك أن الحجة تقوم بألفاظ القرآن وبمعاني ومدلولات القرآن ، فمعاني ما أرسل به النبي صلى الله عليه وسلم من نبوته ورسالته هذه من بلغته قامت عليه الحجة فيما بلغه من معاني حقة فهمت القضية كيف ولا يشترط وهو صاحب لسان العربي يدرك ألفاظه القرآن أو ألفاظ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه لهذا بارك الله فيك ولذلك هرقل أقيم له ترجمان وسئل وفهم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وعلم وكذا ولكنه أبي أن يدخل فيها ونفس الشيء ما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم للنجاشي والنجاشي هذا ما كان يعرف لسان العرب لكن عرف معنى مدلول بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أنه يدعو للتوحيد لما قيل له يطعن في عيسى وشرح له جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم من معاني القرآن في عيسى كما جاء في الأثر: " فَتَنَاوَلَ النَّجَاشِيُّ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ: مَا يَزِيدُ هَؤُلَاءِ عَلَى مَا تَقُولُونَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ مَا تَزِنُ هَذِهِ".

ولما سمع القرآن وذكر المسيح عليه السلام وما أنزل إليه وحاله كما رواه أحمد في مسنده (37/ 173): " فَبَكَى وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ".

فهذا الذي يتعلق بهذا الباب.

(2) على السليقة يعني ما كان على أصل الشيء وفطرته دون دخول اللحن المتكلف ونحو ذلك وقد ذكر هنا أمرين:

الأمر الأول: وهو أن الإنسان أحق ما تصرف له العناية هو تفسير القرآن وتدبر والتأمل في كلامه الله سبحانه وتعالى وهذا دأب السلف كانوا إذا خلو إلى المصاحف كانوا يدينون النظر في كتاب الله عز وجل كما جاء عن إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ عُلَيَّةَ عَنْ يُونُسَ قَالَ: " **كَانَ مِنْ خُلُقِ الْأَوَّلِينَ النَّظَرُ فِي الْمُصْحَفِ**".

وكما جاء عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: " **قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا**".

قال الحسن - رحمه الله -: " **مَا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةً إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يُعْلَمَ فِي مَاذَا نَزَلَتْ وَمَاذَا عُنِيَ بِهَا**".

يعني الله عز وجل يحب من عبده أن يعلم معنى كلامه بحق وأن يعلم ما الذي يريده سبحانه وتعالى من عباده فالمتكلم وهو عظيم سبحانه وبحمده أنزل كتابا جعله بلاغا ورسالة للناس فيحب من عباده الأتقياء والموحدين أن يقبلوا على كلامه بقلوبهم فيتدبروه ويتصفحوه ويستأنسوا به ويأنسوا به الله عز وجل يحب ذلك من عبده ولذلك قال ابن مسعود: " **مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى الْقُرْآنِ فَإِنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّمَا الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**".

الأمر الثاني: أنه ذكر أنه يُتعلم من علوم العربية أي العلوم المساعدة ما يجنب اللبس والخلل في فهم كلام الله تبارك وتعالى وهذا ضروري لمن يفسر ويتصدى للتفسير والاستنباط في كلام الله تبارك وتعالى ويتكلم في ذلك لما قيل الحسن البصري: " **يَا أَبَا سَعِيدٍ، الرَّجُلُ يَتَعَلَّمُ الْعَرَبِيَّةَ يَلْتَمِسُ بِهَا حُسْنَ الْمَنْطِقِ، وَيُقِيمُ بِهَا قِرَاءَتَهُ؟ فَقَالَ: حَسَنٌ يَا ابْنَ أَخِي، فَتَعَلَّمْهَا، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَقْرَأُ الْآيَةَ فَيَعْيَا بِوَجْهِهَا، فَيَهْلِكُ فِيهَا**".

يعني الإنسان ممكن بسبب من الأسباب أنه يضل بسبب جهله بباب من أبواب العربية وقد قيل كما جاء في الأثر عن الأصمعي: " **أكثر من تزندق بالعراق لجهلهم بالعربية**".

فهذا باب من أسباب الضلال نسأل الله السلامة والعافية ، والآن سيذكر بعض الأبواب كمقدمات في هذا الباب.

(3) هنا سيتكلم عن فضل القرآن كما جاء عن أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: " **وَفَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى كَلَامِ خَلْقِهِ كَفَضْلِ الرَّبِّ عَلَى خَلْقِهِ**".

هذا معلوم لأنه كلام الله غير مخلوق سبحانه وتعالى ولذلك المدخل في معرفة عظمة القرآن أنه المتكلم به عظيم ، عظمة القرآن تفهمها بعظمة قائله فالمتكلم به عظيم لذلك كان كلامه سبحانه جلا شأنه وتعالى سلطانه أحسن وأفضل الكلام.

(4) ولذلك من أظهر الآيات التي في الإنسان تدعوه لتفكر هو البيان قال الله تبارك وتعالى { ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ } [الرحمن: 1-4] يعني أنه يبين عما في نفسه ويتكلم وقال الله عز وجل { أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ } [البلد: 8-9] ابن أدم يعني عما يريد.

(5) طبها هذا مدخل مهم يعني فائدة في معرفة ما يصطلح عليه اليوم إعجاز القرآن وهو آية أو برهان طبعا آيات الأنبياء يسميها القرآن براهين وبينات فأعظم مدخل قلنا أنه كلام الله غير مخلوق ، ثم معرفة أن الناس إذا تكلموا تباينوا كما ذكره هنا " وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ " أي في هذا البيان فالناس في فصاحتهم متباينون فيهم الفصيح المسقع وفيهم الخطيب المفوه وفيهم ما دون ذلك وفيهم عيي اللسان وفيهم اللحان والناس في ذلك متفاوتون.

(6) هو بالنسبة لقضية ما أوتيه الأنبياء وتكلم عن قضية فضل التباين بالبيان في المخلوقات أنه هذا ظاهر فيهم لكن لا بد أن تعلم أن المفاضلة في البيان ترجع لأمرين:

الأمر الأول: اللسان نفسه قبل المتكلمين به ، الألسن نفسها متمايزة والله فضل بينها الألسن أي اللغات، فاللغات نفسها مفضلة بعضها عن بعض فاللغة العربية مقدمة على غيرها وهي أعلى حتى من جهة البيان والدلالة والوسع والتوسع وكثرة الكلمات والأوصاف والأساليب وتنوعها مع ما فيها من شد من لسمع السامعين وتحقيق للمطلوب بأقصر طريق ونحو ذلك يعني مما تفاضل به اللغات الأخرى فاللسان العربي له ميزة هذا أولا لذلك اختاره الله عز وجل فأنزل به أفضل الكلام وربنا سبحانه كما جاء في الأثر عن عبد الله في " السنة" في أثر كعب الأحبار قال: " لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَّمَهُ بِالْأَلْسِنَةِ كُلِّهَا قَبْلَ لِسَانِهِ".

فربنا سبحانه جلّ شأنه اختار هذا اللسان أفضل الألسن قال { فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ } [مريم: 97] واللسان هو اللغة وقال ربنا { بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ } [الشعراء: 195] وقال جلا وعلا { فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [الدخان: 58] وغير ذلك من الأدلة.

الأمر الثاني: التمايز الحاصل في الناطقين باللسان إذا أتينا لأهل العربية فقريش أفصح العرب وقريش أفصح العرب فيها مضر كما جاء عن عثمان بن عفان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِ مُضَرَ**". وقال أيضا كما في مصنف بن أبي شيبة (6/ 120): " إِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، يَعْنِي الْقُرْآنَ".

وقد جاء في الحديث كما في صحيح البخاري (4/ 178): "..... وَقُلْتُ لَهَا أَخْبِرِينِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ كَانَ مِنْ مُضَرَ ؟ كَانَ قَالَتْ: فَمِمَّنْ كَانَ إِلَّا مِنْ مُضَرَ كَانَ مِنْ وَلَدِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ".

فالنبي صلى الله عليه وسلم مضري فهذا التمايز في الناطقين باللسان فاختار ربنا جلّ شأنه أن يُكتب ويُجمع المصحف يعني بتقديره سبحانه وتعالى وما أجمع عليه الصحابة أن يكون بلسان قريش لأنه هو أفضل الألسن ، قريش فيما يتكلمون يتفاضلون أيضا ففيهم قريش كأفراد فيهم الفصيح وفيهم كذا وكذا فهذا كله يراعي في تفاضل الألسن فلما جاء القرآن علموا من معناه ومن تراكيب الكلام ومن الألفاظ التي جاء بها القرآن الآي والسور أنه ليس من جنس ما عهدوه من خطاب المخلوقين لبعضهم البعض هذه نقطة مهمة جدا ولذلك الشاهد بها أفصحهم كالوليد بن المغيرة وعتبة بن أبي ربيعة وغيرهم كانوا يشهدون بأن هذا الكلام ليس من جنس أقوال البشر يعني معانيه ليست مألوفة لأن العرب وهذا قد قدمنا به كثيرا في دروس أخرى العرب كان أفصح ما عندهم الشعر وتعرفون ما قالوه فيما قَصَّدُوا به القصائد بداية مع من خسف عين الشعر وهو امرؤ القيس فالناس له تبع في تقصيد القصائد فلهم دباجة معروفة ويتكلمون فيها على البكاء على الأطلال وعلى ما يقع لهم من أحزان ثم يدخل في وصف بيئته ونحو ذلك والأوصاف هذه من وصف الفروسية والحصان ونحو ذلك هذه الأوصاف تكون قاصرة على ما يشتهون منها فقط ثم يذكرون حبيبهم ثم يهجون ثم يختمون ببعض الحكم هكذا كانت في الغالب قصائد العرب ومن تأمل في القصائد التي جعلتها العرب في ذروة الفصاحة وأفضل الكلام عندها التي هي المعلقات السبع أو التسع فإنه سيجد عموم القصائد هذه عمومها هكذا لها دباجة ، بكاء على الأطلال ، الهجاء ، شيء من الحكمة ونحو ذلك أما القرآن كلام الله غير مخلوق فهو نزل بغير ما ألفوا وتعاهدوا يخبر عن أعظم شيء وهو ربنا سبحانه وتعالى عن أسمائه ، عن صفاته وعن أحواله ، عن أحوال أهل الجنة وأهل النار وأحوال ملائكته وأحوال السماوات وأحوال الأرض والغيب والجنة والنار وخلق السماوات وقبل خلق الإنسان ثم كلام في كثير ثم أحكام وشرائع وأمر ونهي وحدود ونحو ذلك فما عهدوا مثل هذا الخطاب فعُلِم أنه لا يقوله بشر وليس من قول البشر يعني حتى تفهم فقط وجه الحجة في هذا الباب وذكر قضية مثلا أن الناس تعاهدت في أطباء فيهم معالجين لكن ما أحد يحي الموتى أو يبرئ

الأبرص أو ذوي العمى يعني هذا ما تعاهدوا عليه قليل في الناس وإذا بذلوا لذلك الأسباب الظاهرة يعني اخذ منهم الوقت وقد يحصل وقد لا يحصل بقدر الله في مسألة العمى ونحو ذلك فيأتي نبي فيذكر اسم الله ويُجري الله عز وجل على يديه آية ظاهرة فيحي الموتى بإذن الله ويبرئ الأبرص ويُعافَى الأعمى ونحو ذلك كله بإذن الله تبارك وتعالى فهنا عُلم أنه ليس من جنس المقدور عليه عند البشر ، كذلك أيضا في قصة موسى عليه السلام الساحر ، الساحر ماذا يدعي؟ الساحر يدعي قلب الطبائع ويزعم السحرة إلى اليوم الطواغيت ، ما معنى قلب الطبائع؟ الله عز وجل خلق الأشياء على هيئات الخشب خشب والحديد حديد والماء ماء والجدار جدار والطين طين وهكذا هي أشياء وأحوال خلق الله عز وجل عليها عبده أو مخلوقاته ما يقدر أحد يقلب شيء عما خلق به أو فيه على هيئته ما في أحد يعني مثلا شخص يأتي لشيء خشب ويجعله حديد من نفس الخشب ما يقدر على هذا أحد أو أنه يجعل الحديد ماء [انظر لجنس الماء وجنس الحديد] هذا ما يقدر عليه أحد ، الساحر هو مدعي لهذا أنه يقلب طبيعة الشيء ولذلك ماذا كان السحرة يفعلون؟ عصي يلقونها يرهبون أعين الناس ويخلون لهم أنها تنقلب إلى حيات لكنه سحر تخيلي هي في الحقيقة ما تنقلب ولكن الأعين هي التي يُخيل لها هذا سحر التخييل وفي سحر حقيقي الذي هو يُمرض ويقتل بإذن الله ونحو ذلك نؤمن به تنكره المعتزلة لكن سحر التخييل حقيقته ماذا؟ أنه الساحر يدعي لك أنه يقلب لك طبيعة الشيء فتراه كذلك وهو ليس كذلك كما جاء عن عمر رضي الله عنه في مصنف عبد الرزاق (5/ 346): عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنِ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ يُسَيْرِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: " ذُكِرَ عِنْدَ عُمَرَ الْغِيلَانُ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَتَحَوَّلُ شَيْءٌ عَنْ خَلْقِهِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ - انظر كلام عمر يعني ما في شيء يتحول عن خلقه الذي خلق له -، وَلَكِنْ فِيهِمْ سَحَرَةٌ مِنْ سَحَرَتِكُمْ - يعني يحصل ذلك بإذن الله يعني يتصور ويتخيل أنه على تلك الهيئة وهو ليس كذلك -، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَذِّنُوا".

ولذلك ربنا سبحانه وتعالى لما ذكر قصة موسى عليه السلام قال { يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ } [طه: 66] وهي يخيل فقط وقال الله عز وجل في ذكر السحرة قال الله عز وجل { فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ } [الأعراف: 116] الآن هؤلاء السحرة طيب وموسى عليه السلام آية نبي موسى عليه السلام لما ألقى العصا انقلبت العصا التي هي من عوسج من شجرة انقلبت حية حقيقة بإذن الله فهنا تعرف أن ما يؤتاه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مفارق لما يؤتاه السحرة والكهان والشياطين بل يفارق ما أوتيه الأولياء من كرامات فإن آيات الأنبياء فوق كرامات الأولياء ولذلك هذه من المباحث المهمة جدا لعلنا ندرسها إن شاء الله بتوسع في الرد على طائفتين ملحدتين في هذا الباب:

الطائفة الأولى: المتكلمون وخاصة منهم الأشاعرة.

فإنهم لا يجعلون ثمة فرق بين آية النبي وشعبذة الساحر إلا أن هذا يتحدى وهذا كذا وهذه الفروقات ضعيفة ولذلك تسلط عليهم أعداء الملة وأعداء النبوة كالصائبة والبراهمة سلطوا على ما قالته الأشاعرة حتى الباقلاني يقول ما في فرق بين الساحر والنبي إلا أن النبي يتحدى وهذا لا يتحدى يعني كلام باطل عاطل كفري نسأل الله العافية.

الطائفة الثانية: الصوفية.

فإن الصوفية تجعل كرامات الأولياء فوق أو تعادل وتماثل ما أوتيه من أنبياء بل كثير من الصوفية المتأخرين من الملاحدة منهم قبورية عندهم كرامات الأولياء هي أفعال الربوبية يؤتاها الولي كالتصرف في الكون وإحياء الموتى وإنزال المطر وإدخال من شاء الجنة وإخراج من شاء من النار ويقول لك هذه كرامات أولياء وهي في الحقيقة أفعال الربوبية وكذلك الرافضة لهم في هذا نصيب وافر من هذا الغلو ، لذلك نقول ونعتقد وندين ربنا سبحانه وتعالى أن ما يؤتاه الأنبياء هذا خاص بهم آيات لهم هذه الآيات التي يؤتاها الأنبياء هي براهين على نبوتهم ليست شرطا للنبوة انتبه لأن برهان النبوة أوسع برهان النبوة يكون في شخص النبي في أخلاقه في خلقه ويكون في دعوته ولذلك دعوة النبي عليه الصلاة والسلام اهتدى بها أي بمعرفة حقيقتها أناس كثر لم يروا من النبي مثل هذه الآيات مثلا النجاشي ماذا رأى من آيات؟ رأى دعوة النبي عليه الصلاة والسلام الذي هو القرآن وهو أعظم آية أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم { وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ } [الرعد: 31] { وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ } يعني لما كانوا يسألون النبي عن آية ويسألون النبي كذا وترقى في السماء وتأتينا بكذا وكذا فربنا قال في " سورة الرعد " { وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ } أي لكان هذا القرآن يعني أعظم من تسيير الجبال وأعظم من أن تكلمك الموتى من قبورهم أي آيته وحجته لمن تأمل وتدبر وأنصف سيرى أن برهان القرآن لأنه كلام الله قلنا معرفة عظمة القرآن بعظمة قائله كما قال أبو عبد الرحمان السُّلَمِيِّ " وَفَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى كَلَامِ خَلْقِهِ كَفَضْلِ الرَّبِّ عَلَى خَلْقِهِ".

هذا كلام الله عز وجل أعظم من أن تُسيَّرَ أمامك الجبال هذه آية القرآن أعظم منها وأعظم من أن يُكلم الموتى وأعظم من أن تقطع الأرض القرآن أعظم لذلك قال { بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ } ومن لم يكفه الكتاب

حجة فلا كفاه قال الله تعالى { أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ } [العنكبوت: 51] هذه حجة عليهم.

(7) وهذه النقطة قبل أن نأتي من تجاهل وتحامق وتعامى هي نقطة أن القرآن هو فوق كل كلام أساليبه أساليب العرب أساليب القرآن فيه الأمر وفيه النهي وفيه الاستفهام وفيه التوبيخ وفيه الإنكار وفيه التعجب وفيه أساليب العرب التي العرب تتخاطب بها في الكلام وفيه الخبر وفيه الإنشاء فكل هذا أساليب العرب موجودة في القرآن انتبه أساليبه أساليب العرب وفي طرائق كلامها أما المعاني التي حوتها هذه الأساليب أو كانت هذه الأساليب صيغا في أداء هذه المعاني فهذه المعاني لم تألفها العرب { لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ } [يس: 6] واضح المعاني قوية العرب ما تتكلم بها ما تعرفها من تكلم بها منهم كأمية بن أبي الصلت أو غيره ممن عرف شيء من علوم [53.18] كان تكلم بكلام عام ثم التفاصيل وقوة الألفاظ في جزالتها وفصاحتها العرب انبهرت أمامها ولذلك من شهادات العلماء هؤلاء الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه الحاكم في المستدرك (2/ 550) بإسناد صحيح قال: " فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي- لاحظ هم يقرون له بهذا وهذا من حجج القرآن أنه من عند الله -، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ- يعني النبي صلى الله عليه وسلم - شَيْئًا مِنْ هَذَا وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ".

لكن قومه ما رضوا حتى قال في القرآن قولوا سحر هذا الوليد بن المغيرة ، وكذلك أنيس أخو أبي ذر رضي الله عنه كان شاعرا ولما ذهب إلى مكة وفي قصة إسلام أبي ذر سأله أبو ذر ماذا وجد في مكة فقال وجدت رجل يدعو لما تدعو اليه لو كان أبو ذر تحنف فماذا قال له؟ القصة رواها أحمد في مسنده (35/ 414): قال أبو ذر رضي الله عنه وهو يسأل أخوه أويس: ".....فَقُلْتُ: مَا حَبَسَكَ؟ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ عَلَى دِينِكَ. قَالَ: فَقُلْتُ: مَا يَقُولُ النَّاسُ لَهُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: إِنَّهُ شَاعِرٌ وَسَاحِرٌ وَكَاهِنٌ، وَكَانَ أُنَيْسٌ شَاعِرًا، قَالَ: فَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهَّانِ، فَمَا يَقُولُ بِقَوْلِهِمْ، وَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ، فَوَاللهِ مَا يَلْتَامُ لِسَانُ أَحَدٍ أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ.....". الحديث.

يعني ليس كلامه بشعر وعرف هذا أنه لما وضع كلامه على أقراء الشعر فعرف هذا وميزه فلذلك سبحان من أنزل كتابه.

(8) هذا الكلام بقي يردده حتى تعرفون قصة مسجد بني حنيفة إمامهم كان يقرأ بهذه القراءة وَالطَّاحِنَاتِ طَحْنًا، وَالْعَاجِنَاتِ عَجْنًا، فَالْخَابِزَاتِ خبْزًا، وَالثَّارِدَاتِ ثرْدًا، وَاللَّاقِمَاتِ لَقْمًا قبحه الله وأخزاه لعنة الله عليه حيث ما حل ، انظر هذا الكلام الذي يسمعه يعرف أن هذا الإنسان جوعان وأنه كذاب وأنه ما يقوله في بطنه حتى لما تكلم وأراد أن يباري القرآن قال: الطاحنات طحنا ، القرآن ذكر بعض المخلوقات لكن القرآن لما ذكر ربنا سبحانه العظيم وأقسم بعظيم ولما تنظر في قسم القرآن تجدها آيات عظيمة إذا قامت في الناس شد الناس إليها الأبصار والأسماع مثلا تسمع قوله سبحانه وتعالى لا إله غيره ولا رب سواه يقول { وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا } [الذاريات: 1] الرياح إذا اشتدت التي لو اجتمعت محركات العالم ما استطاعت أن تقيم شيئا منها لأنها آية من آيات الله ومن آياته الرياح أو أن يرسل الرياح سبحانه يقول ربنا { وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا } [الذاريات: 1] الرياح إذا اشتدت أليس الريح إذا هاجت شدت الناس ، طيب هات هذا الكذاب الذي أوحى له الشيطان فقال: والعاجنات عجنا انت ترى يوميا والدتك أو زوجتك أو غيرك تعجن أين هي الآية الموجودة؟! ما بك يا مسيلمة الكذاب لعنة الله عليه ماذا عندك؟! العاجنات عجنا وماذا عجنت ؟! طاحنات طحنا سبحان الله كذب بيّن أنه كذب يعني لا يتكلم بهذا رجل من عقلاء بني آدم من أفناء الناس فضلا أن يكون كلاما للواحد الأحد الفرد الصمد لذلك بني حنيفة لما تابوا وَقدِموا عَلَى الصِّدِّيقِ تَائِبِينَ، وَجَاءُوا فِي دِينِ اللَّهِ رَاغِبِينَ، فَسَأَلَهُمُ الصِّدِّيقُ خَلِيفَةُ الرَّسُولِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَقْرَءُوا عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ قُرْآنِ مُسَيْلِمَةَ لَعَنَهُ اللَّهُ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ يَقْرَءُوا شَيْئًا مِنْهُ لِيُسْمِعَهُ مَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنَ النَّاسِ، فَيَعْرِفُوا فَضْلَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ فَقَرَءُوا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَأَشْبَاهَهُ، فَلَمَّا فَرَغُوا قَالَ لَهُمُ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " وَيْحَكُمْ! أَيْنَ كَانَ يُذهب بِعُقُولِكُمْ؟ وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَمْ يَخْرُجْ من إِلٍّ".

قوله: " لَمْ يَخْرُجْ من إِلٍّ" يعني من رب لا يخرج من إلٍّ هذا لا يكون كلام رب العالمين سبحانه ، وقال لهم أيضا مسيلمة الكذاب لعنة عليه **الْفِيلُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفِيلُ لَهُ زُلْقُومٌ طَوِيلٌ** هذا مما ذكر عنه ، أنظر القرآن لما تكلم به رب العالمين لما يذكر وما أدراك أنظر الأسلوب هذا ، هذا أسلوب العرب في الترهيب أو التشويق هذا الأسلوب أسلوب عربي ، طيب أنظر عظمة القرآن يذكرها في الأشياء الغيبية التي لا يعلم عظمها وعظم خلقها إلا الواحد الأحد التي إذا حصلت كما قال ربنا { يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ } [الحج: 2] وقال أيضا { ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ } [القارعة: 1 -

3] وقال أيضا { وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ} [الانفطار: 17 - 18]

وقال أيضا { وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ} [المطففين: 8] وهكذا تجد القلوب مشدودة عظيمة لأنه كلام حق أما هذا الكذاب أخزاه الله ولعنة الله عليه يقول **الْفِيلُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفِيلُ** طيب ماذا بعدها؟ قال **لَهُ زُلْقُومٌ طَوِيلٌ** ، نحن الخرطوم رأيناه من قبل إيش المبهر في ذلك يعني بالنسبة لأسلوب التشويق هذا هو يشوق فيك أو يرهب فيك من ماذا؟ بالخرطوم الطويل فتعرف أن هذا كلام كذب أن يكون كلام لله تعالى عز وجل عن مثل هذا لذلك لما سمع قومه هنا نعطي المقابلة النبي صلى الله عليه وسلم سمع اعداءه الكلام أقروا وهم فصحاء البيان وأرباب اللسان وفرسان البلاغة أقروا بأن هذا كلام لا يكون كلامًا لمخلوق لا لكاهن ولا لشاعر لكنهم كما قال ربنا سبحانه وتعالى { قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ } وفي قراءة { فَإِنَّهُمۡ لا يُكۡذِبُونَكَ} ، { وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ} [الأنعام: 33] أما مسيلمة أحبابه وأولياؤه شاهدين عليه بالكذب أول ما ادعى ما ادعى وسمع منه من سمع كالمحكم ابن طفيل محكم اليمامة هذا الذي أضل نفرا كثيرا قال: " أشهد: أنَّك كذاب، وأنّ محمدًا صادق؛ ولكنّ كَذاب ربيعة أحبّ إلينا من صادقِ مُضَر".

قبحه الله هكذا يقول ، وعمرو بن العاص لما أعطاه مسيلمة الأمان وسمع منه قال له عمرو بن العاص: " وَاللهِ! إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ كَذَّابٌ".

يعني قال له أنت نفسك في نفسك لست مقتنع بنفسك أصلا ولكن كما قال ربنا { فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ } [فاطر: 8] قد مات مع مسيلمة يعني تبعه تقريبا مئة وعشرون ألف بين مسلحين وأولاد ونساء، هذا الهراء ماتوا عليه أناس لذلك لما راه خالد بن الوليد كما جاء في تاريخ الطبري (3/ 295): "....ثُمَّ مَضَى خَالِدٌ يَكْشِفُ لَهُ الْقَتْلَى حَتَّى دَخَلَ الْحَدِيقَةَ، فَقَلَبَ لَهُ الْقَتْلَى، فَإِذَا رُوَيْجِلٌ أُصَيْفِرُ أُخَيْنِس فَقَالَ مُجَّاعَةُ: هَذَا صَاحِبُكُمْ، قَدْ فَرَغْتُمْ مِنْهُ، فَقَالَ خَالِدٌ لِمُجَّاعَةَ: هَذَا صَاحِبُكُمُ الَّذِي فَعَلَ بِكُمْ مَا فَعَلَ....".انتهى

يعني من أجل هذا تموتون وتصبرون على حز الغلاصم ومتون الصوارم وقطع الحلاقم الله المستعان وعليه التكلان.

(9) هنا قاعدة مهمة جدا من قواعد القرآن أن القرآن للبيان وأنه لا يوجد في القرآن شيء لا يعرف هذا مجمع عليه بين الصحابة بدلائل عدة سيذكر بابا في هذا:

أولا: أن النبي صلى الله عليه وسلم أبان عن معاني القرآن كلها فليس في القرآن شيئا لا نعلمه ، لو جاءك شخص وقال لك هذا في القرآن شيء لا يعرف معناه يعني لا أحد يعرف أو شيء لا أحد يفهمه مما خوطبنا به في القرآن فهو مبطل وهذا ينقض مذهبا المحرفة المعطلة ومذهبا المفوضة المجهلة الذين يقولون أن معاني القرآن على غير ظاهرها أو عن صفات يعني ظواهر الصفات على غير ظاهرها أو أنها غير معلومة المعنى أو أن لها معنى ونحن لا نخوض فيه ونفوض علمه إلى الله المهم هذا ينقض ذلك لأن القرآن أنزل هدىً وبيان وربنا سبحانه قال { وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ } [النحل: 89] والنبي صلى الله عليه وسلم أقامه الله عز وجل كما قال الإمام الشافعي رحمه الله: " وَوَضَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ دِينِهِ وَأَهْلِ دِينِهِ مَوْضِعَ الْإِبَانَةِ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعْنَى مَا أَرَادَ اللَّهُ وَفَرَضَ طَاعَتَهُ".

فقال ربنا سبحانه وتعالى { وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: 44] سيأتي معنا الأثر أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يتعلمون عشر آيات عشرا عشرا يعني فلا يتجاوزونها حتى يعرفون ما فيها من العلم والعمل كما قال أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ: " إِنَّمَا أَخَذْنَا الْقُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ أَخْبَرُونَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَى الْعَشْرِ الْأُخَرِ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ مِنَ الْعَمَلِ قَالَ: فَتَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا".

هذا يبين لك أن الصحابة رضي الله عنهم أحاطوا بعلم القرآن كله يعني النبي عليه الصلاة والسلام علمهم ذلك وبيَّن لهم ذلك ، طبعا هذا البيان لا كما يظن البعض أنه التفسير يكون بأحاديث مرفوعة بل التفسير من هذا الجنس من الأحاديث المرفوعة قليل وعائشة قالت: " ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يُفسِّر شيئًا منَ القرآن إلا آيًا بعَددٍ، علَّمهنّ إياه جبريل".

لكن غالب التفسير حاصل بقوله ، بفعله ، بإقراره وتركه صلى الله عليه وسلم يعني بأحوال الرسالة يعني الناس تنظر إليه في السلم والحرب في السفر في الحضر في عبادته في معاملته صلى الله عليه وسلم فهو كما قالت عائشة رضي الله عنها: " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ". وجاء عن جبير بن نفير ويزيد بن الأسود وجماعة نحوه.

فلذلك ربنا أقامه قدوة للخلق عليه الصلاة والسلام وأسوة حسنة { لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ } [الأحزاب: 21] يعني في حال النبي صلى الله عليه وسلم وقوله وفعله وإقراره وحاله وشأنه كله

صلوات ربي وسلامه عليه { لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب:21]

لذلك هذه مسألة مهمة جدا لا يهتدي أحد بالقرآن وهو لا يعرف معناه ثم هذا يدل على وجوب تطلب معاني القرآن يعني في معاني فرض عين على كل العبد أن يعرفها حينئذ يعد الذي لا يبحث عنها ولا يطلبها يعد معرض ليس معذورا لذلك ربنا قال { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ } [طه: 124] فالذي يوجد من الناس اليوم خاصة فيمن عطل الصفات كثيرا منهم لا يطلبون معاني القرآن بما أمره الله عز وجل لأن الله عز وجل بيَّن لنا باب البيان وسبحانه قال { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ } [النحل:89] وكما قال الإمام الشافعي رحمه الله: " وَوَضَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ دِينِهِ وَأَهْلِ دِينِهِ مَوْضِعَ الْإِبَانَةِ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعْنَى مَا أَرَادَ اللَّهُ وَفَرَضَ طَاعَتَهُ ".

ثم بيَّن لنا من أين نأخذ بيان القرآن فقال سبحانه وتعالى في آيات كثيرة مبين لنا أن مما يؤخذ به بيان القرآن أقوال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال جلّ وعلا { فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ } [البقرة: 137] هنا المسألة أيضا مهمة جدا أن ربط الفضل بالعلم فضل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بعلمهم وبيانهم لكتاب الله جلّ وعلا مهم جدا أن الناس كانت تربط ليس كاليوم يقر لك بفضل الصحابة ومكانة الصحابة وقيمة الصحابة ثم بعد ذلك يخالف أقوالهم أو لا يراها ملزمة في المجمل هذا باطل ولذلك لما سئل عبد الله ابن الزبير كما في " صحيح البخاري" لما سئل عن الجد في الميراث جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: " كَتَبَ أَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي الْجَدِّ، فَقَالَ: أَمَّا الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُهُ أَنْزَلَهُ أَبًا، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ".

أنظر كيف ربط هم يسألونه عن فتوى الجد بأي وجه ننزله في الميراث فيقول لهم: " أَمَّا الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُهُ أَنْزَلَهُ أَبًا، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ".

فهنا ربط بين الفضل والاتباع وهكذا العبد لا بد أن يكون طالب لما في القرآن ولذلك إذا خالف مقتضى القرآن وهو يقرأه أصلا لا يعذر أو يسمعه أصلا لا يعذر لذلك روى مالك في " الموطأ " بإسناده لمحمد بن سرين: " أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: إِنِّي أَجْرَيْتُ أَنَا وَصَاحِبٌ لِي فَرَسَيْنِ. نَسْتَبِقُ إِلَى ثُغْرَةِ ثَنِيَّةٍ، فَأَصَبْنَا ظَبْيًا وَنَحْنُ مُحْرِمَانِ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَقَالَ عُمَرُ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ: «تَعَالَ حَتَّى أَحْكُمَ أَنَا وَأَنْتَ»،

قَالَ: فَحَكَمَا عَلَيْهِ بِعَنْزٍ، فَوَلَّى الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْكُمَ فِي ظَبْيٍ، حَتَّى دَعَا رَجُلًا يَحْكُمُ مَعَهُ. فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ الرَّجُلِ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ: «هَلْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْمَائِدَةِ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تَعْرِفُ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي حَكَمَ مَعِي؟» فَقَالَ: لَا. فَقَالَ: «لَوْ أَخْبَرْتَنِي أَنَّكَ تَقْرَأُ سُورَةَ الْمَائِدَةِ لَأَوْجَعْتُكَ ضَرْبًا». ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ { يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ} [المائدة: 95] وَهَذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ".

الشاهد أن عمر الذي يعرف القرآن ويقرأه ثم لا يعرف معناه هذا لا يعذر هذا الأصل أنك يجب عليك تطلب معانيه لذلك القدر الواجب بيانه أو العلم به من القرآن هو القدر الواجب عليك في ليلك ونهارك كالعلم بالله عز وجل و بتوحيده سبحانه والعلم بما تصح عبادتك من فرائض الليل والنهار كالصلاة ونحو ذلك هذا الأصل أن يتطلب معناه ويُطلب فيه العلم هذا العلم المفروض على ابن آدم ومن تركه كان مُعْرِضًا غير معذور.

(10) يعني يريد أن يقول ما قد قلته لكم أنه في أساليب العرب موجود في القرآن أسلوب الاختصار وأسلوب الايجاز ، الايجاز يعني بالحذف موجود في القرآن يعني التقدير هذه أساليب عربية موجودة لكن المعاني هي التي فضل بها الكلام طبعا والألفاظ معا لكن الأصل أن الأساليب موجودة ولذلك القرآن يفهم على طرائق العرب في كلامها يعني في أساليبها ونحو ذلك وتفسير السلف قائم على هذا ولذلك أعلم الناس باللسان بعد النبي صلى الله عليه وسلم هم الصحابة اجتمع عندهم العلم بالدين وعلم باللسان.

(11) وهذا نبه له الشافعي رحمه الله في أن القرآن نزل بلسان العرب وأن الخطاب فيه على طرائق ما عهدته العرب من لسانها بينه ذلك في مقدمة " الرسالة" معناه يعني رحمه الله تعالى.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين



الدرس الثاني

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هادي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

هذا مجلس جديد إن شاء من مجالس القراءة والتعليق على مقدمة التفسير من جامع البيان

الْقَوْلُ فِي الْبَيَانِ عَنِ الْأَحْرُفِ الَّتِي اتَّفَقَتْ فِيهَا أَلْفَاظُ الْعَرَبِ وَأَلْفَاظُ غَيْرِهَا مِنْ بَعْضِ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ

قال أبو جعفر: إِنْ سَأَلَنَا سَائِلٌ، فَقَالَ: إِنَّكَ ذَكَرْتَ أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُخَاطِبَ اللَّهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا بِمَا يَفْهَمُهُ، وَأَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ رِسَالَةً إِلَّا بِاللِّسَانِ الَّذِي يَفْقَهُهُ، فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ فِيمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ الرَّازِيُّ، قَالَ: حَدَّثنا حَكَّامُ بْنُ سَلْمٍ قَالَ: حَدَّثنَا عَنْبَسَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي مُوسَى: { يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ } [الحديد: 28] قَالَ: " الْكِفْلَانِ: ضِعْفَانِ مِنَ الْأَجْرِ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ ".

وَفِيمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، عَنْ عَنْبَسَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: { إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ } [المزمل: 6] قَالَ: " بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ، إِذَا قَامَ الرَّجُلُ مِنَ اللَّيْلِ قَالُوا: نَشَأَ ".

وَفِيمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَنْبَسَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ: { يَـٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ } [سبأ:10] قَالَ: "سَبِّحِي بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ".

قال أبو جعفر: وَكُلُّ مَا قُلْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ حَدَّثَكُمْ فَقَدْ حَدَّثُونَا بِهِ وَفِيمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ خِدَاشٍ الْأَزْدِيُّ قَالَ: حَدَّثنا سَلْمُ بْنُ قُتَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بنِ زَيْدٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: { فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ } [المدثر:51] قَالَ: "هُوَ بِالْعَرَبِيَّةِ: الْأَسَدُ. وَبِالْفَارِسِيَّةِ: شَارْ. وَبِالنَّبَطِيَّةِ: أَرْيَا. وَبِالْحَبَشِيَّةِ: قَسْوَرَةٌ".

وَفِيمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمِّيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْمُغِيرَةِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: "قَالَتْ قُرَيْشٌ: لَوْلَا أُنْزِلَ هَذَا الْقُرْآنُ أَعْجَمِيًّا وَعَرَبِيًّا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: { وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ } [فصلت:44] فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْقُرْآنِ بِكُلِّ لِسَانٍ فِيهِ { حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ } [هود:82] قَالَ: فَارِسِيَّةٌ أُعْرِبَتْ: سنك وكل".

وَفِيمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ، قَالَ: "فِي الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ. وَفِيمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي يَطُولُ بِذِكْرِهَا الْكِتَابُ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِيهِ مِنْ غَيْرِ لِسَانِ الْعَرَبِ". (1)

قِيلَ لَهُ: إِنَّ الَّذِي قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ مَعْنَى مَا قُلْنَا مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا: هَذِهِ الْأَحْرُفُ وَمَا أَشْبَهَهَا لَمْ تَكُنْ لِلْعَرَبِ كَلَامًا، وَلَا كَانَ ذَاكَ لَهَا مَنْطِقًا قَبْلَ نُزُولِ الْقُرْآنِ، وَلَا كَانَتْ بِهَا الْعَرَبُ عَارِفَةً قَبْلَ مَجِيءِ الْفُرْقَانِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ قَوْلًا لِقَوْلِنَا خِلَافًا. (2)

وَإِنَّمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: حَرْفُ كَذَا بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ مَعْنَاهُ كَذَا، وَحَرْفُ كَذَا بِلِسَانِ الْعَجَمِ مَعْنَاهُ كَذَا، وَلَمْ يَسْتَنْكِرْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْكَلَامِ، مَا يَتَّفِقُ فِيهِ أَلْفَاظُ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَلْسُنُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، فَكَيْفَ بِجِنْسَيْنِ مِنْهَا. كَمَا قَدْ وَجَدْنَا اتِّفَاقَ كَثِيرٍ مِنْهُ، فِيمَا قَدْ عَلِمْنَاهُ مِنَ الْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَذَلِكَ كَالدِّرْهَمِ، وَالدِّينَارِ، وَالدَّوَاةِ، وَالْقَلَمِ، وَالْقِرْطَاسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُتْعِبُ

إِحْصَاؤُه، وَيمَلُّ تَعْدَادُه، كَرِهْنَا إِطَالَةَ الْكِتَابِ بِذِكْرِهِ، مِمَّا اتَّفَقَتْ فِيهِ الْفَارِسِيَّةُ وَالْعَرَبِيَّةُ، بِاللَّفْظِ وَالْمَعْنَى. وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَلْسُنِ، الَّتِي يُجْهَلُ مَنْطِقُهَا، وَلَا يُعْرَفُ كَلَامُهَا. فَلَوْ أَنَّ قَائِلًا قَالَ: فِيمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي عَدَدْنَا وَأَخْبَرْنَا اتِّفَاقَهُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، بِالْفَارِسِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا سَكَتْنَا عَنْ ذِكْرِهِ، ذَلِكَ كُلُّهُ فَارِسِيٌّ لَا عَرَبِيٌّ، أَوْ ذَلِكَ كُلُّهُ عَرَبِيٌّ لَا فَارِسِيٌّ، أَوْ قَالَ: بَعْضُهُ عَرَبِيٌّ وَبَعْضُهُ فَارِسِيٌّ، أَوْ قَالَ: كَانَ مَخْرَجُ أَصْلِهِ مِنْ عِنْدِ الْعَرَبِ، فَوَقَعَ إِلَى الْعَجَمِ فَنَطَقُوا بِهِ، أَوْ قَالَ: كَانَ مَخْرَجُ أَصْلِهِ مِنْ عِنْدِ الْفُرْسِ فَوَقَعَ إِلَى الْعَرَبِ فَأَعْرَبَتْهُ. كَانَ مُسْتَجْهَلًا، لِأَنَّ الْعَرَبَ لَيْسَتْ بِأَوْلَى أَنْ تَكُونَ كَانَ مَخْرَجُ أَصْلِ ذَلِكَ مِنْهَا إِلَى الْعَجَمِ، وَلَا الْعَجَمُ بِأَحَقِّ أَنْ تَكُونَ كَانَ مَخْرَجُ أَصْلِ ذَلِكَ مِنْهَا إِلَى الْعَرَبِ إِذْ كَانَ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ وَمَعْنًى وَاحِدٍ مَوْجُودًا فِي الْجِنْسَيْنِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مَوْجُودًا عَلَى مَا وَصَفْنَا فِي الْجِنْسَيْنِ، فَلَيْسَ أَحَدُ الْجِنْسَيْنِ أَوْلَى بِأَنْ يَكُونَ أَصْلُ ذَلِكَ كَانَ مِنْ عِنْدِهِ، مِنَ الْجِنْسِ الْآخَرِ، وَالْمُدَّعِي أَنَّ مَخْرَجَ أَصْلِ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَحَدِ الْجِنْسَيْنِ إِلَى الْآخَرِ مُدَّعٍ أَمْرًا لَا يُوصَلُ إِلَى حَقِيقَةِ صِحَّتِهِ، إِلَّا بِخَبَرٍ يُوجِبُ الْعِلْمَ، وَيُزِيلُ الشَّكَّ، وَيَقْطَعُ الْعُذْرَ صِحَّتَهُ.(3)

بَلِ الصَّوَابُ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنْ يُسَمَّى عَرَبِيًّا أَعْجَمِيًّا، أَوْ حَبَشِيًّا عَرَبِيًّا، إِذْ كَانَتِ الْأُمَّتَانِ لَهُ مُسْتَعْمِلَتَيْنِ فِي بَيَانِهَا وَمَنْطِقِهَا، اسْتِعْمَالَ سَائِرِ مَنْطِقِهَا وَبَيَانِهَا، فَلَيْسَ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ كُلِّ أُمَّةٍ مِنْهُمَا بِأَوْلَى أَنْ يَكُونَ إِلَيْهَا مَنْسُوبًا مِنْهُ(4)، فَكَذَلِكَ سَبِيلُ كُلِّ كَلِمَةٍ وَاسْمٍ، اتَّفَقَتْ أَلْفَاظُ أَجْنَاسِ أُمَمٍ فِيهَا وَمَعْنَاهَا، وَوُجِدَ ذَلِكَ مُسْتَعْمَلًا فِي كُلِّ جِنْسٍ مِنْهَا، اسْتِعْمَالَ سَائِرِ مَنْطِقِهِمْ، فَسَبِيلُ إِضَافَتِهِ إِلَى كُلِّ جِنْسٍ مِنْهَا سَبِيلُ مَا وَصَفْنَا مِنَ الدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ، وَالدَّوَاةِ وَالْقَلَمِ الَّتِي اتَّفَقَتْ أَلْسُنُ الْفُرْسِ وَالْعَرَبِ فِيهَا بِالْأَلْفَاظِ الْوَاحِدَةِ، وَالْمَعْنَى الْوَاحِدِ، فِي أَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ إِضَافَتَهُ إِلَى كُلِّ جِنْسٍ مِنْ تِلْكِ الْأَجْنَاسِ بِاجْتِمَاعٍ وَافْتِرَاقٍ. وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى مَنْ رَوَيْنَا عَنْهُ الْقَوْلَ فِي الْأَحْرُفِ الَّتِي مَضَتْ فِي صَدْرِ هَذَا الْبَابِ، مِنْ نِسْبَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضَ ذَلِكَ إِلَى لِسَانِ الْحَبَشَةِ، وَنِسْبَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضَ ذَلِكَ إِلَى لِسَانِ الْفُرْسِ، وَنِسْبَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضَ ذَلِكَ إِلَى لِسَانِ الرُّومِ، لِأَنَّ مَنْ نَسَبَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا نَسَبَهُ إِلَيْهِ، لَمْ يَنْفِ بِنِسْبَتِهِ إِيَّاهُ إِلَى مَا نَسَبَهُ إِلَيْهِ، أَنْ يَكُونَ عَرَبِيًّا، وَلَا مَنْ قَالَ مِنْهُمْ: هُوَ عَرَبِيٌّ نَفَى ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَحِقًّا النِّسْبَةَ إِلَى مَنْ هُوَ مِنْ كَلَامِهِ مِنْ سَائِرِ

أَجْنَاسِ الْأُمَمِ غَيْرِهَا، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْإِثْبَاتُ دَلِيلًا عَلَى النَّفْيِ فِيمَا لَا يَجُوزُ اجْتِمَاعُهُ مِنَ الْمَعَانِي[5] كَقَوْلِ الْقَائِلِ: فُلَانٌ قَائِمٌ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ دَالًّا عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ قَاعِدٍ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، مِمَّا يَمْتَنِعُ اجْتِمَاعُهُ لِتَنَافِيهِمَا.

فَأَمَّا مَا جَازَ اجْتِمَاعُهُ، فَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَعْنَى[6]، وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: فُلَانٌ قَائِمٌ مُكَلِّمٌ فُلَانًا، فَلَيْسَ فِي تَثْبِيتِ الْقِيَامِ لَهُ مَا دَلَّ عَلَى نَفْيِ كَلَامٍ آخَرَ لِجَوَازِ اجْتِمَاعِ ذَلِكَ فِي حَالٍ وَاحِدٍ، مِنْ شَخْصٍ وَاحِدٍ، فَقَائِلُ ذَلِكَ صَادِقٌ، إِذَا كَانَ صَاحِبُهُ عَلَى مَا وَصَفَهُ بِهِ. فَكَذَلِكَ مَا قُلْنَا فِي الْأَحْرُفِ الَّتِي ذَكَرْنَا وَمَا أَشْبَهَهَا غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ أَنْ يَكُونَ عَرَبِيًّا بَعْضُهَا أَعْجَمِيًّا، وَحَبَشِيًّا بَعْضُهَا عَرَبِيًّا، إِذْ كَانَ مَوْجُودًا اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ فِي كِلْتَا الْأُمَّتَيْنِ، فَنَاسِبُ مَا نَسَبَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى إِحْدَى الْأُمَّتَيْنِ، أَوْ كِلْتَيْهِمَا، مُحِقٌّ غَيْرُ مُبْطِلٍ.

فَإِنْ ظَنَّ ذُو غَبًا أَنَّ اجْتِمَاعَ ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ مُسْتَحِيلٌ، كَمَا هُوَ مُسْتَحِيلٌ فِي أَنْسَابِ بَنِي آدَمَ، فَقَدْ ظَنَّ جَهْلًا وَذَلِكَ أَنَّ أَنْسَابَ بَنِي آدَمَ مَحْصُورَةٌ عَلَى أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ دُونَ الْآخَرِ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ: { ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ } [الأحزاب: 5] وَلَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي الْمَنْطِقِ وَالْبَيَانِ، لِأَنَّ الْمَنْطِقَ إِنَّمَا هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى مَنْ كَانَ بِهِ مَعْرُوفًا اسْتِعْمَالُهُ.

فَلَوْ عُرِفَ اسْتِعْمَالُ بَعْضِ الْكَلَامِ فِي أَجْنَاسٍ مِنَ الْأُمَمِ، جِنْسَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، بِلَفْظٍ وَاحِدٍ وَمَعْنًى وَاحِدٍ، كَانَ ذَلِكَ مَنْسُوبًا إِلَى كُلِّ جِنْسٍ مِنْ تِلْكَ الْأَجْنَاسِ، لَا يَسْتَحِقُّ جِنْسٌ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ بِهِ أَوْلَى مِنْ سَائِرِ الْأَجْنَاسِ غَيْرِهِ.

كَمَا لَوْ أَنَّ أَرْضًا بَيْنَ سَهْلٍ وَجَبَلٍ، لَهَا هَوَاءُ السَّهْلِ وَهَوَاءُ الْجَبَلِ، أَوْ بَيْنَ بَرٍّ وَبَحْرٍ، لَهَا هَوَاءُ الْبَرِّ وَهَوَاءُ الْبَحْرِ، لَمْ يَمْتَنِعْ ذُو عَقْلٍ صَحِيحٍ، أَنْ يَصِفَهَا بِأَنَّهَا بَرِيَّةٌ بَحْرِيَّةٌ، إِذْ لَمْ تَكُنْ نِسْبَتُهَا إِلَى إِحْدَى صِفَتَيْهَا نَافِيَةً حَقَّهَا مِنَ النِّسْبَةِ إِلَى الْأُخْرَى. وَلَوْ أَفْرَدَ لَهَا مُفْرِدٌ إِحْدَى صِفَتَيْهَا وَلَمْ يَسْلُبْهَا صِفَتَهَا الْأُخْرَى، كَانَ صَادِقًا مُحِقًّا، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْأَحْرُفِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهَا فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ، وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قُلْنَاهُ فِي ذَلِكَ هُوَ مَعْنَى قَوْلِ مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ: مِنْ كُلِّ لِسَانٍ عِنْدَنَا. بِمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ فِيهِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ، اتَّفَقَ فِيهِ لَفْظُ الْعَرَبِ وَلَفْظُ غَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي تَنْطِقُ بِهِ، نَظِيرَ مَا وَصَفْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِيمَا مَضَى، وَذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُتَوَهَّمَ عَلَى ذِي فِطْرَةٍ صَحِيحَةٍ،

مُقِرٍّ بِكِتَابِ اللَّهِ، مِمَّنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَعَرَفَ حُدُودَ اللَّهِ، أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ بَعْضَ الْقُرْآنِ فَارِسِيٌّ لَا عَرَبِيٌّ، وَبَعْضَهُ نَبَطِيٌّ لَا عَرَبِيٌّ، وَبَعْضَهُ عَرَبِيٌّ لَا فَارِسِيٌّ، وَبَعْضَهُ حَبَشِيٌّ لَا عَرَبِيٌّ، بَعْدَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَنْهُ، أَنَّهُ جَعَلَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ قَوْلُ الْقَائِلِ: الْقُرْآنُ حَبَشِيٌّ أَوْ فَارِسِيٌّ، وَلَا نِسْبَةُ مَنْ نَسَبَهُ إِلَى بَعْضِ أَلْسُنِ الْأُمَمِ، الَّتِي بَعْضُهُ بِلِسَانِهِ دُونَ الْعَرَبِ، بِأَوْلَى بِالتَّطَوُّلِ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ هُوَ عَرَبِيٌّ، وَلَا قَوْلُ الْقَائِلِ هُوَ عَرَبِيٌّ بِأَوْلَى بِالصِّحَّةِ وَالصَّوَابِ، مِنْ قَوْلِ نَاسِبِهِ إِلَى بَعْضِ الْأَجْنَاسِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا، إِذْ كَانَ الَّذِي بِلِسَانِ غَيْرِ الْعَرَبِ، مِنْ سَائِرِ أَلْسُنِ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ فِيهِ نَظِيرُ الَّذِي فِيهِ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَبَيِّنٌ إِذًا خَطَأُ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقَائِلَ مِنَ السَّلَفِ: فِي الْقُرْآنِ مَنْ كُلِّ لِسَانٍ، إِنَّمَا عَنَى بِقِيلِهِ ذَلِكَ، أَنَّ فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ مَا لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ، وَلَا جَائِزَةٌ نِسْبَتُهُ إِلَى لِسَانِ الْعَرَبِ.

وَيُقَالُ لِمَنْ أَبَى مَا قُلْنَا، مِمَّنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَحْرُفَ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا فِي أَوَّلِ الْبَابِ وَمَا أَشْبَهَهَا، إِنَّمَا هِيَ كَلَامُ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ سِوَى الْعَرَبِ، وَقَعَتْ إِلَى الْعَرَبِ فَعَرَّبَتْهُ: مَا بُرْهَانُكَ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْتَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ؟ فَقَدْ عَلِمْتَ مَنْ خَالَفَكَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ فِيهِ خِلَافَ قَوْلِكَ، وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ عَارَضَكَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: هَذِهِ الْأَحْرُفُ وَمَا أَشْبَهَهَا مِنَ الْأَحْرُفِ وَغَيْرُهَا أَصْلُهَا عَرَبِيٌّ غَيْرَ أَنَّهَا وَقَعَتْ إِلَى سَائِرِ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ غَيْرِهَا، فَنَطَقَتْ كُلُّ أُمَّةٍ مِنْهَا بِبَعْضِ ذَلِكَ بِأَلْسِنَتِهَا مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ؟[7] فَلَنْ يَقُولَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قَوْلًا إِلَّا أُلْزِمَ فِي الْآخَرِ مِثْلَهُ. فَإِنِ اعْتَلَّ فِي ذَلِكَ بِأَقْوَالِ السَّلَفِ الَّتِي قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا وَمَا أَشْبَهَهَا، طُولِبَ مُطَالَبَتَنَا مَنْ تَأَوَّلَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ تَأْوِيلَهُ بِالَّذِي قَدْ تَقَدَّمَ فِي بَيَانِنَا، وَقِيلَ لَهُ: مَا أَنْكَرْتَ أَنْ يَكُونَ مَنْ نَسَبَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ مِنْهُمْ إِلَى مَنْ نَسَبَهُ مِنْ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ سِوَى الْعَرَبِ، إِنَّمَا نَسَبَهُ إِلَى إِحْدَى نِسْبَتَيْهِ، الَّتِي هُوَ لَهَا مُسْتَحِقٌّ، مِنْ غَيْرِ نَفْيٍ مِنْهُ عَنْهُ النِّسْبَةَ الْأُخْرَى. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَنْ قَالَ لِأَرْضٍ سَهْلِيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ، هِيَ سَهْلِيَّةٌ، وَلَمْ يُنْكِرْ أَنْ تَكُونَ جَبَلِيَّةً، أَوْ قَالَ: هِيَ جَبَلِيَّةٌ، وَلَمْ يَدْفَعْ أَنْ تَكُونَ سَهْلِيَّةً، أَنَافٍ عَنْهَا أَنْ تَكُونَ لَهَا الصِّفَةُ الْأُخْرَى بِقِيلِهِ ذَلِكَ؟ فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، كَابَرَ عَقْلَهُ. وَإِنْ قَالَ: لَا ، قِيلَ لَهُ: فَمَا أَنْكَرْتَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُ مَنْ قَالَ فِي سِجِّيلٍ هِيَ فَارِسِيَّةٌ، وَفِي

الْقُسْطَاسِ هِيَ رُومِيَّةٌ، نَظِيرَ ذَلِكَ؟ وَسُئِلَ الْفَرَقَ بَيْنَ ذَلِكَ، فَلَنْ يَقُولَ فِي أَحَدِهِمَا قَوْلاً إِلَّا أُلْزِمَ فِي الْآخَرِ مِثْلَهُ.[8]

الْقَوْلُ فِي اللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ:

قال أبو جعفر: قَدْ دَلَّلْنَا عَلَى صِحَّةِ الْقَوْلِ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ، عَلَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْزَلَ جَمِيعَ الْقُرْآنِ بِلِسَانِ الْعَرَبِ دُونَ غَيْرِهَا، مِنْ أَلْسُنِ سَائِرِ أَجْنَاسِ الْأُمَمِ، وَعَلَى فَسَادِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مِنْهُ مَا لَيْسَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَلُغَتِهَا، فَنَقُولُ: الْآنَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ؛ بِأَيِّ أَلْسُنِ الْعَرَبِ أُنْزِلَ؟ أَبِأَلْسُنِ جَمِيعِهَا أَمْ بِأَلْسُنِ بَعْضِهَا؟ إِذْ كَانَتِ الْعَرَبُ، وَإِنْ جَمَعَ جَمِيعَهَا اسْمٌ، أَنَّهُمْ عَرَبٌ، فَهُمْ مُخْتَلِفُو الْأَلْسُنِ بِالْبَيَانِ، مُتَبَايِنُو الْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ. وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّهُ قَدْ جَعَلَ الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا، وَأَنَّهُ أُنْزِلَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ[9]، ثُمَّ كَانَ ظَاهِرُهُ مُحْتَمِلاً خُصُوصًا وَعُمُومًا، لَمْ يَكُنْ لَنَا السَّبِيلُ إِلَى الْعِلْمِ بِمَا عَنَى اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مِنْ خُصُوصِهِ وَعُمُومِهِ، إِلَّا بِبَيَانِ مَنْ جُعِلَ إِلَيْهِ بَيَانُ الْقُرْآنِ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَتِ الْأَخْبَارُ قَدْ تَظَاهَرَتْ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا حَدَّثَنَا بِهِ خَلَّادُ بْنُ أَسْلَمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَالْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ ".[10]

وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ أَسْبَاطِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُنْزِلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ عَلِيمٌ حَكِيمٌ غَفُورٌ رَحِيمٌ ".

وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ

وَحدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ الرَّازِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ وَاصِلِ بْنِ حَيَّانَ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ ".

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثنَا مِهْرَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْهَجَرِيِّ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَهُ. (11)

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثنَا مِهْرَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْهَجَرِيِّ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَهُ.

حَدَّثنا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: " اخْتَلَفَ رَجُلَانِ فِي سُورَةٍ، فَقَالَ هَذَا: أَقْرَأَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ هَذَا: أَقْرَأَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: " اقْرَءُوا كَمَا عَلِمْتُمْ فَلَا أَدْرِي أَبِشَيْءٍ أُمِرَ أَمْ بِشَيْءٍ ابْتَدَعَهُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ" ، قَالَ: فَقَامَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا وَهُوَ لَا يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ". نَحْوُ هَذَا وَمَعْنَاهُ

حَدَّثنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: " تَمَارَيْنَا فِي سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقُلْنَا: خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ أَوْ سِتٌّ وَثَلَاثُونَ آيَةً. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدْنَا عَلِيًّا يُنَاجِيهِ، قَالَ: فَقُلْنَا: إِنَّا اخْتَلَفْنَا فِي الْقِرَاءَةِ. قَالَ: فَاحْمَرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: " إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ بَيْنَهُمْ " قَالَ: ثُمَّ أَسَرَّ إِلَى عَلِيٍّ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا عَلِيٌّ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَءُوا كَمَا عَلِمْتُمْ ".

حَدَّثنَا أَبو كُرَيْبٍ قَالَ: حَدَّثنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ عِيسَى بْنِ قِرْطَاسٍ، عَنْ زَيْدٍ الْقَصَّارِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: " كُنَّا مَعَهُ فِي الْمَسْجِدِ فَحَدَّثنَا سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَقْرَأَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ سُورَةً، أَقْرَأَنِيهَا زَيْدٌ، وَأَقْرَأَنِيهَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَاخْتَلَفَتْ قِرَاءَتُهُمْ، فَبِقِرَاءَةِ أَيِّهِمْ آخُذُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَعَلِيٌّ إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: " لِيَقْرَأْ كُلُّ إِنْسَانٍ كَمَا عُلِّمَ، كُلٌّ حَسَنٌ جَمِيلٌ ".(12)

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدٍ الْقَارِيِّ، أَخْبَرَاهُ أَنَّهُمَا، سَمِعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: " سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ، فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَؤُهَا عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ، لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَمَّا سَلَّمَ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَؤُهَا؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فَوَاللَّهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُوَ أَقْرَأَنِي هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَؤُهَا، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ، عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، وَأَنْتَ أَقْرَأْتَنِي سُورَةَ الْفُرْقَانِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ اقْرَأْ يَا هِشَامُ " فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَؤُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هَكَذَا أُنْزِلَتْ ".

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اقْرَأْ يَا عُمَرُ "، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هَكَذَا أُنْزِلَتْ ".

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهَا ".

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: " قَرَأَ رَجُلٌ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَغَيَّرَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَقَدْ قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيَّ، قَالَ: فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَمْ تُقْرِئْنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: " بَلَى ". قَالَ: فَوَقَعَ فِي صَدْرِ عُمَرَ شَيْءٌ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرَهُ، وَقَالَ: " ابْعَدْ شَيْطَانًا " ، قَالَهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: " يَا عُمَرُ، إِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ صَوَابٌ، مَا لَمْ تَجْعَلْ رَحْمَةً عَذَابًا، أَوْ عَذَابًا رَحْمَةً ". (13)

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَيْمُونٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: " سَمِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَسَمِعَ آيَةً عَلَى غَيْرِ مَا سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى بِهِ عُمَرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا قَرَأَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍّ ".

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ، عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ النَّخَعِيِّ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ مِنَ الْكُوفَةِ، اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَوَدَّعَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: " لَا تَنَازَعُوا فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَتَلَاشَى وَلَا يَتَغَيَّرُ لِكَثْرَةِ الرَّدِّ، وَإِنَّ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ وَحُدُودَهُ وَفَرَائِضَهُ فِيهِ وَاحِدَةٌ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ مِنَ الْحَرْفَيْنِ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ يَأْمُرُ بِهِ الْآخَرُ، كَانَ ذَلِكَ الِاخْتِلَافَ، وَلَكِنَّهُ جَامِعُ ذَلِكَ كُلِّهِ، لَا تَخْتَلِفُ فِيهِ الْحُدُودُ وَلَا الْفَرَائِضُ وَلَا شَيْءٌ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَتَنَازَعُ فِيهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْمُرُنَا فَنَقْرَأُ عَلَيْهِ، فَيُخْبِرُنَا أَنَّا كُلَّنَا مُحْسِنٌ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنِّي لَطَلَبْتُهُ، حَتَّى أَزْدَادَ عِلْمَهُ إِلَى عِلْمِي، وَلَقَدْ قَرَأْتُ مِنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَبْعِينَ سُورَةً، وَقَدْ كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّهُ يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ، حَتَّى كَانَ عَامُ قُبِضَ، فَعُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، فَكَانَ إِذَا فَرَغَ، أَقْرَأُ عَلَيْهِ، فَيُخْبِرُنِي إِنِّي مُحْسِنٌ، فَمَنْ قَرَأَ عَلَى

قِرَاءَتِي فَلَا يَدَعَنَّهَا رَغْبَةً عَنْهَا، وَمَنْ قَرَأَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ، فَلَا يَدَعَنَّهُ رَغْبَةً عَنْهُ، فَإِنَّهُ مَنْ جَحَدَ بِآيَةٍ جَحَدَ بِهِ كُلِّهِ ".(14)

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ حَدَّثَنَا رِشْدِينُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عَقِيلِ بْنِ خَالِدٍ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، حَدَّثَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ".

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: " بَلَغَنِي أَنَّ تِلْكَ السَّبْعَةَ الْأَحْرُفَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَكُونُ وَاحِدًا، لَا يَخْتَلِفُ فِي حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ".

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَخْلَدٍ الْوَاسِطِيُّ، وَيُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدَفِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَهُ أَبُوهُ، أَنَّ أُمَّ أَيُّوبَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، أَيَّهَا قَرَأْتَ أَصَبْتَ".

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى السُّدِّيُّ، قَالَ: أَنْبَأَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، يَرْفَعُهُ، قَالَ: " أَتَانِي مَلَكَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: اقْرَأْ. قَالَ: عَلَى كَمْ؟ قَالَ: عَلَى حَرْفٍ، قَالَ: زِدْهُ، حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ".

حَدَّثَنَا ابْنُ الْبَرْقِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَقِيلُ بْنُ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَاسْتَزَدْتُهُ فَزَادَنِي، ثُمَّ اسْتَزَدْتُهُ فَزَادَنِي، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ".

حَدَّثَنِي الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ أَيُّوبَ تُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ، يَعْنِي نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي مَخْلَدٍ

حَدَّثنَا الرَّبِيعُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسَدٌ، قَالَ: حَدَّثنَا أَبُو الرَّبِيعِ السَّمَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أُمِّ أَيُّوبَ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَمَا قَرَأْتَ أَصَبْتَ ".

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ آدَمَ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ فُلَانٍ الْعَبْدِيِّ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: ذَهَبَ عَنِّي اسْمُهُ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: " رُحْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَمِعْتُ رَجُلًا، يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: اسْتَقْرِئْ هَذَا، قَالَ: فَقَرَأَ، فَقَالَ: " أَحْسَنْتَ "، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّكَ أَقْرَأْتَنِي كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: " وَأَنْتَ قَدْ أَحْسَنْتَ "، قَالَ: فَقُلْتُ: قَدْ أَحْسَنْتَ قَدْ أَحْسَنْتَ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي ثُمَّ قَالَ: " اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْ أُبَيٍّ الشَّكَّ ".

قَالَ: فَفِضْتُ عَرَقًا، وَامْتَلَأَ جَوْفِي فَرَقًا، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ الْمَلَكَيْنِ أَتَيَانِي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. وَقَالَ الْآخَرُ: زِدْهُ، قَالَ: فَقُلْتُ زِدْنِي، قَالَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: اقْرَأْ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ". (15)

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، وَحَدَّثنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ الزَّعْفَرَانِيُّ، جَمِيعًا عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " مَا حَاكَ فِي صَدْرِي شَيْءٌ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، إِلَّا أَنِّي قَرَأْتُ آيَةً، فَقَرَأَهَا رَجُلٌ غَيْرَ قِرَاءَتِي، فَقُلْتُ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: أَقْرَأْتَنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: " بَلَى " قَالَ الرَّجُلُ: أَلَمْ تُقْرِئْنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: " بَلَى إِنَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أَتَيَانِي، فَقَعَدَ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِي وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِي، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ. وَقَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ. قَالَ جِبْرِيلُ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ. فَقَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ، حَتَّى بَلَغَ سِتَّةً أَوْ سَبْعَةً ".

الشَّكُّ مِنْ أَبِي كُرَيْبٍ وَقَالَ ابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ: "حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ"، وَلَمْ يَشُكَّ فِيهِ " وَكُلٌّ شَافٍ كَافٍ".

وَلَفْظُ الْحَدِيثِ لِأَبِي كُرَيْبٍ وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِنَحْوِهِ.

وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: "حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أَحْرُفٍ"، قَالَ: "اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، كُلٌّ شَافٍ كَافٍ".

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ".

التعليق:

(1) قبل أن نأتي إلى الجواب الذي ذكره هذه مسألة مهمة جدا وهي مسألة المُعْرَب ،

المُعْرَب: هو اللفظ الذي يكون أصله أعجمي لأن الألفاظ عندنا على قسمين:

القسم الأول: في ألفاظ عربية من حيث تركيبها وبداية النطق بها.

القسم الثاني: في ألفاظ أعجمية ولكنها عرِّبت أي عُرِّبت بلسان العرب صارت على أوزان العرب لكن أصل هذه الألفاظ هي عربية.

ولكن حصل فيها ما يسمى عند علماء اللغة ما يسمى الإبدال أو البدل يعني وقع فيها بدل والبدل هذا يكون مثلا بإبدال الأحرف مثلا المضطرد والكثير كما ذكره غير واحد من أهل اللغة - **كابن بري**- وغيره يقول أن المضطرد الكثير في لغة العرب عند إبدال لفظة أعجمية إلى لسان العرب أن يبدل منها مثلا " **الكاف**" يعني " **الكاف**" من حروف البدل كذلك " **الجيم**" و" **القاف**" و" **الباء**" هذه كلها من حروف البدل و" **الفاء**" ونحو ذلك وهناك بدل مضطرد وبدل غير مضطر هذا معروف عند أهل اللغة أن ثمت بدل مضطرد وبدل غير مضطرد إذا هناك أسماء أعجمية العرب إذا استعملتها غيرت فيها يعني لتوافق وزن كلامها فهمت الصورة كيف هذه الألفاظ الأعجمية أو الأعلام أو الأسماء الأعجمية التي أبدلت

العرب منها حروفا ، طبعا لا يبدلون كل الحروف وإنما يبدلون الحروف بحروف ويراعون قرب مخرج ونوع الصفة وأصل البناء ونحو ذلك فيغيرون مثلا الكلام من بناء على لغة الفارسية أو حبشية إلى بناء ووزن على لغة عربية فمثلا " **قهرمان** " هذه زيد فيها " **الهاء** " فكلمة " **قهرمان** " أصلها " **قرمان** " وهكذا فيحصل بها البدل هذا يسمى المُعْرَب ، يسميه العلماء المعرب ولابد أن نفهم مسألة مهمة الآن عندي اسم أعجمي نقل إلى العربية هل هذا موجود في القرآن؟ قبل أن نأتي إلى هذه المسألة لابد أن تعلم أنه بالإجماع لا يوجد في القرآن أسلوب غير عربي كما تقدم معنا في طرائق العرب في كلامها فإن القرآن عربي مبين هذا باتفاق ، كذلك في القرآن وقعت أعلام طبعا لمن لسانه غير لسان العرب مثلا كاسم إسرائيل وعمران ونوح ولوط وإبراهيم وهكذا لكن الخلاف أين؟ هل وقع فيه ألفاظ أي في القرآن أصلها أعجمي ولكنها عُرِّبت كما تقدم بالبدل يعني عربتها العرب بلسانها لكن أصل الكلمة أعجمي هذا اختلف فيه الناس لذلك صاحب الكتاب أورد آثار قال إذا أنتم تقولون القرآن عربي وأن الله تبارك وتعالى خاطب الناس بلسان العرب يعني خاطب العرب بلسانهم فما قولك أن في القرآن ألفاظا قال بعض أهل التفسير كما جاء عند السلف كما أورد آثار أن أصلها بلسان الحبشة فما أنت قائل عن هذا؟ هذا أصل الإشكال وهي مسألة تسمى مسألة المُعْرَب لكنه كما تقدم معنا ليس بحثا في الأسلوب لأن الطاعنين في كتاب الله عز وجل من أعداء الملة والمستشرقين خاصة يجعلون البحث الطعن في القرآن ، يجعلون البحث في الأسلوب ، لا ليس في القرآن أسلوب غير عربي بحث المُعْرَب في الألفاظ المفردة وليس في الأساليب لأن الأساليب هي تراكيب يعني فعل وفاعل، مبتدأ وخبر ، جملة إسمية ، جملة فعلية ، أمر ، نهي وهكذا هذه أساليب عربية لكن هل في أسماء مفردة أصلها كما تقدم هنا سيتكلم المصنف ، طبعا قبل آتيك نقرأ كلامه لأنه هو يرى الامتناع أنا حد علمي والله أعلم أنه يرى الامتناع نقرأ كلامه ونقرر إن شاء الله ونتكلم حتى تفهم فقط صورة المسألة.

(2) طبعا الطبري يذهب إلى المنع منع وجود المُعْرَب بالصورة التي ذكرت في القرآن وهذا الذي نصره إمام أهل الحديث وشيخهم الإمام الشافعي في " الرسالة " نصره نصرًا عظيمًا في مقدمات " الرسالة " والشافعي حقيقة شدد جدا في القول بأنه في مُعْرَب لأن في بعض أهل اللغة مالوا إلى وجود المُعْرَب يعني يوجد في القرآن كلمات أصلها أعجمي لكن عربتها العرب بلسانها على طريقة الإبدال وتغيير البناء انتبهوا إلى المسألة حتى يفهم الإنسان ، القضية ليس أنه كلمة أعجمية العرب لا تبقي الكلمة على صورتها الأعجمية وإنما إذا نقلتها عربتها بألسنتها وهذا الذي كان يذهب إليه أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى القاسم بن سلام كان يذهب إلى أن القرآن عربي مبين لا شك لكن لغة العرب متسعة وأن في كلمات

جاءت في القرآن أصلها أعجمي لكن عربها اللسان وسنقرأ كلامه رحمه الله تعالى لكن القول الأول هو المنع مطلقًا والمنع مطلقًا ما معناه؟ يعني أن هذه الألفاظ أصلها عربي وإن وقع قدر مشترك أنه سمعت عند الأعاجم لكن أصلها عند العرب والشافعي رحمه الله تعالى قال كما جاء عنه في الرسالة (ص42) قال: " ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبي ".

يعني يريد أن يقول الشافعي أنت لما تقول هذه الكلمة ليست موجودة عند العرب إنما أصلها عند الحبشي أو غيرهم ثم عُرِّبت بلسانهم هل أنت أحطت باللغة كلها وعرفت نثرها وقصيدها وشعرها ونحو ذلك أم أنه هو حكم نسبيّ على ما تعلم هكذا يريد أن يصور الإمام الشافعي هذه الحجة رحمة الله عليه فذهب إلى المنع ولذلك هو يقول يعني في معنى كلامه أن هذا الذي ذكر من آثار لا يخالف ولا يخرِج عن معنى كون القرآن عربي لأن هذه الألفاظ وجدت عند العرب قبل نزول القرآن.

[3] هو قوله هنا " أَنَّ مَخْرَجَ أَصْلِ ذَلِكَ...." كما تقدم وهو يناقش المسألة يقول أن الذين قالوا أن هذه الكلمات خرجت من أمة إلى أمه أي من لسان إلى لسان يقول هذا يدعي شيئا ليس فيه دليل ليس فيه خبر يوجب العلم ويزيل الشك ويقطع العذر صحته يعني يقال بأن هذه ألفاظ انتقلت من اللسان إلى لسان فهو يمنع ذلك بشدة وهذا كلام الشافعي بالمناسبة في " الرسالة"

[4] نعم يريد أن يقول ليس فيه اختصاص يعني هذه الألفاظ وجد فيها اشتراك ، العرب تتكلم بها أو أولئك يتكلمون بها ولا يقال خرجت من هذا إلى ذاك إلا بدليل ولا دليل فحينئذ فليس ثمت ما يوجب الاختصاص هذا مراده أنها أشياء مشتركة.

[5] هنا قوله أنه هو فسر الآثار التي وردت ، هي في آثار الصحابة والتابعين وردت في الباب لا حظت نعم جاء عن بن عباس وأبي موسى الأشعري هؤلاء هم أئمة اللسان كذلك سعيد بن جبير ، مجاهد ، عكرمة، عطاء ، أبو ميسرة مضى معنا الأثر الذي ذكره ونحو ذلك فهؤلاء ذكروا أن هذه كلمات قالوا بلسان الحبشة والآخر قال بلسان كذا فهو الآن كيف يتعامل مع هذه الآثار؟! من يرى منع المُعْرَب في القرآن أنه كلمة من الأعاجم انتقلت للعرب والعرب عربتها على أصل تغير البناء والإبدال يقول وهذا معنى كلامه هنا أن هذا الذي قال هذا الكلام لم ينفي أن تكون كلمة عربية إنما يثبت أنها من مشترك الكلام هكذا يفهم لكن من يرى إثبات المُعْرَب يقول لا هذه كلمة أصلها أعجمي بدليل هذه الآثار لكنها تسمى عربية باعتبار الإبدال وتغير البناء فعُرِّبت باللسان أي بالنطق ولذلك أبو عبيد وهي المسألة الثانية هل الخلاف

لفظي أو حقيقي؟ يعني الآن وجود المُعْرَب في القرآن هل الخلاف لفظي بمعنى اختلاف تنوع فلا أثر فيه؟ أو هو خلاف حقيقي معنوي؟ نقول الصواب أن الخلاف معنوي وليس لفظي ولذلك أبو عبيد ذهب إلى أن الخلاف لفظي لكن إذا تأملت في كلام الشافعي رحمه الله وتأملت في كلام من ذهب إلى هذا المذهب وأيضا من الحنابلة غلام الخلال ذهب إلى منع المُعْرَب في القرآن فإنك ترى الشافعي شدد جدا ومنع أن يكون كلمة في القرآن لها أصل عند الأعاجم انتقالا يعني انتقلت ، منع ذلك رحمه الله وشدد كلام طويل يعني قال في هذا أنه القائل يقول بلا علم ونحو ذلك فلذلك الخلاف حقيقي أما ما قاله أبو عبيد رحمة الله عليه وغفر الله له قال: " **والصواب من ذَلِكَ عندي -والله اعلم- مذهب فِيهِ تصديق القوْلين جميعاً، وذلك أنَّ هَذِهِ الحروف وأصولها عجمية -كما قال الفقهاء- إِلاّ أنها سقطَت إِلَى العرب فأعربَتها بألسنَتها، وحوَّلتها عن ألفاظ العجم إِلَى ألفاظها فصارت عربيَّة. ثُمَّ نزل القرآن وَقَدْ اختَلَطت هَذِهِ الحروف بكلام العَرَب، فمن قال: إنها عَرَبية فهو صادق، ومن قال: عجمية فهو صادق**".

وظاهر كلام الشافعي أنه يمنع أصلا أن يجعلها أعجميا وكذلك صاحب الكتاب هنا يمنع أن تكون أعجمية من حيث النطق الأول والبحث في النطق الأول وهل هناك انتقال ام لا؟ هذا هو الخلاف هنا يصير حقيقيا نعم لذلك هو يريد أن يقول أنها من المشترك الكلام فاطلع هؤلاء السلف على أنها من مشترك الكلام وبالتالي قالوا أن هذه الألفاظ موجودة بلسان الحبشة ولا تمنع أن تكون موجودة عند العرب.

هنا قال قاعدة وهي: " **إِنَّمَا يَكُونُ الْإِثْبَاتُ دَلِيلًا عَلَى النَّفْيِ فِيمَا لَا يَجُوزُ اجْتِمَاعُهُ مِنَ الْمَعَانِي**".

يعني متى يكون المُثْبِت أو الإثبات برهان على عدم الوجود بمعنى من أثبت وجود المُعْرَب هنا متى يكون قوله دليلا على نفي وجود المُعْرَب؟ يقول: " **فِيمَا لَا يَجُوزُ اجْتِمَاعُهُ مِنَ الْمَعَانِي**".

يعني لما يكون الإثبات والنفي يمتنع اجتماعهما حينئذ يصير المُثْبِت مقدم على النافي يعني يريد أن يقول: أن المثبت والنافي ليس ثمت فرق لأن للإثبات اعتبار وللنفي اعتبار هذا الذي يريد أن يقول ، يقول الذي أثبت وجود كلمات بلسان الحبشة هذا يريد أنها وجدت عند الحبشة ولم يمنع أن توجد عند العرب فهمت القضية كيف ولذلك هو يريد أن يقول هذا أنه من يمنع أنها توجد عند العرب يثبت دليل ولا دليل وهذا كلام الشافعي أيضا أنه يثبت أنه فيه دليل ولا دليل.

(6) نعم هذه الفائدة مهمة جدا في باب قواعد العلم في التعامل مع الأشياء عند الجمع في أبواب الجمع أنك إذا قلت مثلا فلان قائم ، للقيام حقيقة تفارق القعود

يقول المصنف: " فَيَكُونُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ دَالًّا عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ قَاعِدٍ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، مِمَّا يَمْتَنِعُ اجْتِمَاعُهُ لِتَنَافِيهِمَا".

يعني لا يجتمعان في محل واحد قيام وقعود " فَأَمَّا مَا جَازَ اجْتِمَاعُهُ " يعني في محل واحد باختلاف الاعتبار " فَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَعْنَى".

خلاصة هذه المسألة ما هي؟

هي أنا ما كان في كلام أهل العلم إذا كان الكلام له اعتبار إذا وجدت ظاهرهما الاختلاف ولكل كلام اعتبار فلا تقول فيه تعارض ، تدري متى يقول تعارض الظاهري؟ إذا كان الكلام باعتبار واحد وفي محل واحد وهكذا يسلك العلماء في مسالك الجمع والتوفيق الأدلة والنصوص ينظر العالم إذا كان الكلام اختلفت اعتباراته فحينئذ اختلفت متعلقاته ولا يعارض بينهما أحد لكن إذا كان الكلام اعتباره واحد وتعلقه واحد ومحل تنزيله واحد وظاهره الاختلاف هنا يلجأون للترجيح هذه قاعد في أبواب العلم عمومًا.

(7) هو قوله هنا يعني القول الآخر الذين ذهبوا إلى أنها أصلها أعجمي وعُرِّبت بالنطق والآن يناقشهم وهذا قلنا مذهب أبو عبيد رحمة الله عليه وبن فارس في الصاحبي حكى إجماع أهل اللغة على هذا والله أعلم وممكن واقع اللغة لكن البحث في القرآن هذا الشافعي يمنعه يقول: " ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبي".

يعني أنت ما يدريك لعل العرب في قرية أو في قبيلة أو في بطن من بطون العرب يتكلمون بهذه الكلمة وأنت ما تدري عنها والله أعلم.

[[كلام أبي عبيد راجعوه في مقدمات كتاب " الصاحبي " لابن فارس رحمه الله موجود كلام لأبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله رواه بالإسناد وتكلم في هذه المسألة مسألة المعرب رحمه الله]]

(8) يعني يريد أن يقول أنه تعددت الألسن اختلفت الألسن فإذا قيل له هذه الكلمة بعضهم يقول كذا وبعضهم يقول كذا يعني في نفس الأثر تجد بعض السلف يقولون مثلا مشكاة حبشية وبعضهم يقول حورانية ، طيب هم في الكلمة الواحدة نسبوه لأكثر من لغة ليثبت قضية أنه من مشترك اللسان عند الكلام وهذه مسألة ما يتعلق بمسألة المُعْرَب التي تكلم عنها وقد تكلم عنها الشافعي رحمه الله بكلام

شديد ، طبعا بعضهم ألَّف في ذلك كتاب في قضية المُعْرَب وسردوا ألفاظ مثلا ممن فعل ذلك الثعالبي في كتابه " فقه اللغة" والجواليقي له كتاب في المُعْرَب وتكلموا لكن حقيقة في آثار في المسألة عند السلف وتحقيق البحث ومحل البحث في المسالة أن السلف لما قالوا بلسان الحبشة هل أرادوا التعريب؟ لا شك أنها هي عربية لكن هل هي أصلها ثم نقلت أم هو قدر مشترك في النطق؟ هنا البحث فمثلا إذا قلت أباريق جمع إبريق بعضهم يقول هي فارسية معربة وكانت تطلق عند الفرس على صب الماء على [32.42] ومثلا كلمة الأرائك بعضهم ذكر أنها حبشية بمعنى السور ونحو ذلك وكما جاء عن معتبر بن سليمان فيما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (4/ 1325) قال: " سَمِعْتُ أَبِي يَقْرَأُ: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرُ } [الأنعام: 74] قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهَا أَعْوَجُ، وَأَنَّهَا أَشَدُّ كَلِمَةٍ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

طبعا هذه بعضهم قال { ءَازَرُ } والقراءة هي { ءَازَرَ } لأنه اسم أبو إبراهيم على إبراهيم الصلاة والسلام وَقَالَ بعضهم كالْخَلِيلُ: " مَعْنَى {يا آزَرُ} الشَّيْءُ يُعَيِّرُهُ بِهِ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: يَا مُعْوَجُّ، يَا ضَالُّ".

ومثلا كلمة استبرق هذه لغة العجم الضَّحَّاكِ، قَالَ: " الْإِسْتَبْرَقُ : الدِّيبَاجُ الْغَلِيظُ".

لكن النقطة ما هي؟ أن العرب وهذه مسألة حتى اليوم في الكلمات الجديدة الطارئة على بعض الأشياء العرب تنظر إلى المحل ثم تُبْدِل على الأخف لأن لغتها مبنيه على الخفة والاختصار فمثلا نحن اليوم في سعي لتعريب أشياء حقيقه تحتاج نظر مثلا تعريب المقابل لا تعريب أصل الكلمة بناء بمعنى مثلا نحن اليوم بعضهم يقول ما تقولوا فيسبوك مثلا أو ما تقولو تويتر هذه أعجمية لابد أنها تُعَرَّب فنقول مثلا فيسبوك كلمة بالمعنى فنقول مثلا في الهواتف اليوم بعضهم يقول لك تلفون هذه أعجمية قل جوال ، أنت الجوال ليس الهاتف ، الحقيقة إذا تأملت كلمة جوال من الجوال التلفون أم أنت؟! هو التلفون يمشي في الشارع وإلا أنت الذي تجول به ففي نظر يعني في أشياء هي اسمها هكذا ممكن تخفف فيراعى مثل هذا الإطلاق وأبو عبيد رحمه الله تعالى كأنه يرى الخلاف ليس بذاك يعني لا يراه معنويا والظاهر أن خلاف حقيقي صراحة في قضية المعترك هذا في قضية المُعْرَب.

طبعا لا ينبني على ذلك حكم عملي فقهي ولكن هي مبنية على مسألة فقه معنى عربية القرآن عربية الأسلوب متفق عليها والمُعْرَب هذا يسمى عربيا لأنه عُرِّب باللسان انتبه حتى على القول بأن أصله من عند العجم والعرب نفسها يعني مثلا وهذه من النقاط التي تجد بعض النصارى يحتج بها على بعض ضعاف العقول والنفوس ممن ينتسب للإسلام فيقول له مثلا المسيح هذا ما يوجد في السريانية كلمة مسيح أو موسى فمن أين جاءت هذه؟ أو عزير؟ مثلا اليهود موشى او موشي مثلا عزير عِزْرَا نقول العرب

نفسها وهذه نقطة مهمة جدا تُعَرِّب ما تترك الكلام على أصل وضعه الأعجمي تُعَرِّب ولذلك اليهود الذين كانوا عربًا كانوا موجودين في اليمن وموجودين في المدينة والنصارى في جازان وغيرها لما كانوا يسمعون القرآن { وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ } [التوبة:30] ما جاءوا استدركوا وقالوا ليس اسمه عزير وهم أعلم الناس بكتابهم ما جاءوا استدركوا لأنهم يعرفون أنه من العبرانية إلى العربية هذا سنن العرب في الكلام أو ما قالوا ما اسمه المسيح وأيضا في قصة النجاشي وهو حبشي لما قالوا له: "...أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فأرسِلْ إِلَيْهِمْ فسلْهم عَمَّا يَقُولُونَ فيه. قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ لِيَسْأَلَهُمْ عَنْهُ.

قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهَا قطُّ. فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاَللَّهِ مَا قَالَ اللَّهُ، وَمَا جَاءَنَا بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

قَالَتْ: فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟

قَالَتْ: فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ نبيُّنا -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُه وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ.

قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ بِيَدِهِ إلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: وَاَللَّهِ مَا عَدَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَا قلت هَذَا العودَ.....". انتهى

فالعرب تُعَرِّب على لسانها لذلك هذه الاستدراكات التي يظنها بعضهم استدراكات هي حقيقة جهل بأصل اللغات وأصل لغة العرب في التعريب لأنها تُعَرِّب وتبدل ما تأخذ الكلمة على وضعها وبنائها الأعجمي بل تطرقها على سنن كلامها كما هو معروف.

(9) طبعا قبل ذلك نأتي هنا إلى مسألة فقط مهمة ، تنوع العرب في الألسن وارد وموجود واقع من قبيلة إلى قبيلة لكن هذا التنوع أكثره في المفردات لا في التراكيب والأساليب ، الأساليب عامة الأساليب تتفق عليها العرب تفهمها لكن المفردات في بعض المفردات التي وقع في القرآن قيل مثلا بلسان تميم مثلا قوله تعالى { وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ } [النجم: 61] أُسْمُد لنا يعني غني في لسان تميم هذا قيل هذا لكن العرب تعرف هذا تفهمه يعني وإن كان نطق بنو تميم لكن مفهوم عند العرب فالأساليب متفقة لكن المفردات لها خصوصية في بعضها.

(10) طبعا بالنسبة لهذا الحديث هو على ثلاث روايات أقصد الحديث لا يصح هكذا لكن معناه جاء مفردا " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ......". هذا متواتر كما سيأتي معنا الأحرف السبعة و" الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ".

هذا أيضا صح وكذلك جاء في آثار " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَالْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ ثَلَاثًا مَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ".

(11) هو قوله هنا في الأحرف السبعة سيأتي الكلام عليه ومعنى الحديث " لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ". تكلم السلف فيها وقد روى ذلك أبو عبيد في كتاب " غريب الحديث" وقد روي أيضا عن الحسن رحمه الله تعالى وذكر تفسيره بن المبارك في كتابه " الزهد والرقائق" قد جاء مرسل عن الحسن قال: " مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ آيَةٌ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ".

قال بن المبارك - رحمه الله -: " سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: " مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ آيَةٌ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ " يَقُولُ: لَهَا تَفْسِيرٌ ظَاهِرٌ، وَتَفْسِيرٌ خَفِيٌّ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ - يعني حد الشيء ما ينتهون إليه في الحكم فيعملون به يعني سيطلع أقوام على حدود ويعملون على تلك المعاني - قَالَ: يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَيَسْتَعْمِلُونَهُ عَلَى تِلْكَ الْمَعَانِي، - لاحظت يعني الآية يكون لها تفسير ظاهر وتفسير خفي ، يعني التفسير الظاهر هو الذي الناس في تفسير القرآن ليس التفسير على درجة واحد في تفسير ظاهر لكل أحد وفي تفسير يظهر لبعض الناس دون بعض - ثُمَّ يَذْهَبُ ذَلِكَ الْقَرْنُ، فَيَجِيءُ قَرْنٌ آخَرُ يَطَّلِعُونَ مِنْهَا عَلَى مَعْنًى آخَرَ، فَيَذْهَبُ عَلَيْهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَنْ قَبْلَهُمْ، - يعني يحدثون معنى آخر - فَلَا يَزَالُ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَنْهَى عَنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ يُفَسِّرُهُ السُّنَّةُ".

وهذا معنى كلام السلف في القرءان لما قالوا: " فإنه ذو وجوه". يعني أن له معاني ومن يفسره بالرأي سيكون كل فرقة من الفرق المبتدعة لها تأويل ولها تفسير خاص بالرأي ووقع الذي قاله ابن المبارك لكن ما الذي يفسر القرءان؟ يفسره السنة هذا ما ذهب إليه ابن المبارك في تفسير هذا الأثر.

أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب غريب الحديث (2/ 12) قال: " فأحسب قول الْحَسَن - لأن الحسن البصري سئل: " يَا أَبَا سعيد مَا المطلع قَالَ: يطلع قوم يعْملُونَ بِهِ" - فقال أبو عبيد: " فأحسب قول الْحَسَن هَذَا إِنَّمَا ذهب بِهِ إِلَى قَول عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود فِيهِ حَدَّثَنِي حجاج عَن شُعْبَة عَن عَمْرو بْن مرّة عَن عَبْد اللَّه قَالَ: " مَا من حرف أَو قَالَ آيَة إِلَّا وَقد عمل بهَا قوم أَو لَهَا قوم سيعملون بهَا" - وكلام بن مسعود ماذا يريد؟ يريد كما قال هو رحمه الله كما قال هو في { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا

يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ } [المائدة: 105] ، قَالَ: " .... لَمْ يَجِئْ تَأْوِيلُ هَذِهِ بَعْدُ، إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ حَيْثُ أُنْزِلَ وَمِنْهُ آيٌ قَدْ مَضَى تَأْوِيلُهُنَّ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلْنَ، وَمِنْهُ مَا وَقَعَ تَأْوِيلُهُنَّ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْهُ آيٌ قَدْ وَقَعَ تَأْوِيلُهُنَّ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَسِيرٍ، وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهُنَّ بَعْدَ الْيَوْمِ، وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهُنَّ عِنْدَ السَّاعَةِ عَلَى مَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ، وَمِنْهُ آيٌ يَقَعُ تَأْوِيلُهُنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ عَلَى مَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ الْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَمَا دَامَتْ قُلُوبُكُمْ وَاحِدَةً، وَأَهْوَاؤُكُمْ وَاحِدَةً، وَلَمْ تَلْبَسُوا شِيَعًا، وَلَمْ يَذُقْ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَأْمُرُوا وَانْهَوْا، فَإِذَا اخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ وَالْأَهْوَاءُ، وَأُلْبِسْتُمْ شِيَعًا، وَذَاقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَامْرُؤٌ وَنَفْسُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ جَاءَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ ".

قال أبو عبيد رحمه الله: " فَإِن كَانَ الْحَسَن ذهب إِلَى هَذَا فَهُوَ وَجه وَإِلَّا كَانَ المطلع فِي كَلَام الْعَرَب على غير هَذَا وَقد فسرناه فِي مَوضِع آخر وَهُوَ المأتى الَّذِي يُؤْتى مِنْهُ حَتَّى يعلم علم الْقُرْآن من كل ذَلِك المأتى والمصعد.

قال: وَأما قَوْله: لَهَا ظهر وبطن فَإِن النَّاس قد اخْتلفُوا فِي تَأْوِيله يروى بطن عَن الْحسن أَنه سُئِلَ عَن ذَلِك فَقَالَ: أَن الْعَرَب تَقول: قد قلبت أَمْرِي ظهرا لبطن - يعني يقصد في التقليب والاستنباط والتدبر - وَقَالَ غَيره: الظّهْر لفظ الْقُرْآن والبطن تَأْوِيله - أي تفسيره -.

وَفِيه قَول ثَالِث وَهُوَ عِنْدِي أشبه الْأَقَاوِيل بِالصَّوَابِ وَذَلِكَ أَن اللَّه عز وَجل قد قصّ عَلَيْك من نبأ عَاد وَثَمُود وَغَيرهمَا من الْقُرُون الظالمة لأنفسها فَأخْبر بذُنُوبِهِمْ وَمَا عاقبهم بهَا فَهَذَا هُوَ الظّهْر إِنَّمَا هُوَ حَدِيث حَدثك بِهِ عَن قوم فَهُوَ فِي الظَّاهِر خبر وَأما الْبَاطِن مِنْهُ - يعني المقصود به المعني أنت - فَكَأَنَّهُ صير ذَلِك الْخَبَر عظة لَك وتنبيها وتحذيرا أَن تفعل فعلهم فَيحل بك مَا حل بهم من عُقُوبَته أَلا ترى أَنه لما أخْبرك عَن قوم لوط وفعلهم وَمَا أنزل بهم أَن ذَلِك مِمَّا يبين ذَلِك أَن من صنع ذَلِك عُوقِبَ بِمثل عقوبتهم وَهَذَا كَرجل قَالَ لَك: إِن السُّلْطَان أُتِي بِقوم قتلوا فَقَتلهُمْ وَآخَرين سرقوا فقطعهم وَشَرِبُوا الْخمر فجلدهم فَهَذَا الظَّاهِر إِنَّمَا هُوَ حَدِيث حَدثك بِهِ وَالْبَاطِن أَنه قد وعظك بذلك وأخبرك أَنه يفعل ذَلِك بِمن أذْنب تِلْكَ الذُّنُوب فَهَذَا هُوَ الْبَطن على مَا يُقَال وَالله أعلم ".

وفي كتاب " فضائل القرآن " لما أورد أثر الحسن مرسلا قال رحمه الله: " وَقَالَ الْحَسَنُ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا حَزَبَ أَحَدَهُمُ الْأَمْرُ قَالَ: قَدْ ضَرَبْتُ أَمْرِي ظَهْرًا لِبَطْنٍ، فَمَا وَجَدْتُ لَهُ فَرَجًا. وَقَالَ حَجَّاجٌ عَنِ الْحَسَنِ تَفْسِيرًا آخَرَ أَنَّهُ قَالَ: الظَّهْرُ هُوَ الظَّاهِرُ، وَالْبَطْنُ هُوَ السِّرُّ، وَالْحَدُّ هُوَ الْحَرْفُ الَّذِي فِيهِ عِلْمُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْمُطَّلَعُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ.

حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ قَالَ: هَذَا الْكَلَامُ الْأَخِيرُ لَا أَدْرِي أَهُوَ فِي حَدِيثِ الْمُبَارَكِ أَوْ فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ".

هذا ما يتعلق بمسألة أن القرءان فيه " ظَهْرٌ وَبَطْنٌ".

وأن المراد بذلك أنه اختلف في معناه:

القول الأول: قول ابن المبارك رحمه الله تعالى كما تقدم معنا مال إلى أن البطن هو التفسير بالرأي كل شخص سوف يفسر برأيه وكل شخص سيكون له شيء.

القول الثاني: قول الحسن قال: " أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: قد قلبت أَمْرِي ظهرا لبطن".

إذا تدبره وفكر فيه وتأمله وهذا التفسير اورده أيضا الطبري في " تهذيب الآثار " أن قوله: " قد قلبت أَمْرِي ظهرا لبطن". أنه مأخوذ من قول العرب كما قال الحسن ، ما معنى " قد قلبت أَمْرِي ظهرا لبطن".

يعني تدبرته ، تفكرت فيه فالقرآن له ظهر وبطن يعني محل للتدبر والتفكر التقليب يعني كما قال ابن مسعود: " مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ".

القول الثالث: بعض السلف ذهبوا إلى أن الظهر هو لفظ القرءان ما تتلوه والبطن المعنى والتفسير.

القول الرابع: الظهر هو الأخبار ما أخبرنا ربنا وهذا قاله أبو عبيد والبطن هو العبرة والاتعاظ مما أخبرنا الله به فالله عز وجل أخبرنا عن هلاك الظالمين لتعتبر.

القول الخامس: وهذا القول أورده الطبري في " تهذيب الآثار " أن جماعة من السلف ذهبوا إلى أن كل آية جاءت عامة في نوع أو جنس ومدلولها الخصوص فظاهرها العموم وبطنها الخصوص يعني يراد بها الخصوص وهذه أقوال لهذا الذي أشرنا إليه.

بالنسبة للأحرف السبعة سنتكلم عليه فيما يذكره بعد ذلك وحديث الأحرف السبعة متواتر وقد جمع فيه أبو عمرو الداني رسالة في ذلك جمع طرقه.

(12) لأنه حتى في بعض روايات الأثر بعد أن ذكر كلام عليّ بن مسعود لما ذكر الحديث كما رواه أحمد في مسنده (7/ 88) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةً مِنَ الثَّلَاثِينَ، مِنْ آلِ حم قَالَ: يَعْنِي الْأَحْقَافَ قَالَ: وَكَانَتِ السُّورَةُ إِذَا كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ آيَةً سُمِّيَتِ الثَّلَاثِينَ، قَالَ: فَرُحْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا رَجُلٌ يَقْرَؤُهَا عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأَنِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِآخَرَ: اقْرَأْهَا، فَقَرَأَهَا عَلَى غَيْرِ قِرَاءَتِي وَقِرَاءَةِ صَاحِبِي، فَانْطَلَقْتُ

بِهِمَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَيْنِ يُخَالِفَانِي فِي الْقِرَاءَةِ؟ قَالَ: فَغَضِبَ، وَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: " إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الِاخْتِلَافُ " - قَالَ: قَالَ زِرٌّ: وَعِنْدَهُ رَجُلٌ - قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ كَمَا أُقْرِئَ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الِاخْتِلَافُ قَالَ قال: عَبْدُ اللهِ: " فَلَا أَدْرِي أَشَيْئًا أَسَرَّهُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ عَلِمَ مَا فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ " قَالَ: " وَالرَّجُلُ هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ".

وإن كان في الحديث في إسناده شيء لكن معناه صحيح وقد ثبت عن ابن مسعود بإسناد صحيح كما جاء في " فضائل القرآن " لأبي عبيد رحمه الله قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود: " إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ الْقُرَّاءَ فَوَجَدْتُهُمْ مُتَقَارِبِيْنَ، فَاقْرَءُوا كَمَا عَلِمْتُمْ فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ هَلُمَّ، وَتَعَالَ ".

هذا إسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهذا البحث هو بحث الأحرف السبعة طبعا البحث هذا طويل في معنى الأحرف السبعة.

أشهر الأقوال مقالتان يعني والأقوال فيها كثيرة لكن أشهر الأقوال التي قيلت هي قولان:

القول الأول: أن الأحرف السبعة هي سبعة لغات من لغات العرب التي نزل بها القرءان وهذا مال إليه جماعة من أهل اللغة كأبي العباس أحمد بن يحيى المعروف **بثعلب** وكذلك الأزهري ذهبوا إلى هذا وهو مذهب أبو عبيد القاسم بن سلام كما صرح به في " فضائل القرآن " أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب.

القول الثاني: أنها سبعة لكن المراد بذلك اختلاف الألفاظ يعني من باب هلم وأقبل وتعال ونحو ذلك بأن هذا هو معنى الأحرف السبعة التي أنزل بها القرءان.

هذا تقريب قولان في المسألة ولعل القول الثاني وأنه من باب اختلاف القراء من باب هلم وقبل وتعال الذي هو قول بن مسعود يكون هو أقرب والله تعالى أعلم وأما القول بأنها سبعة لغات هذا فيه نظر لماذا؟ لأن هشام بن حكيم كما جاء في " الصحيحين " عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: " سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى

رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ يَا عُمَرُ، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ".

فهما قرشيان فلذلك القول بأنها سبع لغات خمس في هوازن واثنتان لسائر العرب وقيل سبع لغات متفرقة الله أعلم هذا فيه نظر والعلم عند الله تبارك وتعالى وأن هذا الاختلاف الحاصل كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: " إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ الْقُرَّاءَ فَوَجَدْتُهُمْ مُتَقَارِبِينَ، فَاقْرَءُوا كَمَا عَلِمْتُمْ فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ هَلُمَّ، وَتَعَالَ".

ولذلك قرأ بعضهم { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ } [الحجرات: 6] قرأها { فَتَثَبَّتُوٓاْ } وهكذا ، أما من قال أنها هي من باب اختلاف وزن الكلمة ، اختلاف الأسماء يعني مثلا إفرادا وتثنية ، وجوه الإعراب ، التي هي وجوه الإبدال هذه فيها نظر والله أعلم وإن كان بعضهم قال كذاك ابن الجزري يقول تبعت القراءات ووجتها ترجع إلى سبعة أوجه هذه فيها نظر هذه طارئة وأبعد الأقوال بل أسخفها من زعم أن الأحرف السبعة أنها هي القراءات السبع هذا ليس صحيح هذه القراءات السبع سبعها ابن مجاهد ، طبعا هو راعى قضية المصاحف ولم يراعي قضية الأحرف ما معنى قضية المصاحف؟ تقدم معنا في كتاب " المصاحف " لابن أبي داود لو تذكرون عندما ذكرنا أن عثمان رضي الله عنه كتب خمس مصاحف هذا المشهور وقيل سبعة بعث منه إلى كور [[بلدان]] هو راعى ابن مجاهد رحمه الله في كتابه " السبعة في القراءات " هذه البلدان التي أُرسل إليها المصاحف واختار من كل بلدة أشهر القراء وهذا اختيار منه رحمه الله وإلا القراءات أكثر من سبعة لذلك والله أعلم وأنا هذا أعلى شيء وجته في الباب قول بن مسعود أن الاختلاف في الأحرف السبعة أنه من باب اختلاف الألفاظ ثم هذا نسخ طبعا بعض المصحف عثمان نسخ ، طبعا الأحرف السبعة نزلت لأن الأمة فيها أميين كما جاء الحديث في " جامع الترمذي" عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: " لَقِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ ، فَقَالَ: " يَا جِبْرِيلُ، إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ؛ مِنْهُمُ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ".

(13) طبعا هذا الأثر قد رواه الإمام أحمد في " مسنده " وفي إسناده حرب بن ثابت هو ذكر هنا حرب بن أبي ثابت هذا ذكره ابن أبي حاتم والبخاري ولم يذكروه في جرح ولا تعديل ولم يوثقه إلا بن حبان لكن المعنى قد وجد في حديث أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أنه قَالَ: " كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فقرَأَ قِراءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ آخرُ فقرَأَ قِراءَةً سِوَى قِراءَةِ صَاحِبِهِ.

فَلَمَّا قَضيْنَا الصَّلَاةَ دَخلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِراءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، وَدَخَلَ آخرُ فقرَأَ سِوَى قِراءَةِ صَاحِبِهِ.

فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقرَآ فَحَسَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُمَا، فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي، فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا، فَقَالَ لِي: " يَا أُبَيُّ، أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنْ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا ".

فَقُلْتُ: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ".

وهذا قاله النبي صلى الله عليه وسلم ليبيّن أن القرءان كله صواب وهذا الذي احْتُج على رواية ابن مسعود أنه واحد "......إِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ صَوَابٌ، مَا لَمْ تَجْعَلْ رَحْمَةً عَذَابًا، أَوْ عَذَابًا رَحْمَةً".

لأن هذا الأول هذا المراد بالأحرف السبعة أقبل ، هلم ، تعال ، باب واحد { عَزِيزًا حَكِيمًا } ، { سَمِيعًا بَصِيرًا } باب واحد.

(14) هنا قوله في أثر ابن مسعود هذا في بعض ألفاظه ثبتت عن ابن مسعود وإن كان إسناده فيه عليّ بن أبي عليّ وهو الهاشمي هذا منكر الأحاديث ولا يجوز الاحتجاج به كما ذكره أحمد رحمه الله وإلا معنى الذي ذكره هنا بن مسعود قد صحت عنه من طرق أنه قرأ عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وأنه حضر العرض الأخيرة كما ذكرها عبيدة السلماني وأن بن مسعود قال: " مَنْ جَحَدَ بِحَرْفٍ مِنْهُ جَحَدَ بِهِ كُلِّهِ".

ونحو ذلك والصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم كانوا يعلمون ذلك ، يعني لما روى الزهري كما في " صحيح " مسلم أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى حَرْفٍ، فَرَاجَعْتُهُ. فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ".

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: " بَلَغَنِي أَنَّ تِلْكَ السَّبْعَةَ الْأَحْرُفَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَكُونُ وَاحِدًا لَا يَخْتَلِفُ فِي حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ".

وهذا يؤكد أن الأحرف السبعة هي وجوه معاني من باب " هلم وأقبل وتعال " وهذا إجماع نقله أبو عبيد والداني وغيره قال أبو عبيد: " أَفَلَسْتَ تَرَى اخْتِلَافَهُمْ إِنَّمَا كَانَ فِي الْوُجُوهِ وَالْحُرُوفِ الَّتِي تُفَرِّقُ فِيهَا الْأَلْفَاظُ، فَأَمَّا التَّأْوِيلُ فَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِيهِ".

يعني أن ليس بينها تضاد في المعنى وهذا قلناه في كتاب " المصاحف " وفي حديث أبيّ بن كعب رضي الله قال: " كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ".

هي مسائل نقد القراءة انتبه للقضية هذه جيدا ، القرآن في وجوه الأداء والاختيار العلماء لهم طرق في النقد وهذا النقد موجود في زمان الصحابة ما يسمى بنقد القراءة ونقد القراءة ليس هو رد القرآن ، القرآن محفوظ لكن وجوه أداء الألفاظ مثلا شخص يصبح عنده اختيار أو يقرأ هذا الشخص هذه الآية بهذا الوجه هذا العلماء ينقدونه ، ففي نقد للقراءة لكن بقواعد وأصول ليس الأمر لكل من هب ودب يريد ينقد ، لا في أصول وقواعد والعلماء كانوا ينقدون ، فينقدون باعتبارات مثلا:

- ما خالف الرسم أي رسم المصحف
- ما خالف وجه العربية
- ما خالف التفسير المشهور

ولذلك مثلا عائشة رضي الله عنها لما سألها عروة قوله: { حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ } [يوسف:110]، قال: قلت: أ { كُذِبُواْ } أم { كُذِّبُواْ } ؟ قالت عائشة: بل { كُذِّبُواْ } يعنى: بالتشديد، فعائشة رضي الله عنها كانت ترى التشديد ولا ترى التخفيف مع أن كلاهما متواتر القراءة به { كُذِبُواْ } و { كُذِّبُواْ } ومن هذا الباب أيضا أبيّ بن كعب يقول: " فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ".

يعني وجه الاختيار ليس إنكار للقرآن وبعضهم لا يفرق لماذا أقول هذا الكلام؟ أقول هذا الكلام لأن الجماعة التي توسع الإعذار في غير موضعه ولا تفقهه يأتون بمثل هذه الأشياء وينزلونها على من ينكر القرآن ينكر ما بين اللوحين كالرافضة مثلا الذي يرى التحريف أو لا يراه تاما فيقول لك أنظر أبيّ بن كعب قال أنكرت قراءة كذا وعمر بن الخطاب أنكر قراءة هشام بن حكيم رضي الله عن الصحابة أجمعين ويقوب كذا وكذا.

يعني ماذا تريد أن تُوَصِّل؟! قال هذا دليل على أنه يعذر من أنكر القرآن ، نقول لا وقد تقدم معنا الإجماع الذي نقله أبو عبيد على كفر من أنكر ما بين اللوحين قال: " وَيْحَكُمُ بِالْكُفْرِ عَلَى الْجَاحِدِ لِهَذَا الَّذِي بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ خَاصَّةً وَهُوَ مَا ثَبَتَ فِي الْإِمَامِ الَّذِي نَسْخَهُ عُثْمَانُ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَإِسْقَاطِ لِمَا سِوَاهُ ثُمَّ أَطْبَقَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، فَلَمْ يُخْتَلَفْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، يَعْرِفُهُ جَاهِلُهُمْ كَمَا يَعْرِفُهُ عَالِمُهُمْ، وَتَوَارَثُهُ الْقُرُونُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَتَتَعَلَّمَهُ الْوِلْدَانُ فِي الْمَكْتَبِ".

هذا مجمع عليه المصحف العربي، مصحف القرآن من أنكره كافر لكن وجوه الاختيار قد تخفى على بعض العلماء وهذه قد تخفى حتى على العوام وذكرت لكم قصة شخص لما قرأ { وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ} [يوسف:13] قرأها { ٱلذِّيبُ} أمام عامة فكادوا يقتلونه قالوا هذا يلعب بالقرآن مع أن هذه قراءة مشهورة ومتواترة وصحيحة ، ولغة العرب أصلا بالتخفيف

فممكن بعض العامة تقرأ أمامه بعض وجوه الاختيار وهو لا يفهم في داخل المصحف العثماني وجوه الاختيار لا يفهم لكن العلماء ينقدون ذلك لهم قواعد ولهم أُسُسْ فالذي يختلف معي وهذه النقطة التي أريد أن أوصلها في وجه الاختيار غير الذي يختلف في أصل القرآن في حفظه بين اللوحين فهمتم القضية كيف لأنه ممكن العالم ينكر قراءة باعتبارات حتى بظاهر المعنى أو ينقدها ولا يرى القراءة بها يقول لا تقرأ بها وتكون القراءة صحيحة لكن هو ضاق فهمه للمعنى وهذا يُخَرَّج عليه أثر شريح الذي يحتج به الجهمية أو يحتج به من يعذر الجهمية في مسائل التأويل والتحريف يقول لك شريح أَوَّلَ صفة العجب ، لا شريح ما أوَّلها ، ما قال الله يعجب بمعنى أنه يريد الإحسان أو يريد الإنعام ما قال هذا هو قال: " إنّ الله لا يعجب".

فظاهر حاله أنه أنكر القراءة لأن القراءة تقرأ { بَلْ عَجِبْتُ} ، { بَلْ عَجِبْتَ } [الصافات:12] وهما قراءتان محفوظتان { بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ} [الصافات:12] قرأ بها عليّ بن أبي طالب وزيد بن ثابت وبن مسعود

وقرأ بها غالب أهل الكوفة ، فهو قال كما رواه بن أبي حاتم في تفسيره (3206/10): " إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْجَبُ مِنَ الشَّيْءِ، إِنَّمَا يَعْجَبُ مَنْ لَا يَعْلَمُ.

قَالَ الْأَعْمَشُ: فَذَكَرْتُ ذلك لإبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ: إِنَّ شُرَيْحًا كَانَ مُعْجَبًا بِرَأْيِهِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ، عَنْهُ كَانَ أَعْلَمَ مِنْهُ، كَانَ يَقْرَأُهَا { بَلْ عَجِبْتُ } ".

فالظاهر أن شريح حاله ليست حال من أوّل الصفة ليس هذا الباعث وإنما أنه أنكر الاختيار وليس أنكر القرءان في فرق ، أنكر الاختيار أن تقرأ بهذا الوجه إيش الداعي؟ ضاق فهمه رحمه الله مع علمه وإمامته وهو من أئمة السلف ضاق فهمه وظن أنه العجب صورته واحدة ، فالعجب عند العرب من جهتين:

الجهة الأولى: قد يكون العجب نتكلم من حيث هو قد يكون من جهة استنكار الشيء جهلا بسببه هذا في المخلوقات والله منزه عنه.

الجهة الثانية: وفي عجب له معنى آخر وشرح هذا ابن بطة والثعلب وغيرهم وهذا الذي يليق بالله تبارك وتعالى في هذا الباب.

فهو ظن شريح وهذا ممكن يكون لضيق لغة أو لتصور ضيق ظن أن العجب لا يكون من هذا الوجه فنقد هذه القراءة كما نقد جماعة من السلف قراءة { قَدْ كُذِبُواْ } بالخفيف لأنه تقول { حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ } [يوسف: 110] { كُذِبُواْ } يعني يُظن أن الرسل ظنوا أن الله أخلف لهم الوعد وهذا كاعتقاد من الرسل ينزهون عنه وإن كان بعض السلف قالوا: كان من الشيطان لأنهم بشر يعني ممكن يُلقي الشيطان في قلب النبي أشياء لكنها لا تكون اعتقاداً منه وهذا كما جاء في قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام { وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ } [البقرة: 260] قال بن عباس: " فَهَذَا لِمَا يَعْتَرِضُ فِي الصُّدُورِ مِمَّا يُوَسْوِسُ بِهِ الشَّيْطَانُ".

وكما قال عطاء أيضا: " دَخَلَ قَلْبَ إِبْرَاهِيمَ بَعْضُ مَا يَدْخُلُ قُلُوبَ النَّاسِ".

فكان وسواس من الشيطان والشيطان يوسوس لهم لكن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الله عز وجل يؤيدهم سبحانه وبحمده وقد يقع الوسواس والنبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَمَعَهُ شَيْطَانٌ ".

قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ

قَالَ: " وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ".

المهم الشاهد من كلامي هذا كله حتى تفهم أن قصة شريح هي في قضية إنكار اختيار في قراءة بناءً على معنى ضيق هذا قد يحصل للعالم لكن هذا ليس يقاس على خطأ من أثبت القراءة نعم { بَلْ عَجِبْتُ } ثابتة لكنها بمعنى إرادة الإنعام والإحسان ولذلك حتى بعض الجهمية قالوا نعم { بَلْ عَجِبْتُ } ينسب العجب إلى الله بهذا المعنى ، نقول هذا تحريف هذا جهمي وهذا ليس كشريح رحمه الله تبارك وتعالى لذلك إنكار الاختيار هذه نفرق بينها وبين أصل ما بين اللوحين لذلك أبو عبيد فرق بينهما وأبيّ بن كعب لما سمع القراءة قراءة صاحبه كما جاء في الحديث قال: " فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ.

فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَآ فَحَسَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُمَا، [فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ].

هذا [فَسَقَطَ فِي نَفْسِي] يريد الوسواس لا يريد الاعتقاد انتبه الشيطان قد يُلقي في قلبك أشياء والصحابة تكلموا عن هذا: ".......قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشْيَاءُ نَجِدُهَا فِي أَنْفُسِنَا يَسْقُطُ أَحَدُنَا مِنْ عِنْدِ الثُّرَيَّا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يتكلم به....".

فهذا قد يقع في نفس الصالح نوع من الوسواس الخاطر السيء ولكن الصالح يصرفه قال:" فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي، فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا، فَقَالَ لِي: " يَا أُبَيُّ، أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنْ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ: اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا ....". الحديث

ولذلك كان أبو العالية رحمه الله: " إِذَا قَرَأَ عِنْدَهُ رَجُلٌ لَمْ يَقُلْ: لَيْسَ كَمَا تَقْرَأُ، وَيَقُولُ: أَمَّا أَنَا فَأَقْرَأُ كَذَا وَكَذَا".

قَالَ شُعَيْبٌ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: " أَرَى صَاحِبَكَ قَدْ سَمِعَ أَنَّهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ ".

(15) ولا بد أن الإنسان في مواطن فهم المسائل هذه أنه يفهم أن هذا المراد به الوسواس جنس الوسواس والخواطر لأنه سيأتي في الرواية بعدها قال: " مَا حَاكَ فِي صَدْرِي شَيْءٌ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، إِلَّا أَنِّي قَرَأْتُ آيَةً، فَقَرَأَهَا رَجُلٌ غَيْرَ قِرَاءَتِي، فَقُلْتُ: أَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ........". الحديث

وهذا السواس يقع للصالحين من عباد الله عز وجل ولذلك في الحديث الذي رواه البخاري في " الصحيح " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ.....". الحديث

فبعضهم استشكلها يقول لك إبراهيم شك! كيف تقول هذا الكلام؟! هذا حديث منكر.

قلت: وهكذا يصنع جماعة العقلانيين من المعتزلة وغيرهم يقول لك هذا حديث باطل كيف تنسب الشك لإبراهيم؟ والشك يعني على القول به الذي قاله بن عباس وغيره أنه من باب الوسواس فقط لذلك ربنا قال: { قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ } [البقرة: 260] فالوسواس قد يقع للإنسان واضح وفي نقطة مهمة جدا لطالب العلم في لغة العلم دائما إفهم الشيء مع نظيره لا تفهم الشيء مفرداً هذه نصيحة نحن اليوم نعاني من هذه القضية جدًا كثير من الشبه هي مفاريد ، كثير من الاشتباه الذي يقع لبعض الناس في مسائل هو بسبب أنه ما جمع ما في الباب ، ما عندهم تحصيل لما في الباب وهذا له نماذج كثيرة وكثيرة جدًا فيشتغل بالفرد هذا عن الأصل المجمع عليه ، ثم نصيحتي لنفسي ولإخواني في مثل هذا الضرب أنك تعتصم بعد الله عز وجل بأمرين:

الأمر الأول: ما عليه جماعة المسلمين:

دائما ما كان فيه إجماع إعلم أنه لا يكون إلا حقًا لأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على خطأ فالمسألة إذا حكي فيها الإجماع وحكاية الإجماع عند العلماء على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الإجماع الإحاطي:

وهو الإجماع الظاهر من الشريعة كما قال الشافعي: " لَا تَلْقَى أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ إلَّا وَجَدْت عِلْمَهُ عِنْدَهُ ".

النوع الثاني: الإجماع الإقراري [الإجماع السكوتي]:

وهو أن يتكلم كثير ويسكت البعض ولا ينكرون ويشتهر عنه.

النوع الثالث: الإجماع الإستقرائي:

وهذا الذي يبحثه العلماء ويُخطئ بعضهم بعضا فيه وهو أن العالم يستقرئ كلام العلماء وينظر فلا يجد أحد يخالف فيحكي الإجماع بقوله " **ما وجدت مخالفا** "، " **لا أعلم فيه خلافا** ". وهذا يسمى إجماع استقرائي وهذا يكون لرجل مطلع على الآثار من أمثال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية في طبقتهم يعني ومن قبلهم الشافعي وغيرهم من أصحاب الوعاء الواسع في الخبرة والدراية والإحاطة بعلوم الأثر هذا يقبل منه أن يحكي الإجماع.

فهذه ثلاث مراتب أو ثلاث طرق للعلماء في حكاية الإجماع فمسألة إذا فيها إجماع خلاص الآن أنت مثلا العقائد المختصرة هذه من رحمات ربي علينا في هذا العصر فيها إجماعات مع أنها عقائد مختصرة لكن فيها إجماع ، يقول لك هذه عقيده فقهاء الأمصار فلان وفلان وفلان ما وجدنا أحد إلا يقول بهذا أئمهم كبار كأبي حاتم وأبي زرعة والكرماني وعبد الله بن أحمد والخلال بعدهم فيحكون إجماعات ، ما يمكن أنت تترك الإجماع لشيء لفرد إعلم أن ذلك الفرد ما جهلوه فهمت القضية كيف يعني ما جهلوه وأن تستدرك عليهم كما اليوم يستدرك.

الأمر الثاني: جمع الشيء لنظيره:

دائما إذا الشخص جاء يلبس بفرد من الأفراد أي مسألة جاء يلبس بفرد لكي يستدل على باطل اجمع ما في الباب وظم النظير إلى نظيره فمثلا من الأشياء أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: " **سئل مَا تَقُولُ فِيمَنْ قَالَ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هَذَا رَجُلٌ يُعَلَّمُ وَيُقَالُ لَهُ: إِنَّ هَذَا كُفْرٌ ، فَإِنْ رَجَعَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ** ".

بعض الناس سمع هذا الأثر وأتى ذاك [الدكتور المجنون وهذا ردت عليه] هذا الرجل ساقط علميًا يعني ما وجدناه شيء كثير ذهب وأتى بخمسة أشياء وقال هذه تنقض كلام من يقول بأن السلف يكفرون عموم أعيان الجهمية فأتى باثر أبي عبيد هذا.

هذا حقيقة نموذج لما نذكره بعض الناس وبعض الجهلة في هذا النمط يجد بعض الآثار في هذا السياق أثر إفرادي فيتوقف في المسألة وكم رأينا كثير من الناس هكذا ، يا عبد الله المسألة فيها إجماع تكفير أعيان الجهمية هذا مجمع ما في شك ما في ريب يقول لك لا كيف هذا الأثر؟! إذا أبو عبيد يخالف الإجماع ، لا هو أنت لم تضم الشيء إلى نظيره.

أولا: كلمة يُعَلَّم في كلام السلف هي موضع الإستتابة ، أنت الذي تستيبه وأنت تعلمه قل كذا ولا تقل كذا كما قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ، فَيُقَالُ لَهُ: ارْجِعْ عَنِ الْكُفْرِ فَإِنْ فَعَلَ وَإِلَّا قُتِلَ بَعْدَ أَنْ يُؤَجِلَهُ الْوَالِي ثَـلَاثَةَ أَيَّامٍ".

هو أبو عبيد قال لك يُعَلَّم التوحيد يُعَلَّم أن لا يقول القرآن مخلوق، هو ما يتكلم في حكمه ، فهمت الفرق أين ، لكن كثير من عبارات السلف تفسر بالأوضاع المألوفة عند المعاصرين أن كلمة يُعلم إذًا لا يُكفر هذا لا يلزم ولذلك العلماء رحمهم الله تعالى باب التكفير عندهم اعتقاد لا يخص القاضي لأن " **ألف**"، " **باء**"، " **جيم**"، " **دال** " في علم الفقه القاضي فيما يقضي؟ القاضي ما هي وظيفته؟ القاضي يقضي في شيئين هذه مهمته ووظيفته:

- يقضي الخصومات بين الناس باب التدارء والحقوق في الاموال والأبدان.

- وينفذ الحدود.

هذه طريقته القاضي ، تنفيذ الحد هذا له ما ينفذه غيره لا [84.56] أحد على سلطان يذهب ويقيم وحده وليس له ولاية سلطان ولا قضاء ، و أنه يفصل في المنازعات في أبواب الدماء والفروج والأموال في تدارء الحقوق هو ما في ما يفصل في المسائل الاجتهادية يعني القاضي الآن نحن تنازعنا في مس الذكر هل يبطل الوضوء أم لا؟ القاضي ما يلزم بهذا ، لماذا؟ لأن المسألة اجتهادية في علم الشريعة فبتالي ليست محلاً للتقاضي عند القضاة ، فمن باب أولى التكفير وهو مجمع عليه شخص يقول القرءان مخلوق كافر ما في نذهب به إلى القاضي يكفره لا ، القاضي يقيم عليه الحد فهمت كيف كما جاء عن الْبُوَيْطِيَّ يُوسُفَ بْنَ يَحْيَى الْقُرَشِيَّ، قَالَ: " سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ: ذَاكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ الْمِرِّيسِيَّ، يَعْنِي حَدِيثَ الْقُرْعَةِ بَيْنَ السِّتَّةِ الْأَعْبُدِ، فَقَالَ: هَذَا قِمَارٌ. فَأَتَيْتُ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، شَاهِدٌ آخَرُ، وَأَرْفَعُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، وَأُصَلِّبُهُ".

يعني القاضي يطبق الحد ، لذلك يقول العلماء يُرفع إلى الإمام يستتيبه.

ثانيا: كثير من السلف مثل أبي عبيد كان قاضي في طرسوس بعض الأجوبة تكون جواب فتوى للقضاة لأنهم كانوا يطبقون الشريعة ويطبقون الحدود على المرتدين ولذلك القضاة كانوا يرجعون لأهل الفتوى من اجل الاجتهاد يسألونهم في ما يُشكِل عليهم وهذا معروف يرجعون إليهم كان عمر بن عبد العزيز وكثير من قضاة الإسلام إذا أشكل عليه يذهب إلى الفقهاء والمفتين يقول لهم ما تقولون في هذا ، ماذا تقولون في كذا يرجعون فمثلا مالك يقول: يستتاب ، هذا يحبس ، هذه أحكام قضاء يعني هي إرشادات

للقاضي كيف يتوجه التعامل مع هذا؟ ليس البحث يكفر لا يكفر هذه أبعد ما تكون إنما ظهرت في زماننا والمشكل أن الذين أظهروها هم الحركيون دعاة لا قضاة هذه ظهرت فتصور الناس أن القاضي هو الذي يكفر ، لا هو الحد شيء حتى بعض الحنابلة المنتسبين لمذهب أحمد بن حنبل ، طبعا هذه قضية الحنابلة سوف نأتي عليها إن شاء الله في درس خاص إن شاء الله فيما يُستقبل بإذن الواحد الأحد لأنه هذه الحنبلية صارت اليوم في مشروع إجرامي سري يراد حرف شباب كثير ممن ينتسبون للأثر إلى القبورية باسم الأثر في ناس شغالة على هذا الأمر أنت ممكن نائم مشتغل بالفيسبوك والجدل في مسائل قُتلت بحثًا وفي مناشير لا تنفع ولا تضر ، في مباحث أولى التي هي تأصيل التوحد في الشباب.

المهم الشاهد حتى نبقى في أصل الفائدة أنت أي مسألة إن شاء الله إذا حاكت في صدرك أو شيء:

أول شيء: أنظر موضع الإجماع والزمه فإن في لزوم جماعة المسلمين في دينهم وما قالوه في الحق العصمة والسلامة

ثاني شيء: ظم النظير إلى نظيره فستجد الحل إن شاء الله تبارك وبحمده.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.



الدرس الثالث

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد فإن أحسن الكلام كلام الله تبارك وتعالى وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

هذا مجلس جديد إن شاء الله تعالى من مجالسنا في القراءة على مقدمة تفسير جامع البيان نواصل إن شاء الله تعالى

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى أَبِي لَيْلَى، وَعَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنِ الْحَكَمِ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أُبَيٍّ، قَالَ: " دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فَقَرَأْتُ النَّحْلَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَرَأَهَا عَلَى غَيْرِ قِرَاءَتِي، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَرَأَ بِخِلَافِ قِرَاءَتِنَا، فَدَخَلَ فِي نَفْسِي مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ أَشَدُّ مِمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخَذْتُ بِأَيْدِيهِمَا، فَأَتَيْتُ بِهِمَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَقْرِئْ هَذَيْنِ، فَقَرَأَ أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: «أَصَبْتَ» . ثُمَّ اسْتَقْرَأَ الْآخَرَ، فَقَالَ: «أَصَبْتَ» . فَدَخَلَ قَلْبِي أَشَدُّ مِمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرِي، وَقَالَ: «أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنَ الشَّكِّ وَأَخْسَأَ عَنْكَ الشَّيْطَانَ» .

قَالَ إِسْمَاعِيلُ: فَفِضْتُ عَرَقًا. وَلَمْ يَقُلْهُ ابْنُ أَبِي لَيْلَى.

قَالَ: فَقَالَ: " أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ.

فَقُلْتُ: إِنَّ أُمَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ لِي: اقْرَأْ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتَهَا مَسْأَلَةٌ، قَالَ: فَاحْتَاجَ إِلَيَّ فِيهَا الْخَلَائِقُ، حَتَّى إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ".

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أُبَيٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِنَحْوِهِ. (1)

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الطُّوسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جُحَادَةَ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: " أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَمَنْ قَرَأَ مِنْهَا حَرْفًا فَهُوَ كَمَا قَرَأَ".

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ" ، قَالَ: " أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ

قَالَ: ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ

قَالَ: " أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ"، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ".

قَالَ: " أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ" . ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا ".

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَحْوَهُ.

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّهُ قَالَ: " سَمِعْتُ رَجُلًا، يَقْرَأُ

فِي سُورَةِ النَّحْلِ قِرَاءَةً تُخَالِفُ قِرَاءَتِي، ثُمَّ سَمِعْتُ آخَرَ يَقْرَؤُهَا قِرَاءَةً تُخَالِفُ ذَلِكَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَيْنِ يَقْرَآنِ فِي سُورَةِ النَّحْلِ، فَسَأَلْتُهُمَا: مَنْ أَقْرَأَهُمَا؟ فَقَالَا: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقُلْتُ: لَأَذْهَبَنَّ بِكُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ خَالَفْتُمَا مَا أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَحَدِهِمَا: «اقْرَأْ» ، فَقَرَأَ، فَقَالَ: «أَحْسَنْتَ» ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ: «اقْرَأْ» فَقَرَأَ، فَقَالَ: «أَحْسَنْتَ» ، قَالَ أُبَيٌّ: فَوَجَدْتُ فِي نَفْسِي وَسْوَسَةَ الشَّيْطَانِ، حَتَّى احْمَرَّ وَجْهِي، فَعَرَفَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِي، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: " اللَّهُمَّ أَخْسِئِ الشَّيْطَانَ عَنْهُ " . يَا أُبَيُّ، أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، فَقُلْتُ: رَبِّ خَفِّفْ عَنِّي، ثُمَّ أَتَانِي الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، فَقُلْتُ: رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي. ثُمَّ أَتَانِي الثَّالِثَةَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقُلْتُ مِثْلَهُ، ثُمَّ أَتَانِي الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ مَسْأَلَةٌ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَاخْتَبَأْتُ الثَّالِثَةَ شَفَاعَتِي لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّنْعَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، عَنْ سَيَّارٍ أَبِي الْحَكَمِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ذَكَرَ أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَكُلٌّ يَزْعُمُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأَهُ، فَتَقَارَآ إِلَى أُبَيٍّ، فَخَالَفَهُمَا أُبَيٌّ، فَتَقَارَءُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، اخْتَلَفْنَا فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَكُلُّنَا يَزْعُمُ أَنَّكَ أَقْرَأْتَهُ. فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: «اقْرَأْ». قَالَ: فَقَرَأَ. فَقَالَ: «أَصَبْتَ». وَقَالَ لِلْآخَرِ: «اقْرَأْ». فَقَرَأَ خِلَافَ مَا قَرَأَ صَاحِبُهُ. فَقَالَ: «أَصَبْتَ». وَقَالَ لِأُبَيٍّ: «اقْرَأْ». فَقَرَأَ فَخَالَفَهُمَا. فَقَالَ: «أَصَبْتَ». قَالَ أُبَيٌّ: فَدَخَلَنِي مِنَ الشَّكِّ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دَخَلَ فِيَّ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي فِي وَجْهِي، فَرَفَعَ يَدَهُ فَضَرَبَ صَدْرِي، وَقَالَ: «اسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». قَالَ: فَفِضْتُ عَرَقًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ فَرَقًا، وَقَالَ: " إِنَّهُ أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ. فَقُلْتُ: رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي. قَالَ: ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ

عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ. فَقُلْتُ: رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي. قَالَ: ثُمَّ جَاءَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ. فَقُلْتُ: رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي. قَالَ: ثُمَّ جَاءَنِي الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ مَسْأَلَةٌ، قَالَ: قُلْتُ: رَبِّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، رَبِّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَاخْتَبَأْتُ الثَّالِثَةَ شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، حَتَّى إِنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، لَيَرْغَبُ فِيهَا".

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ جِبْرِيلُ: اقْرَءُوا الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. فَقَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ. فَقَالَ: عَلَى حَرْفَيْنِ. حَتَّى بَلَغَ سِتَّةً أَوْ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ. فَقَالَ: كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ، مَا لَمْ يَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، كَقَوْلِكَ: هَلُمَّ وَتَعَالَ". (2)

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ خُصَيْفَةَ، عَنْ بِشْرِ بْنِ سَعِيدٍ: " أَنَّ أَبَا جَهْمٍ الْأَنْصَارِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ هَذَا: تَلَقَّيْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ الْآخَرُ: تَلَقَّيْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَلَا تَمَارَوْا فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْمِرَاءَ فِيهِ كُفْرٌ". (3)

حَدَّثَنَا يُونُسُ قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ".

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ أَبِي عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، كُلٌّ كَافٍ شَافٍ".

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ الْغِفَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو خَلْدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الْعَالِيَةِ، قَالَ: " قَرَأَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كُلِّ خَمْسٍ رَجُلٌ، فَاخْتَلَفُوا فِي اللُّغَةِ، فَرَضِيَ قِرَاءَتَهُمْ كُلِّهِمْ، فَكَانَ بَنُو تَمِيمٍ أَعْرَبَ الْقَوْمِ ". (4)

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْعُثْمَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا وَلَا حَرَجَ، وَلَكِنْ لَا تَخْتِمُوا ذِكْرَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، وَلَا ذِكْرَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ ". (5)

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْحَجَّاجِ، قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جُحَادَةَ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلُ، وَهُوَ بِأَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ " قَالَ: فَقَالَ: " أَسْأَلُ اللَّهَ مَغْفِرَتَهُ وَمُعَافَاتَهُ أَوْ قَالَ: مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ سَلِ اللَّهَ لَهُمُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ "، فَانْطَلَقَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ " قَالَ: " أَسْأَلُ اللَّهَ مَغْفِرَتَهُ وَمُعَافَاتَهُ أَوْ قَالَ: مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ إِنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَسَلِ اللَّهَ لَهُمُ التَّخْفِيفَ ". فَانْطَلَقَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ " فَقَالَ: " أَسْأَلُ اللَّهَ مَغْفِرَتَهُ وَمُعَافَاتَهُ أَوْ قَالَ: مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ إِنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، سَلِ اللَّهَ لَهُمُ التَّخْفِيفَ "، فَانْطَلَقَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَمَنْ قَرَأَ مِنْهَا بِحَرْفٍ فَهُوَ كَمَا قَرَأَ ".

قال أبو جعفر: صَحَّ وَثَبَتَ، أَنَّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ أَلْسُنِ الْعَرَبِ، الْبَعْضُ مِنْهَا دُونَ الْجَمِيعِ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ أَلْسُنَتَهَا وَلُغَاتِهَا أَكْثَرُ مِنْ سَبْعَةٍ، بِمَا يَعْجِزُ عَنْ إِحْصَائِهِ.

فَإِنْ قَالَ: وَمَا بُرْهَانُكَ عَلَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ".

وَقَوْلِهِ: " أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ".

هُوَ مَا ادَّعَيْتَهُ، مِنْ أَنَّهُ نَزَلَ بِسَبْعِ لُغَاتٍ، وَأُمِرَ بِقِرَاءَتِهِ عَلَى سَبْعَةِ أَلْسُنٍ، دُونَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ، مَا قَالَهُ مُخَالِفُوكَ، مِنْ أَنَّهُ نَزَلَ بِأَمْرٍ، وَزَجْرٍ، وَتَرْغِيبٍ، وَتَرْهِيبٍ، وَقَصَصٍ، وَمَثَلٍ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، مِنَ الْأَقْوَالِ فَقَدْ عَلِمْتَ قَائِلِي ذَلِكَ، مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَخِيَارِ الْأَئِمَّةِ.

قِيلَ لَهُ: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ، لَمْ يَدَّعُوا أَنْ تَأْوِيلَ الْأَخْبَارِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهَا، هُوَ مَا زَعَمْتَ أَنَّهُمْ قَالُوهُ فِي الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ دُونَ غَيْرِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ لِقَوْلِنَا مُخَالِفًا، وَإِنَّمَا أَخْبَرُوا أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَوْجُهٍ، وَالَّذِي قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ كَمَا قَالُوا، وَقَدْ رَوَيْنَا بِمِثْلِ الَّذِي قَالُوا مِنْ ذَلِكَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، أَخْبَارًا قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا بَعْضَهَا، وَسَنَسْتَقْصِي ذِكْرَ بَاقِيهَا بِبَيَانِهِ، إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَأَمَّا الَّذِي قَدْ تَقَدَّمَ وَذَكَرْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَبَرُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ، عَنِ ابْنِ فُضَيْلٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: " أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ".

وَالسَّبْعَةُ الْأَحْرُفُ، هُوَ مَا قُلْنَا مِنْ أَنَّهُ الْأَلْسُنُ السَّبْعَةُ، وَالْأَبْوَابُ السَّبْعَةُ مِنَ الْجَنَّةِ، هِيَ الْمَعَانِي الَّتِي فِيهَا مِنَ الْأَمْرِ، وَالنَّهْيِ، وَالتَّرْغِيبِ، وَالتَّرْهِيبِ، وَالْقَصَصِ، وَالْمَثَلِ، الَّتِي إِذَا عَمِلَ بِهَا الْعَامِلُ وَانْتَهَى إِلَى حُدُودِهَا الْمُنْتَهَى، اسْتَوْجَبَ بِهِ الْجَنَّةَ.

وَلَيْسَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي قَوْلِ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ، خِلَافٌ لِشَيْءٍ مِمَّا قُلْنَاهُ، وَالدَّلَالَةُ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَاهُ مِنْ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، " نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ"، إِنَّمَا هُوَ أَنَّهُ نَزَلَ بِسَبْعِ لُغَاتٍ، كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا مِنَ الرِّوَايَاتِ الثَّابِتَةِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَسَائِرِ مَنْ قَدْ قَدَّمْنَا الرِّوَايَةَ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ، أَنَّهُمْ تَمَارَوْا فِي الْقُرْآنِ فَخَالَفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي التِّلَاوَةِ، دُونَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي، وَأَنَّهُمُ احْتَكَمُوا فِيهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَقْرَأَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ صَوَّبَ جَمِيعَهُمْ فِي قِرَاءَتِهِمْ عَلَى اخْتِلَافِهَا، حَتَّى ارْتَابَ بَعْضُهُمْ لِتَصْوِيبِهِ إِيَّاهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلَّذِي ارْتَابَ مِنْهُمْ، عِنْدَ تَصْوِيبِهِ جَمِيعَهُمْ: " إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ".

وَمَعْلُومٌ أَنَّ تَمَارِيَهُمْ فِيمَا تَمَارَوْا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ، لَوْ كَانَ تَمَارِيًا وَاخْتِلَافًا فِيمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ تِلَاوَاتُهُمْ مِنَ التَّحْلِيلِ، وَالتَّحْرِيمِ، وَالْوَعْدِ، وَالْوَعِيدِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، لَكَانَ مُسْتَحِيلًا أَنْ يُصَوِّبَ جَمِيعَهُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَأْمُرَ كُلَّ قَارِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَلْزَمَ قِرَاءَتَهُ فِي ذَلِكَ، عَلَى النَّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَمَرَ بِفِعْلِ شَيْءٍ بِعَيْنِهِ، وَفَرْضِهِ فِي تِلَاوَةِ مَنْ دَلَّتْ تِلَاوَتُهُ عَلَى فَرْضِهِ، وَنَهَى عَنْ فِعْلِ ذَلِكَ الشَّيْءِ بِعَيْنِهِ وَزَجَرَ عَنْهُ فِي تِلَاوَةِ الَّذِي دَلَّتْ تِلَاوَتُهُ عَلَى وَالزَّجْرِ عَنْهُ، وَأَبَاحَ وَأَطْلَقَ فِعْلَ ذَلِكَ الشَّيْءِ بِعَيْنِهِ، وَجَعَلَ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ فِعْلَهُ، وَلِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ أَنْ يَتْرُكَهُ تَرْكَهُ، فِي تِلَاوَةِ مَنْ دَلَّتْ تِلَاوَتُهُ عَنِ التَّخْيِيرِ.

وَذَلِكَ مِنْ قَائِلِهِ إِنْ قَالَهُ إِثْبَاتُ مَا قَدْ نَفَى اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ تَنْزِيلِهِ وَحُكْمِ كِتَابِهِ، فَقَالَ: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا } [النساء: 82] وَفِي نَفْيِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ عَنْ حُكْمِ كِتَابِهِ، أَوْضَحُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُنَزِّلْ كِتَابَهُ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا بِحُكْمٍ وَاحِدٍ مُتَّفِقٍ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ، لَا بِأَحْكَامٍ فِيهِمْ مُخْتَلِفَةٍ.

وَفِي صِحَّةِ كَوْنِ ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا يُبْطِلُ دَعْوَى مَنِ ادَّعَى خِلَافَ قَوْلِنَا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ"، لِلَّذِينَ تَخَاصَمُوا إِلَيْهِ، عِنْدَ اخْتِلَافِهِمْ فِي قِرَاءَتِهِمْ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ أَمَرَ جَمِيعَهُمْ بِالثُّبُوتِ عَلَى قِرَاءَتِهِ، وَرَضِيَ قِرَاءَةَ كُلِّ قَارِئٍ مِنْهُمْ، عَلَى خِلَافِهَا قِرَاءَةَ خُصُومِهِ وَمُنَازِعِيهِ فِيهَا وَصَوَّبَهَا.

وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ تَصْوِيبًا فِيمَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْمَعَانِي، وَكَانَ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُنْزِلَ عَلَيَّ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ "، إِعْلَامًا مِنْهُ لَهُمْ أَنَّهُ نَزَلَ بِسَبْعَةِ أَوْجُهٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَسَبْعَةِ مَعَانٍ مُفْتَرِقَةٍ، كَانَ ذَلِكَ إِثْبَاتًا لِمَا قَدْ نَفَى اللَّهُ عَنْ كِتَابِهِ مِنَ الِاخْتِلَافِ، وَنَفْيًا لِمَا قَدْ أَوْجَبَ لَهُ مِنَ الِائْتِلَافِ.

مَعَ أَنَّ فِي قِيَامِ الْحُجَّةِ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَقْضِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ بِحُكْمَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، وَلَا أَذِنَ بِذَلِكَ لِأُمَّتِهِ، مَا يُغْنِي عَنِ الْإِكْثَارِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مَنْفِيٌّ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَفِي انْتِفَاءِ ذَلِكَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وجُوبُ صِحَّةِ الْقَوْلِ الَّذِي قُلْنَاهُ فِي مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ " عِنْدَ اخْتِصَامِ الْمُخْتَصِمِينَ إِلَيْهِ، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ تِلَاوَةِ مَا تَلَوْهُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَفَسَادُ تَأْوِيلِ قَوْلِ مَنْ خَالَفَ قَوْلَنَا فِي ذَلِكَ، وَأُخْرَى أَنَّ الَّذِينَ تَمَارَوْا فِيمَا تَمَارَوْا فِيهِ مِنْ قِرَاءَتِهِمْ، فَاحْتَكَمُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَكُنْ مُنْكَرًا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، أَنْ يَأْمُرَ اللَّهُ عِبَادَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي كِتَابِهِ وَتَنْزِيلِهِ، بِمَا شَاءَ، وَيَنْهَى عَمَّا شَاءَ، وَيَعِدُ فِيمَا أَحَبَّ مِنْ طَاعَاتِهِ، وَيُوعِدُ عَلَى مَعَاصِيهِ، وَيَحْتَجُّ لِنَبِيِّهِ، وَيَعِظُهُ فِيهِ، وَيَضْرِبُ فِيهِ لِعِبَادِهِ الْأَمْثَالَ، فَيُخَاصِمُ غَيْرَهُ عَلَى إِنْكَارِهِ سَمَاعَ ذَلِكَ مِنْ قَارِئِهِ.

بَلْ عَلَى الْإِقْرَارِ بِذَلِكَ كُلِّهِ كَانَ إِسْلَامُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ، فَمَا الْوَجْهُ الَّذِي أَوْجَبَ لَهُ إِنْكَارَهُ مَا أَنْكَرَ إِنْ لَمْ يَكُنْ كَانَ ذَلِكَ اخْتِلَافًا مِنْهُمْ فِي الْأَلْفَاظِ وَاللُّغَاتِ؟ (6)

وَبَعْدُ، فَقَدْ أَبَانَ صِحَّةَ مَا قُلْنَا الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصًّا، وَذَلِكَ الْخَبَرُ الَّذِي ذَكَرْنَا أَنَّ أَبَا كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا قَالَ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ جِبْرِيلُ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، قَالَ مِيكَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اسْتَزِدْهُ، فَقَالَ: عَلَى حَرْفَيْنِ. حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أَوْ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: كُلُّهَا شَافٍ كَافٍّ مَا لَمْ يَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ، كَقَوْلِكَ هَلُمَّ وَتَعَالَ ".

فَقَدْ أَوْضَحَ نَصُّ هَذَا الْخَبَرِ أَنَّ اخْتِلَافَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، إِنَّمَا هُوَ اخْتِلَافُ أَلْفَاظٍ، كَقَوْلِكَ هَلُمَّ وَتَعَالَ، بِاتِّفَاقِ الْمَعَانِي، لَا بِاخْتِلَافِ مَعَانٍ مُوجِبَةٍ اخْتِلَافَ أَحْكَامٍ. (7)

وَبِمِثْلِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ، صَحَّتِ الْأَخْبَارُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ.(8)

حَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ سَالِمُ بْنُ جُنَادَةَ السُّوَائِيُّ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، جَمِيعًا عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: " إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ الْقُرَّاءَ فَوَجَدْتُهُمْ مُتَقَارِبِينَ، فَاقْرَءُوا كَمَا عَلِمْتُمْ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ: هَلُمَّ وَتَعَالَ ".

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَمَّنْ سَمِعَ ابْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: " مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ عَلَى حَرْفٍ، فَلَا يَتَحَوَّلَنَّ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ لَأَتَيْتُهُ ".(9)

وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَابِسٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَلَا يَتَحَوَّلَنَّ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ".

فَمَعْلُومٌ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَمْ يَعْنِ بِقَوْلِهِ هَذَا: مَنْ قَرَأَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، فَلَا يَتَحَوَّلَنَّ مِنْهُ إِلَى قِرَاءَةِ مَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَمَنْ قَرَأَ مَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، فَلَا يَتَحَوَّلَنَّ مِنْهُ إِلَى قِرَاءَةِ مَا فِيهِ مِنَ الْقَصَصِ وَالْمَثَلِ، وَإِنَّمَا عَنَى رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَنَّ مَنْ قَرَأَ بِحَرْفِهِ، وَحَرْفُهُ: قِرَاءَتُهُ. وَكَذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ لِقِرَاءَةِ رَجُلٍ: حَرْفُ فُلَانٍ، وَتَقُولُ لِلْحَرْفِ مِنْ حُرُوفِ الْهِجَاءِ الْمُقَطَّعَةِ: حَرْفٌ، كَمَا تَقُولُ لِقَصِيدَةٍ مِنْ قَصَائِدِ الشَّاعِرِ: كَلِمَةُ فُلَانٍ. فَلَا يَتَحَوَّلَنَّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ رَغْبَةً عَنْهُ. وَمَنْ قَرَأَ بِحَرْفِ أُبَيٍّ، أَوْ بِحَرْفِ زَيْدٍ، أَوْ بِحَرْفِ بَعْضِ مَنْ قَرَأَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِبَعْضِ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، فَلَا يَتَحَوَّلَنَّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ رَغْبَةً عَنْهُ(10)، فَإِنَّ الْكُفْرَ بِبَعْضِهِ كُفْرٌ بِجَمِيعِهِ، يَعْنِي بِالْحَرْفِ مَا وَصَفْنَا مِنْ قِرَاءَةِ بَعْضِ مَنْ قَرَأَ بِبَعْضِ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ وَقَدْ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ دَاوُدَ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: قَرَأَ أَنَسٌ هَذِهِ الْآيَةَ: { إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَصۡوَبُ قِيلًا } [المزمل:6]، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا أَبَا حَمْزَةَ إِنَّمَا هِيَ وَأَقْوَمُ فَقَالَ: " أَقْوَمُ وَأَصْوَبُ وَأَهْدَى، وَاحِدٌ ".

وَحدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيدٍ الرَّازِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، عَنْ عَنْبَسَةَ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: " أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى خَمْسَةِ أَحْرُفٍ ". (11)

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، عَنْ عَنْبَسَةَ، عَنْ سَالِمٍ: أَنَّ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ " كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ ".

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، قَالَ: كَانَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ " يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ " أَفَتَرَى الزَّاعِمُ أَنَّ تَأْوِيلَ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ " إِنَّمَا هُوَ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَى الْأَوْجُهِ السَّبْعَةِ الَّتِي ذَكَرْنَا مِنَ الْأَمْرِ، وَالنَّهْيِ، وَالْوَعْدِ، وَالْوَعِيدِ، وَالْجَدَلِ، وَالْقَصَصِ، وَالْمَثَلِ، كَانَ يَرَى أَنَّ مُجَاهِدًا وَسَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، لَمْ يَقْرَأَا مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ وَجْهَيْهِ، أَوْ وُجُوهِهِ الْخَمْسَةِ، دُونَ سَائِرِ مَعَانِيهِ؟ لَئِنْ كَانَ ظَنَّ ذَلِكَ بِهِمَا لَقَدْ ظَنَّ بِهِمَا غَيْرَ الَّذِي يُعْرَفَانِ بِهِ، مِنْ مَنَازِلِهِمَا مِنَ الْقُرْآنِ، وَمَعْرِفَتِهِمَا بِآيِ الْفُرْقَانِ وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: " نُبِّئْتُ أَنَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، أَتَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرَائِيلُ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ. فَقَالَ لَهُ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ فَقَالَ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ. فَقَالَ لَهُ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ. قَالَ: حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ ".

قَالَ مُحَمَّدٌ: " لَا تَخْتَلِفُ فِي حَلَالٍ، وَلَا حَرَامٍ، وَلَا أَمْرٍ، وَلَا نَهْيٍ، هُوَ كَقَوْلِكَ: تَعَالَ وَهَلُمَّ وَأَقْبِلْ.

قَالَ: وَفِي قِرَاءَتِنَا: { إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً } [يس: 29] ، وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: { إِن كَانَتْ إِلَّا زَقْيَةً وَاحِدَةً }. (12)

وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، قَالَ حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، يَعْنِي ابْنَ الْحَبْحَابِ، قَالَ: " كَانَ أَبُو الْعَالِيَةِ إِذَا قَرَأَ عِنْدَهُ رَجُلٌ، لَمْ يَقُلْ: لَيْسَ كَمَا يَقْرَأُ وَإِنَّمَا يَقُولُ: أَمَّا أَنَا فَأَقْرَأُ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، فَقَالَ: «أَرَى صَاحِبَكَ قَدْ سَمِعَ أَنَّ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ، فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ ".

حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ أَنَّ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: { إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ } [النحل: 103] إِنَّمَا افْتُتِنَ أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ، فَكَانَ يُمْلِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَمِيعٌ عَلِيمٌ، أَوْ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ خَوَاتِمِ الْآيِ، ثُمَّ يَشْتَغِلُ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَلَى الْوَحْيِ، فَيَسْتَفْهِمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: " أَعَزِيزٌ حَكِيمٌ، أَوْ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، أَوْ عَزِيزٌ عَلِيمٌ؟ " فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيَّ ذَلِكَ كَتَبْتَ، فَهُوَ كَذَلِكَ " ، فَفَتَنَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: " إِنَّ مُحَمَّدًا وَكَّلَ ذَلِكَ إِلَيَّ، فَأَكْتُبُ مَا شِئْتُ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَ لِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ مِنَ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ ".

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: " مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ بِآيَةٍ مِنْهُ، فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ ".

قال أبو جعفر: (13) فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فَإِذَا كَانَ تَأْوِيلُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ " عِنْدَكَ مَا وَصَفْتَ بِمَا عَلَيْهِ اسْتَشْهَدْتَ، فَأَوْجِدْنَا حَرْفًا فِي كِتَابِ اللَّهِ مَقْرُوءًا بِسَبْعِ لُغَاتٍ، فَنُحَقِّقُ بِذَلِكَ قَوْلَكَ، وَإِلَّا فَإِنْ لَمْ تَجِدْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، كَانَ مَعْلُومًا بِعَدَمِكَهُ صِحَّةَ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنْ تَأْوِيلَ ذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ بِسَبْعَةِ مَعَانٍ، وَهُوَ: الْأَمْرُ، وَالنَّهْيُ، وَالْوَعْدُ، وَالْوَعِيدُ، وَالْجَدَلُ، وَالْقَصَصُ، وَالْمَثَلُ، وَفَسَادِ قَوْلِكَ.

أَوْ تَقُولُ فِي ذَلِكَ: إِنَّ الْأَحْرُفَ السَّبْعَةَ لُغَاتٌ فِي الْقُرْآنِ سَبْعٌ، مُتَفَرِّقَةٌ فِي جَمِيعِهِ مِنْ لُغَاتِ أَحْيَاءٍ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ مُخْتَلِفَةِ الْأَلْسُنِ، كَمَا كَانَ يَقُولُهُ بَعْضُ مَنْ لَمْ يُمْعِنِ النَّظَرَ فِي ذَلِكَ، فَيَصِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْقَوْلِ بِمَا لَا يَجْهَلُ فَسَادَهُ ذُو عَقْلٍ، وَلَا يَلْتَبِسُ خَطَؤُهُ عَلَى ذِي لُبٍّ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَخْبَارَ الَّتِي بِهَا احْتَجَجْتَ لِتَصْحِيحِ مَقَالَتِكَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ " هِيَ الْأَخْبَارُ الَّتِي رَوَيْتَهَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَعَمَّنْ رَوَيْتَ ذَلِكَ عَنْهُ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَنَّهُمْ تَمَارَوْا فِي تِلَاوَةِ بَعْضِ الْقُرْآنِ، فَاخْتَلَفُوا فِي قِرَاءَتِهِ دُونَ تَأْوِيلِهِ، وَأَنْكَرَ بَعْضٌ قِرَاءَةَ بَعْضٍ، مَعَ دَعْوَى كُلِّ قَارِئٍ مِنْهُمْ قِرَاءَةً مِنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَقْرَأَهُ مَا قَرَأَ

بِالصِّفَةِ الَّتِي قَرَأَ، ثُمَّ احْتَكَمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ مِنْ حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمْ، أَنْ صَوَّبَ قِرَاءَةَ كُلِّ قَارِئٍ مِنْهُمْ، عَلَى خِلَافِهَا قِرَاءَةَ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ نَازَعُوهُ فِيهَا، وَأَمَرَ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَقْرَأَ كَمَا عُلِّمَ، حَتَّى خَالَطَ قَلْبَ بَعْضِهِمُ الشَّكُّ فِي الْإِسْلَامِ، لِمَا رَأَى مِنْ تَصْوِيبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِرَاءَةَ كُلِّ قَارِئٍ مِنْهُمْ عَلَى اخْتِلَافِهَا، ثُمَّ جَلَاهُ اللَّهُ عَنْهُ، بِبَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ، أَنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَإِنْ كَانَتِ الْأَحْرُفُ السَّبْعَةُ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ عِنْدَكَ كَمَا قَالَ هَذَا الْقَائِلُ مُتَفَرِّقَةً فِي الْقُرْآنِ، مُثْبَتَةً الْيَوْمَ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَقَدْ بَطَلَتْ مَعَانِي الْأَخْبَارِ الَّتِي رَوَيْتَهَا عَمَّنْ رَوَيْتَهَا عَنْهُ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي قِرَاءَةِ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَاخْتَصَمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَرَ كُلًّا أَنْ يَقْرَأَ كَمَا عُلِّمَ، لِأَنَّ الْأَحْرُفَ السَّبْعَةَ، إِذَا كَانَتْ لُغَاتٍ مُتَفَرِّقَةً فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ، فَغَيْرُ مُوجِبٍ حَرْفٍ مِنْ ذَلِكَ اخْتِلَافًا بَيْنَ تَالِيهِ، لِأَنَّ كُلَّ تَالٍ فَإِنَّمَا يَتْلُو ذَلِكَ الْحَرْفَ تِلَاوَةً وَاحِدَةً، عَلَى مَا هُوَ بِهِ فِي الْمُصْحَفِ، وَعَلَى مَا أُنْزِلَ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، بَطَلَ وَجْهُ اخْتِلَافِ الَّذِينَ رُوِيَ عَنْهُمْ أَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي قِرَاءَةِ سُورَةٍ، وَفَسَدَ مَعْنَى أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ قَارِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَى مَا عُلِمَ، إِذْ كَانَ لَا مَعْنَى هُنَالِكَ يُوجِبُ اخْتِلَافًا فِي لَفْظٍ وَلَا افْتِرَاقًا فِي مَعْنًى، وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هُنَالِكَ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْقَوْمِ، وَالْمُعَلِّمُ وَاحِدٌ، وَالْعِلْمُ وَاحِدٌ غَيْرُ ذِي أَوْجُهٍ؟ وَفِي صِحَّةِ الْخَبَرِ عَنِ الَّذِينَ رُوِيَ عَنْهُمُ الِاخْتِلَافُ فِي حُرُوفِ الْقُرْآنِ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا وَتَحَاكَمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ وَصْفُنَاهُ أَبْيَنُ الدَّلَالَةِ عَلَى فَسَادِ الْقَوْلِ، بِأَنَّ الْأَحْرُفَ السَّبْعَةَ إِنَّمَا هِيَ أَحْرُفٌ سَبْعَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ فِي سُوَرِ الْقُرْآنِ، لَا أَنَّهَا لُغَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، بِاتِّفَاقِ الْمَعَانِي، مَعَ أَنَّ الْمُتَدَبِّرَ إِذَا تَدَبَّرَ قَوْلَ هَذَا الْقَائِلِ، فِي تَأْوِيلِهِ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ " وَادِّعَائِهِ أَنَّ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهَا سَبْعُ لُغَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ قِيلِهِ ذَلِكَ، وَاعْتِلَالِهِ لِقِيلِهِ ذَلِكَ بِالْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْ عَمَّنْ رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، أَنَّهُ قَالَ: هُوَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: تَعَالَ وَهَلُمَّ وَأَقْبِلْ، وَأَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: هُوَ بِمَنْزِلَةِ قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: { إِلَّا زَقْيَةً } ، وَهِيَ فِي قِرَاءَتِنَا: { إِلَّا صَيْحَةً } [يس: 29] ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ حُجَجِهِ، عَلِمَ أَنَّ حُجَجَهُ مُفْسِدَةٌ فِي ذَلِكَ مَقَالَتَهُ، وَأَنَّ مَقَالَتَهُ فِيهِ مُضَادَّةٌ حُجَجَهُ، لِأَنَّ

الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ عِنْدَهُ إِحْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ، إِمَّا صَيْحَةٌ وَإِمَّا زَقْيَةٌ، وَإِمَّا تَعَالَ أَوْ أَقْبِلْ أَوْ هَلُمَّ، لَا جَمِيعُ ذَلِكَ، لِأَنَّ كُلَّ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ السَّبْعِ عِنْدَهُ فِي كَلِمَةٍ أَوْ حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ غَيْرُ الْكَلِمَةِ أَوِ الْحَرْفِ الَّذِي فِيهِ اللُّغَةُ الْأُخْرَى، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ بَطَلَ اعْتِلَالُهُ لِقَوْلِهِ بِقَوْلِ مَنْ قَالَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ: هَلُمَّ، وَتَعَالَ، وَأَقْبِلْ، لِأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ هِيَ أَلْفَاظٌ مُخْتَلِفَةٌ يَجْمَعُهَا فِي التَّأْوِيلِ مَعْنًى وَاحِدٌ، وَقَدْ أَبْطَلَ قَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي حَكَيْنَا قَوْلَهُ اجْتِمَاعَ اللُّغَاتِ السَّبْعِ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَدْ تَبَيَّنَ بِذَلِكَ إِفْسَادُ حُجَّتِهِ، لِقَوْلِهِ بِقَوْلِهِ، وَإِفْسَادُ قَوْلِهِ بِحُجَّتِهِ، فَقِيلَ لَهُ: لَيْسَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ بِوَاحِدٍ مِنَ الْوَجْهَيْنِ اللَّذَيْنِ وَصَفْتَ، بَلِ الْأَحْرُفُ السَّبْعَةُ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا الْقُرْآنَ هُنَّ لُغَاتٌ سَبْعٌ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ وَكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، بِاخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ وَاتِّفَاقِ الْمَعَانِي، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: هَلُمَّ، وَأَقْبِلْ، وَتَعَالَ، وَإِلَيَّ، وَقَصْدِي، وَنَحْوِي، وَقُرْبِي، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا تَخْتَلِفُ فِيهِ الْأَلْفَاظُ، بِضُرُوبٍ مِنَ الْمَنْطِقِ، وَتَتَّفِقُ فِيهِ الْمَعَانِي، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ بِالْبَيَانِ بِهِ الْأَلْسُنُ، كَالَّذِي رَوَيْنَا آنِفًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَمَّنْ رَوَيْنَا ذَلِكَ عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ، أَنَّ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: هَلُمَّ، وَتَعَالَ، وَأَقْبِلْ، وَقَوْلُهُ: { مَا يَنظُرُونَ إِلَّا زَقْيَةً } ، وَ{ إِلَّا صَيْحَةً } [يس: 29].

فَإِنْ قَالَ: فَفِي أَيِّ كِتَابِ اللَّهِ نَجِدُ حَرْفًا وَاحِدًا مَقْرُوءًا بِلُغَاتٍ سَبْعٍ مُخْتَلِفَاتِ الْأَلْفَاظِ مُتَّفِقَاتِ الْمَعْنَى، فَنُسَلِّمَ لَكَ بِصِحَّةِ مَا ادَّعَيْتَ مِنَ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ؟ قِيلَ: إِنَّا لَمْ نَدَّعِ أَنَّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ الْيَوْمَ، وَإِنَّمَا أَخْبَرْنَا أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ "، عَلَى نَحْوِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الَّتِي تَقَدَّمَ وَذَكَرْنَاهَا، هُوَ مَا وَصَفْنَا دُونَ مَا ادَّعَاهُ مُخَالِفُونَا فِي ذَلِكَ لِلْعِلَلِ الَّتِي قَدْ بَيَّنَّا. (14)

فَإِنْ قَالَ: فَمَا بَالُ الْأَحْرُفِ الْأُخَرِ السِّتَّةِ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ، إِنْ كَانَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا وَصَفْتَ (15) وَقَدْ أَقْرَأَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ، وَأَمَرَ بِالْقِرَاءَةِ بِهِنَّ، وَأَنْزَلَهُنَّ اللَّهُ مِنْ عِنْدِهِ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنُسِخَتْ فَرُفِعَتْ؟ فَمَا الدَّلَالَةُ عَلَى نَسْخِهَا وَرَفْعِهَا؟ أَمْ نَسِيَتْهُنَّ الْأُمَّةُ؟ فَذَلِكَ تَضْيِيعُ مَا قَدْ أُمِرُوا بِحِفْظِهِ، أَمْ مَا الْقِصَّةُ فِي ذَلِكَ؟ قِيلَ لَهُ: لَمْ تُنْسَخْ فَتُرْفَعْ، وَلَا ضَيَّعَتْهَا الْأُمَّةُ، وَهِيَ مَأْمُورَةٌ بِحِفْظِهَا، وَلَكِنَّ الْأُمَّةَ أُمِرَتْ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ وَخُيِّرَتْ فِي قِرَاءَتِهِ وَحِفْظِهِ، بِأَيِّ تِلْكَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ شَاءَتْ، كَمَا أُمِرَتْ إِذَا هِيَ حَنَثَتْ فِي يَمِينٍ وَهِيَ مُوسِرَةٌ أَنْ

تُكَفِّرَ بِأَيِّ الْكَفَّارَاتِ الثَّلَاثِ شَاءَتْ: إِمَّا بِعِتْقٍ، أَوْ إِطْعَامٍ، أَوْ كِسْوَةٍ، فَلَوْ أَجْمَعَ جَمِيعُهَا عَلَى التَّكْفِيرِ بِوَاحِدَةٍ مِنَ الْكَفَّارَاتِ الثَّلَاثِ، دُونَ حَظْرِهَا التَّكْفِيرَ بِأَيِّ الثَّلَاثِ شَاءَ الْمُكَفِّرُ، كَانَتْ مُصِيبَةً حُكْمَ اللَّهِ، مُؤَدِّيَةً فِي ذَلِكَ الْوَاجِبَ عَلَيْهَا مِنْ حَقِّ اللَّهِ، فَكَذَلِكَ الْأُمَّةُ أُمِرَتْ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ وَقِرَاءَتِهِ، وَخُيِّرَتْ فِي قِرَاءَتِهِ بِأَيِّ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ شَاءَتْ، فَرَأَتْ لِعِلَّةٍ مِنَ الْعِلَلِ، أَوْجَبَتْ عَلَيْهَا الثَّبَاتَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، قِرَاءَتَهُ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ، وَرَفْضَ الْقِرَاءَةِ بِالْأَحْرُفِ السِّتَّةِ الْبَاقِيَةِ، وَلَمْ تُحْظَرْ قِرَاءَتُهُ بِجَمِيعِ حُرُوفِهِ عَلَى قَارِئِهِ، بِمَا أُذِنَ لَهُ فِي قِرَاءَتِهِ بِهِ. (16)

فَإِنْ قَالَ: وَمَا الْعِلَّةُ الَّتِي أَوْجَبَتْ عَلَيْهَا الثَّبَاتَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، دُونَ سَائِرِ الْأَحْرُفِ السِّتَّةِ الْبَاقِيَةِ؟ قِيلَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيُّ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِيهِ زَيْدٍ قَالَ: " لَمَّا قُتِلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْيَمَامَةِ، دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالَ: إِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْيَمَامَةِ تَهَافَتُوا تَهَافُتَ الْفَرَاشِ فِي النَّارِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ لَا يَشْهَدُوا مَوْطِنًا إِلَّا فَعَلُوا ذَلِكَ حَتَّى يُقْتَلُوا، وَهُمْ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ، فَيَضِيعُ الْقُرْآنُ وَيُنْسَى، فَلَوْ جَمَعْتَهُ وَكَتَبْتَهُ؟ فَنَفَرَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: أَفْعَلُ مَا لَمْ يَفْعَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَتَرَاجَعَا فِي ذَلِكَ، ثُمَّ أَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ".

قَالَ زَيْدٌ: " فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَعُمَرُ مُحْزَئِلٌّ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ هَذَا قَدْ دَعَانِي إِلَى أَمْرٍ، فَأَبَيْتُ عَلَيْهِ، وَأَنْتَ كَاتِبُ الْوَحْيِ، فَإِنْ تَكُنْ مَعَهُ اتَّبَعْتُكُمَا، وَإِنْ تُوَافِقْنِي لَا أَفْعَلْ " قَالَ: " فَاقْتَصَّ أَبُو بَكْرٍ قَوْلَ عُمَرَ، وَعُمَرُ سَاكِتٌ. فَنَفَرْتُ مِنْ ذَلِكَ، وَقُلْتُ: نَفْعَلُ مَا لَمْ يَفْعَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ إِلَى أَنْ قَالَ عُمَرُ كَلِمَةً: وَمَا عَلَيْكُمَا لَوْ فَعَلْتُمَا ذَلِكَ؟ " قَالَ: " فَذَهَبْنَا نَنْظُرُ. فَقُلْنَا: لَا شَيْءَ، وَاللَّهِ مَا عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ شَيْءٌ ".

قَالَ زَيْدٌ: " فَأَمَرَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَكَتَبْتُهُ فِي قِطَعِ الْأَدَمِ، وَكِسَرِ الْأَكْتَافِ وَالْعُسُبِ فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ كَتَبَ ذَلِكَ فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ، فَكَانَتْ عِنْدَهُ، فَلَمَّا هَلَكَ، كَانَتِ الصَّحِيفَةُ عِنْدَ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ إِنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ مِنْ غَزْوَةٍ كَانَ غَزَاهَا، فِي مَرْجِ أَرْمِينِيَةَ، فَلَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ حَتَّى أَتَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكِ النَّاسَ

فَقَالَ عُثْمَانُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: غَزَوْتُ مَرْجَ أَرْمِينِيَةَ، فَحَضَرَهَا أَهْلُ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الشَّامِ، فَإِذَا أَهْلُ الشَّامِ يَقْرَءُونَ بِقِرَاءَةِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَيَأْتُونَ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ أَهْلُ الْعِرَاقِ، فَتُكَفِّرُهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ. وَإِذَا أَهْلُ الْعِرَاقِ يَقْرَءُونَ بِقِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَيَأْتُونَ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ أَهْلُ الشَّامِ، فَتُكَفِّرُهُمْ أَهْلُ الشَّامِ".

قَالَ زَيْدٌ: " فَأَمَرَنِي عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَكْتُبُ لَهُ مُصْحَفًا، وَقَالَ: إِنِّي مُدْخِلٌ مَعَكَ رَجُلًا لَبِيبًا فَصِيحًا، فَمَا اجْتَمَعْتُمَا عَلَيْهِ فَاكْتُبَاهُ، وَمَا اخْتَلَفْتُمَا فِيهِ فَارْفَعَا إِلَيَّ. فَجَعَلَ مَعَهُ أَبَانَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ " قَالَ: " فَلَمَّا بَلَغَا { إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ } [البقرة: 248]

قَالَ زَيْدٌ: فَقُلْتُ: التَّابُوهُ.

وَقَالَ أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ: " التَّابُوتُ، فَرَفَعْنَا ذَلِكَ إِلَى عُثْمَانَ، فَكَتَبَ التَّابُوتُ " قَالَ: " فَلَمَّا فَرَغْتُ، عَرَضْتُهُ عُرْضَةً، فَلَمْ أَجِدُ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةَ { مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا } [الأحزاب: 2:3] ".

قَالَ: " فَاسْتَعْرَضْتُ الْمُهَاجِرِينَ أَسْأَلُهُمْ عَنْهَا، فَلَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ. ثُمَّ اسْتَعْرَضْتُ الْأَنْصَارَ أَسْأَلُهُمْ عَنْهَا، فَلَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، حَتَّى وَجَدْتُهَا عِنْدَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ فَكَتَبْتُهَا، ثُمَّ عَرَضْتُهُ عُرْضَةً أُخْرَى، فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ { لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } [التوبة: 128] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَاسْتَعْرَضْتُ الْمُهَاجِرِينَ فَلَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ اسْتَعْرَضْتُ الْأَنْصَارَ أَسْأَلُهُمْ عَنْهَا، فَلَمْ أَجِدْهَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، حَتَّى وَجَدْتُهَا مَعَ رَجُلٍ آخَرَ، يُدْعَى خُزَيْمَةَ أَيْضًا، فَأَثْبَتُّهَا فِي آخِرِ بَرَاءَةَ، وَلَوْ تَمَّتْ ثَلَاثَ آيَاتٍ، لَجَعَلْتُهَا سُورَةً عَلَى حِدَةٍ، ثُمَّ عَرَضْتُهُ عُرْضَةً أُخْرَى فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ شَيْئًا.

ثُمَّ أَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ يَسْأَلُهَا أَنْ تُعْطِيَهُ الصَّحِيفَةَ، وَحَلَفَ لَهَا لَيَرُدَّنَّهَا إِلَيْهَا، فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهَا، فَعَرَضَ الْمُصْحَفَ عَلَيْهَا، فَلَمْ يَخْتَلِفَا فِي شَيْءٍ فَرَدَّهَا إِلَيْهَا، وَطَابَتْ نَفْسُهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَكْتُبُوا مَصَاحِفَ، فَلَمَّا مَاتَتْ حَفْصَةُ، أَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِي الصَّحِيفَةِ بِعَزْمَةٍ، فَأَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا، فَغُسِّلَتْ غُسْلًا ".

وَحَدَّثَنِي بِهِ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، بِنَحْوِهِ سَوَاءً. (17)

وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، قَالَ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: " لَمَّا كَانَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ، جَعَلَ الْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ، وَالْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ، فَجَعَلَ الْغِلْمَانُ يَلْتَقُونَ فَيَخْتَلِفُونَ، حَتَّى ارْتَفَعَ ذَلِكَ إِلَى الْمُعَلِّمِينَ، قَالَ أَيُّوبُ: فَلَا أَعْلَمُهُ أَلَا قَالَ: حَتَّى كَفَرَ بَعْضُهُمْ بِقِرَاءَةِ بَعْضٍ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ، فَقَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: أَنْتُمْ عِنْدِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَتَلْحَنُونَ، فَمَنْ نَأَى عَنِّي مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَشَدُّ فِيهِ اخْتِلَافًا، وَأَشَدُّ لَحْنًا، اجْتَمِعُوا يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَاكْتُبُوا لِلنَّاسِ إِمَامًا".

قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: فَحَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: " كُنْتُ فِيمَنْ يُمْلَى عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَرُبَّمَا اخْتَلَفُوا فِي الْآيَةِ فَيَذْكُرُونَ الرَّجُلَ قَدْ تَلَقَّاهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ غَائِبًا، أَوْ فِي بَعْضِ الْبَوَادِي، فَيَكْتُبُونَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، وَيَدَعُونَ مَوْضِعَهَا، حَتَّى يَجِيءَ أَوْ يُرْسَلَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْمُصْحَفِ، كَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ: إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ كَذَا وَكَذَا، وَمَحَوْتُ مَا عِنْدِي، فَامْحُوا مَا عِنْدَكُمْ".

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، قَالَ: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ أَنَّهُ اجْتَمَعَ فِي غَزْوَةِ أَذْرَبِيْجَانَ وَأَرْمِينِيَةَ أَهْلُ الشَّامِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ، فَتَذَاكَرُوا الْقُرْآنَ وَاخْتَلَفُوا فِيهِ حَتَّى كَادَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ فِتْنَةٌ، فَكَتَبَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ لَمَّا رَأَى اخْتِلَافَهُمْ فِي الْقُرْآنِ إِلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: " إِنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ، حَتَّى إِنِّي وَاللَّهِ لَأَخْشَى أَنْ يُصِيبَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنَ الِاخْتِلَافِ. قَالَ: فَفَزِعَ لِذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، فَأَرْسَلَ إِلَى حَفْصَةَ، فَاسْتَخْرَجَ الصُّحُفَ الَّتِي كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَمَرَ زَيْدًا بِجَمْعِهَا، فَنَسَخَ مِنْهَا مَصَاحِفَ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى الْآفَاقِ".

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الرَّبِيعِ، قَالَ: حَدَّثنا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: "قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ جُمِعَ، وَإِنَّمَا كَانَ فِي الْكَرَانِيفِ وَالْعُسُبِ".

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ الرَّبِيعِ، قَالَ: حَدَّثنا سُفْيَانُ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ صَعْصَعَةَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ "أَوَّلُ مِنْ وَرَّثَ الْكَلَالَةَ، وَجَمَعَ الْمُصْحَفَ".

قال أبو جعفر: وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ، الَّتِي يُطَوِّلُ بِاسْتِيعَابِ جَمِيعِهَا الْكِتَابُ، وَالْآثَارُ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّ إِمَامَ الْمُسْلِمِينِ، وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَحْمَةُ اللَّهُ عَلَيْهِ، جَمَعَ الْمُسْلِمِينِ، نَظَرًا مِنْهُ لَهُمْ، وَإِشْفَاقًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ، وَرَأْفَةً مِنْهُ بِهِمْ، حَذَارَ الرِّدَّةَ مِنْ بَعْضِهِمْ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، وَالدُّخُولَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ، إِذْ ظَهَرَ مِنْ بَعْضِهِمْ بِمَحْضَرِهِ وَفِي عَصْرِهِ التَّكْذِيبُ بِبَعْضِ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ، مَعَ سَمَاعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّهْيَ عَنِ التَّكْذِيبِ بِشَيْءٍ مِنْهَا، وَإِخْبَارِهِ إِيَّاهُمْ، أَنَّ الْمِرَاءَ فِيهَا كُفْرٌ، فَحَمَلَهُمْ رَحْمَةُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ رَأَى ذَلِكَ ظَاهِرًا بَيْنَهُمْ فِي عَصْرِهِ، وَبِحَدَاثَةِ عَهْدِهِمْ بِنُزُولِ الْقُرْآنِ، وَفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُمْ، بِمَا أَمِنَ عَلَيْهِمْ مَعَهُ عَظِيمَ الْبَلَاءِ فِي الدِّينِ، مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَجَمَعَهُمْ عَلَى مُصْحَفٍ وَاحِدٍ، وَحَرْفٍ وَاحِدٍ، وَحَرَقَ مَا عَدَا الْمُصْحَفِ الَّذِي جَمَعَهُمْ عَلَيْهِ، وَعَزَمَ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مُصْحَفٌ مُخَالِفٌ الْمُصْحَفَ الَّذِي جَمَعَهُمْ عَلَيْهِ أَنْ يُحَرِقَهُ، فَاسْتَوْثَقَتْ لَهُ الْأُمَّةُ عَلَى ذَلِكَ بِالطَّاعَةِ، وَرَأَتْ أَنَّ فِيمَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ الرُّشْدَ وَالْهِدَايَةَ، فَتَرَكَتِ الْقِرَاءَةَ بِالْأَحْرُفِ السِّتَّةِ، الَّتِي عَزَمَ عَلَيْهَا أَمَامُهَا الْعَادِلُ فِي تَرْكِهَا، طَاعَةً مِنْهَا لَهُ، وَنَظَرًا مِنْهَا لِأَنْفُسِهَا، وَلِمَنْ بَعْدَهَا مِنْ سَائِرِ أَهْلِ مِلَّتِهَا، حَتَّى دَرَسَتْ مِنَ الْأُمَّةِ مَعْرِفَتُهَا، وَتَعَفَّتْ آثَارُهَا، فَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ الْيَوْمَ إِلَى الْقِرَاءَةِ بِهَا لِدُثُورِهَا، وَعَفْوِ آثَارِهَا، وَتَتَابُعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَفْضِ الْقِرَاءَةِ بِهَا، مِنْ غَيْرِ جُحُودٍ مِنْهَا صِحَّتَهَا وَصِحَّةَ شَيْءٍ مِنْهَا، (18) وَلَكِنْ نَظَرًا مِنْهَا لِأَنْفُسِهَا وَلِسَائِرِ أَهْلِ دِينِهَا، فَلَا قِرَاءَةَ الْيَوْمَ لِلْمُسْلِمِينَ أَلَا بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ، الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُمْ أَمَامُهُمُ الشَّفِيقُ النَّاصِحُ، دُونَ مَا عَدَاهُ مِنَ الْأَحْرُفِ السِّتَّةِ الْبَاقِيَةِ. فَإِنْ قَالَ بَعْضُ مَنْ ضَعُفَتْ مَعْرِفَتُهُ: وَكَيْفَ جَازَ لَهُمْ تَرْكُ قِرَاءَةٍ أَقْرَأَهُمُوهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُمْ بِقِرَاءَتِهَا؟ قِيلَ: إِنَّ أَمْرَهُ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ أَمْرَ إِيجَابٍ وَفَرْضٍ، وَإِنَّمَا كَانَ أَمْرَ

إِبَاحَةٍ وَرُخْصَةٍ، لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ بِهَا لَوْ كَانَتْ فَرْضًا عَلَيْهِمْ، لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْ تِلْكَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، عِنْدَ مَنْ يَقُومُ بِنَقْلِهِ الْحُجَّةَ، وَيَقْطَعُ خَبَرُهُ الْعُذْرَ، وَيُزِيلُ الشَّكَّ مِنْ قَرَاءَةِ الْأُمَّةِ، وَفِي تَرْكِهِمْ نَقْلَ ذَلِكَ كَذَلِكَ أَوْضَحُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ بِهَا مُخَيَّرِينَ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ فِي نَقَلَةِ الْقُرْآنِ مِنَ الْأُمَّةِ، مَنْ تَجِبُ بِنَقْلِهِ الْحُجَّةُ بِبَعْضِ تِلْكَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، لَمْ يَكُنِ الْقَوْمُ بِتَرْكِهِمْ نَقْلَ جَمِيعِ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ تَارِكِينَ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ نَقْلُهُ، بَلْ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفِعْلِ مَا فَعَلُوا، إِذْ كَانَ الَّذِي فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ، كَانَ هُوَ النَّظَرَ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، فَكَانَ الْقِيَامُ بِفِعْلِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ بِهِمْ أَوْلَى مِنْ فِعْلِ مَا لَوْ فَعَلُوهُ، كَانُوا إِلَى الْجِنَايَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ أَقْرَبَ، مِنْهُمْ إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ ذَلِكَ.

فَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ اخْتِلَافِ الْقِرَاءَةِ، فِي رَفْعِ حَرْفٍ وَجَرِّهِ وَنَصْبِهِ، وَتَسْكِينِ حَرْفٍ وَتَحْرِيكِهِ وَنَقْلِ حَرْفٍ إِلَى آخَرَ، مَعَ اتِّفَاقِ الصُّورَةِ، فَمِنْ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ". بِمَعْزِلٍ، لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا حَرْفَ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ، مِمَّا اخْتَلَفَتِ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَتِهِ بِهَذَا الْمَعْنَى يُوجِبُ الْمِرَاءُ بِهِ كُفْرَ الْمُمَارِي بِهِ فِي قَوْلِ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ[19]

وَقَدْ أَوْجَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْمِرَاءِ فِيهِ الْكُفْرَ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي تَنَازَعَ فِيهِ الْمُتَنَازِعُونَ إِلَيْهِ، وَتَظَاهَرَتْ عَنْهُ بِذَلِكَ الرِّوَايَةُ، عَلَى مَا قَدْ قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا فِي أَوَّلِ هَذَا الْبَابِ.

فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فَهَلْ لَكَ مِنْ عِلْمٍ بِالْأَلْسُنِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ، وَأَيُّ الْأَلْسُنِ هِيَ مِنْ أَلْسُنِ الْعَرَبِ؟ قُلْنَا: أَمَّا الْأَلْسُنُ السِّتَّةُ الَّتِي قَدْ نَزَلَتِ الْقِرَاءَةُ بِهَا، فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى مَعْرِفَتِهَا، لِأَنَّا لَوْ عَرَفْنَاهَا، لَمْ نَقْرَأِ الْيَوْمَ بِهَا، مَعَ الْأَسْبَابِ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ خَمْسَةً مِنْهَا لَعَجْزِ هَوَازِنَ، وَاثْنَيْنِ مِنْهَا لِقُرَيْشٍ وَخُزَاعَةَ. وَرُوِيَ جَمِيعُ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَيْسَتِ الرِّوَايَةُ عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ مَنْ يَجُوزُ الِاحْتِجَاجُ بِنَقْلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي رَوَى عَنْهُ أَنَّ خَمْسَةً مِنْهَا مِنْ لِسَانِ الْعَجْزِ مِنْ هَوَازِنَ: الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، وَأَنَّ الَّذِي رَوَى عَنْهُ أَنَّ اللِّسَانَيْنِ الْآخَرَيْنِ لِسَانُ قُرَيْشٍ وَخُزَاعَةَ: قَتَادَةُ، وَقَتَادَةُ لَمْ يَلْقَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ.[20]

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا، قَالَ: حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ نَصْرٍ الْخُزَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ وَلِسَانِ خُزَاعَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ الدَّارَ وَاحِدَةٌ". (21)

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا، قَالَ: حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ نَصْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ، قَالَ: " نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِ الْكَعْبَيْنِ: كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو، وَكَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ. فَقَالَ خَالِدُ بْنُ سَلَمَةَ لِسَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: أَلَا تَعْجَبُ مِنْ هَذَا الْأَعْمَى يَزْعُمُ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانِ الْكَعْبَيْنِ وَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ؟ ". (22)

قال أبو جعفر: وَالْعَجُزُ مِنْ هَوَازِنَ: سَعْدُ بْنُ بَكْرٍ، وَجُشَمُ بْنُ بَكْرٍ، وَنَصْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَثَقِيفُ وَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ ذَكَرَ نُزُولَ الْقُرْآنِ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، أَنَّ كُلَّهَا شَافٍ كَافٍ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي وَصْفِهِ الْقُرْآنَ: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } [يونس: 57] جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ شِفَاءً يَسْتَشْفُونَ بِمَوَاعِظِهِ، مِنَ الْأَدْوَاءِ الْعَارِضَةِ لِصُدُورِهِمْ، مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَخَطَرَاتِهِ، فَيَكْفِيهِمْ وَيُغْنِيهِمْ عَنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ مِنَ الْمَوَاعِظِ بِبَيَانِ آيَاتِهِ.

التعليق:

(1) طيب هنا فقط نبهنا على هذا في المجلس السابق في قوله رضي الله عنه: " فَدَخَلَ فِي نَفْسِي مِنَ الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبُ أَشَدَّ مِمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ".

قلنا هذا من جانب حاك في صدره ونحو ذلك من باب جنس ما يوسوس به الشيطان من ذلك ، طبعا شيخه أبو كريب تكرر معنا كثيرا أنه يُحَدِّث عن شيخه أبي كريب وهو محمد بن العلاء رحمه الله تعالى الهمداني.

(2) قول هنا: " اقْرَءُوا الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ .....إلى أن قال: " مَا لَمْ يَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ ....".

وفي بعض ألفاظ الأثر: " مَا لَمْ تَخْلِطْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ، أَوْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ ....".

وقال: " .... كَقَوْلِكَ: هَلُمَّ وَتَعَالَ".

وهذا صح من كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ما معنى: " مَا لَمْ يَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ .... ؟!.

أبو عبيد رحمه الله تعالى في - فضائل القران - لما تعرض لهذا الأثر فسره بكلام أبي العالية من جمع بينهما وذلك أن الذي يسمع قارئ يقرأ مثلا ، فالقارئ الآية تُختم { إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} والقارئ قرأ { إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} هذه قد تقع فأبو عبيد قال: " أَرَى عَبْدَ اللَّهِ إِنَّمَا أَرَادَ بِهَذَا أَنَّهُ إِذَا سَمِعَ السَّامِعُ مَنْ يَقْرَأُ هَذِهِ الْحُرُوفَ مِنْ نَعْتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَجُزْ لَهُ أَنْ يَقُولَ: أَخْطَأْتَ، لِأَنَّهَا كُلَّهَا مِنْ نُعُوتِ اللَّهِ، وَلَكِنْ يَقُولُ: هُوَ كَذَا وَكَذَا عَلَى مَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَلَيْسَ وَجْهُهُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ حَرْفٍ مِنْ هَذَا فِي مَوْضِعِ الْآخَرِ، وَهُوَ عَامِدٌ لِذَلِكَ. فَإِذَا سَمِعَ رَجُلًا خَتَمَ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ، أَوْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ، فَهُنَاكَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَقُولَ: أَخْطَأْتَ. لِأَنَّهُ خِلَافُ الْحِكَايَةِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَهَذَا عِنْدَنَا مَذْهَبُ عَبْدِ اللَّهِ فِي الْخَطَأِ".

وقوله هنا في الحديث المرفوع ألى النبي صلى الله عليه وسلم: " .... كَقَوْلِكَ: هَلُمَّ وَتَعَالَ".

طبعا هذا جاء عن كلام بن مسعود: " هَلُمَّ، وَتَعَالَ، وَأَقْبِلْ".

وفي بعض الروايات قال أنه من باب: ".....وأسرِعْ، وعَجِّلْ". يعني هذا الذي فُسر به الأحرف السبعة.

(3)وهذا من أشد ما على الممارين في القرءان ، أن المراء في القرءان كفر وهذا يوافق القرءان يعني تصديق هذا الحديث في كتاب الله عز وجل في قوله سبحانه { وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ } [البقرة: 176] وقال جلّ وعلا { مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ} [غافر: 04] هاتان الآيتان كما قال أبو العالية رحمه الله: " آيَتَانِ مَا أَشَدَّهُمَا عَلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي الْقُرْآنِ.......". وذكر الآيتان.

فالعبد يترك المراء في القران سواء من حيث القراءات من وجوه الاختيار أنه كما ذكرنا وسيأتي معنا أثر أبو العالية أنه قال: " إِذَا قَرَأَ عِنْدَهُ رَجُلٌ لَمْ يَقُلْ: لَيْسَ كَمَا تَقْرَأُ، وَيَقُولُ: أَمَّا أَنَا فَأَقْرَأُ كَذَا وَكَذَا".

قَالَ شُعَيْبٌ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: " أَرَى صَاحِبَكَ قَدْ سَمِعَ أَنَّهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ".

والأمر الثاني الاختلاف في تفسيره ومعانيه ، فالعبد حتى لا يقع في المراء في القرءان عليه أن يعلم أن للقرآن أشياء وأصول واضحة كما سيأتي في كلام ابن عباس ما لا يعذر بجهله ، ففي كتاب الله تعالى أمور واضحة ظاهرة لكل أحد وفي امور مجمع عليها يعني مجمع على التفسير بها أن هذا التفسير متلقى بالقبول فما كان من هذا الضرب واضحا ، ظاهرا كما قال بن مسعود رضي الله عنه: " **إن القرآن منارا كمنار الطريق فما عرفتم فخذوه وما شُبِّه عليكم فذروه**".

يعني ما وقع في حيز الاحتمال والاشتباه والاشكال يتركه الإنسان وتركه كما فُسِّر في الأثر السابق: "......**فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ**". بأن يقول { **ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا** } [آل عمران: 7] لأن المحكم معه أو يرده إلى من هو أرسخ منه فردوه الى عالمه كما قال عبد الوهاب الوراق: " **لما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " فرُدُّوه إلى عالمه "، فرددناه إلى أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل إمامنا، وهو من الراسخين في العلم**".

يعني يكون " **عالمه** " هنا الراسخ في العلم لكن من حيث الأصل أن الإنسان يتجنب المراء عموما هو المراء في القرءان كفر أي إن قيل كفر هكذا بإطلاق فهو من باب أنه أي المراء حامل على الكفر ولذلك جاء التعليل به قال صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن العاص كما في " المسند" وغيره قال: " **الْقُرْآنُ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، عَلَى أَيِّ حَرْفٍ قَرَأْتُمْ، فَقَدْ أَصَبْتُمْ، فَلَا تَتَمَارَوْا فِيهِ، فَإِنَّ الْمِرَاءَ فِيهِ كُفْرٌ**".

فجاء التعليل بذلك أي أن المراء سبب الوقوع في الكفر نسأل الله السلامة والعافية.

(4) هذا كأنه يشير هنا وهذه فائدة مهمة وهذا مذهب صاحب المصنف هو أن المراد بالأحرف السبعة هي اللغات السبع وهو مذهب أبو عبيد كما تقدم معنا وهذا مذهب قوي كما قلنا في مذهبان قويان هذا أحدهم أن تفسير الأحرف السبعة باللغات فهو يشير هنا في هذا الأثر ، وقد رواه بن أبي شيبة في " مصنفه" أن المراد بالأحرف السبعة اللغات السبع قال: "...... **فَاخْتَلَفُوا فِي اللُّغَةِ، فَرَضِيَ قِرَاءَتَهُمْ كُلِّهِمْ، فَكَانَ بَنُو تَمِيمٍ أَعْرَبَ الْقَوْمِ**". يعني من حيث الفصاحة.

وذكرنا هذا من قبل في أن القرءان نزل بلسان قريش ، طبعا لسان قريش هو العرب واضح ولكنه كما ذكرنا في العرضة الأخيرة كتبت على لسان قريش أي لغة قريش وهذا بوب به صاحب " الصحيح" " **باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب** " والدليل قوله تعالى { **قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** } [الزمر: 28] وقال سبحانه { **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** } [الشعراء: 195] واضح ومضى معنا لما تكلمنا في كتاب " المصاحف" ويأتي معنا أيضا هذا في الكلام عن لغة القرءان كما جاء عن عثمان بن عفان رضي

الله عنه لما أمر الكتبة بنسخ المصاحف قال: " إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي عَرَبِيَّةٍ مِنْ عَرَبِيَّةِ الْقُرْآنِ، فَاكْتُبُوهَا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ بِلِسَانِهِمْ".

(5) ولذلك أشرنا إلى هذا أنه صح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه فرق بين أن يُختم آية رحمة بآية عذاب فهذا هو الخطأ يسميه خطأ لذلك قال بن مسعود رضي الله عنه: " لَيْسَ الْخَطَأُ أَنْ يُدْخِلَ بَعْضَ السُّورَةِ فِي الْأُخْرَى، وَلَا أَنْ يَخْتِمَ الْآيَةَ بِحَكِيمٍ عَلِيمٍ، أَوْ عَلِيمٍ حَكِيمٍ، أَوْ غَفُورٍ رَحِيمٍ....".

هي من باب ليس من باب أنه ليس خطأ أنه صواب لا ، ولكنه يقصد أنها كلها من نعوت الله فالواجب عند التصحيح يعني الواجب صناعة ليس واجب شرعًا معنى يأثم تاركه ، فالذي يكون عند التصحيح أن يُقال هو كذا وكذا ولا يُقال خطأ لأن هذا كله من نعوت لكن ما هو الخطأ؟ قال: " وَلَكِنَّ الْخَطَأَ أَنْ يَجْعَلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، أَوْ أَنْ يُخْتَمَ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ، أَوْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ". وفسرها بهذا أبو عبيد كما تقدم.

(6) هنا في قول المصنف خلاصة كلامه وهي مسألة مهمة جدا لأنه في مذهب في تفسير الأحرف السبعة ما ورد في الحديث بأنها الأبواب السبعة التي هي أمر ونهي وحلال وحرام وخبر ما كان وما يكون والأمثال ونحو ذلك يعني بعضهم ذهب إلى هذا المذهب ، طبعا هذا المذهب كما قال أبو عبيدة رحمه الله قبل المصنف بأن هذا مذهب أشار إلى ضعفه وهنا المصنف أشار إلى ضعفه من وجه مهم جدا يعني في التفريق حتى نفهم صورة الموضوع النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث المتواتر معنا في هذا الباب " أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ .....".

هو قال المصنف ومذهب أبو عبيدة قبله رحمة الله على أئمة الإسلام قال: أن السبعة الأحرف هي اللغات اختارها الله عز وجل من لغات العرب وأنزل بها كتابه تخفيفا كما ورد في الحديث طيب ، وذكر هذا الاشكال ، طبعا في من يقول هي أمر وزجر وترغيب وترهيب كما ذكر مخالفوك فهنا رد بمسألة مهمة جدا وهي أنه لو كان المراد بالأحرف السبعة هي الأمر والنهي والزجر والترغيب والترهيب والقصص والمثل لما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليصوب كلا القارئين يعني لو كانت الأحرف السبعة هي الحلال والحرام والأمر والنهي فقارئ يقرأ مثلا بحرف فيه أمر وقارئ يقرأ قراءة بعينها فيها نهي هذا لا يكون ولا يصوب الفريقان هذا اعتمد عليه كثيرا وبسطه كما تراه ولذلك قال وهذه من الأشياء المهمة قال: " لَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَمَرَ بِفِعْلِ شَيْءٍ بِعَيْنِهِ، وَفَرَضَهُ فِي تِلَاوَةِ

مَنْ دَلَّتْ تِلَاوَتُهُ عَلَى فَرْضِهِ- يعني هذا يقرأ فرض -، وَنَهَى عَنْ فِعْلِ ذَلِكَ الشَّيْءِ بِعَيْنِهِ وَزَجَرَ عَنْهُ فِي تِلَاوَةِ الَّذِي دَلَّتْ تِلَاوَتُهُ عَلَى وَالزَّجْرِ عَنْهُ".

وهذا ينزه عنه كلام الله عز وجل ولذلك قال: " وَذَلِكَ مِنْ قَائِلِهِ إِنْ قَالَهُ إِثْبَاتُ مَا قَدْ نَفَى اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ تَنْزِيلِهِ وَحُكْمِ كِتَابِهِ، فَقَالَ: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا } [النساء: 82]".

إذا ليس المراد بالأحرف السبعة هي الحلال والحرام والأمر والنهي ونحو ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم صوب كلا القراءتين قال: " وَفِي صِحَّةِ كَوْنِ ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا يُبْطِلُ دَعْوَى مَنِ ادَّعَى خِلَافَ قَوْلِنَا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ".

يعني في معنى كلامه قال المتخاصمين لما تخاصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أثبت صحة الجميع ورضي قراءة الجميع وصوب قراءة الجميع وقال صلى الله عليه وسلم لما صوب كلا القراءتين كما قال لعبد الله بن مسعود: " كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ".

وأيضا عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم فصوب كلا القراءتين قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَرْسِلْهُ يَا عُمَرُ اقْرَأْ يَا هِشَامُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَؤُهَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ يَا عُمَرُ فَقَرَأْتُ فَقَالَ هَكَذَا أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ".

قال الطبري: " إِعْلَامًا مِنْهُ لَهُمْ أَنَّهُ نَزَلَ بِسَبْعَةِ أَوْجُهٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَسَبْعَةِ مَعَانٍ مُفْتَرِقَةٍ".

هو الاختلاف اختلاف ألفاظ من حيث أداء الألفاظ وليس الاختلاف في المعاني كما قدمنا أن هذا إجماع حقيقة أن الأحرف السبعة ليس بينها تضاد في المعاني كما قال بن مسعود: " فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ هَلُمَّ، وَتَعَالَ". كما تقدم معنا.

قال الطبري: " كَانَ ذَلِكَ إِثْبَاتًا لِمَا قَدْ نَفَى اللَّهُ عَنْ كِتَابِهِ مِنَ الِاخْتِلَافِ، وَنَفْيًا لِمَا قَدْ أَوْجَبَ لَهُ مِنَ الِائْتِلَافِ.......". إلى آخر ما ذكر.

أبو عبيد رحمه الله ناقش هذا المذهب مذهب من يقول أن المراد بالأحرف السبعة هي حلال وحرام.

أولا: أبو عبيد ناقشهم من ثلاث وجوه:

الوجه الأول: قال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ".

وهذه الحلال والحرام ليست أحرف ، أحرف يعني لغات هذا بإجماع أهل اللغة أن الحرف مراد به هنا اللغة والحلال والحرام ليست لغة هذه معاني وجوه فهذا يفرق لك بين المسألتين.

الوجه الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم حسَّن كلا المذهبين كما ذكر المصنف هنا.

الوجه الثالث: استدل بأثر عبد الله بن مسعود لأن الحلال والحرام بينهما اختلاف أي نعم هي وجوه لكن بينهما اختلاف والفرض والندب بينهما اختلاف فاستدل بكلام بن مسعود أنه قال: " إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ الْقَرَأَةَ، فَوَجَدْتُهُمْ مُتَقَارِبِينَ، فَاقْرَءُوا كَمَا عَلِمْتُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَالِاخْتِلَافَ وَالتَّنَطُّعَ، فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ: هَلُمَّ وَتَعَالَ".

ولا بأس أن نقرأ كلامه رحمه الله وهو موجود في كتاب " فضائل القرآن" وكتاب " غريب الحديث":

قال رحمه الله: " وَقَدْ حَمَلَ بَعْضُ النَّاسِ مَعْنَاهَا - أي حديث الأحرف السبعة - عَلَى الْحَدِيثِ الْآخَرِ: نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي سَبْعٍ - لا أحسب في رواية جاء يعني نزل القرآن في سبع أحرف حلال وحرام إنما في سبع هكذا مطلق أو سبع أبواب فهي وجوه للمعاني وليست وجوه لأداء الألفاظ فثمة فرق بينهما لأن الأحرف السبعة هي وجوه في أداء الألفاظ وليست وجوه في النعاني -؛ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَمُحْكَمٍ، وَمُتَشَابِهٍ، وَخَبَرِ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرِ مَا بَعْدَكُمْ، وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ".

طبعا هذا الحديث جاء في موقوفات آثار عن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وغيرهما رضي الله عنهم.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: " وَقَدْ عَرَفْتُ هَذَا الْحَدِيثَ، سَمِعْتُ حُجَّاجًا يُحَدِّثُهُ عَنِ اللَّيْثِ، عَنْ عَقِيلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ، يَرْفَعُهُ.

وَلَيْسَ هَذَا مِنْ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ - يعني ليس هو مذهب الأحرف السبعة -. إِنَّمَا هَذَا الْقُرْآنُ نَزَلَ فِي سَبْعٍ - هكذا يعني في ثمة محذوف كيف يقدر؟ قال - وَمَعْنَاهُ سَبْعُ خِصَالٍ، أَوْ سَبْعُ خِلَالٍ، - ليس سبعة أحرف - وَتِلْكَ الْأَحَادِيثُ إِنَّمَا هِيَ نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَالْأَحْرُفُ لَا مَعْنَى لَهَا إِلَّا اللُّغَاتُ - لاحظت يعني الآن الفرق بين هذا وهذا أن السبعة هذه المذكورة الحلال والحرام والأمر والنهي هذه في المعاني أما هذه في أداء الألفاظ - مَعَ أَنَّ تَأْوِيلَ كُلِّ حَدِيثٍ مِنْهَا بَيِّنٌ فِي الْحَدِيثِ نَفْسِهِ. أَلَا تَرَى أَنَّ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأُ؟ فَكَذَلِكَ حَدِيثُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ حِينَ اخْتَلَفَ هُوَ وَغَيْرُهُ فِي

الْقِرَاءَةِ، وَمِنْهُ اخْتِلَافُ عَبْدِ اللَّهِ مَعَ غَيْرِهِ، وَمِثْلُهُ حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ. أَفَلَسْتَ تَرَى اخْتِلَافَهُمْ إِنَّمَا كَانَ فِي الْوُجُوهِ وَالْحُرُوفِ الَّتِي تُفَرِّقُ فِيهَا الْأَلْفَاظُ، فَأَمَّا التَّأْوِيلُ - يعني المعنى والتفسير - فَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِيهِ، وَيُبَيِّنُهُ حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ الْقُرَّاءَ فَوَجَدْتُهُمْ مُتَقَارِبَيْنِ، فَاقْرَءُوا كَمَا عَلِمْتُمْ فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ هَلُمَّ، وَتَعَالَ".

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: " إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ: هَلُمَّ، وَتَعَالَ، وَأَقْبِلْ".

قَالَ: وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: " وَهُوَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ { إِن كَانَتْ إِلَّا زَقْيَةً وَاحِدَةً } وَفِي قِرَاءَتِنَا: { إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً } [يس: 29].

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: " وَكُلُّ هَذَا يُوَضِّحُ لَكَ مَعْنَى السَّبْعَةِ الْأَحْرُفِ".

هذا كلامه رحمه الله تعالى في [فضائل القرآن (ص347)].

قال أبو عبيد في غريب الحديث (3/ 160): "وَقد رُوِيَ فِي حَدِيث خلاف هَذَا.

قَالَ: نزل الْقُرْآن على سَبْعَة أحرف: حَلَال وَحرَام وَأمر وَنهي وَخبر مَا كَانَ قبلكُمْ وَخبر مَا هُوَ كَائِن بعدكم وَضرب الْأَمْثَال".

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: " ولسنا نَدْرِي مَا وَجه هَذَا الحَدِيث لِأَنَّهُ شاذّ غير مُسْند - يعني المرفوع منه - وَالْأَحَادِيث المسندة المثبتة ترده.

أَلا ترى أَن فِي حَدِيث عمر الَّذِي ذكرْنَاهُ فِي أَوله أَنه قَالَ: سَمِعت هِشَام بْن حَكِيم بن حزَام يقْرَأ سُورَة الْفرْقَان على غير مَا أقرؤها. وَقد كَانَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَقْرَأَنِيهَا فَأَتَيْت بِهِ النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام فَأَخْبَرته فَقَالَ [لَهُ -]: اقْرَأ فَقَرَأَ تِلْكَ الْقِرَاءَة فَقَالَ: هَكَذَا أنزلت ثمَّ قَالَ لي: اقْرَأ فَقَرَأت قراءتي فَقَالَ: هَكَذَا أنزلت ثمَّ قَالَ: إِن [هَذَا -] الْقُرْآن أنزل على سَبْعَة أحرف فاقرؤا مَا تيَسّر مِنْهُ. وَكَذَلِكَ حَدِيث أبي بْن كَعْب هُوَ مثل حَدِيث عمر أَو نَحوه.

فَهَذَا يبين لَك أَن الِاخْتِلَاف إِنَّمَا هُوَ فِي اللَّفْظ وَالْمعْنَى وَاحِد وَلَو كَانَ الِاخْتِلَاف فِي الْحَلَال وَالْحرَام لما جَازَ أَن يُقَال فِي شَيْء هُوَ حرَام: هَكَذَا نزل ثمَّ يَقُول آخر فِي ذَلِك بِعَيْنِه: إِنَّه حَلَال فَيَقُول: هَكَذَا نزل وَكَذَلِكَ الْأَمر وَالنَّهْي وَكَذَلِكَ الْأَخْبَار لَا يجوز أَن يُقَال فِي خبر قد مضى: إِنَّه كَانَ كَذَا وَكَذَا فَيَقُول: هَكَذَا نزل ثمَّ يَقُول الآخر بِخِلَاف ذَلِك الْخَبَر فَيَقُول: هَكَذَا نزل وَكَذَلِكَ الْخَبَر المستأنف كَخَبَر الْقِيَامَة وَالْجنَّة وَالنَّار

وَمن توهم أَن فِي هَذَا شَيْئا من الِاخْتِلَاف فقد زعم أَن الْقُرْآن يكذب بعضه بَعْضًا ويتناقض وَلَيْسَ يكون الْمَعْنى فِي السَّبْعَة الأحرف إِلَّا على اللُّغَات لَا غير بِمَعْنى وَاحِد لَا يخْتَلف فِيهِ فِي حَلَال وَلَا حرَام وَلَا خبر وَلَا غير ذَلِك".

قَالَ أَبُو عبيد: " إِلَّا أَنه فِي بعض الحَدِيث: نزل الْقُرْآن على خَمْسَة وَلَيْسَ فِيهِ ذكر أحرف فَهَذَا قَول قد يحْتَمل الْمَعْنى الآخر". هذا كلامه رحمه تعالى من جهة بيان أن هذا المذهب ليس بصواب.

(7) هذه مسألة يحفظها طالب العلم ، هذه خلاصة و زبدة الباب في الأحرف السبعة ما قاله هنا المصنف [[أنّ اختلاف الأحرف السبعة، إنما هو اختلاف ألفاظ]] هذا المراد باللغات ، هذا المراد بالأحرف لأن الأحرف هي اللغات فهو اختلاف حروف كقولك هلم وتعال { إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ} ، { إِن كَانَتۡ إِلَّا زَقۡيَةٗ وَٰحِدَةٗ} في قراءة ابن مسعود ، طبعا في مصحف عثمان { إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ} لكن نتكلم قبل جمع المصحف هكذا كان كقولك هلم وتعال قال الله تعالى { إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ} [الجمعة:9] { إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱمۡضُوا إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ}، قراءة عمر من هذا الباب { فَٱمۡضُوا} ، { فَٱسۡعَوۡاْ} فهو اختلاف ألفاظ باتفاق المعنى وهذا نقل عليه أبو عبيد الإجماع إلى الداني ، حتى الداني نقله في الإجماع على أنه اتفاق معنى لا باختلاف معاني توجب هذه المعاني اختلاف الأحكام هذه خلاصة بحث الأحرف السبعة ولذلك قول أبو عبيد باللغات يُضبط أن اللغات يعني الألفاظ ، ألفاظ القرآن واحدة تنوعت وهي سبعة ، طيب ممكن يقول شخص أن لهجات العرب أكثر؟ نقول أن هذه اختيرت هي الأفصح والأعرب وبها نزل القرآن واضح ، اللغات المشهورة الظاهرة عند العرب في ذلك وقد تكلم أبو عبيد رحمه الله تعالى في هذا المعنى أن المراد بالأحرف السبعة هي اللغات وذكر في ذلك أحاديث ومن الأحاديث ذكر حديث عثمان رضي الله عنه قال: " مَا اخْتَلَفْتُم فِيهِ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ". ونحو ذلك ذكر مثل هذه الآثار رحمه الله تعالى.

فقال أبو عبيد بعدما ذكر هذا في كتاب فضائل القرآن (ص346): " فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ الْقَبَائِلِ، وَالِاحْتِجَاجُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ، بَيَّنَ لَكَ مَعْنَى السَّبْعَةِ الْأَحْرُفِ أَنَّهَا إِنَّمَا هِيَ اللُّغَاتُ".

(8) وهذا القول هو الصواب وهو أعلى ما في الباب عن السلف والله أعلم أن المراد بها اللغات وأما ما يقال مثلا عند المتأخرين كالسيوطي ذكر تقريبًا أكثر من عشرين قول في تفسير الأحرف السبعة ، كثير منها متداخل الظاهر والله أعلم أن أعلى شيء في الباب عن السلف هو أن الأحرف السبعة هي اختلاف

ألفاظ هي لهجات ولغات العرب أو ألسن العرب في أداء الألفاظ مع اتفاق المعنى وأثر ابن مسعود يفسر لك ذلك.

(9) نعم وهو جاء عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص لأنه قال عمن سمع وهو أبو الأحوص رحمه الله تعالى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " كَانَ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ عَلَى حَرْفٍ فَلَا يَتَحَوَّلْ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ فَإِنَّهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ".

(10) طبعا" رغبه عنه" يعني لا يقبله ، يُعرِض عنه ، يرده ، هكذا " فَإِنَّهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ".

[كُلِّهِ] على الاتباع بالضمير الجر [بِهِ] أي القرآن فهمت يعني المراد به هنا الرد ولذلك نحن في مسألة رد ما في المصحف الذي اتفق عليه الصحابة المصحف الذي جمعه عثمان ما بين اللوحين ذكر أبو عبيد أن هذا كفره كفر ظاهر كما في " فضائل القرآن" أما من رد القراءات التي هي تفسيرية وصحيحة ومسندة فهذا يرجع إلى التفصيل في حكم الذي يرد الإجماعات الخاصة لأن الإجماع على مصحف العثماني من إجماع العامة ، إجماع العوام ، اليوم الناس كلها تعرف أن هذا القرآن فمن رده فهو كافر لأنه استقر الأمر على هذا واستفاض أما القراءات الخاصة التي هي مُنَزَّلة منْزِلَة الأخبار كما قال الإمام الشافعي فيما ذكره عنه البويطي في " مختصره" في " كتاب الرضاع" قال الشافعي رحمه الله: " أن القراءات المسندة التي تسمى الأحاديه التي صح إسنادها لكن ليست في مصحف عثمان".

كما تقدم معنا قراءة عمر مثلا { صِرَاطَ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} ، { إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱمْضُوا إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ} أو قراءة التفسيرية { ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ} ونحو ذلك فهمت ، فهذه أبو عبيد يقول لا يكفر مباشره منكرها لأن هذه ترجع إلى التفصيل في منكر إجماع الخاصة في فرق بين من ينكر إجماع العامة ومن ينكر إجماع الخاصة ، فقد يكون عنده اشتباه لا يعلم أن هذه قراءة من القرآن ونحو ذلك ، كذلك بعض وجوه الأداء أيضا لأن بعض الناس لم يشتهر عنده أنه هذا اللفظ يُقرأ هكذا فيظنه أنه ليس من القرآن لكن أحرف القرآن الموجودة في المصحف ما بين اللوحين فهذه متفق عليها والإجماع فيها ظاهر فمن أنكر حرفا منه فقد كفر به كله.

(11) هذا الأثر مهم جدا في تفسير مجاهد أن مجاهد كان يقرأ على خمسة أحرف كان مجاهد يقول: " لَوْ كُنْتُ قَرَأْتُ قِرَاءَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ لَمْ أَحْتَجْ أَنْ أَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْقُرْآنِ مِمَّا سَأَلْتُ".

لماذا؟ هو الآن الأحرف خمسة يعني في الأداء ، طبعا عثمان جمعهم على حرف واحد ومصحف واحد طيب الأربع الأخرى من أي باب يقرأها؟ هو أجمع على مصحف عثمان لكن بقيت قراءات محفوظة وهذا يُستعان بها في باب التفسير وهذا فيه أنه علوم السلف تتفاوت يعني بعض الناس يسأل مثلا يقول تحتجون بتفسير التابعي أو تحتجون بتفسير الصحابي؟ نقول في علوم شارك فيها الناس الصحابة والتابعين من حيث القدر العام كبلوغ السنن والآثار وفي علوم انفردوا بها يعني أن الأحرف الخمسة هذه اجتمعت لمجاهد ما لم يجتمع لغيره لذلك نحن من أعلى الطرق عندنا في تفسير القرآن كما سيأتي معنا هو تفسير القرآن بالقرآن وأن هذه الأحرف كما قال أبو عبيد هي تفسر القرآن يعني هي تفسير " هلم ، تعال ، أقبل " يعني هي توضح لك أصلا تفسيرات القرآن فيستعان بها في باب التأويل فلذلك انفردوا بعلوم جعلتهم يتقدمون على من دونهم ومن دونهم يكون تبعا ومقلدا لهم.

(12) هنا محمد هو محمد بن سيرين رحمه الله وهذا وإن كان مرسلا لكن مراسيل ابن سيرين لا بأس بها في الجملة وفيه فائدة أنه ذكر معنى أنها ليست كما قيل في الحلال والحرام إنما هو اختلاف ألفاظ وليس في وجوه المعاني ، طبعا **الزقية** هي **الصيحة** نفس المعنى يقال زقا من فعل زَقَ ، يزقوا بمعنى صاح وأصلها زقوة ولكن وقع إبدال

(13) طبعا هذه مناقشات فقط من باب الفائدة هو المصنف في مذهبه في الأحرف السبعة يناقش في طائفتين:

الطائفة الأولى: ذهبت إلى الحلال والحرام وهؤلاء موجودين لكن قلة من زمن أبو عبيد.

الطائفة الثانية: وهو كان يناقشهم كثيرا في التفسير وهم المتكلمون، الطبري له نقاشات بعينها مع أشخاص ما يسميهم له نقاشات مع الفراء لما يقول قال بعض أهل العربية يقصد الفراء فإنه ناقشه كثيرا والفراء كان يفسر بمحض اللغة وكان ضعيفا في الآثار وما كان له عناية وخبره فكان يناقشه في العربية وهو يمثل المدرسة الكوفية رأس فيها يعني ويناقش المتكلمين أيضا ناقشهم في مواضع كثيرة منهم رأس المتكلمين شيوخ الباقلاني.

(14) هنا فقط مسألة يناقش معه هي مسألة ماذا؟ أن بعض من ذهب إلى أن وجوه في القراءة يعني في أداء اللفظ ماذا قالوا؟ قالوا الأحرف السبعة هي متفرقة في القرءان يعني هي الكلمة الواحدة نفسها تقرأ على لغات مختلفة ، انتبه إذا هي كلمة واحدة لكن أدائها من حيث البناء والنطق على وجوه مختلفة ، الطبري قال هذا ليس صحيح وهو الصواب حتى أبو عبيد أيضا يميل إلى أن اللغات هذه هي لغات كما قال

الصحابة في ناس قرؤا { إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ} [الجمعة: 9] وفي ناس قرأت { إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱمۡضُوا إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ} وهكذا " هلم وأقبل ".

هكذا قرئ فهمت وُجِد هذا ، هذا هو الاختلاف المراد به ، ليس المراد أنه كلمة واحدة ولكن يختلف وجوه أدائها ، هو يناقش في هذا يقول الطبري ليس صحيح طيب الآن هذا الشخص سأل سؤال ، ما هو السؤال الذي سأله؟ قال إذا كنت تقول أن المراد بالأحرف السبعة هي كلمات كلمة وكلمة يعني مختلفات الألفاظ متحدات المعنى فأوجد لنا هذا في القرءان؟ أين هو في القرآن اليوم؟ أين هذه الأحرف السبعة هلم وتعال وأقبل؟ فقال له بجواب واضح بيّن قال: " فَفِي أَيِّ كِتَابِ اللَّهِ نَجِدُ حَرْفًا وَاحِدًا مَقْرُوءًا بِلُغَاتِ سَبْعِ مُخْتَلِفَاتِ الْأَلْفَاظِ مُتَّفِقَاتِ الْمَعْنَى- أين هذا موجود في القرآن؟ هو يسأل سؤال- فَنُسَلِّمُ لَكَ بِصِحَّةِ مَا ادَّعَيْتَ مِنَ التَّأْوِيلِ- يعني في تفسير الأحرف السبعة أنها لغات وأنها ألفاظ متباينة ومتحدة المعنى - قِيلَ: إِنَّا لَمْ نَدَّعِ أَنَّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ الْيَوْمَ- يعني يرد أن يقول الأحرف السبعة لم نقل هي موجودة في مصحف عثمان اليوم - وَإِنَّمَا أَخْبَرْنَا أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، عَلَى نَحْوِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الَّتِي تَقَدَّمَ وَذَكَرْنَاهَا، هُوَ مَا وَصَفْنَا دُونَ مَا ادَّعَاهُ مُخَالِفُونَا فِي ذَلِكَ لِلْعِلَلِ الَّتِي قَدْ بَيَّنَّا".

وهو يناقش بعض أهل اللغة يعني ممن ذهب هذا المذهب في قضية التفسير الأحرف السبعة بأنها المراد بها وجوه في بناء الكلمة أو في أداء اللفظ فقال ليس صحيح يعني الكل لفظ واحد لكن كل شخص كيف يؤدي من جهة الصيغة والنطق به ، فهذا القول ليس بصواب وقد مال إليه بعض المتأخرين من أصحاب القراءة مالوا إلى قول نحوه وهو الداني وتبعه ابن الجزري إلى أن اختلاف الأحرف السبعة المراد بها التغيرات التي تدخل على الكلمة من النقص والزيادة والإبدال والحذف وهكذا وذكروا سبعة وجوه ومثلوا لها وهذا القول بعيد أيضا والله أعلم وليس بصواب قول متأخر عن الطبقة الأولى من السلف والطبري ردّ نحوه فيدل على أنه قول مستشنع أو قول ليس بصواب ، غريب يعني.

(15) يعني الآن كلمة واحدة " هلم ، أقبل ، تعال ". نحن نقرأ في القرآن { قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ } [الأنعام: 151] ما في قل هلموا ، قل أقبلوا ، يقول له أين الست الأخرى هو يسأل الآن.[الجواب انظر إلى كلام المصنف]

(16) هنا قوله فيه فوائد يعني سأل الرجل سؤال يقول الأحرف السبع أين هي؟ نسخت فرفعت يعني من منسوخ التلاوة ، إذا كانت نسخة نسخ رفع أنها رفعت مثل عشر رضعات ونحو ذلك ما الدليل على

النسخ والرفع؟ أم الأمة نسيتها وضيعتها وقد أمرت بحفظه ما القصة يعني ما العلة؟ أين هي الأحرف السبعة؟ فأجاب فقال: " لَمْ تُنْسَخْ فَتُرْفَعْ، وَلَا ضَيَّعَتْهَا الْأُمَّةُ، وَهِيَ مَأْمُورَةٌ بِحِفْظِهَا، وَلَكِنَّ الْأُمَّةَ أُمِرَتْ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ وَخُيِّرَتْ فِي قِرَاءَتِهِ وَحِفْظِهِ، بِأَيِّ تِلْكَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ شَاءَتْ".

وهذا فيه فائدة في مسألة القراءة بالأحرف السبعة أن القراءة بذلك من باب التيسير والتخفيف هذه الحكمة قال الله تبارك وتعالى { فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ } [المزمل: 20] سيأتي معنا أنه فيها الشيخ الكبير ومضى معنا هذا والأمي الذي لا يقرأ وهكذا فخفف على هذه الأمة القرءان واضح ، فلذلك كان القراءة بالأحرف السبعة من باب التيسير هنا أشار إلى الحكمة وأنه ليس من باب الوجوب وضرب على هذا مثال للتقريب يعني فقال: " كَمَا أُمِرَتْ إِذَا هِيَ حَنِثَتْ فِي يَمِينٍ وَهِيَ مُوسِرَةٌ أَنْ تُكَفِّرَ بِأَيِّ الْكَفَّارَاتِ الثَّلَاثِ شَاءَتْ: إِمَّا بِعِتْقٍ، أَوْ إِطْعَامٍ، أَوْ كِسْوَةٍ".

هذا يسمى الواجب المخير في الأصول ، الواجب المخير فيه توسعة على الإنسان الذي حنث في يمينه كما قال الله عز وجل { فَكَفَّارَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ } [المائدة: 89] واضح فالأمة مجمعة وهذه المسألة إجماع على أن الذي يحنث في يمينه هو مخير بين إن شاء أطعم وإن شاء كسى وإن شاء أعتق هذا الفعل على الخيار لذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: " هُوَ بِالْخِيَارِ فِي هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ".

وقال أيضا: " كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ أَوْ ... أَوْ فَهُوَ مُخَيَّرٌ فَإِنْما كَانَ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَهُوَ الْأَوَّلُ".

والمثال الذي ضربه هنا في ما ذكرناه قال الأمة أنها مجمعة على أن القراءة بالأحرف السبعة على التيسير والتخيير ولم يفرض عليها حرف واحد لذلك قال له: " أُوْجَبَتْ عَلَيْهَا الثَّبَاتَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ - لما جمعهم عثمان كما هو معلوم لديكم إن شاء الله - وَرَفْضَ - يعني ونسخ والبقية كما فعل عثمان أحرق المصاحف وجمعهم على مصحف واحد وبلسان قريش كما تقدم معنا ، وسيذكره في ذلك نحن تقدم معنا في " كتاب المصاحف" لكن هو سيذكره هنا.

(17) طبعا هنا أستغرب من عمارة بن غازية أنه جمع ثلاثة قصص طويلة:

- قصه زيد مع أبي بكر وعمر
- قصه حذيفة مع عثمان

- قصه زيد في فقد الآية

طبعا هذه جاءت متفرقة صحيحة ولها أصل لكن هو استغرب منه جمعها فقط الذي استغرب من عمارة ابن غازية الذي يرويها عن الزهري هنا أنه جمعها في موضع واحد وهي قصص متفرقة.

(18) لعلها من غير جحود منهم صحتها ، طبعا تنبيه لقوله: " فَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ الْيَوْمَ إِلَى الْقِرَاءَةِ بِهَا لِدُثُورِهَا، وَعَفْوِ آثَارِهَا".

طبعا لم تذهب بالكلية بل حفظ منها آيات وأحرف قلنا يستعان بها في باب التأويل والتفسير.

(19) فقط هنا تنبيه أن هذا الذي يقصد رده وهو الفصل في من يناقشه في من ذهب هذا حقيقه قوله إيش؟ قال: " فَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ اخْتِلَافِ الْقِرَاءَةِ، فِي رَفْعِ حَرْفٍ وَجَرِّهِ وَنَصْبِهِ، وَتَسْكِينِ حَرْفٍ وَتَحْرِيكِهِ وَنَقْلِ حَرْفٍ إِلَى آخَرَ- يعني الإبدال والزيادة والنقصان-، مَعَ اتِّفَاقِ الصُّورَةِ [اللفظ] ".

يقول أن هذا القول: " بِمَعْزِلٍ".

وهذا القول تبناه ابن عبد البر في " التمهيد" لكن أصحابه لا يدخلون فيه ما تتفق حروفه ويختلف نطقه قالوا لا يدخل فيها هذا ، إنما المراد بذلك قالوا: تغير أن الحروف متفقة والحركات الرفع والجر وكذا هو الذي يحصل فيه التغيير قالوا هذا هو المراد بالأحرف السبعة ، فهذا قول ذهب إليه جماعة من أهل اللغة وهو قول ليس بصواب بل بعيد.

(20) والكلبي كذاب ولا تحل الرواية عنه كما قال جماعة من السلف أبو عبيد يقول: " وَالْعَجُزُ هُمْ سَعْدُ بْنُ بَكْرٍ، وَجُشَمُ بْنُ بَكْرٍ، وَنَصْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَثَقِيفُ.

وَهَذِهِ الْقَبَائِلُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا عُلْيَا هَوَازِنَ".

وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ: " أَفْصَحُ الْعَرَبِ عُلْيَا هَوَازِنَ وَسُفْلَى تَمِيمٍ، فَهَذِهِ عُلْيَا هَوَازِنَ، وَأَمَّا سُفْلَى تَمِيمٍ فَبَنُو دَارِمٍ".

هذا كلام أبو عبيد في " فضائل القرآن" وتكلم عليهم أبو عبيد من هم القبائل هذه.

(21) هذا الأثر جاء معلقا عن قتادة عن بن عباس فيه انقطاع وقد جاء عن قتادة عمن سمع بن عباس كما في رواية أبو عبيد قال : " نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَةِ الْكَعْبَيْنِ؛ كَعْبِ قُرَيْشٍ وَكَعْبِ خُزَاعَةَ". قِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: " لِأَنَّ الدَّارَ وَاحِدَةٌ" .

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: " يَعْنِي أَنَّ خُزَاعَةَ جِيرَانُ قُرَيْشٍ فَأَخَذُوا لُغَتَهُمْ".

[22] الكعبين: كعب قريش وكعب بن خزاعة قالوا: " إِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ".

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين



الدرس الرابع

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين

أما بعد فإن أحسن الكلام كلام الله تبارك وتعالى وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

نواصل إن شاء الله تبارك وتعالى التعليق على مقدمة التفسير والقراءة لها بإذن الله

قال بن جرير: الْقَوْلُ فِي الْبَيَانِ عَنْ مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ» ، وَذِكْرُ الْأَخْبَارِ الْمَرْوِيَّةِ بِذَلِكَ

قال أبو جعفر: اخْتَلَفَتِ النَّقَلَةُ فِي أَلْفَاظِ الْخَبَرِ بِذَلِكَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: " كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ نَزَلَ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، وَعَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ، وَعَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ: زَجْرٍ، وَأَمْرٍ، وَحَلَالٍ، وَحَرَامٍ، وَمُحْكَمٍ، وَمُتَشَابِهٍ، وَأَمْثَالٍ؛ فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَقُولُوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ".

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، عَنْ عَقِيلِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ،

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُرْسَلًا غَيْرَ ذَلِكَ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ زَكَرِيَّا، عَنْ عَوْفٍ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ: أَمْرٍ، وَزَجْرٍ، وَتَرْغِيبٍ، وَتَرْهِيبٍ، وَجَدَلٍ، وَقَصَصٍ، وَمَثَلٍ ".

وَرُوِي عَنْ أُبَيٍّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، فَقُلْتُ: رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي، قَالَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَقُلْتُ: رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي، فَأَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ ".

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ قِيلِهِ خِلَافُ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَهُوَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ، عَنِ الْأَحْوَصِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى خَمْسَةِ أَحْرُفٍ: حَلَالٍ، وَحَرَامٍ، وَمُحْكَمٍ، وَمُتَشَابِهٍ، وَأَمْثَالٍ، فَأَحِلَّ الْحَلَالَ وَحَرِّمِ الْحَرَامَ، وَاعْمَلْ بِالْمُحْكَمِ، وَآمِنْ بِالْمُتَشَابِهِ، وَاعْتَبِرْ بِالْأَمْثَالِ ".

وَكُلُّ هَذِهِ الْأَخْبَارِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُتَقَارِبَةُ الْمَعَانِي، لِأَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: فُلَانٌ مُقِيمٌ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ هَذَا الْأَمْرِ؛ وَفُلَانٌ مُقِيمٌ عَلَى وَجْهٍ مِنْ وجُوهِ هَذَا الْأَمْرِ، وَفُلَانٌ مُقِيمٌ عَلَى حَرْفٍ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، سَوَاءٌ.

أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَصَفَ قَوْمًا عَبَدُوهُ، عَلَى وَجْهٍ مِنْ وجُوهِ الْعِبَادَاتِ فَأَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ عَبَدُوهُ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ: { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ } [الحج: 11] يَعْنِي أَنَّهُمْ عَبَدُوهُ عَلَى وَجْهِ الشَّكِّ، لَا عَلَى الْيَقِينِ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ؛ فَكَذَلِكَ رِوَايَةُ مَنْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: " نَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ " وَ" نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ" سَوَاءٌ، مَعْنَاهُمَا مُؤْتَلِفٌ، وَتَأْوِيلُهُمَا غَيْرُ مُخْتَلِفٍ فِي هَذَا الْوَجْهِ.

وَمَعْنَى ذَلِكَ كُلِّهِ: الْخَبَرُ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَمَّا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ وَأُمَّتِهِ، مِنَ الْفَضِيلَةِ وَالْكَرَامَةِ الَّتِي لَمْ يُؤْتِهَا أَحَدًا فِي تَنْزِيلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ كِتَابٍ تَقَدَّمَ كِتَابَنَا نُزُولُهُ، عَلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، صَلَوَاتُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ، مَتَى حُوِّلَ إِلَى غَيْرِ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، كَانَ ذَلِكَ لَهُ تَرْجَمَةً وَتَفْسِيرًا، لَا تِلَاوَةً لَهُ عَلَى مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَأَنْزَلَ كِتَابَنَا بِأَلْسُنٍ سَبْعَةٍ، بِأَيِّ تِلْكَ الْأَلْسُنِ السَّبْعَةِ تَلَاهُ التَّالِي، كَانَ لَهُ تَالِيًا عَلَى مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، لَا مُتَرْجِمًا وَلَا مُفَسِّرًا، حَتَّى يُحَوِّلَهُ عَنْ تِلْكِ الْأَلْسُنِ السَّبْعَةِ إِلَى غَيْرِهَا، فَيَصِيرُ فَاعِلُ ذَلِكَ حِينَئِذٍ إِذَا أَصَابَ مَعْنَاهُ مُتَرْجِمًا لَهُ، كَمَا كَانَ التَّالِي لِبَعْضِ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ، إِذَا تَلَاهُ بِغَيْرِ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، لَهُ مُتَرْجِمًا لَا تَالِيًا عَلَى مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِهِ.

فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ نَزَلَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ".

وَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ نَزَلَ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ ". فَإِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنَى بِقَوْلِهِ: نَزَلَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا نَزَلَ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ، عَلَى مَنْ أَنْزَلَهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ خَالِيًا مِنَ الْحُدُودِ وَالْأَحْكَامِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، كَزَبُورِ دَاوُدَ، الَّذِي إِنَّمَا هُوَ تَذْكِيرٌ وَمَوَاعِظُ، وَإِنْجِيلِ عِيسَى، الَّذِي هُوَ تَمْجِيدٌ وَمَحَامِدُ وَحَضٌّ عَلَى الصَّفْحِ وَالْإِعْرَاضِ، دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي نَزَلَتْ بِبَعْضِ الْمَعَانِي السَّبْعَةِ الَّتِي يَحْوِي جَمِيعَهَا كِتَابُنَا الَّذِي خَصَّ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأُمَّتَهُ. فَلَمْ يَكُنِ الْمُتَعَبِّدُونَ بِإِقَامَتِهِ، يَجِدُونَ لِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ مَطْلَبًا يَنَالُونَ بِهِ الْجَنَّةَ، وَيَسْتَوْجِبُونَ مِنْهُ الْقُرْبَةَ، إِلَّا مِنَ الْوَجْهِ الْوَاحِدِ، الَّذِي أُنْزِلَ بِهِ كِتَابُهُمْ، وَذَلِكَ هُوَ الْبَابُ الْوَاحِدُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، الَّذِي نَزَلَ مِنْهُ ذَلِكَ الْكِتَابُ، وَخَصَّ اللَّهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأُمَّتَهُ، بِأَنْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابَهُ، عَلَى أَوْجُهٍ سَبْعَةٍ، مِنَ الْوُجُوهِ الَّتِي يَنَالُونَ بِهَا رِضْوَانَ اللَّهِ، وَيُدْرِكُونَ بِهَا الْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، إِذَا أَقَامُوهَا؛ فَلِكُلِّ وَجْهٍ مِنْ أَوْجُهِهِ السَّبْعَةِ بَابٌ مِنْ

أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الَّذِي نَزَلَ مِنْهُ الْقُرْآنُ، لِأَنَّ الْعَامِلَ بِكُلِّ وَجْهٍ مِنْ أَوْجُهِهِ السَّبْعَةِ، عَامِلٌ فِي بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَطَالِبٌ مِنْ قِبَلِهِ الْفَوْزَ بِهَا، وَالْعَمَلَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي كِتَابِهِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَتَرْكُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِيهِ بَابٌ آخَرُ ثَانٍ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَتَحْلِيلُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِيهِ بَابٌ ثَالِثٌ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَتَحْرِيمُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِيهِ بَابٌ رَابِعٌ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَالْإِيمَانُ بِمُحْكَمِهِ الْمُبِينِ بَابٌ خَامِسٌ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَالتَّسْلِيمُ لِمُتَشَابِهِهِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ، وَحَجَبَ عِلْمَهُ عَنْ خَلْقِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ بَابٌ سَادِسٌ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَالِاعْتِبَارُ بِأَمْثَالِهِ وَالِاتِّعَاظُ بِعِظَاتِهِ بَابٌ سَابِعٌ مِنْ أَبْوَابِهَا، فَجَمِيعُ مَا فِي الْقُرْآنِ، مِنْ حُرُوفِهِ السَّبْعَةِ، وَأَبْوَابِهِ السَّبْعَةِ، الَّتِي نَزَلَ مِنْهَا، جَعَلَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ، إِلَى رِضْوَانِهِ هَادِيًا، وَلَهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ قَائِدًا.

فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ". [1]

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الْقُرْآنِ: " إِنَّ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ حَدًّا " يَعْنِي لِكُلِّ وَجْهٍ مِنْ أَوْجُهِهِ السَّبْعَةِ حَدٌّ حَدَّهُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَجَاوَزَهُ.

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَإِنَّ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرًا وبَطْنًا " فَظَهْرُهُ الظَّاهِرُ فِي التِّلَاوَةِ، وَبَطْنُهُ مَا بَطَنَ مِنْ تَأْوِيلِهِ.

وَقَوْلُهُ: " وَإِنَّ لِكُلِّ حَدٍّ مِنْ ذَلِكَ مُطَّلَعًا " فَإِنَّهُ يَعْنِي أَنَّ لِكُلِّ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ الَّتِي حَدَّهَا فِيهِ، مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَسَائِرِ شَرَائِعِهِ، مِقْدَارًا مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، يُعَايِنُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيَطَّلِعُ عَلَيْهِ، وَيُلَاقِيهِ فِي الْقِيَامَةِ. كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " لَوْ أَنَّ لِي مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ لَافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ " يَعْنِي بِذَلِكَ مَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ وَيَهْجُمُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ. [2]

الْقَوْلُ فِي الْوُجُوهِ الَّتِي مِنْ قِبَلِهَا يُوصَلُ إِلَى مَعْرِفَةِ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ:

قال أبو جعفر: قَدْ قُلْنَا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ عَرَبِيٌّ، وَأَنَّهُ نَزَلَ بِأَلْسُنِ بَعْضِ الْعَرَبِ، دُونَ أَلْسُنِ جَمِيعِهَا، وَأَنَّ قِرَاءَةَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ وَمَصَاحِفَهُمُ الَّتِي هِيَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، بِبَعْضِ الْأَلْسُنِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ دُونَ جَمِيعِهَا، وَقُلْنَا فِي الْبَيَانِ عَمَّا يَحْوِيهِ الْقُرْآنُ مِنَ النُّورِ وَالْبُرْهَانِ

وَالْحِكْمَةِ وَالْبَيَانِ، الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ إِيَّاهُ، مِنْ أَمْرِهِ، وَنَهْيِهِ، وَحَلَالِهِ، وَحَرَامِهِ، وَوَعْدِهِ، وَوَعِيدِهِ، وَمُحْكَمِهِ، وَمُتَشَابِهِهِ، وَلَطَائِفِ حِكَمِهِ، مَا فِيهِ الْكِفَايَةُ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ. وَنَحْنُ قَائِلُونَ فِي الْبَيَانِ عَنْ وُجُوهِ مَطَالِبِ تَأْوِيلِهِ: قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 44].

وَقَالَ أَيْضًا جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [النحل: 64].

وَقَالَ: {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ} [آل عمران: 7].

فَقَدْ تَبَيَّنَ بِبَيَانِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، أَنَّ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ، عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا لَا يُوصَلُ إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِهِ، إِلَّا بِبَيَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(3)، وَذَلِكَ تَأْوِيلُ جَمِيعِ مَا فِيهِ، مِنْ وُجُوهِ أَمْرِهِ: وَوَاجِبِهِ، وَنَدْبِهِ، وَإِرْشَادِهِ وَصُنُوفِ نَهْيِهِ، وَوَظَائِفِ حُقُوقِهِ، وَحُدُودِهِ، وَمَبَالِغِ فَرَائِضِهِ، وَمَقَادِيرِ اللَّازِمِ بَعْضَ خَلْقِهِ لِبَعْضٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ آيِهِ، الَّتِي لَمْ يُدْرَكْ عِلْمُهَا إِلَّا بِبَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ. وَهَذَا وَجْهٌ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ الْقَوْلُ فِيهِ، إِلَّا بِبَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِتَأْوِيلِهِ، بِنَصٍّ مِنْهُ عَلَيْهِ، أَوْ بِدَلَالَةٍ قَدْ نَصَبَهَا دَالَّةً أُمَّتَهُ عَلَى تَأْوِيلِهِ. وَأَنَّ مِنْهُ مَا لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ: وَذَلِكَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ آجَالِ حَادِثَةٍ، وَأَوْقَاتٍ آتِيَةٍ، كَوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ تِلْكَ أَوْقَاتٌ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ حُدُودَهَا، وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ تَأْوِيلِهَا إِلَّا الْخَبَرَ بِأَشْرَاطِهَا، لِاسْتِئْثَارِ اللَّهِ بِعِلْمِ ذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلَ رَبُّنَا فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ، فَقَالَ: {يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ

يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 187].

وَكَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ إِلَّا بِأَشْرَاطِهِ، دُونَ تَحْدِيدِهِ بِوَقْتٍ، كَالَّذِي رُوِيَ عَنْهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ إِذَا ذُكِرَ الدَّجَّالُ: " إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ، وَإِنْ يَخْرُجْ بَعْدِي، فَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ " وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ، الَّتِي يَطُولُ بِاسْتِيعَابِهَا الْكِتَابُ، الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمُ أَوْقَاتِ شَيْءٍ مِنْهُ، بِمَقَادِيرِ السِّنِينَ وَالْأَيَّامِ، وَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، إِنَّمَا كَانَ عَرَّفَهُ مَجِيئَهُ بِأَشْرَاطِهِ، وَوَقْتِهِ بِأَدِلَّتِهِ. (4)

وَأَنَّ مِنْهُ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ كُلُّ ذِي عِلْمٍ بِاللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَذَلِكَ إِقَامَةُ إِعْرَابِهِ، وَمَعْرِفَةُ الْمُسَمَّيَاتِ بِأَسْمَائِهَا اللَّازِمَةِ غَيْرِ الْمُشْتَرِكِ فِيهَا، وَالْمَوْصُوفَاتِ بِصِفَاتِهَا الْخَاصَّةِ دُونَ مَا سِوَاهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ كَسَامِعٍ مِنْهُمْ لَوْ سَمِعَ تَالِيًا يَتْلُو: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ} [البقرة: 11 - 12].

لَمْ يَجْهَلْ أَنَّ مَعْنَى الْإِفْسَادِ هُوَ مَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ مِمَّا هُوَ مَضَرَّةٌ، وَأَنَّ الْإِصْلَاحَ هُوَ مَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ، مِمَّا فِعْلُهُ مَنْفَعَةٌ؛ وَإِنْ جَهِلَ الْمَعَانِيَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ إِفْسَادًا، وَالْمَعَانِيَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ إِصْلَاحًا، فَالَّذِي يَعْلَمُهُ ذُو اللِّسَانِ الَّذِي بِلِسَانِهِ نَزَلَ الْقُرْآنُ، مِنْ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، هُوَ مَا وَصَفْتُ مِنْ مَعْرِفَةِ أَعْيَانِ الْمُسَمَّيَاتِ بِأَسْمَائِهَا اللَّازِمَةِ، غَيْرِ الْمُشْتَرِكِ فِيهَا، وَالْمَوْصُوفَاتِ بِصِفَاتِهَا الْخَاصَّةِ، دُونَ الْوَاجِبِ مِنْ أَحْكَامِهَا وَصِفَاتِهَا وَهَيْئَاتِهَا، الَّتِي خَصَّ اللَّهُ بِعِلْمِهَا نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يُدْرَكُ عِلْمُهُ إِلَّا بِبَيَانِهِ، دُونَ مَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ دُونَ خَلْقِهِ. وَبِمِثْلِ مَا قُلْنَا مِنْ ذَلِكَ، رُوِيَ الْخَبَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهٍ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ". (5)

قال أبو جعفر: وَهَذَا الْوَجْهُ الرَّابِعُ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، مِنْ أَنَّ أَحَدًا لَا يُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، مَعْنًى غَيْرُ الْإِبَانَةِ عَنْ وجُوهِ مَطَالِبِ تَأْوِيلِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ عَنْ أَنَّ مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ الْجَهْلُ بِهِ؛ وَقَدْ رُوِيَ بِنَحْوِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ أَيْضًا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرٌ فِي إِسْنَادِهِ نُظِرَ حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدَفِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ الْحَارِثِ، يُحَدِّثُ عَنِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ: حَلَالٍ، وَحَرَامٍ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِالْجَهَالَةِ بِهِ، وَتَفْسِيرٌ يُفَسِّرُهُ الْعَرَبُ، وَتَفْسِيرٌ يُفَسِّرُهُ الْعُلَمَاءُ، وَمُتَشَابِهٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنِ ادَّعَى عِلْمَهُ سِوَى اللَّهِ، فَهُوَ كَاذِبٌ ". (6)

التعليق:

(1) قوله هنا في حديث " نَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ".

طبعا هذا الحديث لا يصح مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا تخلوا طرقه من مقال فقد جاء من مرسل أبي سلمة عن بن مسعود وهو لم يدرك بن مسعود وفيه انقطاع وجاء من مرسل أبي سلمة مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم وله طرق لا تخلوا من مقال وفي بيان مواضيع وجوه القرآن أن منه زاجرًا وآمرًا وحلالاً وحرامًا قد جاء عن عبد الله بن عمر نحو رضي الله عنهما أما معناه أن " نَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ".

فالمصنف في آخر الكلام اختار أنها أبواب الجنة السبعة أن المراد بذلك أبواب الجنة السبعة ولذلك جعل يعدد أن باب " فَلِكُلِّ وَجْهٍ مِنْ أَوْجُهِهِ السَّبْعَةِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ " في آخر الكلام الذي سمعناه يقول: " الَّذِي نَزَلَ مِنْهُ الْقُرْآنُ، لِأَنَّ الْعَامِلَ بِكُلِّ وَجْهٍ مِنْ أَوْجُهِهِ السَّبْعَةِ، عَامِلٌ فِي بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَطَالِبٌ مِنْ قِبَلِهِ الْفَوْزَ بِهَا ".

يعني باب في الأمر يعني حسب الأبواب على الإيمان بها باب من أبواب الجنة ترك ما نهى الله عنه ، باب تحليل ما أحل الله ، باب تحريم ما حرم الله وهكذا إلى سبع أبواب هذا الذي اختاره وهذا الذي ذكره هنا هو أحد الوجوه في تفسير الحديث وإلا للحديث وجهان في السبعة الأحرف المذكورة في هذا الخبر:

القول الأول: أحدها أنها ليس المراد بها الأحرف السبعة التي ذكرها الله عز وجل زاجرٌ وآمرٌ وحلالٌ وحرامٌ هذا كما تقدم معنا في كلامه من قبل قلنا هذه وجوه في المعاني وليست في أداء الألفاظ

طيب ، قالوا هذه الأحرف التي نزل بها الكتاب الأول كما ذكرنا هنا أراد بذكر الأحرف في هذا الخبر التنبيه على فضل القرآن هذا القول الأول أراد التنبيه على فضل القرآن على سائر الكتب، كيف ذلك؟ قال الله عز وجل قد جمع في هذا الكتاب من الوجوه المعاني ما لم يجمعها في كتاب من قبله وتعرفون هذا التفضيل ورد { وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا } يعني موافقًا { لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ } [المائدة: 48]

يعني ففي القرآن شيء أعلى مما سبق وكله كلام الله غير مخلوق سبحانه وتعالى فلذلك قالوا هذا الوجه الأول أن " الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ".

يعني لتنبيه الناس أن القرآن متفضل فاضل مقدم على غيره من الكتب لذلك ذكر هو الطبري أشار إلى أن الكتاب الأول نزل من باب واحد قول بن مسعود في متن الحديث " نَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ " فهو كالتفسير لما سبق وأشار إلى أن الكتاب الأول نزل خاليا من الحدود والأحكام والحلال والحرام كزبور داود عليه السلام هذا كتاب مواعظ لذلك داود عليه الصلاة كان يدين في الشريعة بالتوراة لأن التوراة شريعة حلال وحرام وحدود وأحكام كما قال قتادة: " فِي التَّوْرَاةِ شَرِيعَةٌ، وَفِي الْإِنْجِيلِ شَرِيعَةٌ، وَفِي الْفُرْقَانِ شَرِيعَةٌ، يُحِلُّ اللَّهُ فِيهَا مَا يَشَاءُ، وَيُحَرِّمُ مَا يَشَاءُ، لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُهُ مِمَّنْ يَعْصِيهِ، وَالدِّينُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ غَيْرَهُ: التَّوْحِيدُ وَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ، الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ ".

فالتنوع حاصل { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ } [المائدة: 48] زبور داود عليه السلام هو تذكير مواعظ وهذا جاء عن جماعة من السلف أن فيه تحاميد وتمجيد ونحو ذلك وإنجيل عيسى كان فيه تمجيد ومحامد وكان فيه بعض وفيه شرائع لكنه يعني كما يقال نسخ بعض ما في التوراة ولذلك قال الله عز وجل { وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ } [آل عمران: 50] بعضه وليس كله وللك كان فيه نوع من التخفيف والصفح والإعراض ونحو ذلك وقال: " وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي نَزَلَتْ بِبَعْضِ الْمَعَانِي السَّبْعَةِ ".

إذا القول الأول " نَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ " أي تنبيها لفضل الكتاب على غيره هذا المراد بالأحرف السبعة أو التي ذكرت هنا في هذا الباب.

القول الثاني: أن هذه الأحرف السبعة المراد بها في قوله زاجرٌ وآمرٌ ونحو ذلك هي أبواب الجنة كما اختاره هنا المصنف تفسيرا للسبعة الأبواب التي هي من الجنة وليست تفسيرا للسبعة الأحرف قالوا: لأن الذي يعمل بهذه الأبواب الزجر والأمر والحلال والحرام والمحكم والمتشابه على ما فسره هنا المصنف قالوا: لأن الذي يعمل بها وينتهي إلى حدودها يستحق دخول الجنة وكلا الوجهين في تأويل الحديث محتمل يعني وذكر الداني في كتابه " الأحرف السبعة " أن العلماء على الأول قال: " وعَلَى الأول أكثر الْعلمَاء ". أي الأول ، أي تنبيها لفضل الكتاب وإن كان كلا الوجهين يحتملهما الحديث.

(2) ذكرنا هذا التفسير من قبل في قوله هنا في الحديث وإن كان فيه ضعف لكن روي في الباب ومرسلا عن الحسن وجاء من قول بن مسعود مرفوعا طبعا " وَإِنَّ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرًا وبَطْنًا " شرحنا المعنى هذا " وَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ ".

قيل المراد بالظاهر ذكرنا أقوال في هذا سبق ذكرها في المجلس السابق أن الظاهر ما يعرفه العلماء من التأويل والناس والباطن الذي هو يعرفه الخاصة سيأتي معنا في كلام بن عباس أن من القرآن ما لا يعلمه إلا العلماء الذي هو باب الاستنباط والأحكام الخاصة في الدين يعني وأقوال في الباب ومنهم من فسره على التقليب والتدبر من باب قول العرب: قد بينت أمري ظهرا لبطن. وذكرنا تفسير ابن المبارك وتفسير أبي عبيد تقدم معنا كله " وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعَ " يعني له مصعد منه بيان يعني " المطلع " يعني المصعد من مكان مستقل إلى مكان مشرف فالمراد هنا أن ما يؤتى القرآن من جهة فهمه " وَلِكُلِّ حَدٍّ "أي لكل معنى قوم سيطلعون عليه أي على ذلك المعنى ويدركونه ويريدون وجهه ونحو ذلك والحسن فسره " وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعَ " أنه سيعمل به قوم وذكرنا أنه كأنه ذهب إلى قول بن مسعود أنه في آيات عُمِل بهن وفي آيات سيعملون بها. أبو عبيد رجح أنه قال: وإن كان قول الحسن له وجه وإلا فإن " المطلع " قال في كلام العرب " هُوَ المأتى الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ حَتَّى يعلم علم الْقُرْآن ".

قال: وهو عندي الوجه في " المطلع " وذكر هذا رحمه الله في غريب الحديث.

(3) هو الآن سيتناول مسألة طرق تفسير القرآن طرق التي يتلقى منها بيان القرآن ، طبعا التفسير بمعنى البيان ، بيان المعنى وهو الإحاطة بمعنى الآية الإحاطة بمدلول الآية قال الله عز وجل { بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ } [يونس:39] وهذا من أدق ما يعرف به التفسير أن التفسير هو الإحاطة بعلم الآية

{ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ } [يونس: 39] فهذا أفاد أن العرب يعني هذا على حد قول في المعنى المدلول لما يقال في المثل أو فيما يقال " من جهل شيئا عاداه".

يعني العرب كذبوا بشيء لم يتدبروا في علمه فهذا دل على أن القرآن يحاط بعلمه هذا مهم جدا فالتفسير في اللغة كما يقول بن فارس في الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (ص145):

وأما " التفسير" فإنه " التفصيل " كذا قال ابن عباس في قوله جلّ ثناؤه: { وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا } أي: تفصيلاً.
وأما اشتقاقه فمن " الفَسر".
أخبرني القطّان عن المَعْدَانّي عن أبيه عن معروف عن الليث عن الخليل قال: الفسر البيان، واشتقاقه من فَسرِ الطبيب للماء إذا نظر إليه، ويقال لذلك: " التَّفْسِرَة " أيضاً.
فتفسير كلام الله عز وجل هو شرحه وبيانه يعني توضيحه وبيانه وهو إما أن توضح الآية بمجملها وإما أن توضح اللفظة بعينها.
سبيل تلقي ذلك ما هو؟ ما الطريق لمعرفة معنى القرآن؟ وأكثر العلماء لغة ومتقدم أهل التفسير لا يفرقون بين التفسير والتأويل يعني في هذا المقام أنه من معاني التأويل التفسير بمعنى البيان وهذا أبو عبيد يقول: ليس بينهما فرق.
حتى في اللغة وإن كان بعضهم خالفه لكن أبو عبيد يرى كغيره من جماعة من أهل اللغة أن التفسير هو التأويل يعني متقاربان ليس بينهما كبير فرق وهما في الشرع كذلك.
لابد أن نعلم مسألة مهمة جدا في قضية التفسير.
نقول التفسير الذي هو الإحاطة بعلم الآية واضح ، الآن سيتكلم في طرقه كيف يتلقى؟ التفسير بالمأثور أو التفسير بالنقل كيف يتلقى سنتكلم عليه لكن في مقدمة مهمة جدا ضعها بين نصب عينيك: " أن القرآن كله من سورة الفاتحة إلى سورة الناس معلوم المعنى وبينه النبي صلى الله عليه وسلم بيانًا شافيًا كافيًا لأصحابه".

وقد سمعنا قوله تعالى { وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ } [النحل: 44] طبعا هذا البيان لا نقول محصور على المرفوع يعني ما روي لنا مرفوعا لا ليس محصورًا وسيأتي معنا كلام عائشة تقول: " لم يكن النبيُّ صلى الله عليه وسلم يفسر شيئًا من القرآن، إلا آيًا بعَددٍ، علمهنّ إياه جبريل عليه السلام".

يعني تقصد بالمرفوع لكن التفسير البيان والشرح دلائل القرآن أعم من النطق المرفوع ، الصحابة ليس كل شيء سمعوه قالوا فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك **البراء بن عازب** رضي الله عنه قال: " ما كل ما نحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن سمعناه وحدثنا أصحابنا، ولكننا لا نكذب".

يعني يحدث بعضهم بعضا وكذلك ما رأوه في حاله عليه الصلاة والسلام وفي فعله وفي تصرفه كان خلقه القرآن بأبي وأمي عليه الصلاة والسلام وقد أمروا أن يتخذوه أسوة فكان أسوتهم صلوات الله وسلامه عليه في كل شيء في جليل الأمر وخفيفه كان لهم مرجع وأسوة { لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب: 21] والإمام الشافعي رحمه الله بين هذا أنه في طاعة النبي عليه الصلاة والسلام أنك تعلم أن طاعته صلوات الله وسلامه عليه من وجوه وجوبها أنه هو المبين للقرآن.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: " وَوَضَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ دِينِهِ وَأَهْلِ دِينِهِ مَوْضِعَ الْإِبَانَةِ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعْنَى مَا أَرَادَ اللَّهُ وَفَرَضَ طَاعَتَهُ فَقَالَ { مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ } [النساء: 80] .

إذن النبي عليه الصلاة والسلام في مقام أهل الدين أو عند أهل الدين هو المبين للقرآن ، هذا البيان كيف تم؟ هل تم بالأحاديث المرفوعة فقط كما قد يظن ؟ أن لابد البيان يكون بأحاديث مرفوعة ؟! طيب لا ، نقول ليس هذا بصواب ، تم البيان للقرآن بالأحاديث المرفوعة وهذا سنأتي عليه في طرق التلقي وتم بالآثار المسندة للصحابة فإن الآثار في باب التفسير المسندة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لها حكم المرفوع أي لها حكم الأحاديث المسندة ولذلك قال الحاكم في المستدرك (2/ 283): " لِيَعْلَمَ طَالِبُ هَذَا الْعِلْمِ أَنَّ تَفْسِيرَ الصَّحَابِيِّ الَّذِي شَهِدَ الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ- يقصد أصحاب الصحيح من حيث التعامل الإسنادي- حَدِيثٌ مُسْنَدٌ".

يعني له حكم الأحاديث المرفوعة وهكذا كان الناس يريدون تفاسير أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الآي محتجين بها ما من عالم إلا يفعل ذلك في كتابه فإنه يستدل بأحاديث وآثار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مفسرة للقرآن لأنهم كما قال بن أبي حاتم رحمه الله: " علموا التأويل وشهدوا التنزيل".

فهذه ميزة مقدمون فيها على غيرهم لذلك الصحابة رضي الله عنهم وسيأتي معنا كلام أَبُو عبد الرحمن السّلمِيّ قال: " حَدثنَا الَّذين كَانُوا يقرئوننا الْقُرْآن عُثْمَان بن عُثْمَان وَعبد الله بن مَسْعُود وَغَيرهمَا أَنهم

كَانُوا إِذا تعلمُوا من النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عشر آيَات لم يتجاوزوها حَتَّى يعلمُوا مَا فِيهَا من الْعلم وَالْعَمَل قَالُوا فتعلمنا الْقُرْآن وَالْعلم وَالْعَمَل جَمِيعًا ".

والذي يؤكد لك هذا المعنى تلقي التابعين فإن كثير من التابعين أو من التابعين قالوا بأن القرآن مدرك المعنى من أوله إلى آخره يعني مفهوم معلوم تفسيره مجمع على تفسيره وسنبين وجه الإجماع هذا لأن بعض الناس يقول لك بعض التفاسير فيها اختلاف سنتكلم عن هذا إن شاء الله لأن هذه شبهة يوردها بعض الناس في إنكار حجية فهم السلف.

أولا نقول وانتبه معي جيدا المقدمة رقم واحد إذا ثبتها بين يديك فانتقل للثانية.

المقدمة الأولى: أن القرآن مُحَاط بعلمه كله يعني إحاطة تفسير وبيان يعني شخص لما لا يقبل تفسير السلف اسأله سؤال قل له هل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته سورة الناس على الترتيب الموجود بين أيدينا الذي نعتقد أنه كلام الله عز وجل غير مخلوق هذا القرآن الذي هو من عند الله عز وجل معلوم المعنى أم لا ؟ أو في آيات لا نعلم معناها أو في آيات لا يعرف معناها ؟ هذا أول شيء فإن قال كله معلوم المعنى ألزم نفسه الحجة ننتقل للثاني لو قال لا نسرد عليه الآيات { وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ } القرآن { لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ } [النحل: 44] هل النبي بين الذكر كله أوبين بعضه صلوات الله وسلامه عليه ؟ والجواب أنه بينه كله لذلك قال الصحابة رضي الله عنهم وهو حديث سلمان: " علمنَا رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم كل شَيْء حَتَّى الخراءة".

وقال أبو ذر رضي الله عنه: " تَرَكْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا".

وهذا من صحة شهادة أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصح لقائلها والناطق بها حتى يعتقد أن النبي بيَّن وأدى وبلغ وأكمل الله عز وجل به الدين بلاغًا وإتمامًا { يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ } [المائدة: 67]

فالمقصود أن هذا موضع الإبانة موضع النبي صلى الله عليه وسلم أقامه الله موضع الإبانة عن دينه وعن كتابه ، طيب إذا قال لك نعم القرآن كله مفسر نذهب إلى المقدمة الثانية.

المقدمة الثانية: كيف فُسِّر القرآن؟ كيف فهمنا هذا البيان ووجوه نقل البيان ؟.

الذي تكلم عليه الإمام الشافعي ، الشافعي تكلم في دلالات الألفاظ الآن سيتكلم المصنف في طرق نقل هذا البيان كيف ينقل لنا بيان القرآن ؟ فهمتم القضية كيف لأن هذا مبني على مقدمة أن القرآن كله معلوم المعنى عند الصحابة يعني النبي صلى الله عليه وسلم لما توفي الصحابة القرآن معلوم لديهم أي

نعم قد يخفى أجزاء وآيات على بعضهم لكن لا تخفى على عمومهم انتبه فبحصول اجتماعهم يكون القرآن معلوم المعنى هذا من أعظم المداخل على من ينكر حجية قول الصحابي أنه إذا سلم لك أن القرآن معلوم المعنى قل له كيف نقل إلينا هذا المعنى المعلوم الذي اتفقنا عليه؟ الناس التي تتناقض ماذا تصنع؟ يقول لك القرآن معلوم المعنى تمام شيء طيب ثم يقول لك وقول الصحابي ليس حجة ، ونحن لما ننظر في التفسير نجد أن وأنتم تقرؤا في التفسير اقرأ تفسير بن أبي حاتم وتفسير الطبري السؤال لكم هل الأحاديث المرفوعة من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم أكثر أم الموجودة عن الصحابة والتابعين أكثر؟ في كتب التفسير المسندة أيهم أكثر نقلا في باب التفسير؟ المرفوع أو ما دونه؟ كل إنسان يطالع كتب التفسير المسندة يجد أن التفسير عن الصحابة والتابعين أكثر من المرفوع بل سيأتي كلام عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " **لم يكن النبيُّ صلى الله عليه وسلم يفسر شيئًا من القرآن، إلا آيًا بعَددٍ، علمهنّ إياه جبريل عليه السلام** ".

حينئذ السؤال يطرح أين معنى تفسير القرآن ؟ كيف نقل لنا؟ الذي يعتقد بحجية الآثار يقول لك أن تفسير القرآن وإحاطة بعلمه نقلت لنا عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لذلك تفسير الصحابي قلنا له حكم الحديث المسند والتابعين فهموا هذا عليهم رحمة الله فهذا مجاهد يقول: " **لَقَدْ عَرَضْتُ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ أَقِفُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ أَسْأَلُهُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَفِيمَ كَانَتْ؟** ".

من هذا ؟ هذا مجاهد رحمة الله عليه.

الشعبي يقول: " **ما ابتدع** - بالعموم - **أحد بدعة** - نكرة في سياق النفي تفيد العموم يعني أي بدعة في الأقوال في الاعتقاد في الأعمال - **إلا في كتاب الله بيانها** - أي بيان بطلانها ".

مسروق يقول رحمه الله: " **مَا نَسْأَلُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَعِلْمُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَكِنْ عِلْمُنَا قَصَّرَ عَنْهُ** ".

لذلك بن مسعود رضي الله عنه لما بيَّن علمه بالقرآن وأنه ما من آية في كتاب إلا وهو أعلم أين نزلت وفيما نزلت قال: " **وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا مِنْ كِتَابِ اللهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ** ".

لاحظت القضية فهذه مسألة مهمة جدا إذا النبي صلى الله عليه وسلم قد أتى وبين علم القرآن فهو المبين للناس ما نزل إليهم المبلغ لهم رسالة ربهم تبارك وتعالى.

نأتي الآن إلى وجوه نقل هذا البيان ، لذلك الذي لا يقبل أقوال الصحابة في التفسير كافر زنديق لماذا؟ لأنه سيحدث معاني جديدة وقد اتفق المحرفة وانتبهوا إلى هذه النقطة قد اتفق المحرفة لآي القرآن من سائر أهل البدع على رد أقوال الصحابة ، طبعا كان فيهم من يتدين برد أقوال الصحابة جملة هذا كافر لكن بعضهم كان يرد بعض أقوال الصحابة وهذا يرجع حكمه بين البدعة والكفر لأنه على خطر عظيم خاصة وتفسير الصحابة رضي الله عنهم في آيات المعتقد ليس فيه اختلاف سيأتي أن باب الاختلاف الذي حصل بينهم هو ما كان من جهة الرأي يعني من جهة الاستنباط فيما يسوغ فيه الاجتهاد كأبواب الأحكام، نعم حصل بينهم نوع من الاختلاف في هذا الباب ولذلك قال العلماء رحمهم الله تعالى أنه لا يخرج عن أقوالهم إذا اختلف الصحابة على قولين متقابلين كما قال الشافعي: " وَإِذَا قَالَ الرَّجُلَانِ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ قَوْلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ نَظَرْتُ، فَإِنْ كَانَ قَوْلُ أَحَدِهِمَا أَشْبَهَ بِكِتَابِ اللَّهِ أَوْ أَشْبَهَ بِسُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذْتُ بِهِ" يعني بالكتاب والسنة.

طبعا المجتهد الناظر في الترجيح ولا يخرج عن أقوالهم فهذه مسألة فأنت حينئذ ألزمت نفسك اتباعهم أما القول في أبواب المعتقد إذا جاء صحابي مثلا بن مسعود ، بن مسعود صح عنه وبن عباس أنه قال في قوله تعالى { ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ} [طه: 5] قال: " جلس".

ويأتيك شخص متفزلك يريد أن يظهر عضلاته على الصحابة يقول لك هذا التفسير كيف؟! وهذا ليس مرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم والصفات تؤخذ بالآيات والأحاديث المرفوعة ، طيب نقول له استوى إيش معناها ؟ نقول علا وارتفع

طيب هذا الشخص يقول هات من السنة أنه معنى استوى يعني هكذا كتفسير أنها علا وارتفع.

نقول له إنما هي متلقات من الصحابة والتابعين ، فهؤلاء يريدون إسقاط فهم القرآن وعلم القرآن الأول الذي رضي الله عز وجل عن أصحابه ، وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم هذا المعنى ورأوه فيه، أي في حاله صلى الله عليه وسلم قولا وعملا صلى الله عليه وسلم.

لذلك إسقاط أقوال الصحابة من التفسير هذا إنكار للدين الأول الذي عرفه البدريون والمهاجرون والانصار رضي الله عنهم وأرضاهم والتابعون لهم بإحسان القضية ليست سهلة ومن طرق أهل البدع هذه أذكرها لكم وإن شاء الله لها موضعها في دروس فهم السلف ومن طرق أهل البدع أنهم إذا أرادوا أن يسقطوا لك حجية قول الصحابي ماذا يصنعون؟ يأتون لك ببعض أقوال الصحابة التي قيلت مما الرأي فيه مجال كالاستنباط في باب الأحكام وأنهم رد بعضهم على بعض يقول لك وهذا دليل على أنهم لا يرون أقوالهم حجة ، طبعا نعم الصحابي إذا اختلف مع الصحابي في مرجحات أخرى بالتقدم والفضل والخلفاء

ليسوا كغيرهم وهكذا رضي الله عن الصحابة أجمعين لكن أصل المسألة هذا مما يسوغ فيه الاجتهاد فللاستنباط فيه مجال لا شك ولا ريب ولكن هذا التمثيل لا يقاس عليه عموم حجية القول لأن عموم حجية القول ثابت بالكتاب والسنة أقوالهم في باب التفسير وباب التأويل وباب البيان للكتاب والسنة أقوالهم حجة الصحابة هذا من حيث العموم حجة لا يجوز الخروج عن بيانهم وذلك لو أن رجلا علم بيان الصحابة رضي الله عنهم المجمع عليه في أبواب المعتقد كالجهمية مثلا وترك هذا الذي صنعوه المحرفة عموما أنهم يعلمون أن الصحابة لم يأتوا بتلك الأقوال المبدلة في باب الصفات التي وضعتها الجهمية فلا الصحابة قالوا اليد القدرة والاستواء الاستيلاء ولا الكلام مخلوق ولا غير ذلك معاذا الله وحاشهم رضي الله عنهم لم يقولوا ذلك فهو من وضع هؤلاء الجهمية لكنهم وضعوا الصحابة في موضع أنهم لم يعلموا علم القرآن يعني وضعوهم مفوضة لأنهم لم يعلموا المعاني وهذا طعن فيهم هذا أشد من الرافضة ، الرافضة قالوا غصبوا خلافة علي وكفروا الصحابة هذا يقول الصحابة جهلوا المعتقد هذا أشد هذا رفض مبطن وطعن في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين فنتبه لهذا بارك الله فيك في مسائل التأويل والبيان ولذلك السلف رحمهم الله تعالى لما كانوا يذكرون أحاديث الصفات مثلا سواء من أخبار الصفات عموما يقولون أدركنا فلان وفلان لا يفسرون منها شيئا نصدق بها كما قال أبو عبيد: " **نصدق بها ونسكت**".

ويقول: " **لا يفسروا منها شيئا**". يعني لا يضع لها تفسير جديد.

كما قال الاوزاعي: " **لَيْسَ هَذَا زَمَانُ تَعَلُّمٍ هَذَا زَمَانُ تَمَسُّكٍ**". يعني أنك لا تحدث معاني جديدة وأقوال باطلة ، بل تتمسك بما كان عليه السلف.

(4) هنا في قوله أولا بيَّن الطريق الأول هو طريق السنة كما قال هنا أن الله تبارك وتعالى بيَّن أن مَا لَا يُوصَلُ إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِهِ، إِلَّا بِبَيَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك ذكر الإمام الشافعي رحمه الله أن كل حكمٍ حَكَمَ به النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن أو حكم به فإنما هو من القرآن يعني ببيان القرآن هذا الباب الأول والسنة هي المفسرة للقرآن والشارحة له والمبينة له وقد جاء في حديث عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكرِبَ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " **أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمُ الْحِمَارُ الْأَهْلِيُّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ**".

ومعروف أثر حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: " كَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا كَمَا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ".

وقال الله عز وجل { وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ } [الجمعة: 2]

قال الشافعي رحمه الله: " سَمِعت مَن أرضى من أهل الْعلم بِالْقُرْآنِ يَقُول: الْحِكْمَة سنة رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم". واستدل بقول الله تبارك وتعالى { وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا } [الأحزاب: 34].

فالحكمة هي سنة النبي صلى الله عليه وسلم { وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } [النساء: 113]

كذلك حماد بن زيد يقول: " حُرْمَةُ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَحُرْمَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى".

وقال إِسْمَاعِيلَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ: " يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْفَظَ مَا جَاءَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: { وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ } [الحشر: 7] فَهُوَ عِنْدَنَا بِمَنْزِلَةِ الْقُرْآنِ".

طبعا بيان السنة للقرآن يكون إما بقوله صلى الله عليه وسلم وإما بفعله وإقراره فكل ما أفهم من حاله أو فهم الصحابة رضي الله عنهم من حاله صلى الله عليه وسلم في بيان مراد الله عز وجل من القرآن فهو حاصل ببيان السنة ولذلك الصحابة إما ينقلوه في أحاديث مرفوعة وهذا قليل وإما أن ينقل في آثارهم وأقوالهم وأفعالهم وما عملوا به رضي الله عنهم أجمعين.

هذا بالنسبة لقضية بيان السنة.

قال المصنف: " وَأَنَّ مِنْهُ مَا لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" لأنه في درجة القرآن أي في علم كتاب الله ما لا يعلم تأويله إلا الله على الوقف في الآية { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ } [آل عمران: 7] وتتوقف.

طيب ما معنى التأويل هنا؟ نقول التأويل المراد به هنا هو ما يؤل إليه الشيء يعني من حيث كيفيته وزمن وقوعه وصفة وقوعه يعني كيفيتًا وهكذا فهذا مما استأثر الله عز وجل بعلمه وهنا ضرب مثال قال: " وَذَلِكَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ آجَالِ حَادِثَةٍ، وَأَوْقَاتٍ آتِيَةٍ، كَوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ".

قال { هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ } [الأعراف: 53] هذا في يوم القيامة لم يأتي بعد فنحن نؤمن بالساعة ونفهم ذلك المعنى أنه في يوم يجمع الله فيه الخلائق لكن كيف ذلك؟ متى ذلك؟ هذا لا يعلمه إلا الله، وقال: " وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه الصلاة والسلام" { وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ

لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ } [الزخرف:61] وفي قراءة إفرادية { وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ} فعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من أشراط الساعة ونزوله بين يدي الساعة طيب نفهم ما معنى ينزل لكن متى؟ وقت ذلك؟ صفة هذا النزول؟ كيفيته؟ الله أعلم به فهذا مما استأثر الله رب العالمين بعلمه ، قال: " وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ تِلْكَ أَوْقَاتَ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ حُدُودَهَا، وَلَا يُعْرَفُ أَحَدٌ مِنْ تَأْوِيلِهَا إِلَّا الْخَبَرَ بِأَشْرَاطِهَا، لِاسْتِئْثَارِ اللَّهِ بِعِلْمِ ذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ وَكَذَلِكَ أَنْزَلَ رَبُّنَا فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ، فَقَالَ { يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا} [الأعراف: 187] الآية.

إذن في تأويل وهذا الذي نتكلم عليه لما قلنا القرآن محاط بعلمه يعني بيانه الظاهر لكن كيفيات وقوع الغيبيات أو كيفيات ما غاب عنا من الغيب من صفات الله عز وجل وهذا أعظم أو من صفات يوم القيامة أو من صفة الجنة يعني الكيفية وصفة النار ونحو ذلك فهذا مما لا يعلم تأويله إلا الله عز وجل.

(5) هنا قوله: " وَأَنَّ مِنْهُ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ كُلُّ ذِي عِلْمٍ بِاللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ". يعني كل من كان عنده علم بلسان العرب.

النوع الثالث: يعلم معنى الآية وتفسير الآية يعني ظاهر في كلام العرب معناها ، قال: " وَذَلِكَ إِقَامَةُ إِعْرَابِهِ، وَمَعْرِفَةُ الْمُسَمَّيَاتِ بِأَسْمَائِهَا اللَّازِمَةِ غَيْرِ الْمُشْتَرِكِ فِيهَا ". أخرج المشترك ، المشترك من قبيل المتشابه يعني الاشتراك المعنوي وهي أن تكون كلمة واحدة تدل على معنيين مختلفين هذا المراد بالمشترك هنا فأخرجه لماذا؟ لأن هذا مما يدخل في حيز المتشابه طبعا كلمة المتشابه مأخوذة من أشبه الشيء الشيء فهو معنيان يعني بينهما تقابل واللفظة واحدة احتملت معنيين متقابلين مثلا كالقُرْء: الحيض والطهر هذه لا يعرفها إلا العلماء أهل الاستنباط فيرجحون في موضعه ولذلك يقال مشكل ويسمى المشكل كما يسميه بعض من تأخر يسميه مشكل ، المشكل المراد به هنا ما دخل في شكل غيره يعني أيضا نفس الكلام في المتشابه.

والمتشابه ما أشبه غيره والمشكل ما دخل في شكل غيره ، فسمي مشكل وهذا لا يدخل في هذا المعنى لأنه يحتاج إلى تحديد وبيان ما المراد من اللفظ هذا المشترك لكن هو يتكلم عن الأشياء التي ليس فيها اشتراك منصوصة أو تكون موصوفة بصفات خاصة دون ما سواها يعني صفات تخصها تضاف لها كالكعبة مثلا الكعبة ذكرت في القرآن هل يشك شخص أن البيت الذكور في قوله تعالى { وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ} [البقرة: 127] يقول لك ما هو هذا البيت؟ لا يشك أحد أنه هو الكعبة لأنه موصوف بصفة معينية ليس كل بيت في الأرض { إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا} [آل عمران:96] هو بيت معين.

وقال { جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ} [المائدة: 97] يعني قيامًا لدينهم، ومعالمَ لحجِّهم وهكذا فالكعبة والبيت هذه أسماء وأعلام على معينات كذلك ما وصف صفات خاصة به مما وصف الله عز وجل به لا يتعدى إلى غيره ، أيضا هذا معلوم ، وهذا يسمى النص والنص هو ما لا يحتمل غيره كذكر الأعداد مثلا { تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ } [البقرة: 196]

أو ذكر أوصاف معينة مثلا قوله تبارك وتعالى { فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ} [البقرة: 222] هذا وصف للحيض مثلا، فهنا لا يشك عاقل أنه في وقت الحيض لا يجوز جماع النساء ونحوه في هذا الباب.

قال المصنف: " فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَذَلِكَ كَسَامِعٍ مِنْهُمْ لَوْ سَمِعَ تَالِيًا يَتْلُو { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ} [البقرة: 11] يفهم الفساد قال: " لَمْ يَجْهَلْ أَنَّ مَعْنَى الْإِفْسَادِ هُوَ مَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ مِمَّا هُوَ مَضَرَّةٌ".

يعني الفساد المعروف يعني يتصور معناه ليس صعبا عليه صاحب اللسان مهما كان حاله عامي يفهم { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ} الفساد معروف عند العوام.

قال المصنف: " وَأَنَّ الْإِصْلَاحَ هُوَ مَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ، مِمَّا فِعْلُهُ مَنْفَعَةٌ؛ وَإِنْ جَهِلَ الْمَعَانِيَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ إِفْسَادًا، وَالْمَعَانِيَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ إِصْلَاحًا".

يعني سياق الآية وكذا لكن متصور عنده الفساد فَالَّذِي يَعْلَمُهُ ذُو اللِّسَانِ الَّذِي بِلِسَانِهِ نَزَلَ الْقُرْآنُ، مِنْ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، هُوَ مَا وَصَفْتُ مِنْ مَعْرِفَةِ أَعْيَانِ الْمُسَمَّيَاتِ بِأَسْمَائِهَا... إلخ ما ذكر.

ثم ذكر أثر بن عباس وإن كان فيه انقطاع لكن متلقى بالقبول هذا الأثر إسناده صحيح إلى سفيان الثوري عن أبي الزناد رحمه الله لكن هو فيه انقطاع قال: " التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهٍ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا - وهذا الذي نتكلم عليه أصحاب اللسان - وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ - يعني لوضوحه للكل وضوح معناه - وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ - وهذا علم الخاصة كما سماه الإمام الشافعي رحمه الله - وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ - وهو ما استأثر الله بعلمه قلنا ككيفيات الصفات وكيفية ما يقع في الآخرة ونحو ذلك ".

(6) طبعا هذا الخبر لا يصح كما هو ظاهر أنه عن الكلبي وذكرنا هذا من قبل في هذا الباب لكن المتن المذكور جاءت به الآثار الألفاظ الموجودة في المتن جاءت به آثار أن القرآن أنزل على أبواب وحلال وحرام ونحو ذلك كما هو أثر بن عباس وأثر بن عباس هو أصح ما في الباب في هذا التقسيم يعني أنه " وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ ".

وهذا تنصيص على عدم العذر بالجهل هذا من أقدم الآثار في التنصيص على عدم العذر بالجهل يعني هذا رد على من يقول كله خفي أو أمر نسبي يخفى على بعض الناس دون بعض هذا ليس صحيح يعني يجعل كل الأحكام هكذا ، نقول لا الأحكام كما قال الشافعي: " **العلم عِلْمان علمُ عامَّةٍ لا يَسَعُ بالِغاً غيرَ مغلوب على عقْلِه جَهْلُهُ** ".

هذا ما أحد يعذره اتفق العلماء على ذلك الذين يسموه " **مالا يسع جهله** " أو " **ما لا يسع الجهل به** " ونحو ذلك في قدر عام كتوحيد الله عز وجل وكذلك من كان في دار إسلام أو دار يتلى فيها القرآن فلا يقبل جهله بالصلاة وجوبا ولا بالزكاة وجوبا والاستحلال الزنا ونحو ذلك فإنه لا يقبل منه إنما في مثل الشرائع العامة الصلاة والزكاة ونحوها يعذرون كما ذكر الشافعي النائي ببادية ذكر هذا في كتابه " **الأم** " ويعذرون أيضا من نئى الدار عن أهل الإسلام ودار الإسلام يعني ليس هناك أمامه مسلمين ولا دار إسلام كما ذكر أبو عبيد ذلك في غريب الحديث هذا الذي يعذرونه يعني مثله يعذر أما شخص يسمع القرآن أو يعيش بين المسلمين أو في دار يتلى فيها القرآن أو يكون في دار الإسلام ثم يقول أنا لا أعلم أن الزنا حرام أو أن الزكاة واجبة أو الصلاة واجبة هذا لا يقبلون عذره يستتيبوه فإن تاب وإلا قتل على الردة إجماعا هذا في الواجبات الظاهرة لا يعذر أمثال هؤلاء فكيف بتوحيد الله عز وجل الذي لا يتقيد بالمكان ولا بالزمان التوحيد في كل وقت ظاهر لمن طلبه كما قال معاذ رضي الله عنه: " **إِنَّ الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ مَكَانَهُمَا مَنِ ابْتَغَاهُمَا وَجَدَهُمَا** ".

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين



الدرس الخامس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين

أما بعد فإن أحسن الكلام كلام الله تبارك وتعالى وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

هذا مجلس جديد من مجالسنا في قراءة مقدمة التفسير من جامع البيان وكنا قد توقفنا عند قوله:

ذِكْرُ بَعْضِ الْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْ بِالنَّهْيِ عَنِ الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ بِالرَّأْيِ:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ طَلْحَةَ الْيَرْبُوعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى هُوَ ابْنُ عَامِرٍ الثَّعْلَبِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ، أَوْ بِمَا لَا يَعْلَمُ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".

وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، وَقَبِيصَةُ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ: حَدَّثنا عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ الْمُلَائِيُّ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ بَكْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".

وَحَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ سَلْمُ بْنُ جُنَادَةَ السُّوَائِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي، وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، إِذَا قُلْتُ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا أَعْلَمُ".

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: " أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي، وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، إِذَا قُلْتُ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِي أَوْ بِمَا لَا أَعْلَمُ".

قال أبو جعفر: وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ شَاهِدَةٌ لَنَا عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا، مِنْ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ الَّذِي لَا يُدْرَكُ عِلْمُهُ، إِلَّا بِنَصِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ بِنَصْبِهِ الدَّلَالَةَ عَلَيْهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ لِأَحَدِ الْقِيلَ فِيهِ بِرَأْيِهِ، بَلِ الْقَائِلُ فِي ذَلِكَ بِرَأْيِهِ، وَإِنْ أَصَابَ الْحَقَّ فِيهِ، فَمُخْطِئٌ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِهِ بِقِيلِهِ فِيهِ بِرَأْيِهِ [(1)]، لِأَنَّ إِصَابَتَهُ لَيْسَتْ إِصَابَةَ مُوقِنٍ أَنَّهُ مُحِقٌّ، وَإِنَّمَا هُوَ إِصَابَةُ خَارِصٍ وَظَانٍّ، وَالْقَائِلُ فِي دِينِ اللَّهِ بِالظَّنِّ قَائِلٌ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ عَلَى عِبَادِهِ، فَقَالَ: { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: 33] فَالْقَائِلُ فِي تَأْوِيلِ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُدْرَكُ عِلْمُهُ إِلَّا بِبَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ بَيَانَهُ، قَائِلٌ بِمَا لَا يَعْلَمُ، وَإِنْ وَافَقَ قِيلُهُ ذَلِكَ فِي تَأْوِيلِهِ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَعْنَاهُ، لِأَنَّ الْقَائِلَ فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، قَائِلٌ عَلَى اللَّهِ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْخَبَرِ، الَّذِي حَدَّثَنَا بِهِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ،

قَالَ: حَدَّثَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي حَزْمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ جُنْدُبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ، فَقَدْ أَخْطَأَ". (2)

يَعْنِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ أَخْطَأَ فِي فِعْلِهِ، بِقِيلِهِ فِيهِ بِرَأْيِهِ، وَإِنْ وَافَقَ قِيلُهُ ذَلِكَ عَيْنَ الصَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ، لِأَنَّ قِيلَهُ فِيهِ بِرَأْيِهِ، لَيْسَ بِقِيلِ عَالِمٍ أَنَّ الَّذِي قَالَ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ حَقٌّ وَصَوَابٌ، فَهُوَ قَائِلٌ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ، آثِمٌ بِفِعْلِهِ مَا قَدْ نَهَى عَنْهُ وَحَظَرَ عَلَيْهِ. (3)

التعليق:

(1) وقوله هنا في الباب وهذا باب مهم جدا في النهي عن القول في تأويل القرآن بالرأي وتأويل القرآن بالرأي وهو أن يقول فيه ما لا علم له به قد تقدم معنا ونحن نتكلم في الباب السابق تكلمنا عن طرق التفسير عند السلف رحمهم الله تعالى وأن للسلف فيما يذهبون فيه يعني في باب التأويل أنهم يفسرون القرآن بالقرآن ويفسرون القرآن بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، طبعا السنة هي الحكمة وهي الشارحة كما تقدم معنا الشارحة لكتاب الله تبارك وتعالى ، النبي صلى الله عليه وسلم تفسيره للقرآن وبيانه له صلوات ربي وسلامه عليه كما تقدم معنا من قبل كان بقوله وفعله وإقراره فالصحابة نظروا إلى عموم حاله وطريقته كما قال الله عز وجل ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 21] والنبي عليه الصلاة والسلام كان خُلُقه القرآن يعني طريقته وسيرته هي شرح وتفسير لكتاب الله تبارك وتعالى ولذلك نجد النبي عليه الصلاة والسلام فسر القرآن بأحوال كثيرة منها ما كان آيًا كما فسر عليه الصلاة والسلام لما وقع إشكال في آية الأنعام لبعض الصحابة لما فهموا العموم في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: 82] كما جاء في حديث عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: " لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ- يعني ليس هذا الظلم العام وإنما المراد به هنا ظلم خاص -، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ﴿ يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ".

كذلك من مواضع الاستدلال منه صلوات ربي وسلامه عليه الآيات التي يتلوها بعد حديثه لأن عندنا قاعدة وهي تؤكد الذي قلناه وهو قول سعيد بن جبير رحمه الله: " مَا بَلَغَنِي حَدِيثٌ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى وَجْهِهِ إِلا وَجَدْتُ مِصْدَاقَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ".

يعني كل ما تقرأ حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا وفي القرآن تصديقه يعني تجد له في القرآن علمًا وهذا لعظمة كتاب الله تعالى الذي نزله ربنا كما قال عز وجل { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } [النحل: 89]

وكذلك يؤكد حجية السنة وأن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال حسان بن عطية: " كَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا كَمَا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ ".

ففي مواضع كثيرة كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول ثم يتلوا مصداقه من كتاب الله فمن ذلك مثلا لما النبي عليه الصلاة والسلام في أحاديث القدر كما في حديث رواه مسلم في صحيحه (8/ 48): عن عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ قال: " أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى عَلَيْهِمْ قَالَ فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللهِ وَمِلْكُ يَدِهِ فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ. فَقَالَ لِي:

يَرْحَمُكَ اللهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزِرَ عَقْلَكَ إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: لَا بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى فِيهِمْ وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } ".

وكذلك في حديث جبريل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: " الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ "، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: " الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ "، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا

الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: " أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ "، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا، إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ "، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ: { إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ } [لقمان: 34]، ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ " فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: " هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ ".

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، الْخَلْقُ مُنْتَهُونَ إِلَى مَا فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ، وَذَلِكَ تَصْدِيقُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: { وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ } [الزخرف: 4] ". [قد عزاه في الدر المنثور لابن مردويه].

وهذا وغيره يؤكد لك هذا الأصل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلو آيات تصديقًا لما يقول وهو الصادق المصدوق صلى الله عليه و على آله وصحبه وسلم ولما ذكر عليه الصلاة والسلام قوله تعالى { هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ } [آل عمران: 7] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ ".

فصار هذا أصل عند أهل السنة في الهجر والتضليل ولم يقل عليه الصلاة والسلام مثلا فعذروهم أو لم يقل عليه الصلاة والسلام فاطلبوا لهم المخارج وحسنوا بهم الظن أو لعل فيهم مجتهدا يغفر له أو نحو ذلك لم يقل عليه الصلاة والسلام ذلك ولذلك لما نُسأل هل النبي صلى الله عليه وسلم ذم الفرق التي أتت من بعده والشيع أم لا؟ يأتي الجواب فيه تفصيل أما ما جاء مرفوعًا باسم الفرقة فلا يصح في الباب ذم فرقة بعينها إلا الخوارج أما ما جاء من أحاديث في المرجئة وإن كان بعض أهل العلم يستدل به لكن [10.46] كإسناد لا يصح لكن معناه موجود في السنن والآثار أما من جهة ذم المعاني وركز جيدا التي وجدت في الفرق ذم الإرجاء ما هو الإرجاء؟ قول بلا عمل المعنى يعني حقيقة الفرق أو أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص أو نحو ذلك أو قول أهل القدر أو قول الروافض أو غير ذلك والجهمية خارج فرق المسلمين إلى أن تصل إلى المذاهب الحداثية الوضعية من الفلسفات الوضعية هل تدخل فيه في نصوص السنة مثلا أو في حديث النبي عليه الصلاة والسلام ذم لما هم عليه؟ نقول نعم لماذا؟

أولا: لأن الله عز وجل برأ نبيه من كل حزب باطل فقال تعالى في كتابه { إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ } [الأنعام: 159] وفي قراءة { فَارَقُواْ دِينَهُمۡ } فالنبي عليه الصلاة والسلام أسوة ، فربنا برأه من كل الأحزاب والفرق الضالة فيجب على المقتدي بالنبي عليه الصلاة والسلام أن يتبرأ من كل حزب وفرقة ومنهج ضال منحرف عن الصراط المستقيم ولا يجوز له أن يواليهم أو يطلب لهم المعاذير فضلا أن يخالطهم لذلك علماء السنة أوردوا حديث " إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ ".

والسلف فهموا منه أن هذا فيه تضليل لهم ولذلك قال قتادة في قوله تعالى { فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ } [آل عمران: 7] هذا معنى هذا منهج نزلت في نصارى نجران يأتيك آتٍ يقول لك هي خاصة بنصارى نجران لا اقرأ تفسير الآية قال قتادة: " إن لم يكونوا الحَرُورِيَّةَ والسَّبائِيَّةَ فلا أدري مَن هم؟! ".

يعني قتادة وهؤلاء ظهروا بعد النبي عليه الصلاة والسلام واستدل بها أهل العلم في ذم الفرق والأهواء الضالة لذلك نقول كل فرقة ضالة ، كل حزب ضال، كل فكر محدث موجود في الكتاب والسنة رده كما قال الشعبي رحمه الله: " مَا ابْتَدَعَ أَحَدٌ بِدْعَةً إِلَّا وَفِي كِتَابِ اللَّهِ بَيَانُهَا ".

أي بيان الرد عليها المعاني موجودة لكن التنصيصات بالأعيان هذه وجدت في أناس دون أناس ولذلك لما يذكر لنا ربنا قارون ويذكر لنا فرعون ويذكر لنا هامان ويذكر لنا هؤلاء الطواغيت وغيرهم هذه فيها عبرة ليست للتعين فحسب لا فيها عبرة ولذلك ربنا قال { وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا } [محمد: 10] وقال جلا وعلى { أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ } [القمر: 43] وربنا سبحانه وتعالى قال في قوم لوط { فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا } إلى أن قال { وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ } [هود: 83] ونحو ذلك فهذه نزلت للعبرة ولاتعاظ فلذلك المعاني الموجودة في حديث النبي عليه الصلاة والسلام هي رادة على أهل الباطل ماذا نستفيد من هذا المعنى؟ نستفيد أن أخبر الناس وأعلم الناس بالخير وأعلمهم بالشر بعد الأنبياء والمرسلين هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم علموا من حاله براءته من كل الفرق الضالة وهم له تبع بل رضي الله عنهم وهم أحياء ووعدهم بجنات النعيم وأثنى ربنا سبحانه وتعالى على إيمانهم وعلى دينهم فقال جلا شأنه في كتابه في آيات كثيرة تثني على الصحاب { فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ } [البقرة: 137] يعني صار المعيار والميزان في معرفة المهتدي

من الضال هو موافقة إيمان الصحابة وكفى بهذا حجة على اتباع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك عبد الله بن مسعود يقول: " إِذَا حَدَّثْنَاكُمْ بِحَدِيثٍ أَتَيْنَاكُمْ بِتَصْدِيقِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ".

هذه هي العزة بالقرآن يا إخواني هذا هو الاعتزاز والرفعة بكتاب الله تبارك وتعالى ليس شأن المنهزمين المنكسرين الذي ينظر إلى حضارة زائفة ونحو ذلك فيغتر ويظن أن كل تفصيل فيها ، لا أو أن التفصيل يكون في فلسفات ضالة كما عليه المتكلمون فيظنون أن الحجج العقلية والطرق البرهانية لا تكون إلا في فلسفة اليونان هذا باطل بل هذا من أبطل الباطل كل خير وكل هدى وكل برهان صحيح وكل دليل عقلي صريح فهو في كتاب الله أصله يرجع إلى كتاب الله لذلك عبد الله بن مسعود يقول: " إِذَا حَدَّثْنَاكُمْ بِحَدِيثٍ أَتَيْنَاكُمْ بِتَصْدِيقِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ".

قال: " وكذلك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا في كتاب الله". [أخرجه سعيد بن منصور في السنن].

وسعيد بن جبير ذكرنا كلامه يقول رحمه الله: " مَا بَلَغَنِي حَدِيثٌ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى وَجْهِهِ إِلا وَجَدْتُ مِصْدَاقَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".

وجاء بلفظ " وقلّ ما سمعت حديثا عن النبي صلى اللّه عليه وسلّم إلا وجدت تصديقه في كتاب اللّه تعالى".

وقال محمد بن كعب القرظي: " وَكُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ الْحَدِيثَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْتَمَسْتُهُ فِي الْقُرْآنِ". [أخرجه عبد الله بن المبارك في مسنده].

فهذا وغيره من آثار في الباب تؤكد المعنى أن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام قالوا الذي قالوه من تأويل آي القرآن وتفسير آيات القرآن ما قالوه خاصة في المجمع عليه وهو كثير أو ما كان من اختلاف التنوع الأصل أنهم لا يقولونه من جهة أنفسهم الأصل فيه التلقي هذه الأصل لذلك الترمذي في " كتاب الجامع " لما روى حديث الباب حديث ابن عباس الذي معنا في الباب لما رواه قال كلمة شارحا هذا الحديث قال: " وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِمْ، أَنَّهُمْ شَدَّدُوا فِي هَذَا فِي أَنْ يُفَسَّرَ القُرْآنُ بِغَيْرِ عِلْمٍ". الذي هو التفسير بالرأي.

إذا التفسير بالرأي هو تفسير أو هو شرح معنى آية أو لفظة بغير سند ، بغير سبق ، بغير أصل في التلقي يعني شخص يفسر معنى آية أو معنى كلمة من غير سند فهذا يدخل في التفسير بالرأي يقولها من رأيه

والتفسير بالرأي هذا مذموم وقد جاء به الوعيد لذلك قال: " أَنَّهُمْ شَدَّدُوا فِي هَذَا فِي أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَأَمَّا الَّذِي رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّهُمْ فَسَّرُوا القُرْآنَ، فَلَيْسَ الظَّنُّ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي القُرْآنِ أَوْ فَسَّرُوهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا، أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ". ثم أسند أثر قتادة قال: " مَا فِي القُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُ فِيهَا شَيْئًا".

وقَالَ مُجَاهِدٌ: " لَوْ كُنْتُ قَرَأْتُ قِرَاءَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ لَمْ أَحْتَجْ أَنْ أَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ القُرْآنِ مِمَّا سَأَلْتُ".

وجاء في كتاب العلم لزهير بن حرب (ص13): حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ ثنا، عَثَّامُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَامِرِي، قَالَ: سَمِعْتُ، الْأَعْمَشَ، يَقُولُ: " مَا سَمِعْتُ، إِبْرَاهِيمَ، يَقُولُ فِي شَيْءٍ بِرَأْيِهِ قَطُّ".

هؤلاء وغيرهم ممن تكلم في كتاب الله تعالى الأصل أنهم تكلموا بالأثر ممكن يستدل بحديث فيه نظر أو سيء لكن الأصل أنهم يتكلمون بما تلقوه وبما سمعوه خاصة المعاني التي هي من باب جمهور ما عليه القرآن وما سماه بن مسعود: " منار الطريق".

فهذا الأصل اتفقوا عليه واجمعوا عليه وما كان من خلاف بينهم في هذا الباب فهو من اختلاف التنوع قال سفيان بن عيينة رحمه الله: " لَيْسَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ اخْتِلَافٌ، إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ جَامِعٌ يُرَادُ بِهِ هَذَا وهذا ". قد شرح هذا إسحاق أيضا فيما رواه عنه المروزي في " السنة".

إذا التفسير بالرأي ما خرج عن هذه المنهجية ، يدخل في هذا التفسيرات الباطلة تفسيرات أهل البدع والضلال وتفسيرات التي بناها أصحابها على مجرد التذوق يعني التفسير الغير المأثور كلمة مأثور يعني متلقى وهذا المخالف لما عليه الصحابة والتابعون ونحو ذلك يعني يخرج عن هذه التفاسير فيفسر تفسيرا لا تجده لا في القرآن ، لا في السنة ، لا تجده عن الصحابة ، لا تجده عن أئمة السنة يبوبون عليه أو يخرجون عليه بل هو تفسير خارج عن هذا كله إنما هو بمحض التذوق وبمحض الرأي وهذا حرام ولذلك جاء في الأثر: " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ".

لماذا؟ كما قال هنا قال: لأنه تكلف وهذه ذكرها الشافعي رحمه الله تعالى في كتاب " الرسالة" قال رحمه الله تعالى: " ومن تكَلَّفَ ما جهِل وما لم تُثْبِتْه معرفته كانت موافقته للصواب إنْ وافقه من حيث لا يعرفه غيرَ مَحْمُودة والله أعلم وكان بِخَطَئِه غيرَ مَعذورٍ وإذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بيْن الخطأ والصواب فيه".

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم جعل من القضاة الذين يدخلون النار أو متوعدون بالنار قال: " وَرَجُلٌ قَضَى بَيْنَ النَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ".

ولم يذكر عليه الصلاة والسلام أصاب وأخطأ بمجرد يقضي بالجهل ويقول من حريث لم يؤمر هذا الأصل أنه مذموم ولذلك أهل البدع كلهم داخلون في هذا الوعيد لأنه كلهم ما من طائفة المرجئة ، الرافضة ، القدرية ، الخوارج كلهم قائلون في آيات بأعيانها برأيهم لم يفقوا ولم يُوَافَقُ على اتباعها ولذلك ذكر الإمام أحمد وهذه قرأناها في رسالته إلى أبي عبد الرحمان الجوزجاني لما ذكر له وهو يرد في مسائل الإرجاء في باب الإيمان فذكر له رحمه الله تعالى: " وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْخُصُومَةَ فِي الدِّينِ لَيْسَتْ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَنَّ تَأْوِيلَ مَنْ تَأَوَّلَ الْقُرْآنَ بِلَا سُنَّةٍ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَاهَا أَوْ مَعْنَى مَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ أَثَرٍ، قَالَ الْمَرُّوذِيُّ: أَوْ أَثَرٍ عَنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ عَنْ أَصْحَابِهِ، فَهُمْ شَاهَدُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَهِدُوا تَنْزِيلَهُ، وَمَا قَصَّهُ لَهُ الْقُرْآنُ، وَمَا عُنِيَ بِهِ، وَمَا أَرَادَ بِهِ، وَخَاصٌّ هُوَ أَوْ عَامٌّ، فَأَمَّا مَنْ تَأَوَّلَهُ عَلَى ظَاهِرِ بِلَا دَلَالَةٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَهَذَا تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبِدَعِ".

قلت: والتفسير بالرأي أنواع:

النوع الأول: تفاسير أهل البدع وهذه ذكرناها ويدخل فيها كل طائفة مثلا المرجئ يعني يقول لك { إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ} [البقرة:277] " الواو " تفيد المغايرة في اللغة وبالتالي الإيمان غير العمل ، هذا التفسير بالرأي بمحض الهوى والتذوق ولذلك دائما استدلالات أهل البدع مبنية على عقائد باطلة فلذلك يقعون في القول على الله بلا علم على الله عز وجل ولهم نصيب وحظ من قول الله تبارك وتعالى { فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا } [الأنعام: 144] وقوله تبارك وتعالى { وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيُضِلُّونَ بِأَهۡوَآئِهِم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُعۡتَدِينَ } [الأنعام: 119] وفي قراءة { وَإِنَّ كَثِيرٗا لَّيَضِلُّونَ} هذا النوع الأول تفسير أهل البدع.

النوع الثاني: التفسير بالمكذوبات والمنامات والقصص الموضوعات وهذا أيضا من شأن أهل البدع وقد حشد جماعة ممن تأخر تفاسيرهم بمثل هذا وهذا شائع في الصوفية الغلاة والروافض الأنجاس ، التفسير بالمنامات هذا في الصوفية والقصص والحكاوي وكذا يعني مثلا يفسر أشياء بلا إسناد يعني يحكي حكاية على أنها تفسير لكلام الله تعالى سواء يسندها إلى شيوخه أو إلى أوليائه وهم تجدهم في العادة يكونون

طواغيت دعاة شرك وإما أن يسندها إلى أفاضل لكن تكون مكذوبة عليهم فيفسرون بها القرآن هذه أيضا تفاسير باطلة التفسير بالحكايات ونحوه.

النوع الثالث: التفسير بالباطنيات بعلم الباطن والظاهر على طريقة الفلاسفة والرافضة الغلاة الزنادقة وهذا التفسير مأخوذ من عند الفلاسفة هم الذين قالوا أنه فيه حقيقة وفيه شريعة وفيه ظاهر وفيه باطن ، كيف فيه ظاهر وفيه باطن؟ يقولون: أنه فيه ظاهر هذا الذي يقرأه الناس ويفهمونه مثلا { تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد: 1] ائتِ بطفل صغير قل له ما معناها؟ يقول لك ذم لأبي لهب هذا يقول لك الظاهر ، إيش الباطن؟ يقول لك أبو بكر وعمر والعياذ بالله { لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} [الزمر:65] يقول لك بين أبي بكر وعلي في الخلافة هكذا يقولون قبحهم الله { إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً } [البقرة:67] يقول لك عائشة هذا ظاهر وهذا باطن قبحهم الله زنادقة ، هذا التفسير الباطني تفسير كفري لأنه تعطيل للشريعة وينتهجه القرامطة أخذوه من عند الفلاسفة لأنه إلحاد ويجعلون ظواهر القرآن رموز وأسرار وبواطنه أسرار لا يعرفها إلا الخواص هذا النوع من القول بتفسير القرآن بالرأي.

النوع الرابع: التفسير الاشاري ، تفسير الإشارات والرموز وهو قريب من الباطن وهذا التفسير الاشاري ينتهجه الصوفية وهو التفسير بالقياس ، حقيقة التفسير بالقياس كيف يكون؟ التفسير بالقياس وركز معي جيدا وهذه مهمة جدا القياس ما هو القياس؟ القياس إذا كان أولويًا أو مثليًا أو قياس علة فإن هذا يستدل به ليس به بأس كيف ذلك؟ نوضح القضية هذه حتى تفهم جيدا

النوع الأول: التفسير الأولوي.

الآن ربنا سبحانه يقول في الوالدين { فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ } [الإسراء:23] فيأتي شخص ويفسر فيقول لك مثلا فكيف بمن ضربهم وكذا وكذا فيفسر هذا المعنى يقول لك وفي هذا تعظيم شدة وأكثر من الأف وهكذا هذا يقال له تفسير أولوي طبعا هذا داخل في معنى الآية أصلا يعني كونه يشرحها هو ما خرج عن الآية وما قال شيء بعيد عن الآية لأن الآية في المناسبة ذمت الأف فما بالك الضرب لذلك هذا حتى الشافعي تكلم عليه في - الرسالة - وذكر أن بعض أهل العلم جعلوه في حكم المنصوص يعني الشيء المسكوت عنه سكوتًا أولويًا.

النوع الثاني: تفسير العلة.

والعلة التي تكون منصوصة ليست مستنبطة التي تكون منصوصة في النص مثلا ربنا سبحانه وتعالى قال في المشركين يعني يذكر لنا حالهم أنهم قالوا { مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ } [الزمر:3] فهذه يأتي شخص ويقول هذه الآية يدخل فيها عباد القبور وعباد الأوثان الذين يعبدون الصالحين والعباد من دون الله فهنا لاجتماع العلة وهذا يسمى عند الأصوليين العموم المعنوي هو أقوى من العموم اللفظي وأظهر منه لاشتراكهما في علة واحدة أو في فعل واحد وهو المجانسة لذلك قال السلف رحمهم الله تعالى وهو محمد بن كعب القرظي قال: " إِنَّ الْآيَةَ تَنْزِلُ فِي الرَّجُلِ ثُمَّ تَكُونُ عَامَّةً بَعْدُ".

وهذه القاعدة: " **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**".

النوع الثالث: تفسير بدلالة الإشارة (يعني باللازم).

وهذا في الحقيقة ينبغي ضبطه جيدا كيف ذلك؟ فمثلا إذا الإنسان جاء يفسر باللازم وهي الاسقاط على بعض الوقائع أو على بعض الأشياء قد يدخل في القول بالرأي وهذا ليس **قد** من باب التقليل هذا وقع كثيرا وتوسع فيه المتأخرون أكثر التي هي ماذا؟ أنه يأتي إلى آية في كتاب الله لها معنى ولها سبب نزول ومعروف ومشهور ثم يريد أن يُخرج منها لوازم ويضع لها مناسبة مع المعنى المشروح فمثلا يأتي آتٍ ويقول { يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ } [الحجرات:13] طبعا حكاية الواقع معروفة تفسير الآية ثم جاء الأمر ، جاء المدح في التقوى وليس في مجرد الإنسانية أو كونكم من ذكر أو أنثى معروف موضع المدح وموضع الإخبار عند المفسرين فيأتي آتٍ ويقول ويلزم من هذا أن الشعوب تتعارف وأنه يكون بينها سلام ويقول لك هذا معنى الآية كلازم من الآية مثلا إشارة الآية تشير إلى التحاب بين المجتمعات الإنسانية هذا كثير ما يفسر القرآن هكذا هذا المعنى باطل وهو نوع من أنواع التفسير الاشاري بل التفسير الاشاري أغمض من هذا وقد أُلِّفَ فيه كتب عند الصوفية بل هو أقرب للتفسير الباطني فيأتي آتٍ ويقول مثلا { ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ } [طه 43 - 44] يقول هذا فرعون طبعا فرعون معروف فرعون مصر فيأتي في التفسير الاشاري ويقول وفي هذا إشارة للقلب المتكبر الذي طغى أنه يلينه الكلام طيب الإشارة هذه مع أن الكلام مرات يكون حق مرات يكون لازم من حيث هو كلازم يكون حق معنى صحيح لكن أين النزاع معك في إسقاط وربط هذا اللازم بتفسير الآية فليس كل لازم حق بضرورة يكون معنى للآية لأن معنى الآية يا إخواني شديد والتفسير شديد أن تقول أن هذا هو معنى الآية لا ، قد يكون كلامك أو ما يسمى الآن بالتدبر وعلم الاستنباط نعم هو له

أصل في الشرع قد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: " { وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا } قَالَ: " قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَالْفِكْرَةُ فِيهِ".

يعني التدبر فيه والتأمل فيه هذا له أصل في الشرع لكن له شروط هذه لا بد أن تعلمها من أدق شروطه أن يكون المستنبط عالمًا بمدلول الآية عند السلف حتى لا ينقضها لأن يكون الآية فيها إجماع ، أذكر مرة شخص يعني فسر قوله تعالى { إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ } [الذاريات: 8] قال ذهب المفسرون إلى أنه مختلف أي اختلفتم بينكم ناس تقول شاعر وناس تقول كاهن وقال أما أنا هذا رجل كان يدعي تفسير القرآن والوعظ ويبكي كثيرا وبعدين فضح بموالاة من والاهم فقال بعدين كلمة قال وأنا لي تفسير آخر بعد تأمل { إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ} [الذاريات: 8] يعني مختلف عن النمط الذي اعتدتموه من الخطاب ، طيب بأي شيء أخذته؟! بأي دلالة من دلالات الأصوليين في أهل الاستنباط يعني دلالة العبارة ، دلالة الإشارة بأي دلالة هذا ؟! هذا ما له علاقة أصلا هذا غلط في لفظت { مُّخْتَلِفٍ} واضح { وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ } [سورة البقرة176] طبعا كلمة " الاختلاف "يعني افتراق ناس قالوا قول مفترق ليس أنه مختلف يعني مختلفٌ بالنمط الخطاب كما نتكلم نحن في اصطلاح الوضع اللغوي وإن كانت هي من اللغة العربية البسيطة وهذه نقطة سنأتي عليها أن القرآن لا يفسر باللغة العربية الوسيطة لأنه في لغة عربية **فصحة** وفي **وسيطة** وفي **عامية** اللغة على ثلاث درجات:

لغة عامية

لغة وسيطة: وهذه التي نستعملها نحن في الدروس ونتكلم بها في العموم بين العربية والعامية

لغة فصيحة

القرآن كما قال ابنُ خالويه في - شرح الفصيح-: " **قد أجمع الناس جميعا أن اللغة إذا وَرَدت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن لا خلافَ في ذلك**".

وهذا كلام غالي عالي من رجل يعني سُلِّم له الباب في باب الفصيح وقد نقد ثعلب وهو من هو المهم الشاهد وهذا بحث آخر لذلك انتبه أن اليوم المثقفين من جماعة الحداثة والعلمانية هم بعضهم عامي اللسان وبعضهم إذا تطور قليلا ذهب للعربية الوسيطة التي هي موجودة في كتب المعاجم ونقرأها نحن في المدارس من مثل أبي في البستان وأمي في السوق .... هذه اللغة وسيطة إيش اللغة العربية الفصحى؟ الفصحى ليست هذه فهمت المعنى كيف؟ لذلك المقصود أن هؤلاء الذين يفسرون مثل الشعراوي في

الخواطر تفسير إشاري ويغلب عليه العامية مع بلاغة الزمخشري وبعض استنباطات البيضاوي هذا وإلا الشعراوي لكن يلقيها بطريقة عامية للناس والناس يستهويهم هذا التفسير وهو لم يفهم أن تفسير الشعراوي جامع لكل أنواع التفسير بالرأي في المكذوبات وفيه القصص والأحاديث الموضوعة وفيه الأشياء الباطلة ولذلك يخالف ما استقر عليه هذا التفسير ونحو ذلك وأنكر حتى عذاب القبر طيب أنت الآن تفسر في القرآن عذاب القبر هذا عامة آيات القرآن التي فسرت في عذاب القبر بين مكي ومدني أثبت فيه عذاب القبر عن الصحابة والتابعين بل جاء في أحاديث مرفوعة تظن أنت شخص يعتمد على الأثر ثم ينكر عذاب القبر لا إذا اعتمد على الأثر في تفسير القرآن سيثبت عذاب القبر لكن إذا كان يعتمد على مجرد اللغة وهذا سنأتي إليه بعد ذلك فهذا يقع في التفسير بالرأي لذلك نقول إن الاستنباط من كتاب الله حسن والتدبر واجب لكن التدبر يكون في المعنى الحق وأصلا التدبر ما هو حقيقته المطلوبة؟ أنك تأتي للمعنى الحق وتراجع به نفسك لأن ربنا قال { وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ} ولم يقل دواء ولاحظ القرآن قلنا أفصح مفردة مفردة القرآن مع أن القرآن دواء لكن التسمية القرآنية { شِفَآءٌ} لأن الدواء ما هو أثره؟ الشفاء فربنا سمى كتابه شفاء لذلك قال { وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} هذا الوصف يعني المنتفع بالقرآن الذي يحصل له به الشفاء هو المؤمن { وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا } [الإسراء:82] لذلك قال قتادة: " ما جالس أحدٌ القرآن إلا فارقه بزيادة أو نقصان ".

لذلك التدبر الذي هو مطلوب ليس هو ابتداع معاني أجنبية وليس هو التوسع في التنزيلات على الوقائع والحوادث بغير فقه ولا اعتبار ولكن التدبر المطلوب من عوام المسلمين أن يعرف معنى الآية ويعرض نفسه عليها ، اعرض نفسك على القرآن مثلا أقرأ آية من كتاب الله عز وجل وهذا حصل لجماعة من السلف رحمهم الله تعالى أنهم كانوا يتدبرون كما جاء عن الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ قال: " عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى الْقُرْآنِ فَلَمْ أَجِدْ نَفْسِي بِشَيْءٍ أَشْبَهَ مِنِّي بِهَذِهِ الْآيَةِ { وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:102] ".

وكما جاء أيضا عن مُطَرِّفٌ قَالَ: " إِنِّي لَأَسْتَلْقِي مِنَ اللَّيْلِ عَلَى فِرَاشِي فَأَتَدَبَّرُ الْقُرْآنَ وَأَعْرِضُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَإِذَا أَعْمَالُهُمْ شَدِيدَةٌ { كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ} [الذاريات:17]، { وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا} [الفرقان:64]، { أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا} [الزمر:9]، فَلَا أَرَانِي فِيهِمْ فَأَعْرِضُ نَفْسِي عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: { مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ} [المدثر: 42] فَأَرَى الْقَوْمَ مُكَذِّبِينَ وَأَمُرُّ بِهَذِهِ

الْآيَةِ: { وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا } [التوبة:102] فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَأَنْتُمْ يَا إِخْوَتَاهُ مِنْهُمْ".

إذن هذا التدبر أن تفهم معنى الآية ، أن الآية الأولى تتكلم على درجة عالية من الإيمان والثانية تتكلم على ناس كفار مكذبين والآية الثالثة تتكلم على عصاة الموحدين من أمثالنا قال: " فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَأَنْتُمْ يَا إِخْوَتَاهُ مِنْهُمْ".

فهكذا التدبر ، التدبر أنك تعرض نفسك وحالك قولا وفعلا واعتقادا على معاني الآيات ليس التدبر كما يُصور فقط أنك تغوص في معاني وتستنبط هذا لا يسلم لك لأن هذا عنده أهليه لابد تكون عندك أهليه العلم بالآثار ، العلم بمدلول الآية ثم في شروط لمن ينظر في القرآن بهذا القدر قدر التدبر العالي في شروط منها:

- شروط باطنة من الإخلاص والصدق وسلامة الاعتقاد هذا مهم جدا

- ثم شروط آلية من جهة الآلة

أنا لا أقول الإنسان لا يتدبر إلا بهذا انتبه نحن قلنا التدبر الناس كلها تتدبر كما قال ربنا { إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ } [الأنعام:90] العامي يجد بغيته والعالم بغيته والناس تتفاوت لكن القدر المشترك في التدبر وهو المطلوب وهو حقيقة التدبر والتدبر من دبر الشيء بمعنى عاقبة الشيء ما يؤل إليه الشيء فإن العبد إذا تفكر في حاله وتفكر فيما سيقدم عليه من حساب وجنة ونار وعرض على الله سبحانه وتعالى فإن حاله تلين لذلك قال ربنا سبحانه وتعالى { ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ } [الرعد:28] وقال جلا وعلى { أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ } [الحديد: 16] هكذا قال ربنا سبحانه وتعالى فهذا القرآن لما تنظر في الصحابة حتى استماعهم وانصاتهم كان فيه لين وجانب وكانوا يعرضون أنفسهم على القرآن يتفكر في المعاني الحق أنه فاهم معنى الآية ، فاهم معنى أنه يُعرض على الله { يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ } [الحاقة:18] أفهم أنه هذا العرض فيه تعلق [39.08] أفهم باب الجنة وباب النار أن هذا خلود وأن الكافر يخلد وأن الموحد قد يدخل هذه سلامة المعتقد ليس مثل المرجئ ، المرجئ عنده المؤمن كامل

الإيمان خلاص غفر له لكن الموحد الذي على السنة والأثر أن الموحد قد يدخل النار بذنوب أوبقته كما قد يعفوا الله عنه في مكفرات للذنوب ، فيه عقبات كذا كذا ....إلخ.

إذا الذي يفهم المعنى الحق ويتدبر فيه ينتفع بكتاب الله هذا هو المراد النظر في العاقبة { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ } [محمد: 24] المنافق قلبه مقفل لم يعي معاني القرآن ولذلك قال الله تعالى { وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ } [محمد: 16] فالقرآن يا إخواني هو أحسن الحديث ولن تجد كلاما يرقق قلبك ويدلك على الحقيقة بلا تحريف وبلا نقصان ويعرض لك الأمر كما هو مثل كلام الله عز وجل والذي لا يأنس بكتاب الله وعلاقته بكتاب الله علاقة سيئة فإنه لا يصلح له بعد ذلك حال فإن أول بداية في طريق الاستقامة على الدين والثبات عليه هو تعظيم الكتاب بل ما يحصل للعبد من معاني حقة في قلبه وما يحصل له من معاني جميلة يستشعرها إذا عبد ربه جلا وعلى إنما ذلك يحصل بالقرآن لأنه هو الطريق هو الحل لك أنه هو الذي يعرفك الطريق وتفاصيلها وكيف تمشي في هذه الدنيا مع كثرة الفتن فالله أنزله هدى للناس { الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ } ظلمات الشبهات والشهوات { بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ } [إبراهيم: 1] { ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ } [الزمر: 23] لذلك العلماء لما تكلموا في هذا الباب استحضروا ما جاء من الشريعة في حرمة الكتاب في لمسه والتعامل معه هذه كلها يا جماعة تعين يعني مثلا القرآن لا تقرأه إلا طاهر هذه أسباب كلها نهيئ للتأمل والانتفاع فلا تقرأ إلا طاهر ثم يقول لك المصحف تمسكه يعني لا تضعه في موضع لا يليق وبعدين النظر في المصحف خير من القراءة ظهرا فالنظر في المصحف عبادة وأنك لا تقلب صفحاته بالريق وأنك وأنك .... وحرمات القرآن كلها المستحضرة في الشريعة يستحضرونها لك وبعدين لما تأتي تقرأ تقول **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** هذا المانع دون تدبر وتفقه وتدخل في القرآن وإذا أنصت لغيرك وهو يقرأ كما جاء في حديث عبد الله ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اقْرَأْ عَلَيَّ ، قُلْتُ: أَقْرَأُ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي ".

وإذا أنصت لمن يقرأ واستمعت فإنك تستمع كأنما أنت المعني هكذا القرآن لذلك قال السلف في الآية { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ } [البقرة: 8] معنى الآية ما هو؟

في المنافقين بالإجماع لذلك قال محمد بن سيرين: " لم يكن عندهم أخوف من هذه الآية: { وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} ".

وإِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ قَالَ: " مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عملي إلا خفت أن أكون مكذبا".

وكما جاء أيضا عَنْ سَلَّامِ بْنِ أَبِي مُطِيعٍ ، قَالَ: " شَهِدْتُ أَيُّوبَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُرْجِئَةِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ وَالْإِيمَانُ قَالَ: وَأَيُّوبُ سَاكِتٌ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَيُّوبُ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ: { وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 106] ، أَمُؤْمِنُونَ أَمْ كُفَّارٌ؟ فَسَكَتَ الرَّجُلُ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَيُّوبُ: اذْهَبْ فَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فَكُلُّ آيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ النِّفَاقِ ، فَإِنِّي أَخَافُهَا عَلَى نَفْسِي".

ما تقول هذه في أبيّ بن سلول وهذه في فلان الفلاني وهذه في فلان العلاني من الكفار أو المنافقين أو الزنادقة لا ، إنما تقول المعني أنت فإذا كان الحال شبيه بالحال استعذت بالله وتبت وبادرت وإذا كان الطريق سيوصل إلى طريقهم استعذت بالله وأنبت وإذا لم يكن كذلك خفت أوقع في نفسك الخوف أن توافق حالهم فلجأت لربك وتضرعت إليه سبحانه وتعالى أن يجنبك سبيل المجرمين { ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ } [الزمر: 23] فأسعد الناس بفقه آيات الكتاب وتدبرها هم أصحاب المعتقد السليم الذين أَمَرُّوا الآثار على أنفسهم ولذلك من أعظم ما نعتت به الخوارج في الذم يعني ذمت به في نعتهم أنهم لا يتفقهون القرآن قال عليه الصلاة والسلام: " يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ".

يعني لا يصل إلى القلوب فهذا أعظم وأشد ما على الخوارج أنهم قوم لا يعون كتاب الله ، مع كثرة العبادة؟! نعم لحائل البدعة لأن البدعة تُحيل بين العبد وبين التدبر في المعاني الحقة البدعة هذه غشاوتها والطبع بها على القلب أشد من المعاصي أشد من كل الكبائر من جنس الكبائر الشهوانية فما بالك بالشرك والكفر كما قَال رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: " رُبَّ عَابِدٍ جَاهِلٌ وَرُبَّ عَالِمٍ فَاجِرٌ فَاحْذَرُوا الْجُهَّالَ مِنَ الْعِبَادِ وَالْفُجَّارَ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّ أُولَئِكَ فِتْنَةُ الْفُتَنَاءِ".

وقال أيوب السختياني: " لَا خَبِيثَ أَخْبَثُ مِنْ قَارِئٍ فَاجِرٍ".

الإنسان لما يقرأ القرآن وهو فاجر القلب إما بكفر أو دونه كالبدعة وهذا شديد فلا ينتفع به ولا ينفعه الله عز وجل به وهذا من أبعد الناس عن الانتفاع بكتاب الله تبارك وتعالى ، فمن هنا نقول قضية التدبر

والتوسع فيها الحاصل اليوم هات فوائد الآية وكذا هذه ما يتأهل لها في درجة معينة إلا الناس الذين أولا عرفوا معاني القرآن وفهموها ثم إذا هم تكلموا بكلام ولو صاغوه بألفاظهم لكن يكون في إطار معنى الآية وإطار ما فسر به الآية وبحث السلف به الآية فلا بأس ما دام المعنى يوافق المعنى أما الإنسان يحدث معاني جديدة باسم التدبر والاستنباط فهذا خلل كبير فلا يغتر به.

آخر شيء نناقشه فيه هو قضية التفسير باللغة

أولا: التفسير بمحض اللغة قول بالرأي لكن هل اللغة مصدر عند العالم في فهم الكتاب؟ نعم اللغة لاشك لأن القرآن عربي تقدم معنا { بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ } [الشعراء: 195] لذلك أساليبه أساليب العرب وطرائقه طرائق العرب وكلام السلف في هذا كثير رحمهم الله تعالى منه قول مالك بن أنس: " لَا أُوتَى بِرَجُلٍ يفسر كتاب اللَّهِ غَيْرُ عَالِمٍ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ إِلَّا جَعَلْتُهُ نِكَالًا".

وقال مجاهد: " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلَّم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب".

فالعلم بعربية القرآن والمطلوب منها الذي هو فقه الأساليب ودرايتها هذا مهم جدا معرفته لكن أنه يفسر بمحض اللغة كيف؟ يعني يجعل معنى الآية شواهد اللغة العربية هذا قول بالرأي لابد يكون معنى الآية قائم على الآثار على المنقول أما شواهد اللغة العربية فإما أن تكون عاضدة يعني داعمة وهذا لا بأس به وإما أن تكون مخالفة فهذا لا يعتد به لذلك مثلا سوف أعطيك مثال عملي بين هذا وهذا لما نأتي مثلا إلى قصة يوسف عليه عندنا آثار { وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ } [يوسف: 24] فيها آثار كثيرة عن ابن عباس وأصحابه رحمهم الله ورضي الله عنه هؤلاء علماء القرآن سيأتي معنا أهل القرآن فسروا معنى هذه الآية فيأتي شخص ويقول من أهل العربية وهذا قول للمعتزلة المتكلمين لأنهم لا يرون حجية الآثار فقالوا { وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ } قول في المسألة أنه جواب " لولا " مؤخر.

طيب أصلا هذا من جهة اللغة كما قال بن الأنباري: " **شاذ** ". يعني هذا أسلوب عربي شاذ وكلمة : " **شاذ** ". عند النحاة وأهل اللغة يقصدون الشيء القليل الذي لم يضطرد يعني إذا كان من الفصحى فهو الفصيح لأنه فيه فصيح وفيه فصحى درجتين في الفصحى ولذلك يختلف العلماء دائما لما تقرأ في كتاب " الفصيح " لثعلب مثلا يقول لك أيهما أفصح؟ " دمعت عيني فهي تَدْمَعُ " أو " دمعت عيني فهي تَدْمُعُ " [تَدْمَعُ - تَدْمُعُ] هي كلاهما فصحى لكن أيهما أفصح؟ رأيت القضية كيف ، في لغة وسيطة اللغة الوسيطة هذه التي فيها لحن وفيها اشتقاق كثير ومصادر اصطناعية كثيرة وتوليد كثير وهي بعيدة عن

الفصحى لكنها مباينها مباني فصحى وهذه عادة الناس المثقفين يتكلمون بها وفي لغة عامية وهذه ليست موضع الكلام الآن.

أولا: اللغة العامية ليست لغة العلم

الثاني: اللغة الوسيطة لا ترضى في بعض الدرجات لطالب العلم لأن اللغة الوسيطة هذه هي لغة الإنسان يعرب الكلام لكن إذا غاص في أساليب العلماء الذين تكلموا أولا لأنهم تكلوا بالفصيح يعني الفصاحة إلى زمان سيبويه بدأ اللحن يعني الناس تتكلم قبل سيبويه بالفصاحة يعني باللغة العربية الفصحى عوام الناس والأعراب والبوادي وانتبه الفصحى ليست التي كما يظنها بعض الناس الموجودة في شعر امرؤ القيس وشعر عنترة انتبهوا هذا أعلى ما في الفصيح واضح وليس هو الاغراب بالكلام وليس هو حوشي الكلام كلام الذي قالته العرب غريب حتى لفظه وحتى بنيانه لا ، اللغة الفصحى هي المقصود بها اللغة السليمة من اللحن المبينة للمعنى مع الإيجاز والاختصار هذه اللغة الفصحى هذه كانوا يتكلمون بها إلى زمن سيبويه معناه لما تأتي بعد ذلك وقع في الناس لحن كثير لذلك الناس تحتاج إلى كتب الغريب غريب القرآن وغريب الحديث وتحتاج إلى كتب تقويم المنطق يعني إصلاح اللسان وهكذا وكتب العلماء في ذلك كتبا لا تخفى إن شاء الله على طلاب العلم

فطالب العلم إذا جاء يقرأ للقرون الأولى يعني في لغة واسعة وأساليب أخرى مرات طبعا الكلام واضح ولله الحمد في درجات ما يجب على المسلم اعتقاده عينا أو عمل بعينه لكن في مقامات التفصيل مرات تحتاج إلى هذه الأساليب في بعض درجات الرد على المخالفين تحتاج إلى معرفة هذه الأساليب الفصحى الأولى المستقيمة اللغة الوسيطة تتعبك أما إذا كانت عامية تغطى ونام [لَيْسَ هَذَا بعشِّك فادرجي]حقيقة هذا ليس لك لأنه لغتك عامية ما تفهم العربية ولا تفرق بين أشياء وانتبهوا حتى يكون الكلام متسق نحن لا نقول أن الإنسان إذا لم يعرف درجة الفصحى لا يطلب العلم لا ليس هذا أقول القرآن واضح العامي بلغته العامية في درجات ما يعتقد فرضا عليه يفهم الكتاب ويفهم السنن ويفهم الخطاب الشرعي وهو عامي اللسان ممكن ما يعرف مفعول من فاعل لكن لما تقول عبادة الله وحده والكفر بما يعبد من دونه والله في السماء يفهمها أعاجم فهموا ذلك العواتق في الخدور لكن في مقامات الرد خاصة أو تفصيل مسائل العلم التي هي الغوص في مسائل الدقيقة العميقة بين العلماء فمرات تحتاج إلى هذا الأسلوب وتحتاج إلى التعمق فيه تحتاج أنك تفهم لذلك كما جاء عن يَحْيَى بْنِ عَتِيقٍ، قَالَ: " قُلْتُ لِلْحَسَنِ: يَا أَبَا

سَعِيدٍ، الرَّجُلُ يَتَعَلَّمُ الْعَرَبِيَّةَ يَلْتَمِسُ بِهَا حُسْنَ الْمَنْطِقِ، وَيُقِيمُ بِهَا قِرَاءَتَهُ؟ فَقَالَ: حَسَنٌ يَا ابْنَ أَخِي، فَتَعَلَّمْهَا، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَقْرَأُ الْآيَةَ فَيَعْيَا بِوَجْهِهَا، فَيَهْلِكُ فِيهَا".

فمرات تكون جنس شبهة المخالف شبهة لغوية ولذلك نجد الإمام الشافعي إلى الدارمي في كتبه التي رد بها يعتمد على أساليب العرب وطريقة الخطاب في رد بدع الجهمية كما يعتمد النص من الكتاب ومن السنة والآثار وإجماع الصحابة رضي الله عنهم هذا وهذا سواء لا يختلفان ، أبو عبيد في كتاب " الإيمان " ناقش المرجئة نقاشًا من جهة النقل ومن جهة اللغة ومن جهة العقل استعمل الكل ، أحمد بن حنبل في كتابه " الرد على الجهمية والزنادقة" رد عليهم من جهة النقل ومن جهة العقل ومن جهة الإجماع بل أبو عبد الله في المحنة قبل أن يدخل للمناظرة طلب كتاب في العربية كما قال المروذي: " وقال لي ابن أبي حسان الوراق: طلب مني أبو عبد الله وهو في السجن كتاب حمزة في العربية، فدفعته إليه، فنظر فيه قبل أن يمتحن".

وقال المروذي: " كان أبو عبد الله لا يلحن في الكلام، قال: وأخبرت أنه لما نوظر بين يدي الخليفة لم يتعلق عليه بلحن، حتى حكي أنه جعل يقول: فكيف أقول ما لم يقل؟!".

هذه تُفهمك أن الإنسان في مقامات رد الشبهات يحتاج إلى التعمق ، اليوم عندنا ناس بلداء إلا من رحم الله عز وجل لسانهم عامي سواء في العلم أو في مقامات الكلام ثم معلوماتهم على لسان درجة العامي ويتكلم في مقامات عميقة في أساليب العلماء وطريقهم في باب الشبهات هذا الذي قالها الناس فيه حق أن يوجع ضربا ونكالا لذلك نقطة تفسير باللغة الإمام أحمد لما قيل له رجل يعرب القرآن ويقول كذا وكذا ولم يسمع فيه خبر ذمه وشدد على من يفسر بمحض العربية رحمه الله تعالى.

هذا فقط خلاصة ما يتعلق بهذا الباب في مسألة التفسير بالرأي.

(2) هنا الحديث وإن كان فيه نظر لكن معناه صحيح وذكر الشافعي ذلك رحمه الله أيضا في " الرسالة".

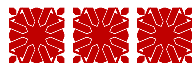
(3) وهذا مهم جدا هذا الكلام في قضية ذم الرأي ، طبعا ذم الرأي يدخل في كل النصوص التي جاءت في ذم الهوى واتباعه والقول في دين الله تبارك وتعالى الإنسان ما لا يعلم كما قال عمر رضي الله عنه: " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِرَأْيِهِ ، وَهِيَ أَشَدُّهُنَّ".

والإنسان يقتدي بما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفي كلمة قالها في هذا المقام مقام اجتناب البداع في " رسالة عباد بن عباد الخواص" لما قال: أَمَّا بَعْدُ، " اعْقِلُوا، وَالْعَقْلُ نِعْمَةٌ، فَرُبَّ ذِي

عَقْلٍ، قَدْ شُغِلَ قَلْبُهُ، بِالتَّعَمُّقِ فِيمَا هُوَ عَلَيْهِ ضَرَرٌ، عَنِ الِانْتِفَاعِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَتَّى صَارَ عَنْ ذَلِكَ سَاهِيًا، وَمِنْ فَضْلِ عَقْلِ الْمَرْءِ، تَرْكُ النَّظَرِ فِيمَا لَا نَظَرَ فِيهِ، حَتَّى لَا يَكُونَ فَضْلُ عَقْلِهِ، وَبَالًا عَلَيْهِ فِي تَرْكِ مُنَافَسَةِ مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، أَوْ رَجُلٍ شُغِلَ قَلْبُهُ بِبِدْعَةٍ، قَلَّدَ فِيهَا دِينَهُ، رِجَالًا دُونَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَوِ اكْتَفَى بِرَأْيِهِ فِيمَا لَا يَرَى الْهُدَى إِلَّا فِيهَا، وَلَا يَرَى الضَّلَالَةَ إِلَّا بِتَرْكِهَا، يَزْعُمُ أَنَّهُ أَخَذَهَا مِنَ الْقُرْآنِ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى فِرَاقِ الْقُرْآنِ. أَفَمَا كَانَ لِلْقُرْآنِ حَمَلَةٌ قَبْلَهُ (هذه كلها تتنزل على أصحاب الأهواء وكل من قال في كتاب الله بخلاف ما عليه السلف) وَقَبْلَ أَصْحَابِهِ يَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِمُتَشَابِهِهِ؟ وَكَانُوا مِنْهُ عَلَى مَنَارٍ لِوَضَحِ الطَّرِيقِ، وَكَانَ الْقُرْآنُ إِمَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَامًا لِأَصْحَابِهِ، وكانَ أَصْحَابُهُ أَئِمَّةً، لِمَنْ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ مَعْرُوفُونَ مَنْسُوبُونَ فِي الْبُلْدَانِ، مُتَّفِقُونَ فِي الرَّدِّ عَلَى أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ، مَعَ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الِاخْتِلَافِ، وَتَسَكَّعَ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ بِرَأْيِهِمْ فِي سُبُلٍ مُخْتَلِفَةٍ جَائِرَةٍ عَنِ الْقَصْدِ، مُفَارِقَةٍ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَتَوَّهَتْ بِهِمْ أَدِلَّاؤُهُمْ فِي مَهَامِهِ مُضِلَّةٍ، فَأَمْعَنُوا فِيهَا مُتَعَسِّفِينَ فِي تِيهِهِمْ. كُلَّمَا أَحْدَثَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ بِدْعَةً فِي ضَلَالَتِهِمْ، انْتَقَلُوا مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَطْلُبُوا أَثَرَ السَّابِقِينَ، وَلَمْ يَقْتَدُوا بِالْمُهَاجِرِينَ. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ لِزِيَادٍ: هَلْ تَدْرِي مَا يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ؟ زَلَّةُ عَالِمٍ، وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ، وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ".

صدق رحمه الله ورضي الله عنه فمن تأمل كيف يهدم الإسلام يعني في نفوس الناس وكيف تصير الغربة في أصول الإسلام إما أن يزل عالم زلة فيزل بزلته خلق كثير وإما أن يأتي رجل منافق اعتقاده اعتقاد أهل البدع وهو يجادلك بالقرآن وإما إمام مضل متبوع أمير أو عالم في الشر مقتدى به في الباطل فيتبعه الناس والله المستعان وعليه التكلان.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين



الدرس السادس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين

أما بعد فإن أحسن الكلام كلام الله تبارك وتعالى وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

هذا مجلس جديد إن شاء الله تبارك وتعالى من مجالسنا في قراءة مقدمة التفسير جامع البيان.

قال المصنف: ذِكْرُ بَعْضِ الْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَتْ فِي الْحَضِّ عَلَى الْعِلْمِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَمَنْ كَانَ يُفَسِّرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ:[1]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ الْمَرْوَزِيُّ، قَالَ سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يُعْرَفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ ".[2]

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: " حَدَّثَنَا الَّذِينَ، كَانُوا يُقْرِؤُنَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يُسْتَقْرِئُونَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُخْلِفُوهَا حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا ".

وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: " وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا نَزَلَتْ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَ نَزَلَتْ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَنَالُهُ الْمَطَايَا لَأَتَيْتُهُ ".[3]

وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَسْعُودِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ " يَقْرَأُ عَلَيْنَا السُّورَةَ، ثُمَّ يُحَدِّثُنَا فِيهَا، وَيُفَسِّرُهَا عَامَّةَ النَّهَارِ ".(4)

حَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ سَلْمُ بْنُ جُنَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: " اسْتَعْمَلَ عَلِيٌّ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَى الْحَجِّ، قَالَ: فَخَطَبَ النَّاسَ خِطْبَةً، لَوْ سَمِعَهَا التُّرْكُ وَالرُّومُ لَأَسْلَمُوا، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ النُّورِ، فَجَعَلَ يُفَسِّرُهَا ".(5)

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: " قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَجَعَلَ يُفَسِّرُهَا، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ سَمِعَتِ هَذَا الدَّيْلَمُ لَأَسْلَمَتْ ".(6)

وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَمَانٍ، عَنْ أَشْعَثَ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: " مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ لَمْ يُفَسِّرْهُ، كَانَ كَالْأَعْمَى، أَوْ كَالْأَعْرَابِيِّ ".(7)

وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: ذَكَرَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ الْأَعْمَشَ قَالَ: قَالَ أَبُو وَائِلٍ: " وَلِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْمَوْسِمَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَرَأَ عَلَى الْمِنْبَرِ سُورَةَ النُّورِ، وَاللَّهِ لَوْ سَمِعَهَا التُّرْكُ لَأَسْلَمُوا ".

فَقِيلَ لَهُ: حَدِّثْنَا بِهِ عَنْ عَاصِمٍ. فَسَكَتَ.(8)

وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: " شَهِدْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ وَوَلِيَ الْمَوْسِمَ، فَقَرَأَ سُورَةَ النُّورِ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَفَسَّرَهَا، لَوْ سَمِعَتِ الرُّومُ لَأَسْلَمَتْ ".

قال أبو جعفر: وَفِي حَثِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ عَلَى الِاعْتِبَارِ بِمَا فِي آيِ الْقُرْآنِ، مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالتِّبْيَانِ، بِقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ } [ص: 29] وَقَوْلِهِ: { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [الزمر 27 - 28] وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ، الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ، وَحَثَّهُمْ فِيهَا، عَلَى الِاعْتِبَارِ بِأَمْثَالِ آيِ الْقُرْآنِ، وَالِاتِّعَاظِ بِمَوَاعِظِهِ، مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَةَ تَأْوِيلِ مَا لَمْ يُحْجَبْ عَنْهُمْ تَأْوِيلَهُ مِنْ آيَاتٍ،

لِأَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَا يَفْهَمُ مَا يُقَالُ لَهُ وَلَا يَعْقِلُ تَأْوِيلَهُ: اعْتَبِرْ بِمَا لَا فَهْمَ لَكَ بِهِ، وَلَا مَعْرِفَةَ مِنَ الْقِيلِ وَالْبَيَانِ وَالْكَلَامِ[9] إِلَّا عَلَى مَعْنَى الْأَمْرِ بِأَنْ يَفْهَمَهُ وَيَفْقَهَهُ، ثُمَّ يَتَدَبَّرُهُ وَيَعْتَبِرُ بِهِ.

فَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ، فَمُسْتَحِيلٌ أَمْرُهُ بِتَدَبُّرِهِ. وَهُوَ بِمَعْنَاهُ جَاهِلٌ، كَمَا مُحَالٌ أَنْ يُقَالَ لِبَعْضِ أَصْنَافِ الْأُمَمِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ كَلَامَ الْعَرَبِ وَلَا يَفْهَمُونَهُ. لَوْ أُنْشِدَتْ قَصِيدَةُ شِعْرٍ مِنْ أَشْعَارِ بَعْضِ الْعَرَبِ، ذَاتُ أَمْثَالٍ وَمَوَاعِظَ وَحِكَمٍ: اعْتَبِرْ بِمَا فِيهَا مِنَ الْأَمْثَالِ، وَادَّكِرْ بِمَا فِيهَا مِنَ الْمَوَاعِظِ إِلَّا بِمَعْنَى الْأَمْرِ لَهَا بِفَهْمِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَمَعْرِفَتِهِ، ثُمَّ الِاعْتِبَارُ بِمَا نَبَّهَهُ عَلَيْهِ مَا فِيهَا مِنَ الْحِكَمِ، فَأَمَّا وَهِيَ جَاهِلَةٌ بِمَعَانِي مَا فِيهَا مِنَ الْكَلَامِ وَالْمَنْطِقِ؛ فَمُحَالٌ أَمْرُهَا بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مَعَانِي مَا حَوَتْهُ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْعِبَرِ.

بَلْ سَوَاءٌ أَمْرُهَا بِذَلِكَ وَأَمْرُ بَعْضِ الْبَهَائِمِ بِهِ، إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ بِمَعَانِي الْمَنْطِقِ وَالْبَيَانِ الَّذِي فِيهَا. فَكَذَلِكَ مَا فِي آيِ كِتَابِ اللَّهِ، مِنَ الْعِبَرِ وَالْحِكَمِ وَالْأَمْثَالِ وَالْمَوَاعِظِ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: اعْتَبِرْ بِهَا، إِلَّا لِمَنْ كَانَ بِمَعَانِي بَيَانِهِ عَالِمًا، وَبِكَلَامِ الْعَرَبِ عَارِفًا، وَإِلَّا بِمَعْنَى الْأَمْرِ لِمَنْ كَانَ بِذَلِكَ مِنْهُ جَاهِلًا، أَنْ يَعْلَمَ مَعَانِي كَلَامِ الْعَرَبِ، ثُمَّ يَتَدَبَّرُهُ بَعْدُ، وَيَتَّعِظُ بِحِكَمِهِ وَصُنُوفِ عِبَرِهِ[10] فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، قَدْ أَمَرَ عِبَادَهُ بِتَدَبُّرِهِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الِاعْتِبَارِ بِأَمْثَالِهِ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ مَنْ كَانَ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ آيُهُ جَاهِلًا. وَإِذَا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِذَلِكَ، إِلَّا وَهُمْ بِمَا يَدُلُّهُمْ عَلَيْهِ عَالِمُونَ، صَحَّ أَنَّهُمْ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ يَحْجُبْ عَنْهُمْ عِلْمَهُ مِنْ آيِهِ، الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ مِنْهُ دُونَ خَلْقِهِ، الَّذِي قَدْ قَدَّمْنَا صِفَتَهُ آنِفًا عَارِفُونَ. وَإِذَا صَحَّ ذَلِكَ، فَسَدَ قَوْلُ مَنْ أَنْكَرَ تَفْسِيرَ الْمُفَسِّرِينَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَتَنْزِيلِهِ، مَا لَمْ يَحْجُبْ عَنْ خَلْقِهِ تَأْوِيلَهُ.[11]

ذِكْرُ بَعْضِ الْأَخْبَارِ الَّتِي غَلَطَ فِي تَأْوِيلِهَا مُنْكِرُو الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ:

فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فَمَا أَنْتَ قَائِلٌ فِيمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ عَثْمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزُّبَيْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: " مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُفَسِّرُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا آيًا تُعَدُّ، عَلَّمَهُنَّ إِيَّاهُ جِبْرِيلُ ".

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الطَّرَسُوسِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْنٌ، عَنْ جعْفَرِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُفَسِّرُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا آيًا تعَدُّ، عَلَّمَهُنَّ إِيَّاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ".

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: "لَقَدْ أَدْرَكْتُ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ، وَإِنَّهُمْ لَيُعَظِّمُونَ الْقَوْلَ فِي التَّفْسِيرِ، مِنْهُمْ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَنَافِعٌ".

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا، يَسْأَلُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ عَنْ آيَةٍ، مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: "لَا أَقُولُ فِي الْقُرْآنِ شَيْئًا".

حَدَّثَنَا يُونُسُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ: "أَنَّهُ كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ: أَنَا لَا أَقُولُ فِي الْقُرْآنِ شَيْئًا".

حَدَّثَنَا يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ اللَّيْثَ يُحَدِّثُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ "أَنَّهُ كَانَ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِي الْمَعْلُومِ مِنَ الْقُرْآنِ".

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: سَأَلْتُ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيَّ عَنْ آيَةٍ، قَالَ: "عَلَيْكَ بِالسَّدَادِ فَقَدْ ذَهَبَ الَّذِينَ عَلِمُوا فِيمَ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ".

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ وَابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ: سَأَلْتُ عُبَيْدَةَ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: "ذَهَبَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْلَمُونَ فِيمَ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ، اتَّقِ اللَّهَ، وَعَلَيْكَ بِالسَّدَادِ".

وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ: "سُئِلَ عَنْ آيَةٍ لَوْ سُئِلَ عَنْهَا بَعْضُكُمْ لَقَالَ فِيهَا، فَأَبَى أَنْ يَقُولَ فِيهَا".

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ مَهْدِيِّ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: جَاءَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ، إِلَى جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَسَأَلَهُ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَالَ لَهُ: " أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا لَمَّا قُمْتَ عَنِّي أَوْ قَالَ: أَنْ تُجَالِسَنِي ".

حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَوْذَبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي يَزِيدَ، قَالَ: " كُنَّا نَسْأَلُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَكَانَ، أَعْلَمَ النَّاسِ، وَإِذَا سَأَلْنَاهُ عَنْ تَفْسِيرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، سَكَتَ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْ ".

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: " لَا تَسْأَلْنِي عَنْ آيَةٍ، مِنَ الْقُرْآنِ، وَسَلْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ " يَعْنِي عِكْرِمَةَ.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ، قَالَ: قَالَ الشَّعْبِيُّ: " وَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا، وَلَكِنَّهَا الرِّوَايَةُ عَنِ اللَّهِ ".

وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ صَالِحٍ يَعْنِي ابْنَ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: " ثَلَاثٌ لَا أَقُولُ فِيهِنَّ حَتَّى أَمُوتَ: الْقُرْآنُ، وَالرُّوحُ، وَالرَّأْيُ ".

وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ.

قِيلَ لَهُ: أَمَّا الْخَبَرُ الَّذِي رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُفَسِّرُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا إِلَّا آيًا بِعَدَدٍ [12]، فَإِنَّ ذَلِكَ مُصَحِّحٌ مَا قُلْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِي الْبَابِ الْمَاضِي قَبْلُ، وَهُوَ أَنَّ مِنْ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، مَا لَا يُدْرَكُ عِلْمُهُ إِلَّا بِبَيَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ يُفَصِّلُ جُمَلَ مَا فِي آيِهِ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ، وَسَائِرِ مَعَانِي شَرَائِعِ دِينِهِ، الَّذِي هُوَ مُجْمَلٌ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ، وَبِالْعِبَادِ إِلَى تَفْسِيرِهِ الْحَاجَةُ، لَا يُدْرَكُ عِلْمُ تَأْوِيلِهِ إِلَّا بِبَيَانٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا تَحْوِيهِ آيُ الْقُرْآنِ، مِنْ سَائِرِ حُكْمِهِ، الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ بَيَانَهُ لِخَلْقِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَأْوِيلَ ذَلِكَ، إِلَّا بِبَيَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يَعْلَمُهُ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا بِتَعْلِيمِ اللَّهِ إِيَّاهُ ذَلِكَ، بِوَحْيِهِ إِلَيْهِ، إِمَّا مَعَ جِبْرِيلَ، أَوْ مَعَ مَنْ شَاءَ مِنْ رُسُلِهِ إِلَيْهِ. فَذَلِكَ هُوَ الْآيُ، الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُفَسِّرُهَا لِأَصْحَابِهِ، بِتَعْلِيمِ جِبْرِيلَ إِيَّاهُ، وَهُنَّ لَا شَكَّ آيٌ ذَوَاتُ عَدَدٍ. وَمِنْ آيِ الْقُرْآنِ، مَا قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِ تَأْوِيلِهِ، فَلَمْ يُطْلِعْ عَلَى عِلْمِهِ مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا، وَلَكِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ. فَأَمَّا مَا لَا بُدَّ لِلْعِبَادِ مِنْ عِلْمِ تَأْوِيلِهِ، فَقَدْ بَيَّنَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِبَيَانِ اللَّهِ ذَلِكَ لَهُ بِوَحْيِهِ مَعَ جِبْرِيلَ، وَذَلِكَ هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِبَيَانِهِ لَهُمْ، فَقَالَ لَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: { وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: 44]. [13]

وَلَوْ كَانَ تَأْوِيلُ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ لَا يُفَسِّرُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا إِلَّا آيًا تُعَدُّ هُوَ مَا يَسْبِقُ إِلَيْهِ أَوْهَامُ أَهْلِ الْغَبَاءِ، مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُفَسِّرُ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْ آيِهِ، وَالْيَسِيرَ مِنْ حُرُوفِهِ، كَانَ إِنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذِّكْرُ، لِيَتْرُكَ لِلنَّاسِ بَيَانَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ، لَا لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ. وَفِي أَمْرِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِبَلَاغِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ، وَإِعْلَامِهِ إِيَّاهُ، أَنَّهُ إِنَّمَا نَزَّلَ إِلَيْهِ مَا أَنْزَلَ، لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، وَقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ بَلَّغَ فَأَدَّى، مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِبَلَاغِهِ وَأَدَائِهِ، عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ، وَصِحَّةُ الْخَبَرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ لِقِيلِهِ: " كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْلَمَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ " مَا يُنْبِئُ عَنْ جَهْلِ مَنْ ظَنَّ أَوْ تَوَهَّمَ، أَنَّ مَعْنَى الْخَبَرِ الَّذِي ذَكَرْنَا، عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ لَمْ يُفَسِّرْ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا إِلَّا آيًا تُعَدُّ، هُوَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُبَيِّنُ لِأُمَّتِهِ مِنْ تَأْوِيلِهِ إِلَّا الْيَسِيرَ الْقَلِيلَ مِنْهُ. [14]

هَذَا مَعَ مَا فِي الْخَبَرِ، الَّذِي رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ، مِنَ الْعِلَّةِ الَّتِي فِي إِسْنَادِهِ، الَّتِي لَا يَجُوزُ مَعَهَا الِاحْتِجَاجُ بِهِ لِأَحَدٍ مِمَّنْ عَلِمَ صَحِيحَ سَنَدِ الْآثَارِ وَفَاسِدَهَا فِي الدِّينِ، لِأَنَّ رَاوِيَهُ مِمَّنْ لَا يُعْرَفُ فِي أَهْلِ الْآثَارِ، وَهُوَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزُّبَيْرِيُّ.

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا عَمَّنْ ذَكَرْنَاهَا عَنْهُ مِنَ التَّابِعِينَ، بِإِحْجَامِهِ عَنِ التَّأْوِيلِ، فَإِنَّ فِعْلَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، كَفِعْلِ مَنْ أَحْجَمَ مِنْهُمْ عَنِ الْفُتْيَا فِي النَّوَازِلِ وَالْحَوَادِثِ، مَعَ إِقْرَارِهِ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ

ثَنَاؤُهُ، لَمْ يَقْبِضْ نَبِيَّهُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ إِكْمَالِ الدِّينِ بِهِ لِعِبَادِهِ، وَعِلْمِهِ بِأَنَّ لِلَّهِ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ وَحَادِثَةٍ، حُكْمًا مَوْجُودًا، بِنَصٍّ أَوْ دَلَالَةٍ [15]، فَلَمْ يَكُنْ إِحْجَامُهُ عَنِ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ، إِحْجَامَ جَاحِدٍ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ فِيهِ حُكْمٌ مَوْجُودٌ بَيْنَ أَظْهُرِ عِبَادِهِ، وَلَكِنْ إِحْجَامَ خَائِفٍ، أَنْ لَا يَبْلُغَ فِي اجْتِهَادِهِ، مَا كَلَّفَ اللَّهُ الْعُلَمَاءَ مِنْ عِبَادِهِ فِيهِ، فَكَذَلِكَ مَعْنَى إِحْجَامِ مَنْ أَحْجَمَ عَنِ الْقِيلِ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، وَتَفْسِيرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ السَّلَفِ، إِنَّمَا كَانَ إِحْجَامُهُ عَنْهُ حَذَارَ أَنْ لَا يَبْلُغَ أَدَاءَ مَا كُلِّفَ مِنْ إِصَابَةِ صَوَابِ الْقَوْلِ فِيهِ، لَا عَلَى أَنَّ تَأْوِيلَ ذَلِكَ مَحْجُوبٌ عَنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ غَيْرُ مَوْجُودٍ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ.

ذِكْرُ الْأَخْبَارِ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ فِيمَنْ كَانَ مِنْ قُدَمَاءِ الْمُفَسِّرِينَ مَحْمُودًا عِلْمُهُ بِالتَّفْسِيرِ وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مَذْمُومًا عِلْمُهُ بِذَلِكَ:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وكيع ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُسْلِمٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: " نَعَمْ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ ".

وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ دَاوُدَ الْوَاسِطِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْأَزْرَقُ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " نِعْمَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ " [16].

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: بِنَحْوِهِ.

وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا طَلْقُ بْنُ غَنَّامٍ، عَنْ عُثْمَانَ الْمَكِّيِّ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: " رَأَيْتُ مُجَاهِدًا يَسْأَلُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَمَعَهُ الْوَاحِدُ فَيَقُولُ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ اكْتُبْ ، قَالَ: حَتَّى سَأَلَهُ عَنِ التَّفْسِيرِ، كُلِّهِ " [17].

وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ، وَيُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: " عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ، وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا ".

وَحدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ الْجُبَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْحَنَفِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، يَقُولُ: " إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ، فَحَسْبُكَ بِهِ ".

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ أَبُو دَاوُدَ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرَةَ، قَالَ: " لَمْ يَلْقَ الضَّحَّاكُ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَإِنَّمَا لَقِيَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ بِالرَّيِّ، وَأَخَذَ عَنْهُ التَّفْسِيرَ". (18)

وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مُشَاشٍ، قَالَ: قُلْتُ لِلضَّحَاكِ: " سَمِعْتَ مِنَ ابْنِ عَبَّاسٍ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا ".

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: حَدَّثنَا زَكَرِيَّا، قَالَ: كَانَ الشَّعْبِيُّ يَمُرُّ بِأَبِي صَالِحٍ بَاذَانَ، فَيَأْخُذُ بِأُذُنِهِ فَيَعْرُكُهَا، وَيَقُولُ: " تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ وَأَنْتَ لَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ". (19)

وَحدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَبُّوَيْهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: { وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ } [غافر:20] ، قَالَ: " قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْزِيَ بِالْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ، وَبِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" قَالَ الْحُسَيْنُ: فَقُلْتُ لِلْأَعْمَشِ: حَدَّثَنِي بِهِ الْكَلْبِيُّ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يَجْزِيَ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَبِالْحَسَنَةِ عَشْرًا " فَقَالَ الْأَعْمَشُ: " لَوْ أَنَّ الَّذِي عِنْدَ الْكَلْبِيِّ عِنْدِي، مَا خَرَجَ مِنِّي بِخَفِيرٍ". (20)

وَحدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَكِيمٍ الْأَوْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: مَرَّ الشَّعْبِيُّ عَلَى السُّدِّيِّ وَهُوَ يُفَسِّرُ، فَقَالَ: " لَأَنْ يُضْرَبَ عَلَى اسْتِكَ بِالطَّبْلِ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ مَجْلِسِكَ هَذَا ". (21)

وَحدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حَكِيمٍ، قَالَ: حَدَّثنَا شَرِيكٌ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّخَعِيِّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، فَرَأَى السُّدِّيَّ، فَقَالَ: " أَمَا إِنَّهُ يُفَسِّرُ تَفْسِيرَ الْقَوْمِ ". (22)

حَدَّثَنَا ابْنُ الْبَرْقِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: " مَا أَرَى أَحَدًا يَجْرِي مَعَ الْكَلْبِيِّ فِي التَّفْسِيرِ فِي عِنَانٍ ".

قال أبو جعفر: قَدْ قُلْنَا فِيمَا مَضَى مِنْ كِتَابِنَا هَذَا فِي وُجُوهِ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ تَأْوِيلَ جَمِيعِ الْقُرْآنِ عَلَى أَوْجُهٍ ثَلَاثَةٍ:

أحدها: لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ، وَحَجَبَ عِلْمَهُ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَهُوَ أَوْقَاتُ مَا كَانَ مِنْ آجَالِ الْأُمُورِ الْحَادِثَةِ، الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّهَا كَائِنَةٌ، مِثْلُ وَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَوَقْتِ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَوَقْتِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

والوجه الثاني: مَا خَصَّ اللَّهُ بِعِلْمِ تَأْوِيلِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دُونَ سَائِرِ أُمَّتِهِ، وَهُوَ مَا فِيهِ مِمَّا بِعِبَادِهِ إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِهِ الْحَاجَةُ، فَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى عِلْمِ ذَلِكَ، إِلَّا بِبَيَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ تَأْوِيلَهُ. (23)

والثالث منها: مَا كَانَ عِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ (24) الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَذَلِكَ عِلْمُ تَأْوِيلِ عَرَبِيَّتِهِ وَإِعْرَابِهِ، لَا تَوَصُّلَ إِلَى عِلْمِ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمْ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَأَحَقُّ الْمُفَسِّرِينَ بِإِصَابَةِ الْحَقِّ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ الَّذِي إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِهِ لِلْعِبَادِ سَبِيلٌ، أَوْضَحُهُمْ حُجَّةً فِيمَا تَأَوَّلَ وَفَسَّرَ، مِمَّا كَانَ تَأْوِيلُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دُونَ سَائِرِ أُمَّتِهِ، مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الثَّابِتَةِ عَنْهُ، إِمَّا مِنْ وَجْهِ النَّقْلِ الْمُسْتَفِيضِ، فِيمَا وُجِدَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ عَنْهُ النَّقْلُ الْمُسْتَفِيضُ، وَإِمَّا مِنْ وَجْهِ نَقْلِ الْعُدُولِ الْأَثْبَاتِ، فِيمَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَنْهُ النَّقْلُ الْمُسْتَفِيضُ، أَوْ مِنْ وَجْهِ الدَّلَالَةِ الْمَنْصُوبَةِ عَلَى صِحَّتِهِ، وَأَوْضَحُهُمْ بُرْهَانًا فِيمَا تَرْجَمَ وَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ، مِمَّا كَانَ مُدْرَكًا عِلْمُهُ مِنْ جِهَةِ اللِّسَانِ، إِمَّا بِالشَّوَاهِدِ مِنْ أَشْعَارِهِمُ السَّائِرَةِ (25)، وَإِمَّا مِنْ مَنْطِقِهِمْ وَلُغَاتِهِمُ الْمُسْتَفِيضَةِ الْمَعْرُوفَةِ (26)، كَائِنًا مَنْ كَانَ ذَلِكَ الْمُتَأَوِّلُ وَالْمُفَسِّرُ، بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونَ خَارِجًا تَأْوِيلُهُ وَتَفْسِيرُهُ مَا تَأَوَّلَ وَفَسَّرَ مِنْ ذَلِكَ عَنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْأَئِمَّةِ وَالْخَلَفِ مِنَ التَّابِعِينَ وَعُلَمَاءِ الْأُمَّةِ. (27)

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ وَسُوَرِهِ وَآيِهِ: (28)

قال أبو جعفر: إِنَّ اللَّهَ تَعالَى ذِكْرُهُ، سَمَّى تَنْزِيلَهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَسْمَاءً أَرْبَعَةً:

منهن القرآن[29]، فَقَالَ فِي تَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ بِذَلِكَ، فِي تَنْزِيلِهِ[30]: { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ} [يوسف:3] وَقَالَ: { إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [النمل:76].

ومنهن الفرقان: قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، فِي وَحْيِهِ إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُسَمِّيهِ بِذَلِكَ: { تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان: 1].

ومنهن الكتاب: قَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ، فِي تَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ بِهِ: { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا } [الكهف:01-02].

ومنهن الذكر: قَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ، فِي تَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ بِهِ: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ} [الحجر:09]. وَلِكُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الْأَرْبَعَةِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَعْنًى وَوَجْهٌ غَيْرُ مَعْنَى الْآخَرِ وَوَجْهِهِ[31]

فأما القرآن: فَإِنَّ الْمُفَسِّرِينَ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ، وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهُ عَلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، مِنَ التِّلَاوَةِ وَالْقِرَاءَةِ[32]، وَأَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ، كَقَوْلِكَ الْخُسْرَانَ: مِنْ خَسِرْتُ، وَالْغُفْرَانَ: مِنْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، وَالْكُفْرَانَ: مِنْ كَفَرْتُكَ.

والفرقان: مِنْ فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَذَلِكَ أَنَّ يَحْيَى بْنَ عُثْمَانَ بْنِ صَالِحٍ السَّهْمِيَّ، حَدَّثَنِي قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: { فَإِذَا قَرَأْنَاهُ} [القيامة:18]، يَقُولُ: " بَيَّنَّاهُ، فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، يَقُولُ: اعْمَلْ بِهِ ". وَمَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا، فَإِذَا بَيَّنَّاهُ بِالْقِرَاءَةِ، فَاعْمَلْ بِمَا بَيَّنَّاهُ لَكَ بِالْقِرَاءَةِ.

وَمِمَّا يُوَضِّحُ صِحَّةَ مَا قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا مَا حَدَّثَنِي بِهِ، مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ[33]، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ:

" { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ } [القيامة: 17] قَالَ: " أَنْ نُقْرِئَكَ فَلَا تَنْسَى، { فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ } [القيامة: 18] عَلَيْكَ { فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ } [القيامة:18] يَقُولُ: إِذَا تُلِيَ عَلَيْكَ، فَاتَّبِعْ مَا فِيهِ".

قال أبو جعفر: فَقَدْ صَرَّحَ هَذَا الْخَبَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ مَعْنَى الْقُرْآنِ عِنْدَهُ الْقِرَاءَةُ، فَإِنَّهُ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ قَرَأْتُ عَلَيَّ مَا قَدْ قُلْنَاهُ(34)، وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ قَتَادَةَ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ قَرَأْتُ الشَّيْءَ إِذَا جَمَعْتَهُ وَضَمَمْتَ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، كَقَوْلِكَ: مَا قَرَأَتْ هَذِهِ النَّاقَةُ سَلًى قَطُّ، تُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهَا لَمْ تَضُمَّ رَحِمًا عَلَى وَلَدٍ، كَمَا قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ التَّغْلِبِيُّ:

تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ ... وَقَدْ أَمِنَتْ عُيُونَ الْكَاشِحِينَا

ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ ... هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا

يَعْنِي بِقَوْلِهِ: لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا: لَمْ تَضْمُمْ رَحِمًا عَلَى وَلَدٍ.

وَذَلِكَ أَنَّ بِشْرَ بْنَ مُعَاذٍ الْعَقَدِيَّ حَدَّثَنَا قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ(35)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: " { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ } [القيامة: 17] يَقُولُ: حِفْظَهُ وَتَأْلِيفَهُ، { فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ } [القيامة 18] يَقُولُ: اتَّبِعْ حَلَالَهُ، وَاجْتَنِبْ حَرَامَهُ".

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّنْعَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، بِمِثْلِهِ. فَرَأَى قَتَادَةُ أَنَّ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ: " التَّأْلِيفُ ". (36)

قال أبو جعفر: وَلِكِلَا الْقَوْلَيْنِ أَعْنِي قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَوْلَ قَتَادَةَ، اللَّذَيْنِ حَكَيْنَاهُمَا، وَجْهٌ صَحِيحٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ.

غَيْرَ أَنَّ أَوْلَى قَوْلَيْهِمَا بِتَأْوِيلِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ } [القيامة: 17-18] قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ(37)، لِأَنَّ اللَّهَ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنْ تَنْزِيلِهِ، بِاتِّبَاعِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ فِي تَرْكِ اتِّبَاعِ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ، إِلَى وَقْتِ تَأْلِيفِهِ الْقُرْآنَ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ { فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ } [القيامة: 18] نَظِيرُ سَائِرِ مَا فِي آيِ الْقُرْآنِ الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ فِيهَا

بِاتِّبَاعِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي تَنْزِيلِهِ، وَلَوْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ { فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ } [القيامة: 18] فَإِذَا أَلَّفْنَاهُ فَاتَّبِعْ مَا أَلَّفْنَا لَكَ فِيهِ، لَوَجَبَ أَنْ لَا يَكُونَ كَانَ لَزِمَهُ فَرْضُ { ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ } [العلق: 1] وَلَا فَرْضُ { يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ } [المدثر: 1 - 2] قَبْلَ أَنْ يُؤَلَّفَ[38] إِلَى ذَلِكَ غَيْرُهُ مِنَ الْقُرْآنِ[39] وَذَلِكَ إِنْ قَالَهُ قَائِلٌ خُرُوجٌ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْمِلَّةِ[40]، وَإِذَا صَحَّ أَنَّ حُكْمَ كُلِّ آيَةٍ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ، كَانَ لَازِمًا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اتِّبَاعُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ، مُؤَلَّفَةٌ كَانَتْ إِلَى غَيْرِهَا، أَوْ غَيْرُ مُؤَلَّفَةٍ، صَحَّ مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ { فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ } [القيامة: 18] أَنَّهُ يَعْنِي بِهِ: فَإِذَا بَيَّنَّاهُ لَكَ بِقِرَاءَتِنَا، فَاتَّبِعْ مَا بَيَّنَّاهُ لَكَ بِقِرَاءَتِنَا، دُونَ قَوْلِ مَنْ قَالَ: مَعْنَاهُ فَإِذَا أَلَّفْنَاهُ فَاتَّبِعْ مَا أَلَّفْنَاهُ. وَقَدْ قِيلَ، إِنَّ قَوْلَ الشَّاعِرِ[41]:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ ... يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنَا

يَعْنِي بِهِ قَائِلُهُ: تَسْبِيحًا وَقِرَاءَةً. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى قُرْآنًا بِمَعْنَى الْقِرَاءَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَقْرُوءٌ؟ قِيلَ كَمَا جَازَ أَنْ يُسَمَّى الْمَكْتُوبُ كِتَابًا، بِمَعْنَى كِتَابُ الْكَاتِبِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ، فِي صِفَةِ كِتَابِ طَلَاقٍ، كَتَبَهُ لِامْرَأَتِهِ:

تُؤَمِّلُ رَجْعَةً مِنِّي وَفِيهَا ... كِتَابٌ مِثْلُ مَا لَصِقَ الْغِرَاءُ

يُرِيدُ: طَلَاقًا مَكْتُوبًا، فَجَعَلَ الْمَكْتُوبَ كِتَابًا.[42]

وَأَمَّا تَأْوِيلُ اسْمِهِ، الَّذِي هُوَ فُرْقَانٌ، فَإِنَّ تَفْسِيرَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ جَاءَ فِي ذَلِكَ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ، هِيَ فِي الْمَعَانِي مُؤْتَلِفَةٌ.

فَقَالَ عِكْرِمَةُ فِيمَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامُ بْنُ سَلْمٍ، عَنْ عَنْبَسَةَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "هُوَ النَّجَاةُ" وَكَذَلِكَ كَانَ السُّدِّيُّ يَتَأَوَّلُهُ.

حَدَّثَنَا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ، عَنِ السُّدِّيِّ، وَهُوَ قَوْلُ جَمَاعَةٍ غَيْرِهِمَا وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: "الْفُرْقَانُ: الْمَخْرَجُ".[43]

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ بْنِ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَكَذَلِكَ كَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ فِي تَأْوِيلِهِ حَدَّثَنَا بِذَلِكَ ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، عَنْ عَنْبَسَةَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "{ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ} [الأنفال: 41] يَوْمَ فَرَقَ اللَّهُ فِيهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ".

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عِيسَى بْنِ مَيْمُونٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فَكُلُّ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ فِي مَعْنَى الْفُرْقَانِ، عَلَى اخْتِلَافِ أَلْفَاظِهَا مُتَقَارِبَاتُ الْمَعَانِي، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ جُعِلَ لَهُ مَخْرَجٌ مِنْ أَمْرٍ كَانَ فِيهِ فَقَدْ جُعِلَ ذَلِكَ الْمَخْرَجُ مِنْهُ نَجَاةً، وَكَذَلِكَ إِذَا نَجَى مِنْهُ فَقَدْ نُصِرَ عَلَى مَنْ بَغَاهُ فِيهِ سُوءًا، وَفَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَاغِيهِ بِالسُّوءِ.

فَجَمِيعُ مَا رَوَيْنَا عَمَّنْ رَوَيْنَا عَنْهُ فِي مَعْنَى الْفُرْقَانِ قَوْلٌ صَحِيحُ الْمَعْنَى، لِاتِّفَاقِ مَعَانِي أَلْفَاظِهِمْ فِي ذَلِكَ.

وَأَصْلُ الْفُرْقَانِ عِنْدَنَا: الْفَرْقُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَالْفَصْلُ بَيْنَهُمَا وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ بِقَضَاءٍ، وَاسْتِنْقَاذٍ، وَإِظْهَارِ حُجَّةٍ، وَتَصَرُّفٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الْمُفَرِّقَةِ بَيْنَ الْمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ. فَقَدْ تَبَيَّنَ بِذَلِكَ، أَنَّ الْقُرْآنَ سُمِّيَ فُرْقَانًا، لِفَصْلِهِ بِحُجَّتِهِ وَأَدِلَّتِهِ وَحُدُودِهِ وَفَرَائِضِهِ وَسَائِرِ مَعَانِي حُكْمِهِ، بَيْنَ الْمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ، وَفُرْقَانُهُ بَيْنَهُمَا بِنَصْرِهِ الْمُحِقَّ وَتَخْذِيلِهِ الْمُبْطِلَ، حُكْمًا وَقَضَاءً.

وَأَمَّا تَأْوِيلُ اسْمِهِ الَّذِي هُوَ الْكِتَابُ فَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِكَ كَتَبْتُ كِتَابًا، كَمَا تَقُولُ قُمْتُ قِيَامًا، وَحَسِبْتُ الشَّيْءَ حِسَابًا، وَالْكِتَابُ هُوَ خَطُّ الْكَاتِبِ حُرُوفَ الْمُعْجَمِ، مَجْمُوعَةً وَمُفْتَرِقَةً، وَسُمِّيَ كِتَابًا وَإِنَّمَا هُوَ مَكْتُوبٌ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي اسْتَشْهَدْنَا بِهِ:

. . . . وَفِيهَا كِتَابٌ مِثْلُ مَا لَصِقَ الْغِرَاءُ.

يَعْنِي بِهِ مَكْتُوبًا.

وَأَمَّا تَأْوِيلُ اسْمِهِ الَّذِي هُوَ الذِّكْرُ، فَإِنَّهُ مُحْتَمِلٌ مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ ذِكْرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، ذَكَّرَ بِهِ عِبَادَهُ، فَعَرَّفَهُمْ فِيهِ حُدُودَهُ وَفَرَائِضَهُ، وَسَائِرَ مَا أَوْدَعَهُ مِنْ حُكْمِهِ وَالْآخَرُ أَنَّهُ ذِكْرٌ وَشَرَفٌ

وَفَخْرٌ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ بِمَا فِيهِ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: { وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ } [الزخرف: 44] يَعْنِي بِهِ أَنَّهُ شَرَفٌ لَهُ وَلِقَوْمِهِ.

ثُمَّ لِسُوَرِ الْقُرْآنِ أَسْمَاءٌ سَمَّاهَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(44) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَوَّامِ، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفٍ الْعَسْقَلَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوَّادُ بْنُ الْجَرَّاحِ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ، جَمِيعًا عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ الطُّوَلَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ ".

وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُعْطِيتُ السَّبْعَ الطُّوَلَ مَكَانَ التَّوْرَاةِ، وَأُعْطِيتُ الْمَثَانِيَ مَكَانَ الزَّبُورِ، وَأُعْطِيتُ الْمِئِينَ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ قَالَ خَالِدٌ: كَانُوا يُسَمُّونَ الْمُفَصَّلَ: الْعَرَبِيَّ؛ قَالَ خَالِدٌ: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ فِي الْعَرَبِيِّ سَجْدَةٌ".

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامُ بْنُ سَلْمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنِ الْمُسَيِّبِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: " الطُّوَلُ كَالتَّوْرَاةِ. وَالْمِئُونَ كَالْإِنْجِيلِ، وَالْمَثَانِي كَالزَّبُورِ، وَسَائِرُ الْقُرْآنِ بَعْدُ فَضْلٌ عَلَى الْكُتُبِ ".

حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدٍ الْوُصَابِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَفْصٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا أَبُو حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا الْفَزَارِيُّ عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " أَعْطَانِي رَبِّي مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ الطُّوَلَ، وَمَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَمَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَفَضَّلَنِي بِالْمُفَصَّلِ ".

قال أبو جعفر: فَالسَّبْعُ الطُّوَلُ: الْبَقَرَةُ، وَآلُ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءُ، وَالْمَائِدَةُ، وَالْأَنْعَامُ، وَالْأَعْرَافُ، وَيُونُسُ؛ فِي قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ حَدَّثَنِي بِذَلِكَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلٌ يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَتِهِ قَوْلَ سَعِيدٍ هَذَا وَذَلِكَ(45) مَا حَدَّثَنَا بِهِ، مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَسَهْلُ بْنُ يُوسُفَ، قَالُوا: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ الْفَارِسِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي

ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: " مَا حَمَلَكُمْ عَلَى أَنْ عَمَدْتُمْ، إِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي وَإِلَى بَرَاءَةٍ وَهِيَ مِنَ الْمِئِينَ، فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ تَكْتُبُوا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُمُوهُمَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ؟ مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ عُثْمَانُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ، وَهُوَ تَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّوَرَ ذَوَاتَ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بِبَعْضِ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ، فَيَقُولُ: «ضَعُوا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا» وَكَانَتِ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بَرَاءَةٌ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ نُزُولًا، وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُهُمَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ".

فَهَذَا الْخَبَرُ يُنْبِئُ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الْأَنْفَالَ وَبَرَاءَةَ، مِنَ السَّبْعِ الطُّوَلِ، وَيُصَرِّحُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى ذَلِكَ مِنْهَا. (46)

وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّوَرُ السَّبْعَ الطُّوَلِ، لِطُولِهَا عَلَى سَائِرِ سُوَرِ الْقُرْآنِ.

وَأَمَّا **المئون**: فَهِيَ مَا كَانَ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ، عَدَدُ آيِهِ مِائَةُ آيَةٍ، أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهَا شَيْئًا أَوْ تَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا يَسِيرًا. (47)

وَأَمَّا **المثاني**: فَإِنَّهَا مَا ثَنَّى الْمِئِينَ فَتَلَاهَا، وَكَانَ الْمِئُونَ لَهَا أَوَائِلَ، وَكَانَ الْمَثَانِي لَهَا ثَوَانِيَ؛ وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمَثَانِي سُمِّيَتْ مَثَانِيَ لِتَثْنِيَةِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيهَا الْأَمْثَالَ وَالْخَبَرَ وَالْعِبَرَ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ

حَدَّثَنَا بِذَلِكَ أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ يَمَانٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: " إِنَّمَا سُمِّيَتْ مَثَانِيَ لِأَنَّهَا ثُنِّيَتْ فِيهَا الْفَرَائِضُ وَالْحُدُودُ".

حَدَّثَنَا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: وَقَدْ قَالَ جَمَاعَةٌ يُكْثِرُ تِعْدَادُهُمْ: " الْقُرْآنُ كُلُّهُ مَثَانٍ " (48) وَقَالَ جَمَاعَةٌ

أُخْرَى: بَلِ الْمَثَانِي فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، لِأَنَّهَا تُثَنَّى قِرَاءَتُهَا فِي كُلِّ صَلَاةٍ. وَسَنَذْكُرُ أَسْمَاءَ قَائِلِي ذَلِكَ وَعِلَلَهُمْ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ، فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ، إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ [الحجر: 87] إِنَّ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ.

وَبِمِثْلِ مَا جَاءَتِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَسْمَاءِ سُوَرِ الْقُرْآنِ الَّتِي ذُكِرَتْ، جَاءَ شِعْرُ الشُّعَرَاءِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

حَلَفْتُ بِالسَّبْعِ اللَّوَاتِي طُوِّلَتْ ... وَبِمِئِينَ بَعْدَهَا قَدْ أُمْئِيَتْ

وَبِمَثَانٍ ثُنِّيَتْ فَكُرِّرَتْ ... وَبِالطَّوَاسِينِ الَّتِي قَدْ ثُلِّثَتْ

وَبِالْحَوَامِيمِ اللَّوَاتِي سُبِّعَتْ ... وَبِالْمُفَصَّلِ اللَّوَاتِي فُصِّلَتْ

قال أبو جعفر: وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ التَّأْوِيلِ الَّذِي تَأَوَّلْنَاهُ، فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ؛ وَأَمَّا الْمُفَصَّلُ، فَإِنَّهَا سُمِّيَتْ مُفَصَّلًا، لِكَثْرَةِ الْفُصُولِ الَّتِي بَيْنَ سُوَرِهَا بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.[49]

قال أبو جعفر: ثُمَّ تُسَمَّى كُلُّ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً، وَتُجْمَعُ سُوَرًا، عَلَى تَقْدِيرِ خُطْبَةٍ وَخُطَبٍ، وَغُرْفَةٍ وَغُرَفٍ وَالسُّورَةُ بِغَيْرِ هَمْزٍ: الْمَنْزِلَةُ مِنْ مَنَازِلِ الِارْتِفَاعِ، وَمِنْ ذَلِكَ سُورُ الْمَدِينَةِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ الْحَائِطُ الَّذِي يُحْوِيهَا لِارْتِفَاعِهِ عَلَى مَا يَحْوِيهِ، غَيْرَ أَنَّ السُّورَةَ مِنْ سُورِ الْمَدِينَةِ لَمْ يُسْمَعْ فِي جَمْعِهَا سُوَرٌ، كَمَا سُمِعَ فِي جَمْعِ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ سُوَرٌ، قَالَ الْعَجَّاجُ: فِي جَمْعِ السُّورَةِ مِنَ الْبِنَاءِ:

فَرُبَّ ذِي سُرَادِقٍ مَحْجُورِ ... سِرْتُ إِلَيْهِ فِي أَعَالِي السُّورِ

فَخَرَّجَ بِتَقْدِيرِ جَمْعِهَا عَلَى تَقْدِيرِ جَمْعِ بُرَّةٍ وَبُسْرَةٍ، لِأَنَّ جَمْعَ ذَلِكَ بُرٌّ وَبُسْرٌ، وَكَذَلِكَ لَمْ يُسْمَعْ فِي جَمْعِ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ سُورٌ، وَلَوْ جُمِعَتْ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ خَطَأً فِي الْقِيَاسِ، إِذَا أُرِيدَ بِهِ جَمِيعُ الْقُرْآنِ، وَإِنَّمَا تَرَكُوا فِيمَا يَرَى جَمْعَهُ كَذَلِكَ، لِأَنَّ كُلَّ جَمْعٍ كَانَ بِلَفْظِ الْوَاحِدِ الْمُذَكَّرِ مِثْلَ بُرٍّ وَشَعِيرٍ وَقَصَبٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّ جِمَاعَهُ كَالْوَاحِدِ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِهِ، لِأَنَّ حُكْمَ الْوَاحِدِ مِنْهُ

مُفْرَدًا قَلَّمَا يُصَابُ، فَجَرَى جِمَاعُهُ مَجْرَى الْوَاحِدِ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِهِ، ثُمَّ جُعِلَتِ الْوَاحِدَةُ مِنْهُ كَالْقِطْعَةِ مِنْ جَمِيعِهِ، فَقِيلَ: بُرَّةٌ وَشَعِيرَةٌ وَقَصَبَةٌ، يُرَادُ بِهِ قِطْعَةٌ مِنْهُ، وَلَمْ تَكُنْ سُوَرُ الْقُرْآنِ مَوْجُودَةً مُجْتَمِعَةً اجْتِمَاعَ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَسُورِ الْمَدِينَةِ، بَلْ كُلُّ سُورَةٍ مِنْهَا مَوْجُودَةٌ مُنْفَرِدَةٌ بِنَفْسِهَا انْفِرَادَ كُلِّ غُرْفَةٍ مِنَ الْغُرَفِ، وَخُطْبَةٍ مِنَ الْخُطَبِ، فَجَعَلَ جَمْعَهَا جَمْعَ الْغُرَفِ وَالْخُطَبِ، الْمَبْنِيُّ جَمْعُهَا مِنْ وَاحِدِهَا، وَمِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَعْنَى السُّورَةِ الْمَنْزِلَةُ مِنَ الِارْتِفَاعِ قَوْلُ نَابِغَةِ بَنِي ذُبْيَانَ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ مَنْزِلَةً مِنْ مَنَازِلِ الشَّرَفِ، الَّتِي قَصُرَتْ عَنْهَا مَنَازِلُ الْمُلُوكِ. وَقَدْ هَمَزَ بَعْضُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَتَأْوِيلُهَا فِي لُغَةِ مَنْ هَمَزَهَا: الْقِطْعَةُ الَّتِي أُفْضِلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ عَمَّا سِوَاهَا وَأُبْقِيَتْ، وَذَلِكَ أَنَّ سُؤْرَ كُلِّ شَيْءٍ الْبَقِيَّةُ مِنْهُ. تَبْقَى بَعْدَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ الْفَضْلَةُ مِنْ شَرَابِ الرَّجُلِ يَشْرَبُهُ، ثُمَّ يَفْضُلُهَا فَيُبْقِيهَا فِي الْإِنَاءِ سُؤْرًا؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَعْشَى بَنِي ثَعْلَبَةَ، يَصِفُ امْرَأَةً فَارَقَتْهُ، فَأَبْقَتْ مِنْ وَجْدِهَا بَقِيَّةً:

فَبَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِي الْفُؤَادِ ... صَدْعًا عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِرَا

وَقَالَ الْأَعْشَى فِي مِثْلِ ذَلِكَ:

بَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَتَهَا ... بَعْدَ ائْتِلَافٍ وَخَيْرُ الْوُدِّ مَا نَفَعَا

وَأَمَّا الْآيَةُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهَا تَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ سُمِّيَتْ آيَةً، لِأَنَّهَا عَلَامَةٌ يُعْرَفُ بِهَا تَمَامُ مَا قَبْلَهَا وَابْتِدَاؤُهَا، كَالْآيَةِ الَّتِي تَكُونُ دَلَالَةً عَلَى الشَّيْءِ، يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَيْهِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَلِكْنِي إِلَيْهَا عَمْرَكَ اللَّهُ يَا فَتًى ... بِآيَةِ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا

يَعْنِي: بِعَلَامَةِ ذَلِكَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ، جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ﴾ [المائدة: 114] أَيْ عَلَامَةً مِنْكَ، لِإِجَابَتِكَ دُعَاءَنَا، وَإِعْطَائِكَ إِيَّانَا سُؤْلَنَا. وَالْآخَرُ مِنْهُمَا: الْقِصَّةُ، كَمَا قَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى:

أَلَا أَبْلِغَا هَذَا الْمُعَرِّضَ آيَةً ... أَيَقْظَانَ قَالَ الْقَوْلَ إِذْ قَالَ أَمْ حَلَمْ

يَعْنِي بِقَوْلِهِ آيَةً: رِسَالَةً مِنِّي وَخَبَرًا عَنِّي[50]، فَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَاتِ: الْقَصَصُ، قِصَّةٌ تَتْلُو قِصَّةً بِفُصُولٍ وَوُصُولٍ.[51]

التعليق:

[1] سيذكر في هذا الفصل آثارا فيها الحض والحث على تفسير القرآن وأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفسرونه أي يفسرون القرآن ، وستأتي آثار أنهم كانوا يتحرجون من تفسيره ؛ فثمت آثار هنا وهنا ، طبعا لا اختلاف ولا تناقض بينها فالآثار التي رويت بتفسير الصحابة للقرآن فهم فيما لهم فيه علم يعني ما كان لهم فيه علم قالوا به والآثار التي رويت بامتناع الصحابة رضي الله عنهم أو بتشديدهم ومن بعدهم رضي الله عنهم بتشديدهم في تفسير القرآن فهو في من يفسره بمحض الرأي وتقدم معنا في المجلس السابق معنى تفسير القرآن بمحض الرأي وهو أن يقول الإنسان بغير نقل ولا أصل يقوم عليه كلامه وإنما هو إما يكون بقياس في غير موضعه بمجرد المشابهة أو بمحض الذوق والاستحسان أو انطلاقا من عقائد باطلة يدين بها.

فإن هذا كله يدخل في تفسير القرآن بالرأي ولذلك جاء في الحديث في **صحيح مسلم (8/ 131)**: عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: " جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللهِ رَجُلٌ فَقَالَ: تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، يُفَسِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ قَالَ: يَأْتِي النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُخَانٌ، فَيَأْخُذُ بِأَنْفَاسِهِمْ حَتَّى يَأْخُذَهُمْ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ".

فهنا بن مسعود قال كلمة هي قاعدة في هذا الباب في باب التفسير في الجمع بين الأبواب أو الآثار التي روي أن الصحابة حضوا على التفسير والأبواب التي روي أن الصحابة نهوا عن التفسير فما فيه نهي هو

عن التفسير بالرأي وعلى توسع في القول بمحض الذوق ونحو ذلك من الطرائق الباطلة في التعامل مع كتاب الله فقال عبد الله بن مسعود: " مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ".

هذا الأصل ، إذا عندك علم بالتفسير فقل به والعلم هنا ما كان نقلاً محضًا من سبب النزول ، ومن معنى اللفظة، ومن معنى الآية ، طبعا إذا لم يوجد فانظروا في شعر العرب كما قال بن عباس: " إِذَا تَعَاجَمَ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، فَانْظُرُوا فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّ الشِّعْرَ عَرَبِيٌّ".

وقد كان بن عباس رضي الله عنهما يفسر آي بالقرآن استشهادا بشعر العرب كما قال عكرمة وعكرمة يعني من أعلم أصحاب عبد الله بن عباس في التفسير حتى قال جماعة من أهل الجرح والتعديل من أئمة السنة قال أبو حاتم: " عِكْرِمَة أَعْلاهم، وأصحاب ابن عبَّاس عِيال على عِكْرِمة في التفسير".

فتقدمه في التفسير معروف كما قال عكرمة: " كان ابن عباس إذا سئل عن شيءٍ من أمر القرآن أنشد فيه شعراً من أشعارهم".

ولذلك قال عن عبد الله بن عباس: " ما كنتُ أدري ما قولُه: { رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ } [الأعراف: 89] حتّى سمعتُ ابنةَ ذي يَزَنَ تقولُ: تعال أُفاتِحُك. يعني: أُقاضِيك".

وكذلك قوله في آية فاطر مشهور معلوم فكان يفسر آيات من القرآن بالرجوع إلى الشعر وكذلك في قوله { وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ } [الأنعام: 105] لذلك جاء عن عبد الله بن عباس -من طريق سعيد بن جبير- أنّه كان يقرَأ: " { ادّارَسْتَ }، ويتمثَّلُ: دارس كطعمِ الصّابِ والعَلْقَم".

ولذلك قال ابن عباس فيما رواه ابن سعد في " الطبقات" وبن أبي شيبة في " المصنف" وغيرهم: " إِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلَمْ يَدْرِ مَا تَفْسِيرُهُ فَلْيَلْتَمِسْهُ فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ ".

وهذا خاصة في أبواب فهم أساليب القرآن وباب الغريب في ألفاظ القرآن، طبعا هنا يريد الشعر زمن المحتج به أو ما يسمى بالشواهد الذي آخره إبراهيم بن هرمة يعني في درجات الاحتجاج الشعر الجاهلي وصدر الإسلام إلى دولة بني أمية في صدرها فهذا يسمى شعر الاحتجاج وهو متفق عليه خاصة الشعر الجاهلي فهو متفق على الاحتجاج والقول به ، طبعا على قواعد العلماء في أنه يحمل القرآن على أصرح الوجوه على أشهر الوجوه ولا يحمل على أغربها والنادر فيها.

إذا نجمع بين البابين كيف؟ نقول ما جاء عن الصحابة سيأتي معنا في هذا الباب حض على التفسير وتعلم التفسير فهو ليقول الإنسان بعلم وما سيأتي معنا من النهي عن الدخول في التفسير إنما هو على القول على

الله بلا علم وكما تقدم الذي هو القول بالرأي ولذلك نجد أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما قال له الرجل: " تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ".

قال بن مسعود " مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ: اللهُ أَعْلَمُ، مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ: اللهُ أَعْلَمُ".

وجاء أيضا في " صحيح البخاري " نحو كلام عبد الله بن مسعود عن عمر قال: " نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ".

كما قال الله عز وجل { قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ } [ص: 86] المتكلف من هو؟ هو الذي يتعطى ما لا ينال والذي يتكلم فيما لا يعلم فهذا يعد متكلفا ، فالإنسان لا يعرف معنى شيء فلا يقل فيه ما لا يعلم وإنما يبحث عنه ويسأل ويرجع إلى أهل الذكر في ذلك حتى يعلمه.

[2] هذا أثر مشهور وصحيح وقد قاله بن مسعود وروي عن بن مسعود قاله أبو عبد الرحمان السلمي رحمه الله تعالى أنه قال: " حَدثنَا الَّذين كَانُوا يقرئوننا الْقُرْآن عُثْمَان بن عُثْمَان وَعبد الله بن مَسْعُود وَغَيرهمَا أَنهم كَانُوا إِذا تعلمُوا من النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم عشر آيَات لم يتجاوزوها حَتَّى يعلمُوا مَا فِيهَا من الْعلم وَالْعَمَل قَالُوا فتعلمنا الْقُرْآن وَالْعلم وَالْعَمَل جَمِيعًا".

وهذه نقطة مهمة جدا في مسألة حجية فهم السلف وأن الصحابة تأويلهم مقدم على من بعدهم وأنه لا يجوز الخروج عن تأويلهم كقواعد في تفسير الصحابة له سيمات زيادة على ما تقدم أنهم أعلم الناس شاهدوا التنزيل وعلموا التأويل وأعلم الناس باللسان ولغة العرب ورأوا النبي صلى الله عليه وسلم والله زكاهم هذا كله من الأشياء التي نضيفها في هذا الباب زيادة على كل ما تقدم في تفسير السلف أو في تفسير الصحابة أن الاختلاف بين الصحابة في الأحكام أكثر منه في التفسير يعني إذا نظرت في تفسير القرآن تجد أن الاختلاف بين الصحابة يسير أكثره خلاف تنوع أو اختلاف تنوع إما أن يقول هذا لفظة وهذا يقول لفظة فهذا يعبر بمعنى ضمني في الكلام وهذا يعبر بلازم الكلام مثلا وإما أن يكون من اختلاف الشيء الذي يسمى بأكثر من معنى وإما يكون هذا يذكر سبب النزول مباشر للآية وهذا يذكر ما يدخل تحت عموم اللفظ وهكذا هذا الشائع في تفاسيرهم رضي الله عنهم فإذا وجد التعارض وهو قليل أو الاختلاف بين تفاسيرهم وهو قليل وهذا غالبه يكون في الأحكام في العادة فإذا حققت هذا الاختلاف تجده ضيق ومحصور ومسائل الإجماع أوسع وأكثر من مسائل الاختلاف فهذه ميزة في تفسير الصحابة رضي الله عنهم عكس من بعدهم فمن تأخر على القرون الثلاثة يكثر في كلامهم اختلاف في التفسير ثم الصحابة رضي الله عنهم إذا اختلفوا على قولين في باب التفسير أو اختلفوا على ثلاثة أقوال

فلا يجوز الخروج عن قولهم بأي حال من الأحوال ولا يجوز إذا اختلف في تفسير الآية على قولين أن يحدث قول ثلاث أو تأويل ثالث لأنه بعضهم أجاز من المتكلمين كالرازي الأشعري الجهمي وأبي حسين البصري المعتزلي وابن الحاجب والآمني هؤلاء يسمون علماء أصول الفقه هؤلاء أجازوا أنه يخرج عن تأويل الصحابة يعني إذا اختلف الصحابة على تأويلين للآية قالوا يجوز أن يحدث قول ثالث يكون تأويلا للآية وهذا باطل لا شك في ذلك لماذا؟ لأن الصحابة رضي الله عنهم تعلموا العلم والعمل قالوا: " فتعلمنا الْقُرْآن وَالْعلم وَالْعَمَل جَمِيعًا".

وهذا أخذوه في شأن القرآن كله قد جاء في بعض الآثار أن جبريل كما جاء عن أبي العالية قال:" تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ خَمْسَ آيَاتٍ خَمْسَ آيَاتٍ؛ فَإِنَّهُ أَحْفَظُ لَكُمْ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَنْزِلُ بِهِ خَمْسَ آيَاتٍ خَمْسَ آيَاتٍ".

وجاء عشر آيات عشر آيات طبعا هذا يرجع يعني اختلاف العدد لحال القارئ الذي يتلقى القرآن.

(3)وفي رواية قال: " وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ".

هذا في ما يتعلق بتفسير عموم الصحابة رضي الله عنهم وتفسير عبد الله بن مسعود هاهنا رضي الله عنه ولا شك أنه أخذ سبعين سورة من فيّ النبي صلى الله عليه وسلم ويلي بن مسعود بن عباس في كثرة الراوين للتفسير مع فضل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فأصح الطرق إليه طريق الأعمش إلى أبي الضحى إلى مسروق في التفسير عن مسعود وكذلك يروي عنه مجاهد من طريق أبي معمر اعتمدوه كذلك الأعمش يروي عنه من طريق أبي وائل كما جاء في " صحيح البخاري" ويروى عنه أثر الإسناد المشهور الذي يجمعه السدي ، أحمد في رواية الأثرم قال " لا بأس به".

لكن هذا يستأنس به وعاضد هذا يدخل كالعاضد وجماعة الموسوعة التفسير بالمأثور في مقدمة المجلد الأول الذي هو المدخل وضعوا إحصائية لعدد المرويات عن الصحابة بحسب ما روي عنهم ابن عباس ، بن مسعود عدد مروياتهم في التفسير لكن هذه أشهر طرق عبد الله بن مسعود في التفسير ، طبعا طريق إبراهيم النخعي أيضا مشهور إبراهيم النخعي عن علقمة عن بن مسعود أو إبراهيم النخعي عن بن مسعود وإذا إبراهيم النخعي روى عن بن مسعود فهو عن أصحاب عبد الله بن مسعود كما أخبر هو رحمه الله ، فهمت إذا تكلمنا في هذا الباب فهذا ما يتعلق بن مسعود.

(4)وكان له مثل الدهليز كما رواه أبو عبيد في كتاب " الفضائل" يجتمع فيه مع أصحابه وينشرون مصاحفهم ويفهمهم القرآن وهذا وجه التلقي التابعين للقرآن ووجه فضلهم على من بعدهم رضي الله

عنهم أجمعين أنهم تلقوا من عند الذين عاصروا الوحي وكان لهم تلك الميزة لذلك تفسير التابعين مقدم على من بعدهم لفضل الإدراك كما جاء في صحيح مسلم (184/7): " فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ ". هذا فضل رؤية أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام.

والثاني أنهم كانوا ملازمين للصحابة كما ملازمة مجاهد بن عباس ثلاث عرضات وملازمة سعيد بن جبير بن عباس قال: " كنت أكتب عِنْد بن عَبَّاس فِي ألواحي حَتَّى أملأها ثمَّ أكتب فِي نَعْلي ".

وكذلك عكرمة ملازمته لابن عباس قال عكرمة: " كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَجْعَلُ فِي رِجْلَيَّ الْكَبْلَ، وَيُعَلِّمُنِي الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ ".

هذه ملازمة الخاصة وطاووس أيضا كان في التفسير مقدم كما جاء عن سُفْيَانُ: قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ: مَعَ مَنْ كُنْتَ تَدْخُلُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ؟ قَالَ: " مَعَ عَطَاءٍ وَالْعَامَّةِ، وَكَانَ طَاوُسٌ يَدْخُلُ مَعَ الْخَاصَّةِ ".

وعطاء أيضا رحمه الله تعالى هؤلاء أصحاب عبد الله بن عباس رضي الله عنهم وسيأتي الكلام عنه.

(5) فسرها أين هذا؟ هذا نقول في الموسم يعني في اجتماع الناس يفسرها ، إذا علوم القرآن كانت منتشرة روى الإمام أحمد في كتاب الفضائل (984/2): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ، مِنْ أَهْلِ رَأْسِ الْعَيْنِ قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَافَى بْنُ سُلَيْمَانَ قثنا مُوسَى بْنُ أَعْيَنَ، عَنِ ابْنِ كَاسِبٍ الْكُوفِيِّ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ قَالَ: " سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ وَكَانَ عَلَى الْمَوْسِمِ فَخَطَبَ النَّاسَ ثُمَّ قَرَأَ سُورَةَ النُّورِ فَجَعَلَ يُفَسِّرُهَا { ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ } - وهذه في باب التوحيد وباب حجية التوحيد والفطرة -، ثُمَّ قَالَ: النُّورُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ وَفِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ مِثْلُ ضَوْءِ الْمِصْبَاحِ كَضَوْءِ الزُّجَاجَةِ، كَضَوْءِ الزَّيْتِ { أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ } [النور: 40] وَالظُّلُمَاتُ فِي قَلْبِ الْكَافِرِ كَظُلْمَةِ الْمَوْجِ كَظُلْمَةِ الْبَحْرِ كَظُلُمَاتِ السَّحَابِ ، فَقَالَ صَاحِبِي: مَا رَأَيْتُ كَلَامًا يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِ رَجُلٍ لَوْ سَمِعَتْ هَذَا التُّرْكُ لَأَسْلَمَتْ".

فهذا يبين لك علم بن عباس حتى قال هنا: " لَوْ سَمِعَهَا التُّرْكُ وَالرُّومُ لَأَسْلَمُوا".

هذا في قضية التفسير ، وهذا فيه حجة على أن القرآن فسره السلف وكانوا يعلمون علمه باجتماعهم أحاطوا بمعناه فهو مجمع على معانيه وتلقيها رضي الله عنهم.

(6) لاحظ الأولى سورة النور والثانية سورة البقرة وهذه الآثار صحيحة ، طبعا بن عباس رضي الله عنهما هذا أكثر واحد روي عنه التفسير وأشهر طرق بن عباس كثيرة جدا ، أكثر طريق جاء عن بن عباس في التفسير من أول القرآن إلى آخره من حيث الكثرة هو طريق علي بن أبي طلحة في " صحيفته" التي يرويها معاوية بن صالح عن صالح كاتب الليث عن علي بن أبي طلحة عن بن عباس ، طبعا هي صحيفة واعتمدها البخاري في " صحيحه " واعتمدها بن جرير واعتمدها بن أبي حاتم وابن المنذر كلهم اعتمدوها ، طبعا وأبو حاتم نفى سماع علي بن أبي طلحة من بن عباس لكن هو سمع من أصحاب بن عباس ذكره بن أبي حاتم في كتاب " المراسيل".

كذلك من الطرق طريق قيس بن مسلم إلى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وهذا إسناد على شرط الصحيحين قيس بن مسلم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن بن عباس كذلك طريق محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير وهذا أخرجه ابن جرير في " تفسيره " وبن أبي حاتم والطبراني وغير ذلك من الطرق كذلك طريق السدي هذا الذي يجمع فيه أكثر من واحد وكذلك طرق عطاء عنه مجـــاهد عن بن عباس لكن هذه أشهر الطرق عن عبد الله بن عباس ، طبعا رواية الضحاك لم يلق بن عباس بل لقي سعيد بن جبير كما ذكر يحيى بن سعيد القطان في مرو وتلقى منه التفسير وأضعف الطرق هي طريق الكلبي عن بن عباس لأنه متهم بالكذب بل قيل لا يحل الرواية عنه كذلك رواية السدي الصغير ليس السدي الكبير عبد الرحمان بن أبي كريمة لا السدي الصغير محمد بن مروان هذا كذاب متروك هذه أيضا له عن السدي الصغير يعني كما يقال رواية ساقطة ، طبعا بن أبي حاتم لم يعتمد رواية الكلبي لم يذكرها في عامة تفسيره ، بن جرير ذكرها قليلا لكن يذكرها هي ورواية العوفيين مؤخرة ورواية الضحاك عن بن عباس ورواية جويبر عن الضحاك عن بن عباس دائما يؤخرها لأن هذه أيضا من أضعف الطرق ويراعى فيها بعض الأمور:

الأمر الأول:

واحد: قوة الطرق والطريق الذي يجمع بين الصحة

الثاني: الطريق الذي هو صحائف مشهورة

الثالث: الطريق الذي تكون فيه ألفاظ منكرة قد تستنكر على رواتها وهذه تكون في الطرق الضعيفة والمتروكة الساقطة هذه لا ينظر فيها ولا يعتمد في تحقيق القول فيها عن عبد الله بن عباس أي في باب التفسير.

الأمر الثاني: أن منه من ينقل التفسير بالألفاظ ومنهم من ينقله بالمعاني فبعضهم ينقل التفسير بالألفاظ يعني يضبط الألفاظ وبعضهم قد يتصرف في بعض المعاني فلذلك قد تشكل فهذا يراعى أيضا في مسألة عند جمع الطرق خاصة إذا وقع خلاف أما إذا كانت كلها شاهدة لبعضها البعض وما فيه خلاف وهذا الأكثر في التفسير أو التفسير باب واحد لا يوجد ما يعارضه فحينئذ يحكى إجماعا أو أن هذا قول عبد الله بن عباس وينظر الآن من وافقهم من طبقته فيقال بن مسعود وبن عباس وفلان وفلان رضي الله عنهم من الصحابة فإن كان بن عباس وحده وصحت كل الطرق إليه وتعاضدت فإنه لا يجوز تركه إلى غيره ولا يوجد قول عند الصحابة هُجِرَ عند التابعين هذا لا يكاد يوجد كما قاله الإمام أحمد رحمه الله ، فهذا ينبه في مسألة طرق عبد الله بن عباس .

(7) يعني كالأميين وهذا فيه الحض على تفسير القرآن والقرآن يدل على تفسيره يعني الله عز وجل أمر بأن يعقل فيه ويتفكر فيه أي القرآن فهذا إشارة إلى تطلب معانيه والعلم بها.

(8) طبعا هذا صح هذا فقط كعاضد في ذلك والمقصود بعاصم هو عاصم بن أبي النجود.

(9) وهذا كما ذكرنا من قبل فيه الرد على المفوضة لما قالوا في آيات الصفات أن الله عز وجل أمرنا فقط بالتصديق بالألفاظ أما المعاني مجهولة نقول هذا باطل بل من المحال والممتنع أن يُقال لشخص اعتبر وافهم هذا الأمر ونحو ذلك وهو لا يكون في نفسه مفهوما ولا معتبرا به هذا يكون تكليف بما لا يطاق أو بالمحال والله عز وجل منزه عن ذلك جلا ثنائه وتقدست أسمائه.

(10) نستفيد من هذا أيضا أن في القرآن الدلالة على معرفة كلام العرب لأنه بلسان عربي لذلك الشافعي قال: " **فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يَشْهَدَ به أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمد عبده ورسوله ويتلوَ به كتابَ الله وينطق بالذكر فيما افترِض عليه من التكبير وأُمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك**".

والشريعة بلسان عربي مبين لذلك تقدم معنا في شروط المفسر أنه من الأدوات التي تكون حاضرت معه في فهم القرآن فهما عميقا طبعا وفهم التفصيلي وخاصة في مقام رد الشبهات والتفاصيل أنه لا بد يكون معه آلة من لسان العرب.

(11) يعني هذا يستدل به على من أنكر أنه لا يفسر القرآن وأنه لا يحتاج إلى تفسير ولا بيان وأن من يفسره هذا تعدى وتجنى. فهذا طبعا وإن كان قول شرذمة كادعاء لكن بعضهم قد يطبقه في بعض الموارد النزاع فيأتيك ويقول لك هذه الآية على ظاهرها لا تحتاج إلى تفسير صحابة ولا التابعين كبعض أهل الظاهر

ممن تعصب ولم يفهم فإنه تعصب للظاهر المطلق سواء كان مجملا ، عموما ، مطلقا ولم ينظر فيما يفسره أو ما يشرحه أو ما يخصه ويقيده من قيود متعلقة أو قيود منصص على ذلك يعني تكون قيود في المتعلقات أن هذا عام مخصوص أو هذا يراد به بعض الأفراد أو هذا مقيد بصفة بعينها أو منزل على أقوام بصفة كذا أو بمعنى كذا ونحو ذلك لم ينتبهوا إلى هذه العلل والمتعلقات الموجودة في كلام السلف فلذلك قالوا بالظاهر فوقعوا في نقض إجماعات ونقض كثير من العمل الذي كان عليه الصحابة ويحتج ويقول لك لا القرآن واضح الأصل الظاهر ما يحتاج إلى تفسير فهو ممكن ما يتبنى فكرة أن القرآن لا يفسر لكن كتطبيق في موارد النزاع يظهر عنده هذا الأصل الباطن وهذا يستعمله كل قوم لما يجدون من القرآن بعض المشتبهات ثم تأتي السنن شارحة ومبينة فيردون السنن لظاهر القرآن هكذا يزعمون وبها ضلت الخوارج ونحو ذلك حيث أنهم اكتفوا بما في القرآن من ظواهر عن كثير من السنن الشارحة المبينة الموضحة ولذلك كان من علامات الخوارج في باب سوء الفهم اكتفاؤهم بظواهر القرآن دون السنن والآثار هذا أصل ابتدعته الخوارج وتأثر به كثير من الطوائف بعد ذلك.

(12) طبعا هو يتكلم عن حديث عائشة الذي تقدم في أول الباب أن النبي صلى الله عليه وسلم: " **لَمْ يَكُنْ يُفَسِّرُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا إِلَّا آيًا بِعَدَدٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُصَحِّحٌ مَا قُلْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِي الْبَابِ الْمَاضِي قَبْلُ** ".

طبعا هو ناقش الحديث من حيث الدراية ولم يتكلم عنه من حيث الرواية والحديث فيه جعفر بن محمد بن خالد وهو بن الزبير العوام الزبيرِ هذا المشهور جعفر الزبيرِ هذا منكر الحديث قد تفرد به وقد قال قَالَ الْبُخَارِيُّ: " **لا يُتَابَعُ عَلَى حَدِيثِهِ** ".

والحديث معلول من حيث الإسناد لا يصح أما من حيث المتن له شرح وتفسير يعني ظاهره هذه قد يحتج بها البعض حتى بن حزم احتج به في " **المحلى** " وفي " **الإحكام** " وهذا الكتاب الذي يعد أصول فقه الظاهرية يعني هذا الكتاب كتاب " **الإحكام في أصول الأحكام** " بن حزم يقول يعني لما احتج بهذا فرحان به يقول: " **هذا الحديث فيه دلالة على أنه يكتفى بظاهر القرآن لأن النبي عليه الصلاة والسلام لم يفسر القرآن ، فالقرآن لا يحتاج إلى تفسير** ".

طبعا هذا الأصل تلقفه كثير من زنادقة العصر ممن ينكرون كابن حزم ينكر الإجماع ، عنده الإجماع فقط ما تحقق بشروط في زمن الصحابة ولا يمكن أن ينضبط بعد ذلك بأي وجه من الوجوه وينكر أقوال الصحابة جملة لا يراها حجة ويكتفي بالظاهر وينكر العلل والمناسبات فابن حزم تبعه كثير من فصار يقول هذا فإذا جئت لشخص تقول له مثلا في آيات الحكم { **وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ**

هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ } [المائدة:44] أن السلف قالوا يعني في أحوال الحاكم بغير ما أنزل الله في بعض أحواله أنه كفر دون كفر وهذا أصل في الآية وكذا يقول لك نحن لنا ظاهر القرآن والدليل على أن القرآن لا يفسر ليس له تفسير القرآن ويقول لك لا يحتاج شرح وهذا الكلام طعن في الصحابة رضي الله عنهم لأنه فسروه وبينوه والله عز وجل أمر بالعلم به والتفكر فيه والتعقل فيه وفهم والفهم هذا لم يكن مطلقا يعني ليس أي فهم هكذا كل شخص يأتيه فهم في ذهنه هو الذي امتثل للآية لا الذي شرع الغاية شرع الوسيلة فكما أمرك بالتدبر بيّن لك طريقة التدبر ، أمرك بالفهم وبيّن لك سبيل الفهم فلا بد أن يكون سبيلك موافق لما عليه الأوائل فهمت الموضوع كيف ، لذلك بن حزم يحتج بهذا الحديث في ماذا؟ في إنكار مفهوم السلف والاكتفاء بظواهر القرآن بل يعد من فسر القرآن على غير الظاهر الذي يفهمه الذي هو المجمل المطلق مرات يكون عام ومجمل ومطلق فيقول لا بد يُبقى على عمومه لا يفسر بفهم الصحابة رضي الله عنهم فيعد أن الذي يقيد مطلقات القرآن بما فهمه الصحابة رضي الله عنهم من مناطات التنزيل مثلا حددوا الصحابة رضي الله عنهم قالوا ينزل هذا الحكم هنا ولا يدخل في فلان وكذا هذا فيه أعمال وإجماعات في الباب مشهورة جدا سواء في أبواب العلمية أو العملية فهو يرى أن هذا خالف الله ورسوله هكذا قال ، هذه عبارته أذكرها جيدا في كتابه ، طبعا هو لا يحكم عليه بالكفر لكن يراه على خطر عظيم ويدخله في قوله تعالى { أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ } [الشورى21].

طبعا أحفاده وأفراخه من مراحيض الفيسبوك صاروا يكفرون بهذا ويقول لك الإجماع تشريع من دون الله وأقوال الصحابة تشريع وأقوال السلف تشريع هو فقط وضع القواعد وهم اضطردوا بالأحكام مع أنه هو كان من أكثر الناس توسعة للعذر لا يكفر حتى من يقول فلان الله من المخلوقات إذا لم تقم عليه الحجة ، فهذا الحديث من حيث الإسناد باطل الآن نأتي إلى مفهومه ما توجيهه؟

(13) وقوله هنا في توجيه هذا الحديث هو وجهه أن الخبر يؤكد الباب الذي قبله في أن تأويل القرآن لا يدرك إلا من جهة السنة ببيان النبي عليه الصلاة والسلام، هنا شيء حتى يفهم أن البيان النبوي هذا جاء في قوله وفعله وتقريره وهذا نقله الصحابة رضي الله عنهم إما مرفوعا إلى النبي عليه الصلاة والسلام وإما حكاية أو ذكرًا لمعاني الآي كما قال الْحَاكِمُ: " لِيَعْلَمَ طَالِبُ هَذَا الْعِلْمِ أَنَّ تَفْسِيرَ الصَّحَابِيِّ الَّذِي شَهِدَ الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ حَدِيثٌ مُسْنَدٌ".

فهذا الظاهر أنه حديث مسند يعامل معاملة الحديث المسند خاصة إذا لم يكن للرأي فيه مجال من أبواب الاستنباط والأحكام فهمت إذا يكون من أبواب الغيبيات أو يكون من باب التفاسير أسباب النزول ونحو ذلك فلا شك الصحابي أعلم من غيره.

الأمر الثاني أنه وجهه (التوجيه الثاني) إلى أن المراد بذلك [ذوات عدد] يعني آيات استأثر الله بعلمها فلم يطلع عليها أحد فإذا كان لا بد من بيانها للعباد فلا تعرف إلا من سبيل أو طريق الرسول صلى الله عليه وسلم فهي ذوات عدد بهذا الاعتبار فتحمل على الآيات التي استأثر الله عز وجل بعلمها هذا على توجيه الحديث وإلا الحديث كما تقدم معنا لا يصح ولو كان تأويل الخبر حتى يرد على الذين يقولون لا يفسر القرآن ويكتفى بالظاهر والظاهر هو الأصل وأن القرآن لا يحتاج تفسير.

(14) إذا كان مفهوم الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يبين لأمته من التأويل إلا اليسير القليل فهذا مخالف لواقع الصحابة وهذه التفاسير التي نقرأها مسندة فمن أين تلقاها الصحابة؟! بل قال الترمذي في " الجامع" رحمه الله كما ذكرت لكم مقالته في بداية كتاب تفسير القرآن من كتابه الجامع (5/ 67) قال: " وَأَمَّا الَّذِي رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّهُمْ فَسَّرُوا القُرْآنَ، فَلَيْسَ الظَّنُّ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي القُرْآنِ أَوْ فَسَّرُوهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ".

هم نصوا على أنهم تلقوه من بن عباس أما مجاهد قال: " عَرَضْتُ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ".

وأما قتادة قال: " مَا أَفْتيت بِرَأْيِي مُنْذُ ثَلَاثِينَ سنة".

وقال أيضا: " مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُ فِيهَا شَيْئًا".

ثم قد ذكر في علماء كثير أنهم أعلم الناس بالتفسير ولا شك أن العلم بالتفسير هو علم بأقوال السلف في ذلك هذا المراد لما يقال مثلا عبد الله بن وهب رحمه الله يقول: " لا أعلم أحدا أعلم بتفسير القرآن من سفيان بن عيينة".

وشهد له بذلك الشافعي أيضا قال: " وما رأيت أحداً أحسن تفسيراً للحديث منه".

وسفيان بن عيينة شيخ الشافعي وشيخ أحمد لأنه عَمَّرَ طويلا رحمة الله عليهم ، لما يقال في الصحابة طبعا الصحابة قالوا هذا ومضى معنا كلام بن مسعود قال: " وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ".

عروة يقول: " ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بفقه، ولا بطبّ، ولا بشعر، ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضي الله تعالى عنها".

وهذه قيلت في كثير مالك بن أنس شهد له الشافعي بهذا أنه من أعلم الناس بكتاب الله وهكذا فهذه كلمة " أعلم بتفسير كتاب الله " ، " أعلم بكتاب الله".

هذه فيها دلالة على العلم بأقوال السلف لأن الإنسان ما يمكن أن يكون عالما بكتاب الله عز وجل يعني داريا بتفسيره الصواب وهو جاهل بالآثار، فهمتم القضية كيف؟ فلذلك من جهة الواقع هذا الحديث على هذا الفهم غلط من أين تلقى الصحابة هذا التفسير؟!

الأمر الآخر أن الذين يقولون هذا الكلام هم وضعوا تفسيرات يعني انتبه يقول لك لا تفسر القرآن ثم هو يضع معاني للقرآن حتى تجد أهل الغباء من أهل عصرنا يأخذ بتفسير سيد قطب لآيات التحكيم ولا يأخذ قول بن عباس لآيات التحكيم يعني في درجات الفهم يأخذ بتفسير سيد قطب في معنى لا إله إلا الله والحاكمية الطويلة هذه القصة الطويلة العريضة التي لا يحققونها بالأثر ولا يقبل أقوال السلف في أبواب الحاكمية بل ينتحل لها العلل ويطلب لها المعارضات ونحو ذلك هم أنفسهم يفسرون ، تدري ما معنى أنك لا تفسر القرآن؟ معناها لا تتكلم بشيء ، الظاهر فقط الذي تقرأه نصًا ولفظًا يعني في القاتل مثلا { وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء: 93] الخوارج لما انطردوا بالظاهر الخارجي تقول هذه الآية إيش معناها؟ يقول لك القاتل في النار لا يخرج ظاهر كتاب الله بل العاصي { وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا } [الجن: 23] يقول لك خالد في النار ، تقول له يخرج ، يقول لك هذا الذي تحدث به لا يوجد في القرآن ولذلك إيش قال الرجل لجابر رضي الله عنه لما حدث بحديث الشفاعة كما في " الصحيح" ورواه أحمد في " المسند" قال: " يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ما تحدثون به إنكم تحدثون بأحاديث لا نجدها في القرآن".

ليست في القرآن أنه " يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان".

يقول أين هذا في القرآن مع أنه موجود بالمناسبة { إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ } [هود: 107] الاستثناء { خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ } [هود: 107] هذه عند السلف الاستثناء في أهل التوحيد لأنه لا يخلدون وكذلك قوله { إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ } [النساء:

48] وغير ذلك من الأدلة لكن المقصود قالوا ليست في كتاب الله ، فقال له جابر رضي الله عنه لما استدل له بالآية يعني أن هذا يخالف الآية { يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا } [المائدة: 37] فقال جابر: " اقرأ ما قبلها { إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ } هذه في الكفار".

لكن كلامنا في أهل التوحيد، عمران بن حصين رضي الله عنه قال للرجل: " **يا أحمق**". كما في بعض روايات الأثر.

ثم قال له: " قَرَأْتَ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَجَدْتَ فِيهِ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ ثَلَاثًا، وَصَلَاةَ الْعِشَاءِ أَرْبَعًا، وَصَلَاةَ الْغَدَاةِ رَكْعَتَيْنِ، وَالْأُولَى أَرْبَعًا، وَالْعَصْرُ أَرْبَعًا؟ قَالَ: لَا ، قَالَ: فَعَمَّنْ أَخَذْتُمْ هَذَا الشَّأْنَ؟ أَلَسْتُمْ أَخَذْتُمُوهُ عَنَّا، وَأَخَذْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوَجَدْتُمْ فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا دِرْهَمًا، وَفِي كُلِّ كَذَا وَكَذَا شَاةً، وَفِي كُلِّ كَذَا وَكَذَا بَعِيرًا كَذَا، أَوَجَدْتُمْ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: لَا ، قَالَ: فَعَمَّنِ أَخَذْتُمْ هَذَا؟ أَخَذْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخَذْتُمُوهُ عَنَّا ....". انتهى

فالمهم الشاهد أن الخوارج هكذا مضطردين الذي يقول آخذ بالظاهر لا يرى المناسبات ولا العلل انتبهوا فقط حتى تعرف أن هذا متناقض حتى بدعته لا يفهمها، بدعة الظاهر ما تعتبر المناسبات ولا السياق لأنه ما عنده شيء يناسب شيء عنده ظاهر فقط إذا نظر للقاتل يقول خالد مخلد ويقول لي شخص بن حزم هكذا يعتقد؟! أقول له: لا ، ابن حزم في الأصول إمام التحريف يعني في ظواهر الصفات يحرفها أبعد حدود ولذلك هو جهمي جلد يرد عموم الصفات للعلم والقدرة لكن في باب الفروع ظاهري لفظي ملغي للعلل والمناسبات والحكم يعني كما ضرب له رجل مثل في باب الفروع قال مثل بن حزم كمثل شخص قيل له لا تسلم على المبتدع لو شخص قلنا له لا تسلم على المبتدع فقام فقبل رأسه ورجليه ويديه واحتضنه وجلس قلنا له فلان قلنا لك لا تسلم، قال أنتم قلتم لا تسلم ما قلت لا تقبل الرأس ولا اليد ولا الرجل ولا تعانق. هذا هو بمفهوم مبسط يسير معنى الظاهر الوقوف لا تنظر إلى علة أولوية، علة دونية، مناسبة ، سياق أبدا الظاهر فقط هو في الفروع هكذا لكن في الأصول إمام المحرفة مشتغل بالفلسفة والمنطق وكذا وإذا كان كذا يلزم كذا ويدخل في أبواب في الفصل زنديق كافر لعنة الله عليه وعلى من يواليه ويعلم حاله ، أما في أبواب الفروع ظاهر [50.40] حتى هو يقول في حديث بني قريظة ماذا قال عليه الصلاة والسلام: " لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ".

الصحابة اختلفوا ، طبعا هذا الاختلاف بسبب الظاهر هذا موجود لكن الحكم بالعلل والمناسبات متفق عليه أنه الحكم إذا علل أو كان له سياق ويعتبر به هذا عند الصحابة والسلف وعامة العقلاء إلا هؤلاء

بن حزم إيش يقول؟ يقول وقد علم الله أني لو كنت يعني في بني قريظة ما صليت العصر إلا في بني قريظة. حتى يؤكد لك الظاهر أنه أنا آخذ بالظاهر وانتبه في الفروع يمشي به لكن في الأصول غير ذلك حتى بعضهم قال: **لو أن بن حزم لو مشى في الأصول كما مشى في الفروع ممكن كان لا يحرف الصفات.** لكن هو في الأصول أغرق في التحريف والتأويلات التي هي أصلا لا تقتضي القياس يعني باب صفات رب العالمين ما في قياس علة وفرع على أصل ، بل فيه تسليم وفيه معاني ظاهر وواضح ومحكم أما الفروع يدخلها القياس ، يدخلها المناسبات وفرع على فرع لأن هذا باب للاستنباط هو عكس القضية ما يقبل ويجري فيه القياس ألغا فيه القياس والعلل والمناسبات وما لا يقبل أصلا التعليل والقياس بوصف التمثيل أو بوصف الشمول إضطرد في الإنكار والإغراق في التعطيل فهمت إشكالية هذه الناس لذلك اليوم الذي يقول لك أنا لا آخذ أقوال الصحابة نقول له طيب ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 256] أنا آتيك في القضية الأم ، أصل الباب إيش معنى الطاغوت؟ كلغة عربية ظاهرة؟ كل من طغى انتهى الموضوع يدخل في من طغى من تجاوز الحد الذي يطلق ثلاثا طغى وتجاوز الحد طاغوت؟! يقول لك لا ليس طاغوت ، لماذا؟ يقول لك الطاغوت هو السلطة المستبد التي تستبد فوق كذا وكذا وتسلب الناس الحقوق وتجني على الناس. طيب من قال هذا التفسير؟! سيد قطب ، طيب أنت تقبل سيد قطب وإذا قلنا لك قال عمر الطاغوت هو الشيطان وقال بن عباس كذا تقول لا القرآن ما يقبل التفسير ونحن على الظاهر وهؤلاء القوم يا إخواني من أكثر الناس تناقضا وما يمكن أحد أن يخلص إلى معنى حق يعقد عليه قلبه ويرجو به النجاة بين يدي ربه وهذا المعنى ليس له فيه صلة بالأوائل أي معنى تعقد عليه قلبه وترجو أن تنجو بين يدي الله عز وجل إذا قمت بين يديه ويقول لك فلان كيف اعتقدت هذا ولماذا اعتقدت هذا ومن أي أخذت هذا فالسّني الأثري يسنده والظاهري البليد ينقطع به الإسناد ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [القصص: 66] ما عنده حجة يقول أنا أخذت بالظاهر طيب أنت لو صادق عليك إذا مررت بآيات القتل أن تقول القاتل خالد مخلد هذا الظاهر كما فعلت الخوارج لذلك الخوارج لم ترى للحائض إلا قضاء الصلاة قالوا لم نجد هذا في القرآن أين استثناء الحائض من قضاء الصلاة؟ مثلا حتى ذكر حذيفة أن منهم من سيأتي ويقول صلاتين في القرآن لقد ضل من قبلنا في ثلاث صلوات أو صلاتين فقط ما في خمس صلوات ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم: 17 - 18] فيقول لك من أي جاءت هذه خمس صلوات فالمجمل صلاة في الصباح وصلاة في المساء وانتهى الموضوع يعني من كثرة بالأخذ بالظاهر ، قال ولتصلين النساء وهن حيض لأنه ليس في القرآن المرأة تترك الصلاة في الحيض أين هذا؟ مع أنه المرأة إذا

حاضت لا تصلي هذا جاء في السنة وهم أيضا الخوارج أنكروا الرجم وهم ليش أنكروا الرجم؟ قالوا ليس في القرآن إلا الجلد صنف منهم وهم الأزارقة لما حدث بذلك عمر بن عبد العزيز قال: " **كفروا من حيث لا يعلمون**".

(15) هذا الكلام مهم جدا أن الذين أحجموا من التابعين عن التفسير وشددوا يزاد على ما ذكر أنه من باب حتى لا يتجرأ الجهال على التفسير بلا علم ومن باب بيان تعظيم الباب وانه الرواية عن الله وأن المفتري فيه مفتري على الله والقائل فيه يقول على الله عز وجل فلا يدري أيصيب مراد الله عز وجل أو لا يصيبه فهذا معنى أن السلف شددوا.

الأمر الآخر أنه مع تشديدهم هم فسروا كسعيد بن جبير فسر مع تشديده ، سعيد بن المسيب كان يتكلم رحمه الله في المعلوم كما مر معنا وتكلم في آيات رحمة الله عليه وله كلام في آيات الأحكام لكن هم كانوا رحمة الله عليهم مع ذلك كله يعلمون أنه ما نزل بمسلم من نازلة أو حادثة إلا وفي كتاب الله الطريق إليها إلى بيانها إما بالنص أو دلالة الشافعي يقول: " **بنص أو معنى**".

المعنى الذي هو علة الشيء التي تصلح للقياس أو التعدية إلى حكم حادث فهمت كيف يعني إما يكون نص بعينه هكذا واقعة فلانية وإما تكون دلالة عليها يعني تدخل تحت عموم نص أو مطلق نص أو تدخل تحت علة وهكذا يعني فلم يلغوا العلل والمناسبات وأن القرآن كما يقال أحكامه غطت كل النوازل والحوادث حتى مع قولهم هذا لم ينكروا ذاك.

(16) ترجمان القرآن ، يعني مفسر وهذا مدح للتفسير وبن عباس رضي الله عنهما أبو العباس بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن على أبيّ بن كعب وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي وكان عالما بآثارهم وغيرهم رضي الله عنهم وقد قرأ عليه جماعة وأخذوا عنه التفسير ومن أشهرهم مجاهد وعكرمة مولاه وسعيد بن جبير وطاووس وغير هؤلاء وأبو الشعثة وخلق لا يحصون وقد دعاه له النبي صلى الله عليه وسلم بالفقه في الدين وعلم التأويل فقال: " **اللهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ، وَفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**".

وفي رواية قال: " **اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ**".

فمناقبه حقيقة كثيرة ومشتهرة وسعة علمه مشهود بها وقد مات حتى قيل مات بن عباس وليس في زمانه أحد أعلم منه رضي الله عنه ولما مات قال محمد بن الحنفية وقد صلى عليه: " **الْيَوْمَ مَاتَ رَبَّانِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ**". رضي الله عنه.

(17) وهذا مهم جدا هذا الأثر عزيز حتى قال سفيان الثوري: " إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ، فَحَسْبُكَ بِهِ ".

فمجاهد قد قرأ التفسير والقرآن يعني من جهة التجويد والأحكام واختيار القراءة قرأه على بن عباس وقرأ عليه التفسير وهو تدور عليه قراءة بن كثير المكي التي هي قراءة أهل مكة ، كذلك أبي عمرو بن العلاء وقد عرض على بن عباس ثلاث عرضات لأنه جاء في بعض الآثار أنه عرض ثلاثين عرضة لكن الذي صح أنها ثلاث عرضات قال: " عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا".

حتى قال قتادة: " أَعْلَمُ مَنْ بَقِيَ بِالتَّفْسِيرِ مُجَاهِدٌ".

(18) سعيد بن جبير رحمه الله أبو عبد الله الأسدي هذا قرأ على بن عباس أيضا اختيار القراءة والتفسير نحن نتكلم في باب القرآن تلقى القرآن منه والتفسير وكان كما قال أشعث بن إسحاق كَانَ يُقَالُ: " سَعِيْدُ بنُ جُبَيْرٍ جِهْبِذُ العُلَمَاءِ".

حتى قال بن عباس شهد له بالعلم كَانَ إِذَا أَتَاهُ أَهْلُ الكُوْفَةِ يَسْتَفْتُوْنَهُ، يَقُوْلُ: " أَلَيْسَ فِيْكُمُ ابْنُ أُمِّ الدَّهْمَاءِ؟ -يَعْنِي: سَعِيْدَ بنَ جُبَيْرٍ".

وكان من علماء التفسير وهو ممن ذكر أنه كان يقرأ القرآن في ركعة.

ذكرت لكم أن الضحاك بن مزاحم يروي التفسير عن بن عباس قال يحيى بن سعيد القطان: " كَانَ شُعْبَةُ يُنْكِرُ أَنْ يَكُوْنَ الضَّحَّاكُ لَقِيَ ابْنَ عَبَّاسٍ قَطُّ".

وَرَوَى: شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَيْسَرَةَ، قَالَ: " لَمْ يَلْقَ الضَّحَّاكُ ابْنَ عَبَّاسٍ، إِنَّمَا لَقِيَ سَعِيْدَ بنَ جُبَيْرٍ بِالرَّيِّ، فَأَخَذَ عَنْهُ التَّفْسِيْرَ".

وتفسير الضحاك له تفسير هو لنفسه يعني وكان معلما للقرآن هو اختصاصه لذلك وثقه الإمام أحمد وهو مأمون لا يكذب رحمه الله وإن كان له أحاديث كما يقال استنكرت عليه وكان شعبة لا يحدث عنه ، طبعا في الحديث غير التفسير ، التفسير يعني كما قال يحيى بن سعيد القطان: " تَسَاهَلُوا فِي أَخْذِ التَّفْسِيرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُوَثِّقُونَهُمْ فِي الْحَدِيثِ".

لأنه صحائف وأشياء مشتهرة ولها قرائن يعني منها قرينة الاختصاص.

(19) طبعا أبو صالح باذان هو يروي التفسير عن عبد الله بن عباس وهذا من أضعف الطرق إذا ما قورن بغيره وهي طريق أبي صالح باذان أو باذام " **بالميم** " ويروي عنه السدي عن أبي صالح وقد تركه بعض أهل العلم وتكلموا في تفسيره ورموه بالكذب ونحو ذلك ، لذلك هو تفسيره من أضعف الطرق الشديدة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

(20) " **مَا خَرَجَ مِنِّي بِخَفِيرٍ** ". هذا في استنكار ما على الكلبي من التفسير والكلبي يروي التفسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وتفسيره عن عبد الله بن عباس تفسير من أضعف التفاسير كما جاء عن عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْفَضْلِ، قَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ تَفْسِيرِ الْكَلْبِيِّ، فَقَالَ أَحْمَدُ: " **مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ كَذِبٌ فَقِيلَ لَهُ: فَيَحِلُّ النَّظَرُ فِيهِ؟ قَالَ: لَا** ".

يعني لا يروى تفسيره وهو أيضا استنكر عليه قضية المعتقد فقد كان سبئيا.

(21) طبعا السدي إسماعيل بن أبي كريمة الذي يروي التفسير يعني هو في الحديث ليس بذاك وفي سدي آخر هو محمد بن مروان السدي هذا متروك واضح السدي هما اثنان لكن في باب التفسير لا بأس كما جاء عن مسلم بن عَبد الرحمن قال: مر إبراهيم النخعي بالسدي، وَهو يفسر فقال: " **أما إنه يفسر تفسير القوم** ".

فيعتبر به وبما يروى عنه فهو يعد من طبقة ما بعد كبار التابعين وأواسطهم.

(22) طيب هو أدرك أصحاب عبد الله بن مسعود وهذا لعله لما سمع منه إبراهيم النخعي بعض تفسيره شهد له بأنه يفسر تفسير القوم يعني ليس تفسيره بالمستنكر ، طبعا هذه تزكية للعام لكن إذا جاء ما ينفرد به عن من هو أولى منه وأقوى منه في الباب فإنه يقدمون عليه على القاعدة التي تقدمت معنا الأحفظ والأعلم والأعلى في الطبقة:

- الصحابي مقدم على التابعي
- والأعلم أي بالتفسير والاختصاص
- والأضبط أيضا للتفسير

هذه كلها يراعى فيها في المرجحات لكن نتكلم في قضية القبول للتفاسير ، في تفسير لا ينظر فيه كذب أو تخليط أو فيه مخالفات كثيرة لكن فيه تفسير قد تجد في بعض أفراده ما يروى بالمعنى أو ما يكون

مشتهرا عند من تقدم وهذا يقع في تفسير التابعين وبعض أفرادهم كبعض مفردات السدي أو مفردات الحسن البصري رحمهم الله.

[23] يعني الأول ما كان من الغيبيات كيفية الصفات ، كيفية قيام الساعة ما استأثر الله بعلمه هذا لا يوصل إليه ، وما خص الله بعلم تأويله نبيه وهذا يعرف بالسنة.

[24] أي أهل اللغة ، قلنا في التفسير النبوي يدخل فيه تفسير الصحابة.

[25] وهذا التفسير بمحض اللغة قلنا كتأسيس لا يكون لكن أن يرجع للغة في فهم الأسلوب أو في إدراك غرائب الألفاظ ، أسلوب العرب يعني في الكلام في كلام خطابهم الأمر والنهي ونحو ذلك أو في إدراك غريب الألفاظ أو مشكل بعض الألفاظ فهذا مما يرجع به في اللغة وقد ذكرنا أثر بن عباس في أنه يرجع إلى اللغة وانه إذا لم يوجد كما قال رضي الله عنه: " إِذَا قَرَأَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلَمْ يَدْرِ مَا تَفْسِيرُهُ فَلْيَلْتَمِسْهُ فِي الشِّعْرِ، فَإِنَّهُ دِيوَانُ الْعَرَبِ ".

[26] وهذا كله شرحناه من قبل بأن التفسير لا يكون إلا باللغات المشهورة.

[27] وهذا كلام يعني كلام مهم جدا هذا الأخير يعني يلخص الذي ندور في فلكه ما هو؟ أنه:

- إما أن يكون النقل متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم شرحه ومعنى وقولا وفعلا وتقريرا وتركا.

- وإما نقله العدول الأثبات.

- وإما انه نقل من أصحاب اللسان إذا رجعت تسأل عن أصحاب اللسان يكون بشروط:

الشرط الأول: يكون من زمن الاحتجاج وهو الشعر الجاهلي إلى صدر بني أمية آخرهم تقريبا إبراهيم بن هرمة.

الشرط الثاني: ثم من منطقهم ولغاتهم المستفيضة لا النادرة الشاذة ، يعني يفسر القرآن بالمستفيض المشهور.

الشرط الثالث: ولا يخرج في ذلك عن تفسير الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

يعني هذه كلها شروط لضبط التفسير وعدم إحداث البدع والتأويل الباطل.

[28] طبعا تكلمنا عن هذا في كتاب " المصاحف " لابن أبي داود أشرت لكم إلى هذا المعنى لما تكلمنا عن قضية ترتيب المصحف ونحو ذلك ويقال السورة ويقال السؤرة والمشهورة السورة بلا همز ومأخوذة من سور

البناء يعني الشيء المرتفع العالي هذا في اللغة أو القطعة من الشيء كسور بناء المدينة سمي به لإحاطته بالمدينة فهي سميت سورة لأنها محيطة بالآيات واجتمعت فيها الآيات وارتفعت أيضا لأنها كلام الله فالسورة هي المنزلة الرفيعة ومنه قول النابغة:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أعطاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

وقلنا أن ترتيب السور توقيفي.

(29) يقال القرءان ويقال القرآن، القرآن بلا همز والشافعي يراه علما يعني ليس بمشتق هذا مذهب الشافعي كان يقرأ قرآن كما قراءته عن عبد الله بن قسطنطين ترجع إلى بن كثير المكي وبعضهم يراه مشتقا واضح يعني أنه مشتق.

(30) الله سماه قرءان وهذا صار علما على كتاب الله عز وجل ولذلك من القرءان أعلام وأوصاف فأما أوصافه فكثيرة نور ، هدى ، شفاء ، بيان ، رحمة ، بشرى ، ذكر ....وغير ذلك صفاته كثير وأسمائه كثيرة في القرءان وأما أسمائه بمعنى الأعلام إذا أطلق انصرف عن الكتاب منه القرآن.

(31) طبعا كما ذكرنا أن القرءان اختلف فيه هل هو مهموز أو غير مهموز ، طبعا قرئ بهذا وهذا اختلاف تنوع " قرءان " و " قرآن " لكن هل مشتق أو غير مشتق؟ هذا البحث.

فمنهم من ذهب إلى الاشتقاق ومنهم من ذهب إلى عدم الاشتقاق ، طبعا هذه مسألة في مسائل التصريف الباب يعني لا ينبني عليه كبير عمل من جهة العمل وإنما اختلاف صنعة في مسألة أسماء القرءان و اشتقاقه ونحو لك.

(32) يعني مشتق من التلاوة والقراءة اشتقاقه يعني من جهة المصدر .

(33) هذا إسناد العوفيين وهو ضعيف لكن يعتبر به وليس ساقطا مطلقا في التفسير عن بن عباس.

(34) إذا يميل هنا إلى الاشتقاق وأن اشتقاقه من " قرأ " وهذه قرأ يرجع معناها إلى الجمع لأن القرءان مجموع سور وآيّ.

(35) طبعا يزيد بن زريع وسعيد بن أبي عروبة عن قتادة هذا أصح إسناد وأثبت الناس في قتادة هو سعيد بن أبي عروبة وهو من أصح الأسانيد إلى قتادة في التفسير وسعيد بن أبي روبة يروي عن قتادة التفسير بهذا كثيرا.

(36) يعني الجمع وبن عباس يقول القراءة ، طبعا هما ليس بينهما تنافي.

(37) يعني اشتقاق من قرأ .

(38) يعني قبل أن يكون مجموعًا.

(39) فلذلك ممكن لا يجتمعان الاشتقاق من " **قرأ**" من " **القراءة**" و" **القرء**" بمعنى " **الجمع والتأليف**" لا يجتمعون إلا في القدر المشترك العام بمعنى التلازم لأن القراءة تكون لشيء مجموع مؤلف.

(40) يعني هو يريد أن يقول أنه لو كان المراد التأليف لكان قوله تعالى { **ٱقۡرَأۡ**} يعني ألّف لازمه أن يكون مؤلفًا، { **قُمۡ فَأَنذِرۡ**} [المدثر:2] قبل أن يؤلف إلى ذلك غيره من القرءان ولم يكن نزل عليه كبير شيء يريد أن يقول هذا.

(41) طبعا البيت هذا قيل لحسان مدح به عثمان رضي الله عنه لما قتل شهيدا رضي الله عنه.

(42) طبعا هذا الإطلاق في القدر المشترك من حيث الاشتقاق هو الذي نهى عنه السلف من أجله نهى السلف عن القول بخلق التلاوة ولو تريد فعل العبد ولو تقول حركة العبد لماذا؟ لأن كلمة قراءة يصدق إذا أطلقت الخلق وقع الخلق على القرءان كما قلناه وكررناه مرارًا يعني إنسان أصحاب الفطر السليمة والعقول المستقيمة دائما ينصرف ذهنهم وعقلهم للمقصود فمثلا إذا قلت سمعت القارئ يقرأ قرءانا فالذهن ينصرف للمقصود وهو القرآن، فلان يقرأ القرآن ينصرف الذهن للمقصود فلا ينصرف الذهن إلى شيء الذي ليس واردا أصلا كما يقوله الجهمية حركة الفعل والفعل وهذا الفعل مخلوق أما القرآن الذي أنزله الله كذا هذا تفصيل في الذهن فقط لا وجود له في الواقع مثال ذلك تجد الأشاعرة الجهمية الكفار يقولون القرءان المخلوق طبعا يلبسون هم يعتقدون خلق المصحف كليتا لكن إذا حوصروا يقول لك نقصد المداد والورق لا الكلام انتبه هذا الأمر باطل لماذا؟ لأن الكلام ينصرف للمقصود ، الآن أنت لو شخص أتاك بورقة بيضاء ليس مكتوب فيها شيء ورقة بيضاء فسألك ما تقول في هذه الورقة؟ تقول مخلوقة ما أحد يشك في هذا ورقة بيضاء ليس مكتوب فيها شيء ليست أصلا واردة للبحث كما قال إسحاق: " **فَأَمَّا الْأَوْعِيَةُ فَمَنْ يَشُكُّ فِي خَلْقِهَا؟!**".

هذه الأشياء ليست واردة للبحث أصلا فإذا كتب عليها القرءان انصرف الذهن للمقصود ولذلك صار للقرآن [المصحف] حرمة فلا يمس إلا عن طهارة ومن داسه أو رماه أو امتهنه وستخف به فهو كافر ثم الناس إذا رأته قالوا هذا القرآن وهذا كتاب الله وهذا كلام الله فينصرف الذهن للمقصود فلا يوجد

فصل بين ورقة بيضاء وكتابة منفصلة عنها هذا باطل إذا أطلق الخلق على ورقات المصحف أو على مداد المصحف فهو كافر لأنه يقع الخلق على القرآن ما في فصل إلا في أذهان هؤلاء النوكى أما في حقيقة الأمر وقع الخلق على القرآن ولذلك لو كتب شخص اسم أمير أو وزير على ورقة وشتمها أو تبول عليها لعلم الناس كل الناس أنه مهين للملك مهين للوزير مهين لذلك الراعي لأن الناس ينصرف ذهنهم للمقصود ولو قام يحلف الأيمان المغلظة أنه ما قصد إلا الورقة ولم يقصد المكتوب ما صدقه أحد لأن الذهن البشري والعقل السوي ما يفصل لذلك لهذا الاشتراك السلف حذروا من بدعة اللفظ خاصة عند الجهمية المعطلة كثيرا ممن تكلم في المسألة لم يردك فقه السلف أن السلف رحمهم الله قوم لا يجردون تجريدات الذهنية التي عند المناطقة ، يعني يقول لك شخص أنا أقول لفظي بالقرآن مخلوق وأريد فعلي أنا ، هذا فعلك يا فلان الفلاني هذا في ذهنك أما في واقع الأمر إذا قلت لفظي بالقرآن مخلوق فإنه يقع الخلق على القرآن لذلك هذا الاشتراك منعه ماذا يقولون؟ يقولون كلمتهم المحكمة المجمع عليها " **القرءان كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته حيث ما تصرف** ".

هذا هو كلامهم فإذا قالوا هذا الكلام استغنوا عن الدخول في اللفظ فإذا جاء شخص يجادل يقول والقراءة هي المقروء والمكتب هي المكتوب وكذا والقراءة تطلق بمعنى كذا ولها إطلاق مصدري وإطلاق كذا فيقولون هذا كلامك كله لا معنى له لأنه فيه اشتراك وما كان الاشتراك فيه إجمال ونحن من أجل هذا الاجمال حتى لا نوافق الجهمية ولا نوافق أهل البدع ممن يقولون لفظي بالقرآن غير مخلوق أرادوا معاكسة هؤلاء فلا نقول هذا ولا ذاك ولا نقول كلمة محمة تبرئنا من اللفظ كله أوله وآخره وهي " **القرءان كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته حيث ما تصرف** ".

هذا استريح وأرح أما الدخول في هذه البدعة من جهة القرآن مشتق أو غير مشتق أنا قلت لك هذه بداية كمعنى لغوي عام لكن ما ينبني عليها شيء أو تفرع عليها مسائل لأن المسألة إذا كانت لغوية اشتقاقية بحثت في إطارها الاشتقاقي الوصفي فإذا جئنا نطبق دلالات ذلك من جهة الأحكام اعتصمنا بالآثار فلم نطلق الاشتراك في القرآن بل القرآن نطلق فيه الإحكام كلام الله غير مخلوق ولا نقول مشترك كما تقوله الجهمية له إطلاقان القرآن الذي في معلوم الله غير مخلوق والقرآن الذي في المصاحف مخلوق أو يقولون الذي في اللوح المحفوظ مخلوق أو الذي في أيدي الناس مخلوق أو الذي يسمع من القراء مخلوق أو الذي يقرأه القراء بألفاظهم مخلوق فيأتي قائل ويعكس يقول لفظي بالقرآن مخلوق هذا كله كلام الجهمية والسلف رحمهم الله تعالى لا يدخلون فيه كما تقدم فانتبه يرعاك الله.

(43) يعني في قضية فرقان فعلان مصدر من فرَّق يعني فرَّق بين الحق والباطل.

(44) في أسماء سور القرآن النبي صلى الله عليه وسلم سمى سورًا من القرآن بأسماء يعني منبئا عن معناها فمثلا الفاتحة كما سيأتي يذكر والبقرة لها أسماء فسطاط القرآن وجاء فيه أحاديث وآثار الفاتحة " **أم الكتاب** "و" **أم القرآن**".

ونحو ذلك وهذه الأسماء للسور معينة على فقه مدلول السورة ومقاصد السورة.

(45) بل قد روي عن عثمان وسيذكره المصنف هنا ، عثمان لما جاءه الخوارج وسيذكر رواية أخرى لكن في رواية أخرى عثمان لما جاءه الخوارج واستدلوا عليه بمسألة الحمى وكذا وأرادوا الشبهة واستدلوا بآية يونس قالوا له افتح السابعة يعني سورة السابعة وهي سورة يونس وكانوا يدعونها السابعة.

(46) قلنا قد جعلوا أنه صرح أن يونس هي السابعة.

(47) يعني هذا في أسماء السور ، عندك السبع الطول ، عندك أم القرآن ، عندك المئين وهكذا.

(48) طبعا المثاني القرآن كله مثاني وكله متشابه يعني يشبه بعضه بعض ومثاني يعني يثني بعضه على بعض يعني هذه بعد هذه ويذكر الخبر ثم الأمر ثم القصة ثم المثل ثم الزاجر ثم الوعد ثم الوعيد فهذا في القرآن كله موجود لكن المقصود هنا إطلاق المثاني بالإطلاق الأخص التي هي ما تلي المئين.

(49) وأيضا الصحابة قد جاء في " صحيح" البخاري أنه كان يسمونه المحكم كما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: " **جَمَعْتُ الْمُحْكَمَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا الْمُحْكَمُ؟ قَالَ: الْمُفَصَّلُ**".

يسمون المفصل المحكم لأنه لا يوجد فيه ناسخ ومنسوخ إلا آية الشقفة في سورة المجادلة آية الإشفاق آية النجوى أقصد لكن عمومه غالب يعني لا يوجد فيه منسوخ فسمي محكم.

(50) يعني تكون الآية بمعنى الرسالة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**". يعني رسالة تكون بمعنى الرسالة.

(51) هذا يكون معناها آي القرآن وسور القرآن.

وبهذه تمت هذه المقدمة أسأل الله تعالى أن ينفعني وإياكم بالقرآن وعلومه وآيه وسوره وأن يرفعنا به في الدرجات العلى من الجنة وأن يرزقني وإياكم في قراءته الإخلاص والصدق والعلم والعمل إنه سميع قريب.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وأجمعين والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

